شرفنامه

في تاريخ الدول والإمارات الكردية

الجزء الأول

ألفه بالفارسية: **شرف خان البدليسي**



ترجمه إلى العربية
محمد علي عوني

راجعه وقدّم له
يحيى الخشّاب



شرفنامه

في تاريخ الدول والإمارات الكردية

ألفه بالفارسية

شرف خان البدليسي

ترجمه إلى العربية

محمد علي عوني

راجعه وقدم له

يحيى الخشاب

الجزء الأول

دار الزمان

عنوان الكتاب : شرفنامه

الجزء الأول : في تاريخ الدول والإمارات الكردية

ترجمه إلى العربية : محمد علي عوني

راجعه وقدم له : يحيى الخشاب

الطبعة الأولى : 1958

الطبعة الثانية : 2006

الناشر: دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - سوريا : ص.ب **5292**

هاتف: **00963 11 5622363**

00963 92 806808

E.mail: zeman005@yahoo.com

لوحتا الغلاف: من اللوحات الواردة في مخطوطة الشرفنامه

مقدمة

الكرد وكردستان

أولاً - أصل الشعب الكردي

(١)

اختلف الكتاب المسلمون القدماء في أصل الكرد . فمنهم من أرجعهم إلى أصل عربي، وهؤلاء يختلفون في هذا الأصل. جماعة ينسبونهم إلى ربيعة بن بكر بن وائل. وجماعة ينسبونهم إلى مضر بن نزار، فيقولون إنهم ولد كرد بن مرد بن صعصعة بن هوازن. وجماعة ينسبونهم إلى ربيعة ومضر.

وهؤلاء جميعاً يتفقون على أن الكرد انفردوا من قديم الزمان عن العرب، لوقائع ودماء كانت بينهم وبين غسان، أو لأنهم اعتصموا بالجبال طلباً للمياه والمراعي، وان هذا الإنفراد أدى إلى ما في الكرد من الأنفة، كما أدى - لمجاورتهم الأمم الساكنة المدن والعمائر من الأعاجم والفرس - إلى أن حالوا عن لسانهم وصارت لغتهم أعجمية.

ومن هؤلاء الكتاب من ألحق الكرد بالشيطان أو الجن وذلك عن طريق إماء سليمان بن داود، حين سلب ملكه ووقع على إمائه المنافقات الشيطان المعروف بالجسد فحملن منه، فلما رد الله على سليمان ملكه ووضع تلك الإماء الحوامل، قال سليمان: أكردوهن إلى الجبال والأودية، فربتهم أمهاتهم وتناكحوا وتناسلوا وهذا بدء نسب الأكراد[١] .

١- مروج الذهب للمسعودى، ج١ ، ص٢٠٧_ ٢٠٨ طبعة مصر، وشر فنامة، الترجمة العربية.

(٢)

ويروي صاحب شرفنامه (ق ١١ هـ) أن بعض الكتاب ينسب الكرد إلى نسل الإيرانيين الذين تشتتوا في الجبال والوهاد فراراً من القتل والذبح وقطع رؤوسهم لأخذ أمخاخهم لعلاج الثعبانين اللذين كانا فوق كتفي الضحاك (بيوراسب) خامس ملوك اليشداديين[١]. يقولون إن الموكل بقتل الناس وأخذ أمخاخهم قد غلبته العاطفة الكريمة[٢]، فعمد إلى الاكتفاء بقتل رجل واحد وضم مخ شاة إلى مخه وإعتاق الرجل الثاني سراً مع التنبيه عليه بأن يغادر المدن فوراً وبأن يستوطن الجبال والوهاد الخالية من الناس، فأدى هذا إلى اجتماع جمع غفير من طوائف مختلفة، ولهجات متعددة، فتزاوجوا وتناسلوا حتى ملأت أولادهم وأحفادهم تلك البقاع على رحابتها فلقب مجموع هؤلاء الناس بالكرد، وقد انساحوا بعد ذلك في السهول والهضاب.

ويذكر البدليسي رواية أخرى تقول إن الكرد سموا بهذا الاسم، ومعناه البطل، لشجاعتهم وبأسهم[٣].

ويؤيد البدليسي هذا الرأي مستدلاً بظهور أبطال إيرانيين بين هذه الجماعة، مثل رستم بن زال، الذي يذكره الفردوسي باسم رستم كرد؛ وبهرام جوبين الذي يرجع إليه نسب الكرتيين والغوريين؛ وفرهاد عاشق شيرين التي أحبها كسرى برويز؛ وخير الدين باشا الذي كان وزيراً للسلطان العثماني أورخان(٧٢٦ - ٧٦١ / ١٣٢٦ - ١٣٨٩) والذي يعرف بمولانا تاج الدين الكردي[٤].

ويذهب البدليسي إلى نسبة جماعة من أمراء الكرد، أمراء الجزيرة، إلى

١- شرفنامة، الترجمة العربية،

٢- المصدر نفسه، ص١١، ويذكر مينورسكي في مقاله بدائرة المعارف الإسلامية أنه يقام في يوم ٣١ أغسطس من كل سنة مهرجان بمناسبة خلاص إيران من ظلم الضحاك وأن هذا المهرجان يعرف بـ (جشن كرد) أي عيد الكرد.

٣- شر فنامة،

٤- المصدر نفسه.

خالد بن الوليد، وهذا في رأيه ثابت ومحقق[1]؛ وإن أول رجل ولى حكم الجزيرة من هؤلاء هو سليمان بن خالد. كما أنه ينسب حكام بدليس إلى كسرى نوشيروان.

(٣)

ويرى مينورسكي[2] - Minorsky أن الكرد قوم من الإيرانيين يسكنون فارس والقوقاز وتركيا والعراق.

ويستند وضع الكرد ضمن الشعوب الإيرانية إلى أسس لغوية وتاريخية، وهذا الوضع لا يتجافى مع الفارق الجنسي. ومن المحتمل أن العنصر الكردي قد انتقل في امتداده من الشرق (غربي إيران) إلى الغرب (كردستان الأوسط). وهذا لا يحول دون وجود شعب من، جنسية أخرى، كان يقيم في هذا الغرب، قبل أن ينتقل إليه الكرد، وكان هذا الشعب يحمل اسماً مماثلاً لاسم الكرد هو كاردو، وقد تم الاندماج بين أكراد إيران وهذا الشعب بعد اختلاطهما.

وقد عثر ثيرو دانجن - Thureau Dangin في نقشين آشوريين على إقليم اسمه كار - دا - كا[3]. وكان هذا الإقليم مجاوراً " لقوم سو ". وسو هذه تقع جنوب بحيرة وان كما يقول دريفر - Driver . ويقول البدليسي في شرفنامه إن هناك قلعة قديمة تسمى " سوى " في إقليم بد ليس. وبعد هذا بألف سنة شن بيليسر الحرب على شعب اسمه كورتي في جبال " ازو " التي يجعلها دريفر " حزو " الحالية (صاصون)، ولكن قراءة كلمة كورتي ليست مؤكدة.

ولا يشير هيرودوت، في القرن الخامس ق.م إلى اسم كهذا انه يقول ان الإقليم الثالث عشر في الإمبراطورية الأكمينية قد ألحق بأرمينية واسمه بوخته يوخ التي يربطها بعض المستشرقين باسم بوختان (بوهتان).

١- المصدر نفسه

٢- مادة كرد في دائرة المعارف الاسلامية.

٣- Revue d, assyriologie v 99; lll vl, 67

ويذكر كزينيفون xenophon (٤٠١-٤٠٠ق.م) اسم شعب كردوك الذي يسكن شرقي كنتريتس (بوختان).

وبعد هذا كثر ذكر هذا الاسم في المنطقة بين الشاطئ الأيسر لدجلة وجبل الجودي فقد سماها المؤرخون كوردئين. وسمي هذا الإقليم بالآرامية (حوض كاردو)؛ وأطلق اسم (كازار تاى كاردو) على مدينة جزيرة ابن عمر الحالية. وفي القديم عرف الأرمن هذه المنطقة باسم (كوردوز) وعرفها العرب باسم (بقردى). ويذكر ياقوت نقلا عن ابن الأثير ان بلاد (بقردا) جزء من جزيرة ابن عمر.

وقد اندثر اسم (بقردا) الذي كان يطلق في العصر الإسلامي الأول على هذه المنطقة وأصبح مذكوراً في الكتب العربية باسم جزيرة ابن عمر أو بوهتان..

وبعد ان يستطرد مينورسكي في بحثه التاريخي القيم يقول إن الذي لا شك فيه هو أن كاردشو القديمة، موطن شعب الكاردو، كانت من المواطن الأصلية للشعب الكردي اليوم. وإذا ثبت هذا يجب ان نسلم بان كلمتي (كاردشو) و (كرد) مترادفتان. وهذا الرأي لا مراء فيه منذ بداية القرن العشرين.

ثم ان الكرد والخلديين شعب واحد. ويقرر ريسك reiske ان الكلمات: (خلدى) و (كوردى _ كرد) و (كوردياى) تدل على مسمى واحد.

وبعد عرض دقيق للأبحاث اللغوية التي قام بها المختصون يقول:

ويترتب على هذا أن كلمة كردي وجمعها أكراد قد صارت اسماً لشعب إيراني هجين أو لشعب مجاور لإيران وذلك بعد الفتوحات العربية لهذه البلاد، وأن عناصر إيرانية خالصة قد وجدت بين الشعب الكردي كما وجد به في أنحاء أخرى جماعات أجنبية عن البيئة نزحت إليها وحكمتها.

(٤)

ويرى سيدني سميث Sidney smith[1] ، بعد مقدمة علمية في التاريخ

١- تراجع الترجمة العربية لمقال كتبه خاصة لمؤلف كتاب خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، محمد أمين زكي، ص٥٤ وما بعدها، والكتاب باللغة الكردية وقد نقلة للعربية محمد علي عوني. وكتاب:
Early History of Assyria

واللغـات، أن آراء العلمـاء قـد تغـيرت في العصـر الحـديث فيمـا يتعلـق باللغـة الكردية. فقد ذهب الثقاة منهم إلى القول بان اللغة الكردية ليست مشتقة من الفارسية أو محرفة عنها، بل هي لغة مستقلة تماماً ولها تطوراتها الحقيقية القديمة. فهي أقدم من اللغة الفارسية القديمة old persian التي كتبت بها نقوش دارا. وعلى هذا أصبح جائزاً ان يرى علماء التاريخ ان اللغة الكردية كانت موجودة في القرن السادس ق.م وكانت لغة مستقلة وقائمة بذاتها، وان الشعب الكردي، أحد الأقوام الهندية_ الإيرانية، قدم إلى كردستان في الوقت الذي قدم فيه الميديون إلى ميديا والإيرانيون إلى ايران. ومن هذا يبدو ان قدوم الكرد إلى كردستان يرجع إلى ما بعد سنة ٦٥٠ ق.م؛ ويستند سيدني سميث في هذا إلى القول بان النقوش الآشورية التي يرجع تاريخها إلى ما قبل هذه السنة لا تذكر شيئاً عن الكرد.

ويرى صاحب هذا الرأي الذي يعتمد على الدراسة اللغوية ان اللغة الكردية لغة مستقلة لا تمت للفارسية بصلة.

(٥)

ويـرى سفرسـتيان safrastian في دائـرة المعـارف البريطانيـة (١٩٤٤) ان الكرد لم يخضعوا للدول المتعاقبة قبل الإسلام، وأنهم اكتسبوا الصفات الآرية كاملة أيام الأكمينيين، وحينذاك كانوا كالستارية من حيث مد الدولة بالجند، كما كانوا حماة بيوت النار الزردشتية.

(٦)

ويـذهب محمـد أمـين زكـي[1] بعيـداً في نسـب الكـرد وأصـلهم. فيقـول: "إن كردستان الذي هو الموطن الأول للسلالة البشرية الثانية وموضع انتشارها إلى جهات أخرى حسب الحوادث التاريخية، كان يسكنه في فجر التاريخ شعوب

١- خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، الترجمة العربية لمحمد علي عوني، ص٦٣ وما بعدها.

جبال زاغروس التي هي شعوب (لولو) و (جوتى) و (كاسى) و (خالدى- كالدى) و (سوبارو- هورى)، وكان الشعب العيلامي يقيم في منتهى الشرق الجنوبي منه. فهذه الشعوب كلها، ما عدا الشعب العيلامي، هي الأصل القديم جداً للشعب الكردي". ثم يتدرج الباحث إلى العصر الميدي في القرن التاسع ق.م، والميديون من الشعوب الهندية الأوربية التي ارتحلت من شرقي بحر القوقاز(بلاد باختريانة) إلى الغرب الشمالي من الهضبة الإيرانية أي بلاد ميديا، فيرى الرأي القائل بان الشعب الميدي هو العشائر الكردية التي تسكن شرقي بلاد آشور، فهو شعب آري الجنسية وأما لغته فمن فصيلة اللغات الهندية الأوربية؛ ثم ان لغة الميديين هي لغة الشعب الكردي أو كانت أساساً لها على الأقل. وكما كان من نتيجة اختلاط البرتيين بالفرس ان اندثر البرتيون لاندماجهم التام في الفرس، فكذلك كان الحال بالنسبة للميديين على أثر اندماجهم مع الفرس.

ويعارض الباحث رأي سيدني سميث القائل بان النقوش الآشورية لا تشير إلى الكرد قبل سنة ٦٥٠ ق.م، فيذكر ما قرره هول في كتابه "تاريخ الشرق الأدنى القديم" من أن ملك الآشوريين الثالث (آداد - نيرارى) قام بحملة تأديبية ضد العشائر الكردية الشمالية في سنة ٨١٢ ق.م، وهذا يبين أن الشعب الكردي أقدم بكثير من سنة ٦٥٠ ق.م، ثم يقول: "وصفوة القول في هذا الموضوع انه سواء أكان الكرد سلالة شعوب زاغروس التي يعتقد المستشرقون أنها قوقازية الأصل ثم صارت آرية نتيجة الهجرات العديدة التي جرت في القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد أو كانوا سلالة الآريين الأقحاح (الهنود — الأوربيين) كما تقول كثرة المؤرخين، فالذي لا شك فيه هو ان النظرية الأولى القائلة بعراقة الأصل الكردي في القدم نظرية قوية جداً ولكنها لا تزال في حاجة إلى بعض الشواهد والأدلة الأثرية توضحها توضيحاً كاملاً. ومع ذلك فاني أعتقد أن النظرية القائلة بان الكرد قدموا إلى كردستان في أواسط القرن السابع قبل الميلاد نظرية ضعيفة جداً".

ويستدل الأستاذ محمد أمين زكي على صحة رأيه بان اختلاف الأسماء الدالة على الشعب الكردي في الأزمنة القديمة لا يفيد تعدد الأقوام والشعوب إنما هذا الاختلاف مما قضت به طبيعة التقدم وتطور الأحوال والظروف، وهو يستند في هذا إلى قول سبايزر: إن أسماء الأعلام في شعب ما قابلة للتبديل

عند الشعوب الأخرى[1]. فالكاسيون سموا على مر العصور: كاساي، كاسي، كاششو، كوش. وهذه كلها أسماء لمسمى واحد هو الشعب الكاسي. وكذلك سمي شعب لوللو: لوللو بوم، لوللومي، نوللو. وهكذا الحال في الأسماء المتعددة بالنسبة للكرد.

فالأسماء المختلفة التي أطلقت على الكرد إن هي، عند بعض المستشرقين، إلا كلمات متشابهة تدل على سبيل الترادف اللفظي إما على مجموع الشعب الكردي مباشرة وإما على تلك العشائر العديدة والقبائل الكثيرة التي كانت ولا تزال تعيش تحت اسم الكرد بأسماء وعناوين مختلفة في الأزمان القديمة. وكانت الأمم القديمة تعرف الكرد بهذه الأسماء:

كوتي، جوتي، جودي: عند السومريين.

كوتي، كوتي، كورتي، كارتي كاردو، كارداكا، كاردان،كاركتان، كارداك: عند الاشوريين والآراميين.

كورتيوي، سيرتي، كورد راها: عند الايرانيين.

كاردوسوي، كاردخوي، كاردوك، كردوكي، كردوخي.

كاردويكاي: عند اليونان والرومان.

كوردؤين، كورجيخ، كورتيخ، كرخي، كورخي: عند الارمن.

كردي، كاردوي، باقاردا، كارتاويه، جوردي، جودي: عند العرب.

ويختم السيد بحثه بان هذه الآراء كلها نظريات ذكرت على سبيل الاجتهاد، لأننا لم نظفر إلى الآن بأسانيد نعول عليها بشكل قاطع في حل مسألة الكرد ومنشئهم.



١- Speiser : Mesopotamian Origins

ثانياً - كردستان

في العصور الإسلامية حتى نهاية الحرب العظمى

(١)

بدأ تاريخ الأكراد يتضح منذ فتح العرب بلاد الدولتين الفارسية والرومانية، وانتقل البحث فيه من دور الاجتهاد في دراسات مقارنة للغات وتاريخ الأمم القديمة إلى الحقائق التاريخية التي ذكرتها كتب التاريخ الإسلامي.

ويعتز الأكراد بصحابي منهم اسمه جابان الكردي وبولده ميمون الذي يكنى بأبي بصير[١]، وقد رويت عن جابان أحاديث كثيرة؛ وهذا يذكر باعتزاز الفرس بسلمان الفارسي.

ويذكر اسم الكرد في كثير من الحوادث التي مرت بالدولة الإسلامية الشرقية في القرون الأولى للهجرة. فهم انقادوا إلى مقدمهم جعفر بن فهرجس الذي عصى بأعمال الموصل أيام المعتصم (٢٢٤/٨٣٩)، وكانت ثورته عنيفة فقد هزم والي الموصل، واضطر الخليفة إلى أن يبعث ايتاخ لتأديب جعفر، وبعد قتل هذا "أوقع ايتاخ بالأكراد فأكثر القتل فيهم واستباح أموالهم"[٢].

وعاون الأكراد مساور في ثورته ضد والي الموصل سنة٢٥٢\٨٦٦؛ كما ساعدوا ثورة الزنج والصفاريين وقد قلد يعقوب بن الليث، كور الأهواز، محمد بن عبيد الله بن هزار مرد الكردي[٣]، ولكن هذا كان يعمل على أن يكون الأمر لنفسه. ولم يكد أبو الهيجاء بن حمدان يلي الموصل حتى أتاه الصريخ من نينوى

١- خلاصة تاريخ الكرد والكردستان، ص. ١٣٠ حيث ينسب هذه القضية إلى الألوسي في تفسيره "روح المعاني".

٢- ابن الأثير حوادث سنة ٢٢٤.

٣- أبن الأثير حوادث سنة ٢٦٢.

بان الأكراد الهذبانية ومقدمهم محمد بن بلال قد أغاروا على البلد، فسار توأ إليهم، ولحق الأكراد بالمعروبة على الخازر وكانوا قد تجمعوا في خمسة آلاف فلم يقو عليهم فعاد ليستعد· ثم انه رجع بقوة كبيرة ولكن محمد بن بلال مكر به، إذ أفهمه انه يريد أن يستسلم له، وأن يكون وأبناؤه رهائن لديه، وعاد ليحضر بنيه، ولكنه بدلاً من أن يفعل ذلك نصح الأكراد بان يفروا إلى أذربيجان آمنين· فلما عرف أبو الهيجاء هذا هاجم فلولهم وقد أدرك محمد بن بلال الكردي أن لا قبل له بالمقاومة فلجأ إلى أبي الهيجاء فأمنه وأمن رجاله ورد عليهم أموالهم وأهليهم، "وتتابع الأكراد الحميدية وأهل جبل داسن إليه بالأمان فأمنت البلاد واستقامت"[١]·

ويذكر ابن مسكويه أن حسين الحمداني هاجم أذربيجان سنة٣٢٧/٩٤٣ وقد اتخذ له حليفاً زعيم عشيرة الهذبانية وقد بلغ مدينة سلماس وأقام بها[٢]·

ويذكر اسم الأكراد كجزء من الجيش الغزنوي في كثير من حوادث تاريخ هذه الدولة كما جاء في تاريخ البيهقي[٣]وغيره من كتب التواريخ· فهم في الواقع جماعة عرفت بشدة البأس في الحرب· ويذكر البدليسي الأسر الكردية حتى ١٠٠٥/١٥٩٦ م·

(٢)

أما عن البلاد التي عرفت باسم كردستان والقبائل التي عرفت بالكرد فان القسم الغربي من إقليم الجبال عرف باسم كردستان[٤]،ويروي المستوفي انه في نحو منتصف المائة السادسة للهجرة اقتطع السلطان سنجر السلجوقي (٥١١ – ٥٥١/١١١٧-١١٥٦) هذا القسم من إقليم الجبال، أي ما كان منه من أعمال

١- ابن الأثير حوادث سنة ٢٩٣ ·

٢- تجارب الأمم، GMS،١٠٥،٤ .

٣- تاريخ البيهقي، الترجمة العربية، للخشاب ونشأت في صفحات متفرقة·

٤- بلدان الخلافة الشرقية، لوسترانج Le Strange، الترجمة العربية لبشير فرنسيس وكوركيس عواد، ص١٨ .

كرمنشاه وسماه كردستان وولى عليه ابن أخيه سليمان شاه؛ وقد ازدهر كردستان في أيام سليمان هذا ازدهاراً عظيماً وبلغ ارتفاعه مليوني دينار ذهباً[1].

ويذكر المسعودي في مروج الذهب(٩٤٣/٣٣٢) أسماء العشائر الكردية[2]:

"شاهجان" وتسكن الدينور وهمدان؛ "ماجوردان" وتسكن كنجاور؛ "هذباني"، "سرات" وتسكن أذربيجان؛ "شادَنجان"، لازيا(لرى؟)"، "مادَنجان"، "مازدَنكان"، "باريسان"، "خالي(جلالي؟)"، "جبارقي"، "جاواني"، "مُستَكان" وتسكن في إقليم الجبال؛ "دَبابلا" وتسكن الشام؛ ونصارى الكرد مثل "اليعقوبية - اليعاقبة ، "جُرقان" يسكنون حوالي الموصل وجبل الجودي.

ويضيف المسعودي في كتابه التنبيه والإشراف اسم قبيلة "بازنجان" (ص٨٨-٩١). ويذكر الاصطخري (٩٥١/٣٤٠) أسماء العشائر الكردية الآتية (ص١١٥):

"ناشاويرا"؛ "بوذيكان"؛ "كيكان" (وتسكن اليوم قرب مرعش)، ثم انه يذكر (ص٢٨٢) منازل الكرد التي سكنوها : فارس، كرمان، سجستان، خراسان. (قرية كردية في ناحية أسد آباد)، اصفهان (قسم من عشيرة بازنجان، ومدينة مزدهرة ذكرت بأنها كردية، اليعقوبي ص٢٧٥ والاصطخرى ص١٢٥)، الجبال، وخاصة ماه الكوفة، ماه البصرة، ماه سَبَذان (ماسبذان)، همدان، شهرزور وملحقاتها داراباد وصمغان (زمكان)، أذربيجان، أرمينية (وفي دوين – أوتوين – وهي دبيل في القديم – على نهر الرس سكن الكرد بيوتاً من اللبن والحجارة، وقال المقدسي إن الأكراد به إلا ان الغالب عليه النصارى)، أرّان (وقد سمي أحد أبواب برذعة باب الأكراد، ويقول ابن مسكويه إن حاكمها استعان بالكرد إبان الغزو الروسي سنة ١٠٤٢/٣٣٢)، بيلقان، باب الأبواب (دربند)، الجزيرة، الشام، الثغور.

١- المصدر السابق ص٢٢٧، ٢٢٨ .

٢- مقال مينورسكي في دائرة المعارف الإسلامية؛ وخلاصة تاريخ الكرد وكردستان ص٢٧٤، ٢٧٥؛ وبلدان الخلافة الشرقية ص ٢١٦، ٢١٧ .

ويشير الاصطخري بنوع خاص إلى خمسة رموم في فارس[1]. وكان لكل رم عاصمته ورئيسه الذي عهد إليه بالخراج والأمن. وهذه الرموم هي:

١- جلويه (أورامجان)، ويحده أصفهان وخوزستان.

٢-لَوَالجان، بين شيراز والخليج الفارسي.

٣-ديوان، في كورة سابور.

٤-كاريان، في اتجاه كرمان.

٥-شهريار، بجانب أصفهان، ويسمى أيضا بازنجان باسم القبيلة الرئيسة التي نقل بعض أفرادها إلى أصفهان.

ثم ان الاصطخري يذكر أسماء اثنتين وثلاثين قبيلة (اثنين وثلاثين حيا) من الأكراد بفارس وقد استخرجها من ديوان الصدقات وهي:

كرماني، راماني، مُدَثِّر، محمد بن بَشَر، بقيلى (المقدسي: ثعلبي)، بُنْدا مَهْري، محمد بن إسحق، سَبَاهي، إسحاقي، أدُركاني، شَهرا كي، تَهْماداني، زَيادي، شَهْرَوي، بُنْدادكي، خُسروي، زَنجي، سَفَري، شَهياري، مهركى، مُباركي، اشتامْهَري، شَاهوني، فُراتي، سَلموني، صيري، آزادْدُخْتي، مُطَلَّبي، مَمَالي، شَاهْكاني، كجْتي، جليلي.

وكل هذه العشائر كانت تسكن الخيام وكان عددها خمسمائة ألف أسرة. وفوق هذا يذكر الاصطخري عشيرة "اللورية" بين أكراد فارس.

ويروي ابن البلخي(٥٠٠/١١٠٧) إن شخصاً اسمه عَلَك بقي من هؤلاء الأكراد واعتنق الإسلام ولا تزال أسرته موجودة بفارس. وأما الأكراد الآخرون الذين يقيمون بفارس الآن فهم الذين نقلهم عضد الدولة إليها من حدود أصفهان.

١- يطلق هذا الاسم على الأنحاء التي كان الكرد يسكنونها، ومفرده رم، وهو من الفارسية رم ومعناه القطيع أو الجماعة. أنظر دائرة المعارف الإسلامية مقال مينورسكي، ومفاتيح العلوم للخوارزمي، الفصل السابع.

٢- فارسنامه، ص١٦٨ .

ويشير ابن البلخي خاصة إلى أكراد شبانكاره الذين كانوا قوة عظيمة في آخر أيام البويهيين. ولم يشر البدليسي في شرفنامه إلى شبانكاره بين الأسر الكردية. ولكن إحدى قبائل شبانكاره يحمل اسم راماني وهو من أسماء القبائل التي ذكرها الاصطخري.

وهذا يبين أن أكراد فارس يختلفون عن أكراد كردستان (شول، لور) وأما زَوَزان (زوزان في الكردية مراعي الصيف) الذي يطلق على كردستان بوجه عام فلم يتضح تماماً. يذكر ياقوت في المعجم[1] انه كوره حسنة بين جبال أرمينية وبين أخلاط وأذربيجان وديار بكر والموصل وأهلها أرمن وفيها طوائف من الأكراد ثم انه ينقل عن ابن الأثير انها ناحية واسعة في شرقي دجلة من جزيرة ابن عمر، وأول حدوده من نحو يومين من الموصل إلى أول حدود خلاط، وينتهي حدها إلى أذربيجان إلى أول عمل سلماس، وفيها قلاع كثيرة حصينة، وكلها للأكراد البشنوية والبختية. فمن قلاع البشنوية قلعة برقة وقلعة بشير؛ وللبختية قلعة جُرْذَ قيل، وهي أجل قلعة لهم وهي كرسي ملكهم آتيل، وعَلُوس، وباز الحمراء، ولأصحاب الموصل ألَقى، أرْوَخ، باخَوْخة، بَرْخو، كنكور، نيروه، خَوْشب.

ويذكر القلقشندي، في صبح الأعشى[2]، نقلاً عن مسالك الأبصار[3]، أن الأكراد وإن دخل في نوعهم كل جنس فإنهم جنس من نوع عام. وهم من قارب العراق وديار العرب دون توغل في بلاد العجم. ومنهم طوائف بالشام واليمن. ومنهم فرق متفرقة في الأقطار، وحول العراق وديار العجم جمهرتهم..

ويحدثنا عن بلاد الجبال فيقول إن المراد بالجبال على المصطلح هي الجبال الحاجزة "ولم أذكر من عشائرها إلا من كنت به خبيراً ولم أسم فيها منهم إلا بيت ملك أو إمارة. نبدأ بجبال همذان وشهرزور وأربل وننتهي إلى دجلة الجزيرة من كوار إلى الموصل ونترك ما وراء دجلة إلى نهر الفرات لقلة الاحتفال به. . ولم يبق إلا أكراد الجزيرة وقرى ماردين" .

١- معجم البلدان،ج٤ ص٤١٥ . طبعة مصر.

٢- الجزء الرابع ص٣٧٣ – ٣٧٩ .

٣- لفضل الله العمري، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٨ م .

ثم يتحدث القلقشندي (١٤١١/٨١٤) عن طوائف اللور والشول وشبانكاره. أما عن طائفة اللور فهم كثيرون ومنهم فرق مفرقة في البلاد، وفيهم ملك وإمارة، وفي مصر والشام منهم طوائف كثيرة ومعظمها في البلاد الشامية. ثم يصفهم بالإقدام والصدق في القول والمنعة. وهما اللوران الكبير والصغير .

وأما عن الشول فحكمهم حكم شبانكاره، وما يبعد بعضهم عن بعض في موازنة العقول، إلا أنه لا يخلوا بينهم من دماء تطل ومواثيق فيما بينهم تحل،وفيهم كرم وسماح، يقصدهم الفقراء وتنزل في قراهم وقراهم.

وأما شبانكاره فهم أحسن من اللور طريقاً وآمن فريقاً، ومنهم رعاية زمام وتمسك من الشريعة المطهرة بزمام.

ويحدد صاحب مسالك الأبصار إقليم الجبال بأن ابتداءه جبال همدان وشهرزور وانتهاءه صياصي الكفرة من بلاد التكفور. وهي مملكة سيس وما هو مضاف إليها مما بأيدي بيت لاون. ثم يذكر منها عشرين مكاناً في كل واحد طائفة من الأكراد :

١- ماه دشت من جبال همدان وشهرزور. وهو مقام الأكراد الكورانية. ولهم أمير يخصهم.

٢- درتنگ ويقيم به طائفة أخرى من الكورانية. لهم أمير خاص. والطائفتان جميعاً لا تزيد عدتهم على خمسة آلاف رجل.

٣- داتسرك ونهاوند إلى قرب شهرزور، وهو مقام طائفة الكلالية، يعرفون بجماعة سيف، عدتهم ألف مقاتل، لهم أمير خاص يحكم على من جاورهم من الأكراد.

٤- بجبال همدان وبجوار طائفة الكلالية يسكن الكرد الزنكلية[1] .

٥- نواحي شهرزور، ويسكنها طائفتان من الكرد. اللوسة والبابيرية. وقد نزحوا عنها بعد واقعة بغداد ووفدوا إلى مصر والشام، وسكن في مكانهم الخولة (أو الخولسة) وهم ليسوا من صميم الأكراد.

١- يقول محمد علي عوني إنها محرفة من زنگنه وهي عشيرة كردية معروفة اليوم.

٦- مكان بين شهرزور وأشنه من أذربيجان ويسكنه طائفة السيولية (الشول؟)·

٧- آليشتر[1]، وتقيم بها طائفة القرتاوية (الكرثاوية)، وبيدهم من بلاد إربل أماكن أخرى.

٨- بلاد الكركار· وتقيم بها طائفة الحسنانية (خشناو)، وهم على ثلاثة أبطن، أحدها طائفة عيسى شهاب الدين، وطائفة التلية وطائفة الجاكية·

٩- دربند قرابلي، وهو مقام طائفة القرياوية، ولهم خفارة الدربند، وصاحبه يكاتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية·

١٠- بلاد الكرحين ودقوق الناقة[2]· يذكر مينورسكي أن طائفة تيركارين تقيم به، بين كركوك وطاووق (دقوق) ·

١١- بين الجبلين من أعمال إربل، يقيم أكراد كانوا موالين لمصر ويدارون التتر·

١٢-مازنجان، بيروه ،نجمة والبلاد السهرانية، ويقيم بها المازنجانية وهم ينتسبون إلى الحميدية·

١٣- بلاد السهرية، وهي من بلاد شقلاوة وخفتيان أبى علي (خفتيان الصغير) وما بين ذلك من الدشت والدربند، وتسكنه طائفة السهرية·

١٤- ملاز كرد والرستاق، وتسكنه طائفة الزرزارية[3]، ويقال إنهم ممن تكرد من العجم·

١٥- چولمرك وتسكنه الچولمركية· ويقال إنهم عرب تكردوا· وملكهم معتمد عند الأكراد ويأخذ الخفارة ويعرف بصاحب چولمرك·

١٦- بلاد مركوار ويسكنها أكراد متحالفون مع الچولمركية·

١- بلدان الخلافة الشرقية، ص٢٢٨، ٢٢٩ ·

٢- بلدان الخلافة الشرقية،ص٨٣، ١٢٠

٣- جاء في المسالك أن زرزاي كلمة أعجمية معناها ابن الذئب، خلاصة تاريخ الكرد،ص٣٨٥، حاشية المترجم·

١٧- بلاد كوار، وهي مجاورة لجولمرك من ناحية الغرب، وينسب إليها الكرد المقيمون بها.

١٨- بلاد الدينار، ويسكنها الأكراد الدينارية.

١٩- بلاد العمادية وقلعة هرور، ويسكنها الكرد الهكارية.

٢٠- القمرانية وكهف داود، ويسكنها التنبكية (بستيكى)[١]

ثم أن صاحب المسالك يذكر بعد هذا طوائف: البختية، السندية، الراسنية، الدنبلية، ويسميهم الأجانب زازا (ظاظا) ويسمون أنفسهم دنبلي (دوملي). ويذكر صاحب التثقيف، نقلاً عن الوثائق المصرية في زمنه، أسماء مناطق وعشائر كردية عددها خمس وعشرون[٢].

ويذكر مينورسكي في مقاله عن العشائر الكردية شرقي إيران، أنه كان يسكن ولاية قره باغ بالقوقاز أربع وعشرون عشيرة كردية، وكانت تسكن خراسان عشيرتا گل وزنگنة، وسكنت كرجستان عشيرة جيكان.

وذكر ابن خلدون في تاريخه عشيرتي لاوين وبادين الكرديتين في الجزائر.

(٣)

ويذكر البدليسي (١٠٠٥/١٥٩٦) إن الطوائف والجماعات الكردية من حيث اللسان واللغة والآداب والأوضاع الاجتماعية تنقسم إلى أربعة أقسام كبيرة[٣].

١- الكرمانج.

٢- اللر.

٣- الكلهر.

٤- الكوران (الجوران).

١- minorsky في دائرة المعارف الاسلامية.

٢- ذكرها صاحب خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ص٣٨٠.

٣- شرفنامه، الترجمة العربية لمحمد علي عوني، ص١٢.

وهو يجعل حد بلاد الكرد (كردستان) من ساحل الخليج الفارسي على خط مستقيم إلى آخر ولايتي ملطية ومرعش، فيكوّن الجانب الشمالي لهذا الخط ولايات: فارس والعراق العجمي وأذربيجان وأرمينية الصغرى، وأرمينية الكبرى، ويقع في جنوبه العراق العربي وولايتا الموصل وديار بكر.

والذين اشتهروا بشدة البأس من حكام كردستان وملوكه يسمون باسم عشائرهم مثل الحكاري والسهراني والباباني والأردلاني. أما الحكام الذين يمتلكون القلاع والمدن فمشهورون بتلك القلاع والمدن فيقال حاكم حصنكيفا، وحاكم بدليس وحكام الجزيرة وحزو وأكيل وهكذا.

(٤)

ويقسم البدليسي في شرفنامه ولاة الأكراد إلى أربعة أقسام:

١- الذين كانوا مستقلين ويدخلهم المؤرخون في عداد السلاطين والملوك.

٢- الذين حكموا من غير أن يكونوا مستقلين ولكن ضربت باسمهم السكة وأعلنت الخطبة بأسمائهم.

٣- حكام كردستان.

٤- حكام بدليس.

القسم الأول

ومنه دول المروانية، والحسنوية، واللور الكبير (الفضلوئية)، واللور الصغير ثم آل أيوب وهم سلاطين مصر والشام.

ويذكر البدليسي أن شادى بن مروان جد صلاح الدين الأيوبي من أكراد رونده دوين. ويروي في إسهاب كيف كانت الحرب بين صلاح الدين والصليبيين.

القسم الثاني

يتحدث شرف خان عن حكام أردلان، ويرجع نسبهم إلى أحمد بن مروان،

المروانية، فإن بابا أردلان قد استولى على شهرزور بعد أن أقام طويلاً في طائفة الكوران، ويقال إنه سمى نفسه باسم أحد الساسانيين، ويقول حمد الله مستوفي، في تاريخ كزيده، إن حكام شهرزور كانوا دائماً من الأكراد، فقد كانوا يستولون عليها بالقوة، وكان يستقل بها من استطاع أن يكون أقوى المتنافسين عليها.

وقد كانوا أمراء أردلان موزعين بين العثمانيين والصفويين الذين يطلق عليهم شرف خان كلمة قزلباش[1] في كتابه كله. وكان سرخاب، أحد أحفاد بابا أردلان. صديقاً لطهماسب الصفوي (٩٣٠-٩٨٤/١٥٢٤-١٥٧٦) وقد توسط لديه ليرضى عن أخيه الذي كان قد لجأ إلى سليمان القانوني (٩٢٦-٩٧٤/١٥١٩-(٢٠)-١٥٦٦) لكي يعينه على خلع أخيه. وظلت أردلان مسرحاً للمنازعات بين الفرس والترك، القزلباشية والعثمانيين، حتى أذعن واليها هلوخان للسلطان مراد خان العثماني مع اتباع سياسة المسالمة والمداراة مع الصفويين، وظل يحكم على هذا النحو من الحيطة حتى سنة ١٠٠٥/١٥٩٦ أي السنة التي فرغ فيها البدليسي من كتابه.

ويتحدث شرف خان عن حكام حكاري ويقول إنه رأى مرسوماً بالخط الأويغوري عند الحكاريين من السلاطين الجنكيزية بتمليك الإيالة لهم مدى العمر. ومع ذلك فقد كانت هذه الإمارة حائرة بين الفرس والترك.

ثم يتحدث بعد ذلك عن سائر فروع حكام هذا القسم.

القسم الثالث

وفيه يتحدث عن حكام كردستان، حكام جمشكزك وهم حكام، مجنكرد، برتك، سقمان؛ وحكام مرداسي وهم حكام أكيل، بالو، جرموك؛ وحكام صاصون؛ وحكام خيزان، ومكس، وأسبايرد، وكليس وغيرهم.

١- القزلباشية هم أبناء الأسرى الذين سلمهم تيمورلنك للشيخ حيدر. وسموا بذلك بسبب غطاء الرأس الأحمر الذي لبسوه ليميزهم عن غيرهم. وكانوا فرساً وتركاً. وفي ذلك الوقت كان القزلباش أقوى فرق الجيش الصفوي الفارسي. والترك يطلقون هذه الكلمة على الفرس عامة وتطلق كلمة القزلباشية كذلك على فرقة الباطنية الشيعية في تركيا.

وحين يصل إلى أمراء السويدي يذكر البرامكة الذين يرجع إليهم نسب أمراء السويدي، ويرجع البرامكة نسبهم إلى ملوك الفرس. ويذكر البدليسي ما جاء في سياستنامه المنسوب لنظام الملك عن قصة البرامكة، وكيف أن أحدهم، أيام عبد الملك بن مروان أو سليمان بن عبد الملك، جاء إلى دمشق بثروة طائلة فلما دخل على الخليفة انتفض هذا في مقعده وأمر بطرد البرمكي. ولما سئل الخليفة عن سبب ذلك التغير المفاجئ على الزائر قال إن في ذراعي خرزتين تتأثران إذا ما ظهر شيء من السم في مجلس. فلما سألوا الضيف عن هذا قال إني أحمل السم تحت فص خاتمي حتى إذا ما أزمني أمر تخلصت من حياتي بمصه. ومن أجل هذا سمي بالبرمكي لأنه قال لهم بالفارسية بَرْمَكَم وهو من مصدر برمكيدن بمعنى المص[1].

القسم الرابع

حكام بدليس ـ أجداد صاحب شرفنامه

وقد عنى المؤلف بهذا القسم عناية خاصة، وقد تحدث عن بدليس نفسها طويلاً. وهو حريص في كتابه على أن يبين أن المدارس عنوان نهضة الأمة، فهو يختم حديثه عن الدولة الأيوبية بما أنشأت من المدارس في القاهرة، وهو حين يتحدث عن بدليس يذكر أن جده بنى مدرسة وزاوية يعرفان باسم الشرفية. وأنه هو نفسه بنى خمس مدارس: الخطيبية، وحاجي بكية، وشكرية، وإدريسية، وإخلاصية، أنشأها كلها سنة ٩٩٩/١٥٩٠-٠٩١ وهو يصف هذه المدارس بأنها غاصة بالطلاب والعلماء والمدرسين. ويذكر أسماء بعض الأساتذة، ففي المدرسة الشرفية يدرس مولانا خضر الخيزاني الفقه الشافعي والتفسير والحديث. وفي المدرسة الإخلاصية الشيخ شمس الدين محمد الشرانشي وهو مشهور بين علماء كردستان. وفي مدرسة الحاجي بكية يدرس مولانا محمد الزرقي الصوفي الذي اشتهر بإتقان الفقه وبالتقى والزهد. وفي الإدريسية مولانا عبد الله الشهير بملاي سياه (الشيخ الأسود) وهو يدرس حسب الشروط

١- حكايات فارسية، ص٢٠ يحي الخشاب، القاهرة ١٩٤٥، وسياستنامه ص٢١٩، نشر إقبال.

التي جاءت بالبراءة التي حصل عليها من الدولة العلية بالآستانة[1].

ويتحدث البدليسي عن خسرو باشا، الوزير التركي، وما كان له من فضل على بدليس وحكامها من أجداد شرف خان. وهو يذكر ما كان عليه الأكراد، وجلهم سنية على مذهب الشافعي، من الضيق بمذهب الصفويين. والظاهر أن الخلافات المذهبية كان لها أثر كبير في الصلات بين الكرد والفرس في ذلك الوقت. فشرف الدين يكيل الثناء للوزير التركي لأنه أنقذ أمراء بدليس من ورطة القزلباش الذين خالطوهم زهاء أربع وأربعين سنة، كانوا يسمعون خلالها ما يؤذيهم ويؤلمهم من الأقوال البذيئة. وهكذا ساعدهم الوزير على العودة إلى بلادهم حيث حدائق الإسلام الغناء.

وكان لخسرو باشا الفضل في أن يعطف السلطان مراد خان الثالث (٩٨٢-١٠٠٣/١٥٧٤-١٥٩٤)على شرف خان وأن يطلب إليه العودة إلى ديار الإسلام تاركاً منصب حكومة نخجوان مع الوعد بمنحه حكم إيالته الموروثة.

ويصف البدليسي ولاية خلاط ومدينتها ويذكر أنها كانت مسرحاً للحرب بين الفرس والترك. فالسلطان الصفوي طهماسب أغار عليها سنة ١٥٤٨/٩٥٥ وانتزعها من أيدي حامية السلطان سليمان. ثم أن السلطان الصفوي أمر بدك حصونها وتخريب قلعتها. فلما استردها الترك رأى السلطان سليمان أن ينشئ قلعة جديدة وحصوناً على شاطئ بحيرة وان ولم يصلح ما أفسده القزلباشية بل تركه أطلالاً تروي ما أصابها[٢].

ويرجع البدليسي نسب حكام بدليس إلى الأكاسرة، والشائع أنهم من نسل كسرى أنوشيروان. وهذا القسم من الكتاب أدق من سائر الأقسام لأن كاتبه عاش فترة حياته فيه وارتبط تاريخ أسرته بتاريخ هذه الجهة.

ويذكر المؤلف تاريخ حياته في هذا القسم، فهو قد تربى، كسائر أبناء النبلاء والحكام، في بلاط السلطان طهماسب، وظل في رعاية هذا السلطان

١- شرفنامه.

٢- شرفنامه، ويذهب ناصر خسرو إلى انها سميت اخلاط لأن الناس بها يتكلمون ثلاث لغات: العربية، والفارسية، والأرمنية، أنظر سفرنامه، يحيى الخشاب، ص٦-٧.

يتنقل في الوظائف ويلقى من العطف ما جعله يخلف أباه. وبعد وفاة طهماسب عهد إليه الأكراد بأن ينوب عنهم في بلاط السلطان إسماعيل، ولكن الوشاة دسوا له عنده، وصوروه بأنه متآمر مع أمراء من القزلباشية ليخلعوه عن العرش. وكان إسماعيل يستمع إلى النميمة فتغير سلوكه مع شرف خان وأصبح يخشاه، ولذلك فقد أخرجه من البلد بحجة أنه يسند إليه حكومة نخجوان. وبعد أن أمضى سنة وأربعة شهور جاءته البشرى بأن السلطان العثماني مراد الثالث قد أسند إليه ولاية بدليس وذلك بفضل وزيره خسرو باشا وزينل بك حاكم حكاري وحسن بك المحمودي، وهكذا غادر نخجوان، قاصداً بدليس، في اليوم الثالث من الشوال سنة ١٥٧٧/٩٨٦. وفي سنة ١٥٨٢/٩٩١، عاون جيش السلطان في تفليس وكرجستان فكوفىء بضم ناحية موش إلى ولايته. وفي ١٥٩٦/١٠٠٥ تنازل عن الإمارة لولده.

(٥)

وأغلب الأكراد سنية شافعية، يميلون إلى التدين ويتمسكون بالشريعة الإسلامية، ولرجال الدين عندهم مكانة عالية فهم يتبعون نصحهم وإرشادهم.

وبعض العشائر، في أنحاء الموصل والشام، مثل الطاسنية والخالدية والبسيانية وبعض البختية والمحمودية والدنبلية، يعتنق مذهب اليزيدية ويقولون بأنهم أتباع ومريدو الشيخ عدي بن المسافر وهم يعتقدون أن هذا الشيخ المدفون في جبال لالش، من أعمال الموصل، قد أسقط عنهم الفروض، وأنه يقوم بها نيابة عنهم.

ويقول البدليسي: "وللأكراد ولع شديد بتحصيل العلوم العقلية وتكميل الفنون النقلية، ولا سيما الحديث والفقه والنحو والصرف وعلم الكلام والمنطق والبلاغة، وهم يتدارسون بشغف عظيم كتب العلوم الإسلامية ولهم مؤلفات شيقة في بعض هذه العلوم، وإن كان ليس لهم شهرة".

ويعلل البدليسي ابتعاد الأكراد عن تولي المناصب الإدارية في بلاطي الخليفة العثماني والشاه الإيراني بأن الكرد لا يميلون بطبعهم إلى الأدب والاجتماع، إذا قصد بهما الكسب، كالشعر والإنشاء وحسن الخط وسائر ما ينتفع به ويلقى تقديراً في المجتمعات الرسمية والمجالس الأدبية التي يعقدها الحكام.

والبدليسي نفسه يعد مثلاً للحاكم المستنير الذي يرى إنشاء المدارس ونشر العلم الأساس الصحيح للحكم الصالح، وقد بينا من قبل الجهد الذي بذله في إنشاء عدد من المدارس في بدليس.

أما أخلاق الكرد فإن البدليسي يذكر رأي أحد كتاب الترك فيهم، فيقول إن مولانا سعد الدين أستاذ السلطان مراد خان يقول في تاريخه يصف الأكراد : إن كل واحد منهم رافع رايات الاستبداد والانفراد مفضل الحياة الحرة المستقلة في قلل الجبال وأعماق الوهاد، لا تجمعهم سوى رابطة الشهادة الإسلامية[١].

ويرى البدليسي أن الأكراد ليس لهم واحد يدينون له، ولذلك مالوا إلى الفرقة وسفك الدماء وعدم رعاية الأمن والنظام وهم يثورون لأتفه الأسباب.

ويرجع محمد أمين زكي عدم توحيد كلمة الكرد بإخلاص وقوة ضد الفرس والترك إلى عوامل الشقاق وأسباب التخاذل والنفور التي كان ولا يزال الشعب الكردي عليها[٢]. وقد استفاد الأجانب من هذا الشقاق فكانوا يستغلون الكرد التابعين لهم ليهدموا الدويلات الكردية المستقلة[٣]. والكرد متصفون بالشجاعة وهم "أشد من الأسود إذا غضبوا وأخف من البروق إذا وثبوا"[٤]. ويطلق على الأكراد "قريش العجم" تعظيماً لهم[٥].

١- شرفنامه.

٢- خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ص١٤٩ .

٣- المصدر السابق ص١٧٣ .

٤- صبح الأعشى، ج٤ ص٣٧٩ .

٥- شفاء الغليل ص٣ ، وقارن كتاب تنسر، يحي الخشاب، ص٥٢ .

ثالثاً - الكرد في الزمن الحاضر

(١)

أدت الثقة المتبادلة بين شرف خان البدليسي والسلطان مراد الثالث إلى استقرار الأمور بين الكرد والترك فترة من الزمان، ولكن لم يلبث الكرد أن حاولوا التخلص من الخضوع إلى تركيا وعملوا على تحقيق استقلالهم، وبدت ميولهم واضحة نحو الفرس ونحو جيرانهم النصارى. وثار الكرد على نظم الدولة العثمانية سنة ١٨٣٢، وكان زعيم الثورة بدرخان بيك البهتاني، رئيس طائفتي روندوز وحكاري. وظلت الحملات التركية تترى على الثوار الكرد لإخماد ثورتهم من سنة ١٨٣٢، أيام السلطان محمود الثاني، إلى ١٨٧٤، أيام السلطان عبد العزيز خان، ونزعت ولايات كثيرة من أيدي حكامها الأكراد وسلمت إلى ولاة عثمانيين.

ولكي يقضي السلطان عبد الحميد قضاء تاماً على ما بين الكرد وجيرانهم النصارى من مودة شكل باسمه، من الأكراد، سنة ١٨٩٠، كتيبة من الفرسان، صارت فيما بعد سوط عذاب يسلطه على كل خارج على النظام المقرر. وقد أدى تشكيل هذه الكتيبة ثم استخدامها في قمع الحركات التحريرية إلى تعويق الحركة الكردية التحررية كما أنها أوجدت نفوراً شديداً من الأرمن نحو الكرد.

وبعزل عبد الحميد حُلت الكتيبة الكردية سنة ١٩٠٩، وبدأ الأكراد المثقفون يرشدون إخوانهم إلى التحرر. وانتهز النواب الكرد الاتجاهات الجديدة في تركيا نحو الحرية والإخاء والمساواة بين الناس ونحو القومية التركية فرفعوا أصواتهم عالية في المجلسين النيابيين مطالبين بحقوق الأكراد[١].

وعلاوة على هذا فقد بدأت المجلات والجمعيات الكردية تظهر نشاطها في الآستانة وبغداد والموصل بل وفي القاهرة أيضاً. ولكن الطريق لم يكن ممهداً أمام هذه المؤسسات فاصطدمت بمقاومة شديدة من الأتراك.

١- Ency. Brit. Kurdistan

ومن الجمعيات الكردية التي ظهرت في الآستانة في القرن العشرين:

- جمعية العزم القوي.
- جمعية تعالي وترقي الكرد.
- جمعية نشر المعارف الكردية. وقد افتتحت مدرسة لتعليم اللغة الكردية ليتلقى فيها أبناء الأكراد التعليم الابتدائي. ولكن هذه الجمعية لقيت عنتاً شديداً من حكومة الاتحاد والترقي العثمانية التي كانت تعمل على تتريك الطوائف غير التركية، فأغلقت المدرسة وحلت الجمعية.
- وفي سنة ١٩١٠ تكونت جمعية هيوى (هيڤي) الكردية التي استمرت تمارس نشاطها حتى حرب ١٩١٤، ثم استأنفت عملها بعد الهدنة ولكنها توقفت في تركيا بعد قيام حكومة أتاتورك.
- جمعية استقلال الكرد، وتفرع منها جمعية التشكيلات الاجتماعية لكردستان.
- جمعية الشعب الكردي.

هذه الجمعيات كلها، وهي تدل على تطلع الأكراد إلى حياة خاصة كريمة، حلت بعد استقرار الكماليين في دست الحكم.

ولكن ما لقيه الأكراد من قمع في تركيا لم يحل دون استمرار نشاطهم خارج هذه البلاد في سبيل محاولة تجميع الأكراد نحو فكرة إحياء حضارتهم القديمة ولغتهم ثم للمطالبة باحترام تقاليدهم كأمة لها تاريخ قديم ومقومات خاصة بها.

وإذا فقد تكونت خارج تركيا جمعية تشمل الأكراد في جميع البلاد هي جمعية خويبون ـ الاستقلال ـ وانضم لها الأكراد عامة.

وفي بغداد تكونت جمعية الارتقاء الكردية ـ أويانهى سر كوتن ـ.

وأما المجلات فأهم ما ظهر منها:

"كردستان"، صدرت في تركيا ثم انتقلت إلى القاهرة قبيل الحرب العظمى وكانت تصدر باللغتين الكردية والتركية وكانت نصف شهرية.

"كردستان"، وقد أصدرها المبشرون النصارى في أورمية.

"روژ كـرد" (كـرد اليـوم)، أصـدرتها جمعيـة هيـوى سـنة ١٩١٢ · والعـددان الأولان منها يحملان صورة البطلين صلاح الدين الأيوبي وكـريم خـان زنـد الـذي يعده الأكـراد مـن أقـوى أمـرائهم، وقـد اعتلـى عـرش إيـران ودام حكـم أسـرته مـن ١٧٥٠ إلى ١٧٩٤ ·

ثم ظهرت هذه المجلة في ثوب جديد واسم جديد هو "شمس الكرد"·

"ژيـان" (الحيـاة) وصـدرت بعـد نهايـة الحـرب العظمـى في مصـر واسـتنبول وكردستان·

وفي مدينة السليمانية صحيفة "پيشكوتين" (التقدم)·

"بانگى كوردستان" الأسبوعية وكانت لسان حال حكومة الشيخ محمود·

ومجلات: "بانگى حق" (صوت الحق)، "اميدي اسـتقلال" (أمـل الاسـتقلال)، "ژيانة نو" وكانت أسبوعية وقد صدرت حتى سنة ١٩٣١[١] ·

(٢)

وكردسـتان، في المعنى الواسع ومـن حيث جنسـية السـكان· مـوزع بـين ثـلاث دول: إيران والعراق وتركيا·

وفي فـارس يقـيم الأكـراد بوجـه خـاص في كرمنشـاه وكردسـتان (بـالمعنى الأخص الذي يطلق على إقليم في إيران) وفي القسـم الجنـوبي مـن أذربيجـان وفي الإقليم الجبلي من ناحيـة أورميـة وخـوي والمنحـدرات الجنوبيـة لأرارات· وهنـاك جماعات كردية في خراسان وفارس وبروجرد (لورستان)·

وفي تركيـا يقـيم الكـرد علـى الخـط الممتـد بـين تركيـا وإيـران، كمـا أنهـم يجـاورون النصـارى حـول بحـيرة وان· وأعلـى نهـري دجلـة والفـرات يقطـن الكـرد شمال خط يربط فيشخابور (قرب جزيرة عمر) بسُميساط شمالي برجك، كما أنهم يقطنون غربي الفرات· وهم كثرة في بدليس وإرزنجان وديار بكَر وأرضـروم وفي المنحدرات الغربية لأرارات·

١- خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ص· ٣٧ وما بعدها ·

وفي العراق، يبلغ عدد الأكراد، حسب تعداد ١٩٣٩ نصف مليون وهم يسكنون مدينة السليمانية كلها كما يكونون غالبية السكان في أربل وكركوك[١].

ويقول مينورسكي في دائرة المعارف الإسلامية[٢] : إن أكراد إيران يبلغ عددهم قرابة ٥٠٠٫٠٠٠ . وهو يرجع إلى التعداد الذي عملته روسيا لأكراد تركيا في سنة ١٩٢٥ فيذكر أن عدد أكراد تركيا ١٫٥٠٠٫٠٠٠ . ويقول إن المصادر التركية تحدد عدد خيام الأكراد (الرحل؟) بـ٩٦٫٠٠٠ خيمة.

وأما أكراد العراق (ولاية الموصل) فعددهم حسب تعداد ١٩٢٣ – ١٩٢٤ يبلغ ٤٩٤٫٠٠٧، وهم يشغلون لواء السليمانية (١٨٩٫٠٠٠) وهم أغلبية كبيرة في إربل (١٧٠٫٦٥٠) وهم أغلبية كذلك في كركوك.

ثم إن في روسيا، القوقاز، جاليات كردية في إروان وقَرْص وكان عددهم سنة ١٩١٠ حوالي ١٢٥٫٠٠٠ منهم ٢٥٫٠٠٠ من اليزيدية.

وفي سوريا قدر القنصل الروسي عدد أكراد ولاية حلب بنحو ١٢٥٫٠٠٠ . كما أن مجلة العالم الإسلامي[٣] تقدر عدد الأكراد في أنحاء أخرى من سوريا بنحو ٢٠٫٠٠٠ . وفي كل من دمشق وحلب حي للأكراد.

وبعض الكتاب المحدثين، يجعلون عدد الكرد :

في تركيا : ٤٫٠٠٠٫٠٠٠ أي بنسبة ٢٥ في المائة من سكانها.

في إيران: ٣٫٥٠٠٫٠٠٠ أي بنسبة ٢٣ في المائة من سكانها.

في العراق: ١٫٠٠٠٫٠٠٠ أي بنسبة ٢٨ في المائة من سكانها.

وعدا هذا يوجد ٢٥٠٫٠٠٠ كردي في سوريا، و ١٦٠٫٠٠٠ في روسيا[٤].

1- Ency. brit : kurdistan

2- Ency of islam : kurdistan

3- Revue Du Monde Musulman، العدد ٥٢، ص٢١٧

4- Les Kurdes et le Droit , Rambout ، ص١٩، باريس ١٩٤٧

(٣)

الموصل بين الإنجليز والأتراك[1]

كان لواء الموصل موضع نزاع طويل بين الإنجليز والأتراك أثناء الحرب العظمى وبعدها. ففي هذا اللواء يسكن الأكراد، وهم الأكثرية بين السكان، وفيه كذلك النفط الذي كانت انجلترا تتطلع إليه في حرص شديد.

هدنة مودروس moudros

في ٣٠ سبتمبر ١٩١٨ تم الاتفاق بين الأتراك والإنجليز على هذه الهدنة، وكانت القوات البريطانية على مسافة اثني عشر ميلاً من الموصل، وقبيل هذا التاريخ (٢٥ سبتمبر) كانت هذه القوات قد احتلت كركوك.

وقد نصت اتفاقية الهدنة في المادتين ٧، ١٦ على:

المادة٧: للحلفاء الحق في احتلال أية نقطة استراتيجية إذا ما تبين لهم أي أمر يهدد أمنهم.

المادة١٦: تسليم جميع الحاميات التركية في الحجاز وعسير واليمن وسوريا وميزوبوتاميا (بلاد ما بين النهرين) لأقرب قائد من الحلفاء.

وتطبيقاً لهاتين المادتين أصدرت القيادة الإنجليزية، في ٢ نوفمبر ١٩١٨، أمراً للسير وليم مارشال باحتلال الموصل. ولكن القائد التركي، إحسان باشا، اختلف مع القائد الإنجليزي على تحديد كلمة ميزوبوتاميا وذهب إلى أنها لا تشمل ولاية الموصل. فلما أرسل إلى الآستانة يستمد الرأي أمر بأن يخلي المدينة ويسلمها للقوات البريطانية ويترك الموظفين الإداريين يباشرون أعمالهم باسم الحكومة العثمانية.

وفي ٨ نوفمبر احتلت القوات الإنجليزية مدينة الموصل ورفعت العلم البريطاني على الأبنية الرسمية وأنزلت العلم التركي.

١- مشكلة الموصل، دراسة في الدبلوماسية العراقية – الإنجليزية – التركية وفي الرأي العام. فاضل حسين، ص٢ وما بعدها.

ثم احتلت بريطانيا الولاية كلها وسلم القائد الإنجليزي لواء السليمانية للشيخ محمود، الزعيم الكردي، الذي أصبح يمثل السلطة العسكرية البريطانية.

وكان المقدر في الخطة البريطانية إقامة دولة عربية تمتد من حدود ولاية الموصل إلى الخليج الفارسي، العراق الحالي، تكون تحت السيطرة الإنجليزية باسم يخالف الاستعمار في مبناه دون حقيقة معناه وهو الانتداب. وكذلك كان المقرر تنصيب أحد أولاد الشريف حسين، والي مكة السابق، ملكاً على هذا الإقليم الذي يقتطع من ولايات الدولة العثمانية المقهورة. ومن جزء من الأراضي العثمانية نفسها وهو ولاية الموصل.

وسرعان ما بعثت وزارة الهند في لندن إلى الحاكم العسكري الإنجليزي تطلب إليه سؤال الأهالي في هذه المنطقة عن رأيهم في الدولة العربية الجديدة المزمع خلقها، وهل ينصب عليها أمير عربي ومن يكون هذا الأمير[1].

وأرسل الضابط المختص بإجراء الاستفتاء في ولاية الموصل تقريره في هذا الشأن ولم يفته أن يشير إلى الطوائف التي تسكن هذه الولاية. جاء في هذا التقرير:

١- إن الأهالي عموماً يرحبون بحماية الإنجليز حتى يصبحوا أهلاً للمطالبة برفع هذه الحماية.

٢- إن المسيحيين، الكلدانيين والكاثوليك، يؤيدون الإشراف البريطاني المباشر.

٣- أن الأكراد اليزيديين في سنجار طلبوا رسميا ألا يولي في منطقتهم حاكم مسلم.

٤- إن الأكراد، وهم نصف عدد سكان الولاية، لا يريدون الحكم العربي[2].

١- مشكلة الموصل، الذي رجع إلى Bell, Civil Administration، ص١٢٧ .

٢- Wilson, Clash of Loyalttles، ص١١٢ س

(٤)

في هذه الفترة انسحبت روسيا، بعد الثورة البلشفية، من شئون الشرق الأوسط وخلا الميدان لكل من انجلترا، يمثلها لويد جورج، وفرنسا، يمثلها كليمنصو، كي تحقق ما تحلم به من إقامة إمبراطورية لها في الشرق العربي. وبعد أن كانت بريطانيا قد تنازلت عن ولاية الموصل في اتفاقية سيكس – بيكو (Sykes – picot Agreement) لفرنسا (١٩١٦)،كي تكون إمبراطورية هذه حاجزاً بين الإمبراطوريتين الإنجليزية والروسية، عادت، بعد انسحاب روسيا، فعملت على أن تكون الموصل ضمن امبراطوريتها هي. وقد نجح لويد جورج في إقناع كليمنصو بأن يتنازل عن الموصل لإنجلترا. وقد أسف الرئيس الفرنسي فيما بعد على تنازله حين عرف قيمة الموصل لمن يحتلها. وحين بدأت مفاوضات البترول بين إنجلترا وفرنسا رفض كليمنصو أن يوقع اتفاقية سان ريمو (San – Remo Agreement)، واستقال من الحكومة في ٢٠ يناير ١٩٢٠. ولكن هذه الاتفاقية وقعت بعد ذلك مع امتياز خاص لفرنسا في بترول الموصل، وذلك في ٢٥ ابريل ١٩٢٠. وفي اليوم التالي تقرر انتداب فرنسا على سوريا ولبنان، وانتداب انجلترا على العراق وفلسطين (الفقرة ٤ من المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم).

معاهدة سيفر Sevres

أعد الحلفاء هذه المعاهدة في ١٠ أغسطس ١٩٢٠، وفيها صفيت الإمبراطورية العثمانية، وبها تأكدت شروط اتفاقية سان ريمو، كما ثبت نظام الانتداب. واقتضى تنفيذ هذه المعاهدة تعيين الحدود التركية – العراقية أو بعبارة أخرى البت فيما إذا كانت كلمة ميزوبوتاميا تشمل ولاية الموصل أو لا تشملها. وبالنسبة للأكراد تضمنت المادتان ٦٤،٦٢ من المعاهدة النص على اعتبار الكرد أمة ليست تركية وليست عربية وأن من حقها أن تنشد الاستقلال في أراضيها. نصت المادتان على:

المادة ٦٢: "تشكل في استنبول لجنة من ثلاثة أعضاء إنجليزي وفرنسي وإيطالي تعينهم حكومتهم في مدة ستة أشهر تبدأ من تاريخ سريان هذه المعاهدة، وتكون مهمتها إعداد الحكم الذاتي للأقاليم التي يسكنها الكرد،

والواقعة شرقي الفرات، قبلي الحدود الجنوبية لأرمينية، وشمال الحدود التركية – السورية – العراقية " .

المادة ٦٤ : "إذا اتجه الشعب الكردي في الولايات المشار إليها في المادة ٦٢، في فترة سنة من تاريخ سريان هذه المعاهدة إلى مجلس عصبة الأمم مبيناً أن أغلبية سكان هذه الولايات ترغب في الاستقلال عن تركيا، وإذا رأى مجلس عصبة الأمم حينئذٍ أن هؤلاء السكان أهل لهذا الاستقلال، وإذا أوصى بمنحهم إياه، فإن تركيا تتعهد، منذ الآن، بتنفيذ هذه التوصية وبالتنازل عن جميع حقوقها في تلك الأقاليم.

وستكون تفاصيل هذا التنازل موضع اتفاق خاص بين القوات المتحالفة الرئيسية وتركيا.

فإذا تم هذا التنازل، وفي حينه، فلن يقوم أي اعتراض من القوات المتحالفة الرئيسية بالنسبة لضم هذه الدولة الكردية المستقلة- بالاختيار-الكرد القاطنين في الجزء من كردستان الداخل حالياً في ولاية الموصل" .

وإذاً فقد نجحت إنكلترا، التي فازت بنصيب الأسد بين الحلفاء، في تحقيق ثلاثة أمور:

١- إشعار الأقليات في تركيا وفي غيرها من البلاد العربية - التي كانت جزءاً من الإمبراطورية العثمانية - بأن هناك حماية تؤيدهم إذا ما طالبوا بالانفصال عن البلاد التي هم جزء منها. ومن اليسير أن يحملهم المستعمر على هذا الطلب.

٢- تهديد العراق، إذا ما ارتفع فيه صوت ينبه للخطر الإنكليزي، بأن تفصل عنه ولاية الموصل التي هي أغنى الولايات التي تكّون منها .

٣- وضع تركيا المقهورة أمام الأمر الواقع ببتر ولاية الموصل منها .

(٥)

الميثاق الوطني

قبيل هذه الفترة كان الحلفاء قد عينوا مصطفى كمال باشا، مفتشاً عاماً للقوات المرابطة في أرضروم وسيواس، لحفظ النظام، وفي الوقت نفسه عينته الحكومة العثمانية والياً على أرضروم. ولكن هذا الضابط الذي كان، في ساعة

العسرة التي تمر بها تركيا المقهورة، أداة في يد العدو المنتصر، كان يضيق صدراً بهذه المأساة التي انتهت بها الحرب العظمى والتي أدت إلى تسليم الإمبراطورية العثمانية لقمة سائغة للفرنسيين والإنكليز في الشرق، ثم لهما مع الطليان في الغرب؛ ثم انه رأى تركيا نفسها تمزق تمزيقاً، فأزمير يديرها اليونان، وجزر تركيا تعطى لليونان وإيطاليا؛ واستنبول مزدحمة بلجان من الحلفاء تشرف وتنظم الاحتلال وأخرى تهيئ وسائل التعويض والدين العام، وإعادة الامتيازات... هذا كله أثار مصطفى كمال فشق عصى الطاعة على حكومة استنبول لخضوعها للحلفاء، ثم أخذ يعارض سياسة هؤلاء في تمزيق تركيا وقهرها.

وفي ١١ يوليو ١٩١٩ عُزل مصطفى كمال من منصبه فالتف الوطنيون حوله. وفي ٢٧ يوليو اجتمع أول مؤتمر منظم للحزب الوطني الجديد في أرضروم، ثم اجتمع المؤتمر مرة أخرى في سيواس في ١٣سبتمبر ١٩١٩ ووافق على"الميثاق الوطني" الذي تضمن أقصى ما تستطيع تركيا أن تتحمله من التضحيات لتحقيق سلام عادل ودائم، وذلك في المادة الأولى منه التي تقول:

"إذا اقتضت الضرورة يقرر مصير أجزاء الإمبراطورية العثمانية التي تسكنها أكثرية عربية والتي كانت حين عقد هدنة ٣٠ أكتوبر ١٩١٨ تحت احتلال القوات المعادية وفقاً لتصويت سكانها الحر.

إما تلك الأجزاء (سواء كانت داخل خط الهدنة المذكورة أو خارجها) التي تسكنها أكثرية عثمانية مسلمة متحدة في الدين والجنس والهدف ومشربة بعواطف الاحترام المتبادل وبالتضحية وتحترم احتراماً كلياً الحقوق القومية والاجتماعية والظروف المحيطة بها فتؤلف جزءاً من الوطن لا ينفصل عنه لأي سبب منطقي أو قانوني"[١].

وقد لاحظ مؤلف "مشكلة الموصل" بحق أن الفقرة الثانية من هذه المادة تشير إلى ناحيتين:

١- أراضي كيليكيا التي استعادها الأتراك بالاتفاقية التركية-الفرنسية في ٢٠ أكتوبر ١٩٢١.

١- النص في " مشكلة الموصل "، فاضل حسين، ص٢٥.

٢- ولاية الموصل التي كانت انكلترا تبذل حيلها لتقتطعها من تركيا.

وبينما كان الحلفاء يمزقون تركيا إذا بهم يأمرون بتغيير الوزارة وحل البرلمان وإجراء انتخابات جديدة، فلما اجتمع المجلس الجديد وافق على "الميثاق الوطني" في ٢٨ يناير ١٩٢٠، فأعقب ذلك احتلال بريطانيا للأستانة وحل البرلمان العثماني.

وحفز هذا العدوان مصطفى كمال إلى عقد "المجلس الوطني الكبير" في أنقرة وكان تنفيذ قرارات الميثاق الوطني أول واجبات هذا المجلس في أول جلسة له في ٢٣ أبريل ١٩٢٠.

(٦)

وعلى هذا النحو عارضت تركيا برئاسة مصطفى كمال معاهدة سيفر Sevres، بينما كانت حكومة وحيد الدين، آخر السلاطين، المستضعفة ميالة إلى قبول ما يمليه الإنكليز أو الفرنسيون.

وبدأ مصطفى كمال يجادل عن وحدة تركيا، فاتفق مع روسيا وعقد معها معاهدة صلح منفردة في ١٦ مارس ١٩٢١.

واتفق مع إيطاليا على إخلاء اضاليا لقاء الوعد ببعض امتيازات.

واتفق مع فرنسا على إخلاء كيليكيا في ٢٠ أكتوبر ١٩٢١.

وفي ١٠ أغسطس ١٩٢١ نجح في أن يعلن الحلفاء أن الحرب التركية- اليونانية حرب خاصة بالدولتين وحدهما.

وفي أوائل سنة ١٩٢٢ غادرت أنقرة بعثة تركية للتفاوض مع الإنكليز في الصلح. واجتمع وزراء خارجية إنكلترا وفرنسا وإيطاليا في باريس لبحث النزاع التركي – اليوناني ولدراسة التعديلات التي طلب الوطنيون الأتراك إدخالها على معاهدة سيفر. وفي ٩ سبتمبر ١٩٢٢ طرد مصطفى كمال الجيش اليوناني من أزمير. وفشل لويد جورج في إثارة حلفائه ودول البلقان ضد تركيا، وأعلن بوانكاريه أن فرنسا غير مستعدة لاستخدام القوة ضد تركيا.

وأدى هذا إلى هدنة مودانيا في ١١ أكتوبر ١٩٢٢، وفي مؤتمر عقد في مودانيا أعلن مصطفى كمال مطالب الوطنيين:

١- اعتبار "الميثاق الوطني" حد أدنى لحقوق تركيا.

٢- المطالبة باسترجاع الأراضي المفقودة.

٣- استفتاء أهالي تراقيا الغربية.

٤- إلغاء الامتيازات.

٥- الاعتراف لتركيا بالسيادة الكاملة في أراضيها.

وينتج من هذا أن الزعيم التركي عازم على المحافظة على حقوق تركيا كاملة في سيادتها.

وفي ١٦ نوفمبر ١٩٢٢ عزل السلطان محمد وحيد الدين وسادت تركيا حكومة جديدة برئاسة مصطفى كمال، واعترف الحلفاء بالأمر الواقع، وكان هذا في مصلحتهم.

لقد كان القضاء على الخلافة الإسلامية انتصاراً لهم قبل أن يكون انتصاراً للوضع السياسي الكمالي الجديد.

(٧)

مؤتمر لوزان

وفي هذا المؤتمر دارت مناقشات طويلة بين عصمت باشا (عصمت اينونو) ولورد كرزون بشأن الموصل. وكان عصمت حريصاً على اعتبار أكراد الموصل من الترك المسلمين بدليل أنهم انتخبوا عنهم نواباً في المجلس الوطني الكبير. ولكن كرزون طعن في سلامة الانتخابات وقال إن تركيا عينتهم تعييناً وان منهم من كان عاجزاً عن المشاركة في المناقشات لجهله اللغة التركية.

ومهما يكن فان معاهدة لوزان عقدت في ٢٤ يوليو ١٩٢٣ وبها تم الصلح النهائي بين الحلفاء وتركيا مع بقاء مشكلة الخط الفاصل بين العراق وتركيا، وهل تدخل فيه ولاية الموصل، وذلك ليتم بشأنه اتفاق بين تركيا وإنجلترا، وإلا رفع الأمر لمجلس عصبة الأمم، وإلى أن يتم ذلك يتعهد الترك والبريطانيون بعدم إحداث أي تغيير في الوضع الراهن بحركات عسكرية أو غيرها.

ولكن المهم في معاهدة لوزان[1] أن موضوع الأكراد أصبح أقل اتساعاً مما كان عليه في معاهدة سيفر. فلم يصبح الحديث عنه في المعاهدة الجديدة- التي حلت محل معاهدة سيفر – حديث الاستقلال، إنما كان مجرد الرغبة الخيرة للدول المتحالفة نحو الأقليات عامة في تركيا، وعلى تلك الرغبة الخيرة نصت المادتان ٣٨ و ٣٩ من القسم الثالث من المعاهدة، وهذا نصهما:

المادة ٣٨: "تتعهد الحكومة التركية بمنح جميع سكان تركيا الحماية الكاملة والمطلقة لأرواحهم وحريتهم، من غير تمييز بالميلاد أو الجنسية أو اللغة أو العنصر أو الدين"

المادة ٣٩: "لن يشرع أي قيد ضد حرية أحد ممن لهم الرعوية التركية في التعبير باللغة التي يريدها، سواء كانت في المعاملات الخاصة والتجارة والشعائر الدينية والصحافة والمطبوعات بكافة أنواعها أو كانت في الاجتماعات السياسية".

(٨)

مؤتمر القسطنطينية

عقد هذا المؤتمر في ١٩ مايو ١٩٢٤، لبحث مسألة الموصل. وتحدث رئيس الوفد التركي، فتحي بك رئيس المجلس الوطني الكبير، طويلا عن الجمهورية التركية وأن جميع المواطنين فيها يتمتعون بنفس الحقوق من غير تمييز عنصري أو ديني؛ وقال إن الترك والكرد أبناء وطن واحد وإنه من المستحيل اقتطاعهم من وطنهم من أجل بضعة آلاف آشوري؛ ثم إن الأكراد في ولاية الموصل قد انتخبوا عنهم نواباً في المجلس الوطني الكبير. وهي الحجة التي تذرع بها عصمت باشا من قبل وهو يتجادل مع كرزون. ولكن رئيس الوفد البريطاني في هذه المرة، پرسي كوكس، كان قد جمع معلومات يرد بها بالنسبة للنواب. ولذلك فقد سأل المندوب التركي نايب عن أسمائهم فسماهم: نايب زاده نوري أفندي، سليمان

١- Rambout، ص٢٥.

فهمي أفندي، محمد نوري أفندي، نفطجي زاده ناظم بك، فتاح بك[1] .

وقد أجاب المندوب الإنجليزي ببيان عن تاريخ كل واحد من هؤلاء النواب الأكراد . نوري أفندي نايب زاده من فرع مغمور من عائلة نايب وقد خدع أباه وادعى أنه ذاهب إلى تركيا للتجارة فلما أصبح تاجراً تبرأ منه أبوه.

سليمان أفندي كان ملتزم ضرائب في الموصل ولما فشل في أن يفي بالتزاماته للحكومة العراقية هرب إلى تركيا ليتفادى نتائج فشله.

نوري أفندي كان موظفاً في الحكومة العراقية وفصل لسوء سلوكه ووضع تحت المراقبة فآثر الهجرة. وهؤلاء الثلاثة يمكن إهمالهم ولا يستحقون البحث.

أما ناظم بك فكان نائب كركوك في مجلس النواب العثماني، وقد التحق بخدمة الحكومة العراقية بعد الهدنة فعمل في "لجنة الوجهاء" التي ألفت في سنة ١٩٢٠ لوضع مشروع قانون الانتخابات في العراق، وفي سنة ١٩٢١ طلب وظيفة في الحكومة فعرضت عليه مديرية الحلة فرفضها لأنه يريد مديرية كركوك فلما لم ينل ما يريد أخذ يتآمر على الحكومة العراقية، ولما عرف في ١٩٢٣ أنه سيعتقل سار إلى السليمانية ومنها هرب إلى تركيا . وعائلته التي يرأسها صالح بك نفطجي زاده عضو المجلس التأسيسي العراقي عائلة كبيرة.

أما فتاح بك فهو أخو زوجة الشيخ محمود وعندما ضغطت القوات البريطانية على السليمانية فر إلى القسطنطينية ليعمل لحساب الشيخ محمود الذي يريد أن يمسك العصا من الوسط ويرضي المعسكرين.

ثم قال مندوب بريطانيا إن قبول هؤلاء الأكراد نواباً في المجلس الوطني الكبير يؤدي إلى مخالفة معاهدة لوزان التي اشترطت ألا يقوم أحد الطرفين بعمل من شأنه أن يغير الحالة الراهنة في خط الحدود، في حين أن قبولهم أعضاءً في المجلس التأسيسي العراقي لا يعد مخالفاً لمعاهدة لوزان لأنه لا يحدث تغييراً في الوضع الراهن لأن الموصل تحت الإدارة الفعلية لحكومة العراق.

---

١ - مشكلة الموصل ص٤٣ حيث رجع إلى: Turkish Red Book، ص١٨٨ .

ولم ينجح مؤتمر القسطنطينية. وعاد الطرفان إلى مجلس عصبة الأمم التي شكلت لجنة للتحقيق في الموضوع. وانتقل الموضوع إلى بحث في أصل الكرد هل هم ترك أو إيرانيون أو عرب[1]. وفي ١٦ يوليو ١٩٢٥ قدمت اللجنة تقريرها.

وكانت نتيجة التحقيق: "إذا أخذت مصالح الأهلين بعين الاعتبار فاللجنة تعتقد أنه من المفيد إلى حد ما أن تقسم ولاية الموصل.. والأدلة المهمة ولاسيما الاقتصادية والجغرافية وعواطف أكثرية السكان تميل لتأييد ضم جميع الأراضي الواقعة جنوبي خط بروكسل إلى العراق وذلك بشرطين:

١- أن تبقى هذه الأراضي تحت الانتداب الفعال لمدة خمس وعشرين سنة.

٢ - أن تراعي رغبات الأكراد بتعيين موظفين أكراد في المحاكم والمدارس وبأن تكون اللغة الكردية اللغة الرسمية فيهما.

فإذا لم يتم الشرط الأول فستظهر صعوبات سياسية خطيرة وفي هذه الحالة توصي اللجنة بإعطاء الموصل إلى تركيا التي تتمتع بأحوال داخلية وبوضع سياسي أكثر استقراراً من العراق.

وإذا لم يتحقق الشرط الثاني فإن أكثرية الكرد يفضلون الحكم التركي على الحكم العربي.

ومهما يكن فإنه يجب أن يحتفظ العراق بمنطقة ديالى لضرورتها في حل مشكلة الري".

(٩)

ثورة الشيخ سعيد في تركيا

في هذه الفترة – غير الميمونة بالنسبة لتركيا – قامت ثورة كردية بها يعزوها بعض الكتاب[2] إلى أن مصطفى كمال لم يعبأ بقرارات مؤتمر لوزان وبدأ منذ سنة ١٩٢٤ بتحريم استخدام اللغة الكردية وبنقل زعماء الأكراد من بلادهم

١- ذكر هذا بالتفصيل في ص٩٦ وما بعدها في "مشكلة الموصل".

2- Rambout، ص٢٦.

التي نشأوا فيها إلى جهات أخرى. فشكل الأكراد جهازاً عسكرياً لمقاومة الحكومة التركية وتزعم هذا الجهاز الكولونيل خالد بك زعيم قبيلة جبران والتف حوله المثقفون والضباط الأكراد. وقد حدد للثورة يوم ٢٦ مارس ١٩٢٥، ولكن شاء القدر أن تقوم الثورة قبل موعدها إذ حدثت معركة بين فصيلة تركية وجماعة من رجال الشيخ سعيد، شيخ الطريقة النقشبندية، في بيران. ولم تنجح الثورة واستطاع الجيش التركي أن يقضي عليها، وقبض على الشيخ سعيد وأعوانه.

وفي يوم ٢٧ مايو حوكم الشيخ سعيد وصحبه أمام محكمة الاستقلال التي قضت بإعدام الشيخ والدكتور فؤاد وستة وأربعين من المعاونين وقد أعدموا في أغسطس سنة ١٩٢٥. وأعلن رئيس المحكمة أن الثوار كانوا مدفوعين بحوافز قومية بحتة.

ثم إن الحكومة التركية أصدرت أمراً بنقل زعماء الكرد من البلاد التي نشأوا فيها في بهتان وصاصون وبايزيد إلى جهات غير صحية على شاطئ الأناضول. ولا تزال المناوشات في سبيل الاستقلال قائمة في تركيا[١].

ويذكر مينورسكي أسباب هذه الثورة[٢]:

١- رد فعل ضد فصل الدين عن الدولة في الجمهورية التركية.

٢- انبعاث القومية الكردية والميل إلى الاستقلال.

٣- مؤامرات أحد أمراء آل عثمان وكان يقيم في حلب.

٤- دسائس الإنجليز.

ويؤيد رأي مينورسكي في أن للإنجليز يداً في هذه الثورة ما ذكرته الصحف التركية من أن الموظفين الأتراك وجدوا في ديار بكر رسائل مرسلة من شركات إنكليزية مختلفة إلى " وزارة الحربية في كردستان".

بعد هذه الثورة بدأ الإنكليز يبعثون بالشكوى تلو الشكوى لمجلس عصبة

١- Ncy. Brit

٢- The Mosul Question، ص١٨.

الأمم يتهمون الأتراك باضطهاد المسيحيين وبنقض معاهدتي سيفر ولوزان.

وكان الأتراك يردون هذه الادعاءات ويشكون بدورهم خبث الإنكليز وتحايلهم لتدعيم مطالبهم الاستعمارية كما شكوا من أن الإنكليز يشجعون الشيخ محمود، وهو رئيس كردي فر من تركيا عند قمع ثورة الشيخ سعيد فاحتضنه الإنكليز في العراق واستخدموه لتحريض أكراد الموصل ضد تركيا. وجعلوه وكيلاً لهم في السليمانية.

وانتهى أمر الموصل بموافقة مجلس عصبة الأمم على خط بروكسل في ١٦ ديسمبر ١٩٢٥، وبذلك أصبحت هذه الولاية جزءاً من العراق. ولكن مع قيدين:

١-أن يستمر الانتداب الإنكليزي في العراق ٢٥ سنة.

٢-أن تقدم الحكومة البريطانية لمجلس العصبة التدابير الإدارية لتأمين الضمانات للأكراد. واستقر الرأي في العراق على الموافقة على الشرطين جميعاً. فلقد هددت بريطانيا بإعادة ولاية الموصل إلى تركيا حين تحدث بعض الأحرار العراقيين عن طول فترة الانتداب. وفي ٥ يونيو ١٩٢٦، أعلنت المعاهدة العراقية-البريطانية-التركية وفيها اعترفت تركيا بجعل الموصل جزءاً من العراق مع تعديل طفيف في خط بروكسل واشترط أن تدفع الحكومة العراقية ١٠ في المائة للحكومة التركية من كل عائداتها لمدة ٢٥ سنة من كل من:

١- شركة النفط التركية عملاً بالمادة ١٠ من امتيازها المؤرخ في ١٤ مارس ١٩٢٥.

٢- الشركات أو الأشخاص الذين قد يستغلون النفط عملاً بأحكام المادة ٦ من الامتياز المذكور.

٣- الشركات الفرعية التي قد تؤلف عملاً بأحكام المادة الثالثة والثلاثين من الامتياز نفسه.

(١٠)

ضمانات الأكراد وبريطانيا

قدمت بريطانيا مذكرة إلى سكرتارية عصبة الأمم في ٢ مارس ١٩٢٦ خاصة بالضمانات التي منحتها للأكراد في الموصل، جاء فيها:

"إن نسبة عالية من الأكراد مستخدمون في وزارات العراق، في المالية

والداخلية والعدلية، في المناطق الكردية وغير الكردية، ونسبة عالية مماثلة من الأكراد مستخدمون في المصالح المختلفة. وللأكراد نصيب كامل في الحكومة المركزية، فلهم عضوان من عشرين في مجلس الأعيان، ولهم أربعة عشر نائباً من ثمانية وثمانين في مجلس النواب، ومنهم وزيران. وفي الجيش والشرطة نسبة عالية من الكرد وفي المناطق الكردية خمس وعشرون مدرسة، خمس منها مسيحية، وتستخدم اللغة الكردية في ست عشرة مدرسة، وأكثرية المدرسين أكراد كما يوجد عدد كبير من المعلمين الكرد في المدارس غير الكردية".

ثم إن الموظفين الإنكليز قد عملوا على أن تصبح اللغة الكردية صالحة للمكاتبات الرسمية: "فاللغة الكردية لم تكن تستخدم قبل الحرب وأن تطور هذه اللغة لتكون وسيلة للمراسلة يعود كله إلى جهود الموظفين البريطانيين. ولم ينتشر استعمال اللغة الكردية المستخدمة حتى الآن في لواء الموصل ولكنها آخذة في الانتشار في لوائي أربيل والسليمانية".

ولم يقتصر الأمر على أن تتولى السلطة الإنكليزية أمر تطور اللغة الكردية وتشجيع الكرد على أن يكونوا أقلية لها لغتها ووظائفها ومدارسها في داخل الدولة الجديدة - العراق - العربية، ولكن الحكام العرب أنفسهم قد شجعوا الأكراد على أن يكونوا دويلة داخل الدولة. فقد خطب رئيس وزراء العراق في مجلس النواب في ٢١ يناير ١٩٢٦ قائلاً: "يجب على الحكومة العراقية أن تمنح الأكراد حقوقهم، وأن يكون موظفوهم من بينهم، وأن تكون الكردية لغتهم الرسمية".

وقد أرسل رئيس الوزراء نص خطابه في منشور إلى جميع الوزارات لتطبيق هذه السياسة.

وفي مأدبة أقيمت للاحتفال بتوقيع المعاهدة الجديدة ألقى الملك فيصل خطاباً قال فيه: "إن من بين واجبات العراقي الصادق تشجيع أخيه الكردي العراقي على التمسك بجنسيته والالتحاق به في الانضواء تحت العلم العراقي".

وفي المأدبة نفسها ألقى وكيل المندوب السامي البريطاني كلمة قال فيها:

"يجب أن يكون غرض الحكومة العراقية تشجيع الأكراد على الفخر

بكرديتهم لا تثبيطهم"[1]، وأكد أن هذه هي السياسة التي اتبعتها الحكومة العراقية.

وإذاً فإنكلترا، ووراءها حكام العراق، يوافقون على أن تكون للأكراد جنسيتهم ولغتهم، وذلك داخل العراق.

وإزاء هذا الوضع الجديد للأكراد هاجر نايف بك من تركيا إلى العراق، وهو رئيس عشيرة كردية صحبه منها خمسون ألف شخص.

فالعراق عند أكراد تركيا المتحررين قد منحت الأكراد من حرية الجنسية واللغة ما حبب إليهم الهجرة من تركيا.

وهكذا نرى أن الحماس لإنشاء دولة كردية مستقلة قد خمد ليحل مكانه حماس لتشجيع الروح الانفصالية عن الدولة التي يسكنها الأكراد وذلك بالاعتراف بالجنسية الكردية وباللغة الكردية في دولة جنسيتها عربية ولغتها الرسمية العربية. وليس يخاف أن موقف الإنكليز من الأكراد لم يكن من أجل القضية الكردية، وأن حماسهم لاستقلال الأكراد ونفي صلتهم بالترك لم يكن لصالح الكرد، وإنما كان كل هذا من أجل فصل ولاية الموصل عن تركيا وضمها إلى العراق مع أن غالبية سكانها ليسوا عرباً. وبذلك يضمن الإنكليز بقاء هذه الولاية بأيديهم لأنها مورد غني بالبترول. فالبترول هو أساس السياسة الإنكليزية كلها نحو الترك ثم نحو الكرد وغيرهم من الأقليات ثم نحو الولايات التي تكوّن منها العراق.

لعبت شركات البترول دوراً خطيراً في قضية الموصل، فقد كان وكيل المندوب السامي في العراق، في الفترة من ١٩١٨ إلى ١٩٢٠، السير أرنولد ولسن، حاضراً في مقر قيادة الحلفاء حين عدل خط الحدود بين تركيا والعراق إلى ما وراء الموصل ثم لمسافة ١٠٠ ميل وراء ذلك. فلما استقرت الأوضاع في ١٩٢٦ وأصبح نفط الموصل في يد الإنكليز عين السير أرنولد ولسن مديراً عاماً لشركة

١- ص١٧٨-١٧٩ من "مشكلة الموصل".

النفط الفارسية – البريطانية في مناطق البترول الإيرانية والعراقية[1]، ثمناً للمعونة التي أداها.

(١١)

وحين قبلت العراق عضواً في عصبة الأمم سنة ١٩٣٢ صرح مندوبها باحترام حقوق الأكراد. ولكن عدم العناية بالمناطق الكردية في ولاية الموصل أدى إلى ثورة الشيخ أحمد البرزاني (البرزنجي) سنة ١٩٣٣، وقد انتهت هذه الثورة بالطرق الودية بفضل مسعى الكابتن ڤيولت Violet، وذلك سنة ١٩٣٤. ونتيجة لهذا حددت إقامة زعماء الثورة في كركوك والسليمانية، فظلوا هناك حتى ١٩٤٣[٢].

وفي سنة ١٩٤٣ كان ملا مصطفى، أخو الشيخ أحمد البرزاني، يقيم في السليمانية حيث حددت إقامته؛ وقد تمكن من الهرب من معتقله والالتجاء إلى عشيرة البرزان، وساعده في هذا الشيخ لطيف البرزنجي بن الشيخ محمود الحفيد.

في ذلك الوقت كانت أذربيجان الإيرانية محتلة بالجيش الروسي، وقد شجع الروس الأكراد وسمحوا لرؤساء العشائر الكردية بالاحتفاظ بسلطانهم على عشائرهم "وطبيعي أن تكون أنباء المعاملة الحسنة التي يعامل بها الروس أكراد إيران قد بلغت أسماع الأكراد المقيمين في المناطق الأخرى"[٣]. ومن أجل هذا هرب الشيخ لطيف إلى أذربيجان حيث أحسن الروس استقباله، وكانوا يعدون العدة فيها إنشاء دولتين مستقلتين أو متحدتين: دولة أذربيجان الديمقراطية ودولة الأكراد. وفي أذربيجان أصدر الشيخ لطيف مجلة شهرية في أربعين صفحة باسم نيشتمان (الوطن).

---

١ – مشكلة الموصل، ص٢٦١.

٢ – Rambout، ص٧١ وما بعدها.

٣ – حديث مجيد مصطفى . الوزير العراقي الكردي لمندوب الأسوشيتدبرس المنشور في جريدة المصري في ٨ أبريل ١٩٤٦.

أما ملا مصطفى فقد لحقت به قوات البوليس العراقي فلم تقدر عليه، فلما لجأت الحكومة العراقية إلى استخدام الجيش ضد قواته المسلحة لم تقدر عليه أيضاً؛ ورأى رئيس الوزراء نوري السعيد، وهو كردي فيما يقال، أن يخمد ثورة ملا مصطفى بما يضمن للأكراد حقوقهم وللعراق وحدته، فعين زعيماً كردياً، مجيد مصطفى، وزيراً للدولة في وزارته وناط به مفاوضة ملا مصطفى لتسوية النزاع بينه وبين الحكومة العراقية. وقبل نوري السعيد الشروط التي انتهى إليها رسوله مجيد، وأهمها إبقاء القوات الكردية كما هي من غير أن تجرد من سلاحها ثم تلبية الحقوق التي يطالب بها الأكراد، خاصة حقوقهم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية. ولكن البرلمان العراقي رفض هذه التسوية واضطر نوري السعيد إلى الاستقالة. وشكل الباججي الوزارة فواجه ثورة شديدة من ملا مصطفى لأنه رفض ما التزم به سلفه. وفي سنة ١٩٤٥ جردت الحكومة العراقية حملة عسكرية ضد الأكراد وأخمدت بالقوة ثورتهم. وهرب ملا مصطفى إلى إيران في ٧ أغسطس من هذه السنة، وهناك انضم إليه جمع كبير من عشيرته وكانوا مسلحين. أما حكومة العراق فقد حكمت عليه غيابياً بالإعدام وطالبت الحكومة الإيرانية بتسليمه فاعتذرت بأنه مقيم في منطقة الاحتلال الروسية، فلما طالبت روسيا بتسليمه أجابت بأنها لا تستطيع ذلك لأنه مقيم في الأراضي الإيرانية.

والواقع أن كردستان كان دائماً مشكلة بالنسبة لحكام إيران، ومنذ عهد ناصر الدين شاه ورجال الحكومة يلقون بغضاً شديداً من الأكراد، وكان لتدخل الموظفين الرسميين أثر في ازدياد حالة قلق الأكراد بدلاً من إدخال السكينة على قلوبهم[١].

وقد كان من نتائج الاحتلال الروسي لجزء من الأراضي الإيرانية، إبان الحرب الأخيرة، وبعد عزل رضا شاه، أن شجع الروس قيام حكومة مستقلة في أذربيجان برئاسة جعفر بيشوري الذي حارب قوات حكومة طهران واستعان في هذا بالأكراد ووعدهم بحكومة مستقلة في نطاق دولة أذربيجان الجديدة. فلما

---

١ - Landlord and Peasant in Persia: Lambton.، أكسفورد ١٩٥٣، ص٢٩١.

تحقق لجعفر ما كان يصبو إليه سنة ١٩٤٦، طالب الأكراد بتحقيق وعده لهم، وقامت جمهورية كردية اتخذت مهاباد عاصمة لها وكان على رأسها القاضي محمد، (مهاباد = سابلاخ = صاوچبولاق).

فلما جلت القوات الروسية عن الأراضي الإيرانية[١] أعيدت أذربيجان إلى حكومة طهران وقضى على حكومتي جعفر بيشوري والقاضي محمد. أما قوات ملا مصطفى البرزاني فقد خيرتهم الحكومة الإيرانية بين أمرين: البقاء في إيران بشرط تسليم أسلحتهم أو العودة إلى العراق وذلك مع استثناء ملا مصطفى ومائة كردي معه اعتبروا لاجئين سياسيين. وقد أنذرتهم حكومة إيران بأنهم سيطردون جميعاً إذا رفضوا هذين الاقتراحين.

وفي أبريل ١٩٤٧ عاد ملا مصطفى إلى العراق حيث سلم نفسه[٢].

وزعماء الأكراد في الشام والعراق وغيرهما يؤكدون حق الكرد في أن تقوم لهم دولة. وقد صرح قدري بك زعيم أكراد الشام تأييده للجمهورية الكردية برئاسة القاضي محمد في مهاباد[٣]. كما صرح أخيراً، سنة ١٩٥٥، بحق الأكراد في أن تكون لهم دولة مستقلة رفيق حلمي[٤]، وهو من المثقفين الكرد في العراق.



ولا شك في أن الاستعمار الإنكليزي قد استغل الروح الكردي لتحقيق مآربه في تركيا ليقطع منها ولاية الموصل ويضمها إلى العراق على أن يحتله فترة خمس وعشرين سنة أو يزيد، كما أن الاستعمار الروسي قد استغل هذا الروح في إيران ليصل إلى مطامعه في بترول أذربيجان. فلم يكن استقلال الكرد وقيام كردستان،

١- تاريخ بيدارى إيران، حبيب الله مختاري، طهران ١٩٤٧، ص٨٥٨ وما بعدها حيث ذكر المؤلف موقف إيران من روسيا في هيئة الأمم وفي مجلس الأمن.

٢ - رويتر في ١٤ أبريل ١٩٤٧، نقلاً من جريدة المصري في ١٦ أبريل.

٣ - حديث له مع مراسل جريدة المصري، نشر في ٢٤ حزيران ١٩٤٦.

٤ - حديث له مع صاحب كتاب مشكلة الموصل، ص٢٣٠.

وهو الهدف الذي يسعى إليه الأكراد، قائماً في ثورتي ملا مصطفى والقاضي محمد على الأسس الأصيلة التي تقوم عليها الدول. ويوم تتوفر للأكراد هذه الأسس فأن آمالهم، التي تحدثنا في إيجاز عنها، سوف تتحقق.



وكنت أرجو أن يكون الأستاذ محمد علي عوني، الذي نقل شرفنامه إلى اللغة العربية، مساهمة منه في الثقافة الإسلامية عامة وفي الثقافة الكردية بوجه خاص، على قيد الحياة حين يخرج الكتاب إلى الناس حتى يرى ثمرة جهده المضني الموفق. رحمه الله وجعل الجنة مثواه.

وإني شاكر أجمل الشكر للسيد عمر وجدي، شيخ رواق الأكراد بالأزهر لما لقي من عناء وبذل من جهد في الإشراف على طبع هذا الكتاب وإعداد فهارسه. أبريل ١٩٥٨.

يحيى الخشاب

ترجمة

كتاب شرفنامه المؤلّف عن اللغة الفارسية

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

بعد الديباجة المشتملة على الحمدلة والصلولة بعبارات مسجوعة طنانة، وصف المؤلف رحمه الله، سلطان عصره محمد خان الثالث من سلاطين آل عثمان بنعوت وأوصاف رنانة معتادة باللغة الفارسية، ثم قال بألفاظ وعبارات عربية ما يأتي بنصه:

تعظم الخواقين بتقبيل عتبته العلية، وتعزز السلاطين بتلثيم سدته السنية، حامي حمى أهل السنة والجماعة، ماحي آثار البدع والضلالة، السلطان الأعظم المطاع والخاقان الأعدل الأكمل الواجب الإتباع، رافع رايات الخلافة بالعدل والإحسان، راقم آيات الرحمة والرأفة على صحائف الأمكنة والأزمان، المؤيد بالرئاستين والموفق بالسعادتين، سلطان البرين والبحرين، خادم الحرمين الشريفين، ثالث العمرين، وثاني الاسكندر ذي القرنين، باسط الأمن والأمان، المنظور بأنظار ألطاف الملك المنان: أبو المظفر السلطان محمد خان خلد الله تعالى ملكه وسلطانه، وأفاض على العالمين بره وإحسانه.

أما بعد فلا يخفى على ذوي الألباب وأصحاب البصيرة، أنه قد أجمع بلغاء الكتاب وفصحاء العلماء، وفضلاء المؤرخين والأدباء على أن علم التاريخ والسير، من أجَلِّ الفنون الأدبية وأرفعها قدراً ومرتبة، وأخطرها شأناً ومكاناً لما فيه من العبر، ولما يتضمنه من نصوص الآيات البينات، وفصوص الأخبار والروايات، ولا سيما إذا قام بأغراضه الشريفة وغاياته الحميدة، فروى تلك الأخبار بعبارات بليغة قوية، وأسلوب واضح جزل. ولذلك قال محمد بن خواندشاه بن محمود الشهير بمير خواند صاحب تاريخ روضة الصفاء في مقدمة كتابه القيم: إن في معرفة علم التاريخ عشر فوائد:

١- فيه معرفة للناس.

٢- الابتهاج والتمتع بلذة الاطلاع.

٣- إنه سهل التناول وقريب المأخذ لا يحتاج إلى الكثير من الكلفة والمشقة وهو مبني على قوة الحافظة.

٤- تبيين الصدق من الكذب، ومعرفة الحق من الباطل بالإطلاع على الأقوال المختلفة التي يرويها.

٥- اطلاع المرء على تجارب كثيرة؛ وقد قال الحكماء: إن التجارب من فضائل بني آدم. وهم يدخلون التجربة في العقول العشرة، والمرء يحصل كثيراً من التجارب بقراءة التاريخ.

٦- استغناء المؤرخ عن مشورة الحكماء في الوقائع التي لا خلاف فيها.

٧-يزيد الاطلاع على التاريخ من عزمّات أولى العزم في القضايا العظمى، وفيا يشكل من الحوادث.

٨- إنه يثلج صدور أرباب الفضل وذوي القدرة فيه هدوءاً وسكينة، ويحملهم على رباطة الجأش عند وقوع الحوادث الجسام، والنوازل المدلهمة.

٩- ينال المرء بإدامته النظر في التواريخ قوة لسلوك درجات الثبات، والرضا في الكوارث والملمات.

١٠- زد على ذلك أن السلاطين والملوك، إذا أداموا النظر في كتب التاريخ أطلعوا به على قدرة الله الملك المتعال في نزعه الملك ممن يشاء، وإعطائه لمن يشاء، فلا تغرنهم الدنيا بإقبالها عليهم، ولا يحزنهم إدبارها عنهم. لذا أكثر القرآن الحكيم من ذكر نظام الملك العلام في صدد قوله:"لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي ٱلْأَلْبَابِ".

هذا ولما كان كاتب هذه الأوراق المفتقر إلى الله الملك الهادي (شرف بن شمس الدين) أوصله الله تعالى إلى سعادة الدنيا والدين، مغرماً وكلفاً من ريعان شبابه، وعنفوان حياته بعد إتمام دراسته العلوم الدينية، وتكميل المعارف اليقينية والتجمل بما يلزم لإجادة الأشغال الديوانية، وكسب الكمال النفسي، اشتغلت من حين إلى حين بمطالعة أخبار السلف من الملوك والسلاطين، وشغوفاً بدراسة أحوال من غبر من الأقوام والشعوب والأمم، حتى بلغت حد التفوق في هذا العلم الشريف، والفن اللطيف فأقدم لذلك على ضبطه على قدر ما أستطيع.

هـذا وقـد مـر بخـاطري الفـاتر أن أضـع في هـذا الفـن كتابـاً مسـتقلاً، لم يسبقني إليه أحد بل ولم يدر بخلد أحد ممن أرّخوا حياة السلاطين المتقدمين والمتأخرين. ولكن حالت عوائق الزمان، وحوادث الليل والنهار دون تحقيق تلك الأمنية، فبقي هذا المعنى في حجاب الاستتار، ولم تخرج هذه الصورة من نقاب الانتظار، وهبت ريح المخالفين من كل طرف، وثارت الفتن من كل فج، فبلغت عنان السماء وظل الناس في الضيق حيارى تائهين، فالتجأوا جميعاً إلى الدركاه ضارعين متوسلين، وجرى على ألسنتهم مضمون قوله تعالى: "رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ" وإذا بنسيم العناية الربانية وأضواء الأشعة السبحانية، تهب فجأة على الصدور المكلومة والقلوب المجروحة، فتضيئها وارتفعت المظالم بميامين عدل هذا السلطان العالي الشأن، واحسانه، فهدأ بال الضعفاء والمساكين في مساكنهم، وأوطانهم واستقامت لهم الحياة، واستمتع الرعية والتابعون، في مهاد الأمن والأمان بكامل الرفاهية وفراغ البال، فبدأت أنا الفقير بتحقيق ما جال في خاطر حكامها، وولاتها في مختلف العصور والأدوار، وعند ذلك اعتزمت بمشيئة الله أن أجمع سفراً منفرداً خاصاً بهذا الموضوع، أضمنه ما أجده في التواريخ العامة من عربية وعجمية من الأخبار والروايات، وما قد سمعته وشاهدته من الوقائع والحوادث الهامة وأن أسميه باسم: "شرفنامه"وذلك حتى لا يبقى صيت الأسر الكردية ذات الأثر الفعال في حياة كردستان العامة في حجاب الستر والكتمان.

ورجائي الحار من مكارم أعاظم العلماء، ومن نصفة أهل الفضل والأدب في العالم أن ينظروا إلى هذا السفر نظرة إمعان وتقدير، وأن يبادروا إلى إصلاح الأغلاط وتصحيح السهو، وإكمال النقص فلا يحملوها على الجهل المطلق، وقلة التبصر، بل يحملوها على السهو والنسيان اللذين جبل عليهما الإنسان من قديم الزمان، وان يتمثلوا بقول الشاعر[1] :

معناه: "استر الخطأ إذا أدركته، ولا تطعن في صاحبه لأن النفس البشرية لا تخلو من الخطأ، وانظر إلى الشمس مع ضيائها الذاتي لاتجري دائماً جرياناً مستقيماً على خط الاستواء".

---

[1]- بيوش أكر بخطائى رسى وطعنه مزن   كه نفس هيج خالى أزخطا نبود
در آفتاب نظر كن كه بابصارت خويش   ممراوه همه برخط اسنوا نبود

ويتألف الكتاب من مقدمة، وأربع صحف[1] ، وخاتمة[2] .

المقدمة: في بيان أنساب طوائف وشعوب الأمة الكردية، وأصلها، ومنشئها، وما هي أوضاعها وتطوراتها في مختلف العصور ؟

١- الصحيفة الأولى

في ذكر ولاة وحكام كردستان الذين رفعوا راية الاستقلال والسلطنة عالية، فأدخلهم المؤرخون في عداد السلاطين والملوك، وهي تشتمل على خمسة فصول:

الفصل الأول: في ذكر ولاة ديار بكر، والجزيرة، وهم (المروانية).

الفصل الثاني: في ذكر ولاة الدينور، وشهرزور الذين اشتهروا بأسرة (حسنوية).

الفصل الثالث: في ذكر ولاة الأسرة الفضلوية الذين اشتهروا بـ (لور بزرك = اللور الكبير).

الفصل الرابع: في ذكر ولاة (لور كوچك = اللور الصغير).

الفصل الخامس: في ذكر ولاة سلاطين مصر، والشام المشهورين بآل أيوب (الأيوبية).

٢- الصحيفة الثانية

في ذكر عظماء الحكام بكردستان الذين وإن كانوا لم يصلوا مرتبة الاستقلال وإعلان السلطنة، إلا أنهم انفردوا أحياناً بضرب السكة، وإعلان الخطب على المنابر بأسمائهم، وهي في خمسة فصول أيضاً:

الفصل الأول: في ذكر حكام (أردلان).

الفصل الثاني: في ذكر حكام (حكاري) المشهورين بـ (شنبو).

الفصل الثالث: في ذكر حكام (العمادية) المشهورين بـ (بهادينان).

---

١ - قصد المؤلف بكلمة الصحف: الأبواب والأقسام الكبيرة.

٢ - وهذا الجزء يؤلف المجلد الثاني من الكتاب في الطبعة الروسية.(المترجم)

الفصل الرابع: في ذكر حكام (الجزيرة) المشهورين بـ (بختو = البختية) ويحتوي هذا الفصل على ثلاث شعب:

الشعبة الأولى: في ذكر حكام (الجزيرة).

الشعبة الثانية: في ذكر حكام (كوركيل=جردقيل).

الشعبة الثالثة: في ذكر أمراء (فناك).

الفصل الخامس: في ذكر حكام (حصنكيفا) المعروفين بـ (ملكان = الملوك).

٣- الصحيفة الثالثة

في ذكر حكام كردستان وأمرائه الآخرين وهي تشتمل على ثلاث فرق (أقسام):

الفرقة الأولى: تشتمل على تسعة فصول:

الفصل الأول: في ذكر حكام (جمشكزك) وهو في ثلاث شعب:

الشعبة الأولى: في ذكر أمراء (مجنكرد).

الشعبة الثانية: في ذكر حكام (پرتك).

الشعبة الثالثة: في ذكر أمراء (سقمان).

الفصل الثاني: في ذكر حكام (مرداسي) ويحتوي على ثلاث شعب:

الشعبة الأولى: في ذكر حكام (أكيل).

الشعبة الثانية: في ذكر حكام (پالو).

الشعبة الثالثة: في ذكر أمراء (چرموك).

الفصل الثالث: في ذكر أمراء صاصون (قابلجوز) الذين اشتهروا أخيراً باسم حكام (حزو).

الفصل الرابع: في ذكر حكام (خيزان) وهو في ثلاث شعب:

الشعبة الأولى: في ذكر حكام (خيزان).

الشعبة الثانية: في ذكر أمراء (مكس).

الشعبة الثالثة: في ذكر أمراء (اسبايرد).

الفصل الخامس: في ذكر حكام (كلس).

الفصل السادس: في ذكر أمراء (شيروان) وهو يشتمل على ثلاث شعب:

الشعبة الأولى: في ذكر أمراء (كفرى).

الشعبة الثانية: في ذكر أمراء (إيرون = إيروه).

الشعبة الثالثة: في ذكر أمراء (كرنى = كرتى = كورتى).

الفصل السابع: في ذكر أمراء (زرقى = زركى) وهو يشتمل على أربع شعب:

الشعبة الأولى: في ذكر أمراء (درزينى).

الشعبة الثانية: في ذكر أمراء (كردكان = كاردكان).

الشعبة الثالثة: في ذكر أمراء (عتاق = الهتاخ).

الشعبة الرابعة: في ذكر أمراء (ترجيل).

الفصل الثامن: في ذكر أمراء (سويدى).

الفصل التاسع: في ذكر أمراء (سليمانى = سليڤانى) وهذا يتألف من شعبتين:

الشعبة الأولى: في ذكر أمراء (قلب وبطمان).

الشعبة الثانية: في ذكر أمراء (ميافارقين).

الفرقة الثانية: وهي تشتمل على اثني عشر فصلاً:

الفصل الأول: في ذكر حكام (سُهّران = سوران).

الفصل الثاني: في ذكر حكام (بابان).

الفصل الثالث: في ذكر حكام (مكرى).

الفصل الرابع: في ذكر حكام (برادوست) ويشتمل هذا على شعبتين:

الشعبة الأولى: في ذكر أمراء (ووشنى = اشنو = اشنه).

الشعبة الثانية: في ذكر أمراء (صوماي).

الفصل الخامس: في ذكر أمراء (محمودى).

الفصل السادس: في ذكر أمراء (دنبلى).

الفصل السابع: في ذكر أمراء (زرزا).

الفصل الثامن: في ذكر أمراء (استونى).

الفصل التاسع: في ذكر أمراء (طاسنى = الداسنية).

الفصل العاشر: في ذكر أمراء (كلهور = كلهر) ويشتمل على ثلاث شعب:

الشعبة الأولى: في ذكر حكام (پلنكان).

الشعبة الثانية: في ذكر حكام (درتنك).

الشعبة الثالثة: في ذكر أمراء (ما هيدشت).

الفصل الحادي عشر: في ذكر أمراء (بانه).

الفصل الثاني عشر: في ذكر أمراء (ترزا).

الفرقة الثالثة: في ذكر أكراد إيران المشهورين بـ (كوران = گوران = جوران) وهي تشتمل على أربع شعب:

الشعبة الأولى: في ذكر أمراء (سياه منصور).

الشعبة الثانية: في ذكر أمراء (چكنى).

الشعبة الثالثة: في ذكر أمراء (زنكنه).

الشعبة الرابعة: في ذكر أمراء (پازوكى).

٤- الصحيفة الرابعة

في ذكر أمراء وحكام (بدليس) الذين هم آباء وأجداد المؤلف

وهي تشتمل على فاتحة وأربعة سطور وذيل:

الفاتحة: في بيان مدينة (بدليس = بتليس) ومن بناها وما سبب إنشائها وقلعتها الشهيرة.

السطر الأول: في بيان العشيرة (الروزكية) وسبب تسميتها بهذا الاسم.

السطر الثاني: في ذكر حكام (بدليس) وبيان نسبهم، وكيف ومتى وصلوا (بدليس).

السطر الثالث: في بيان ما كان يلقاه حكام بدليس من السلاطين والملوك العظام في مختلف العصور والأزمان من آيات الاحترام وضروب التكريم والاعتبار، وهو في أربعة فصول:

الفصل الأول: في ذكر أحوال الملك (أشرف .

الفصل الثاني: في ذكر أحوال (حاجي شرف بن ضياء الدين).

الفصل الثالث: في ذكر الأمير (شمس الدين بن حاجي شرف).

الفصل الرابع: في ذكر الأمير (إبراهيم بن الأمير حاجي محمد).

السطر الرابع: في بيان الأسباب والعوامل التي أفضت أخيراً إلى زوال حكومتهم عن بدليس، ويشتمل على أربعة أوجه:

الوجه الأول: في ذكر النزاع الذي قام بين الأمير شرف، وبين الأمير إبراهيم.

الوجه الثاني: في بيان تغلب الأمير شرف على الأمير إبراهيم، وتسلمه مقاليد الحكم في مدينة بدليس.

الوجه الثالث: في بيان استرداد الأمير شرف قلعة بدليس من الطائفة القزلباشية (الصفويين).

الوجه الرابع: في بيان أحوال الأمير شمس الدين بن الأمير أشرف.

الذيل: في أحوال كاتب هذه السطور وجامعها (الضعيف) من يوم ولادته حتى التاريخ الهجري البالغ الآن سنة خمس وألف.

الخاتمة[1]

في ذكر أحوال السلاطين العثمانيين العظام، ووقائع ملوك إيران وتوران الفخام مع معاصريهم من الملوك والأمراء في سائر البلاد ومختلف الأزمان.

---

١ - الخاتمة هذه هي المجلد الثاني لكتاب (شرفنامه) الذي طبعه المرحوم المستشرق الروسي ولیامینوف زرنوف، في روسيا سنة ١٨٦٠ . وأما الطبعة الثانية التي أصدرناها في القاهرة سنة ١٩٣٠ لهذا الكتاب القيم، فقد اقتصرت على نشر المجلد الأول منه فقط؛ لأسباب مالية ولأهمية المجلد الأول في تبيان جغرافية كردستان، وتاريخ الأمة الكردية وبيان الدول والإمارات الكردية التي قامت في أنحاء كردستان وغيرها، وفي شرح وقائعها وتعداد طوائفها وشعوبها العديدة، وعشائرها المتفرقة. وها إننا قد اعتزمنا بمشيئة الله هذه المرة إتمام تعريب المجلدين، ونقلهما إلى العربية ومراجعتهما على المصادر العربية والفارسية والتركية والكردية، ثم إصدارهما مثل الطبعة الروسية في مجلدين ومن الله التوفيق.

المقدمة في بيان

أنساب طوائف الأكراد وشرح أحوالهم

يقول الرواة: إن هناك أقوالاً مختلفة وروايات متضاربة في أصل الأكراد، وبيان نسب طوائفهم الكثيرة. فمن ذلك يزعم البعض أنهم من نسل هؤلاء الناس الذين تشتتوا في الجبال والوهاد؛ فراراً من القتل والذبح وقطع رءوسهم لأخذ أمخاخهم ليدهنوا بها ما يشبه السرطان الذي كان قد ظهر في كتفي الضحاك (بيوراسب) خامس الملوك البيشداديين الذي جلس على عرش إيران وتوران، وتسلط على سائر البلدان بعد "جمشيد" الملك المعظم، فكان هذا السلطان جباراً عاتياً لا يخاف الله، ولا يتقيه مما حدا ببعض المؤرخين أن يزعموا أنه هو نفس "شداد" الذي اشتهر في التاريخ بأنه لقب بهذا اللفظ لشدته وجبروته؛ كما قال أحد الشعراء البلغاء في وصفه[1]:

معناه: "قضى القدر بأن تخضع الأقاليم السبعة للضحاك صاحب الطبع الشدادي، فالأساس الذي وضعه عدو الدين هذا لفطرته لم يكن على نسق السلاطين السابقين العادلين، لأن الآراء والأحوال في عهده كانت مجمعة على أن أيامه شر الأيام وأسوؤها".

ومع هذا الجبروت والعتو اللذين كان هذا السلطان قد جبل عليهما، فانه سبحانه وتعالى قد ابتلاه بظهور عرقين يشبهان رأسي التنين والحية، وهو ما يقال له لدى الحكماء السرطان؛ فأقض هذا المرض الغريب مضاجع الضحاك ليل نهار، لشدة الآلام والأوجاع التي كانت تنتابه، كما انه حير نطس الأطباء، وحذاق الحكماء القائمين بمداواته والموكلين بمعالجته بالرغم من بذلهم جهدهم الجهيد في سبيل ذلك إلى أن حدث ذات يوم أن ظهر له الشيطان اللعين في صورة طبيب يود فحص الضحاك، ليشير عليه بالعلاج الناجع. فما أن قابل هذا الطبيب الضحاك حتى قال له: إن شفاءك في أن يدهن رأس سرطانك هذا بمخ

١- جو جمشيد أزين وحشت آباد رخت — بيرون برد بكرفت ضحاك تخت
قضا كرد ملك أقاليم سبع — مقرر بضحاك شداد طبع
أساس كه آن دشمن دين نهاد — نه بروضع شاهان بيشين نهاد
در أيام أو اين سخن عام بود — كه أيام أو شر أيام بود

الشباب من بني آدم. ومن دواعي الأسف أن عمل أولياء الأمور بمقتضى مشورة هذا الملعون الشنعاء، وصادف أن سكن الوجع وخف الألم تماماً، فكان المريض يشعر بالراحة كلما دهن السرطان بالمخ، وعلى هذا قرر ولاة الأمور قتل شخصين كل يوم ليأخذ مخيهما، ويدهن بهما السرطان، ذلك المرض الغريب الذي لا يشفى قط. ودامت هذه الحال فترة من الزمن تنفذ بين الخاص والعام بالرغم مما فيها من الظلم الفاضح والعتو الصارخ، حتى اشمأزت منها نفس الرجل الموكل بقتل الشخص وأخذ مخيهما. وقد غلبته العاطفة الكريمة ورقة القلب، فعمد إلى الاكتفاء بقتل شخص واحد، وضم مخ خروف إلى مخه وإعتاق الشخص الآخر سراً مع التنبيه عليه بأن يغادر فوراً المدن والعمران، ويستوطن الجبال والوهاد الخالية من آثار بني الإنسان فأفضى هذا الأمر الإنساني من إعتاق شخص واحد كل يوم إلى اجتماع جم غفير من بني الإنسان من طوائف مختلفة، ولهجات متعددة في ساحة واحدة من بقاع الأرض الخالية، فتزاوجوا وتوالدوا، حتى ملأت أولادهم وأحفادهم تلك البقاع على رحابتها فلقب مجموع هؤلاء الناس بالكرد.

هذا ولما كان هؤلاء قد ابتعدوا من آثار الحضارة والعمران فترة طويلة، ونسوا ما كانوا عليه من فنون المعارف والأحوال المدنية، وما كان لهم من اللهجات واللغات المعلومة فقد أحدثوا لأنفسهم لغة خاصة وأوضاعاً مستقلة، ثم أخذوا ينتشرون في الوهاد السحيقة، وقلل الجبال الشامخة يحدثون فيها من آثار العمران مثل الزراعة وتربية المواشي والتجارة، ويبنون قرى وقلاعاً ومدناً في رؤوس الجبال حتى أثرت منهم جماعات كبيرة، فتوغلت في السهول والهضاب أيضاً.

وهناك رواية أخرى تقول: إن الكرد لم يسموا بهذا الاسم إلا لفرط شجاعتهم وشدة بأسهم، حتى وصفوا بالتهور والطيش في ساحة الوغى وميادين القتال وغيرها من المواقف العصيبة.

وقال بعض الحكماء: "إن الأكراد طائفة من الجن كشف الله عنهم الغطاء". كما أن بعض المؤرخين يروي أن الشياطين تزاوجوا مع بنات حواء فنشأ منهم الكرد. والعلم عند الله وهو على كل شيء قدير.

هذا وتنقسم الطوائف والجماعات الكردية من حيث اللسان واللغة والآداب والأوضاع الاجتماعية إلى أربعة أقسام كبيرة: القسم الأول هم (الكرمانج)

والقسم الثاني هم (اللر = لور)، والقسم الثالث هم (الكلهر)، والقسم الرابع هم (الكوران = الجوران).

ويبتدأ حد بلاد الكرد (كردستان) من ساحل بحر (هرمز= الخليج الفارسي) المتفرع من المحيط على خط مستقيم ممدود من هناك إلى آخر ولايتي ملطية ومرعش، فيكون الجانب الشمالي لهذا الخط ولايات: فارس، والعراق العجمي، وأذربيجان، وأرمينية الصغرى، وأرمينية الكبرى. ويقع في جنوبه العراق العربي، وولايتا الموصل وديار بكر.

ومع ذلك فإن شعوباً وقبائل عديدة من هذا الجيل من الناس، قد انتشرت في بلاد من المشرق إلى المغرب. وأكثر جماعاتهم موصوفون بفرط الشجاعة والتهور ووفرة المروءة، والسخاء مع ما جبلوا عليه من الغيرة الشديدة والإباء البالغ، والأنفة الزائدة، فيبالغون في ذلك حتى إنهم يسمحون لأنفسهم بأن يوصفوا بقطاع الطرق والغصب جهاراً في الجبال والوهاد دون السرقة والسطو، مما يقتضي شيئاً كبيراً من الجراءة المتناهية والشجاعة النادرة؛ إذ يتفانون في سبيل الحصول على تلك الصفات الرنانة والنعوت الممتازة، فيلقون بأنفسهم إلى المهالك، ويقحمون بها في المخاطر حتى لا يضطروا لمد اليد إلى اللئام، والأنذال بطلب الإحسان والمساعدة في سبيل الحصول على حياة هانئة رخيصة، ولا شك أنهم بذلك لغافلون عن مضمون هذا الشعر البليغ[1] :

معناه:"مد اليد إلى حبة من الفضة، خير من قطعها من جراء الحصول على دانق ونصف بالسرقة والغصب" وإنهم يعملون مخلصين بمقتضى المثل السائر (من تفكر في العواقب لم يشجع) فلا ينظرون كثيراً إلى عواقب الأمور، وقد لا يفكرون فيها قط؛ فلذا أصبحوا بعيدين عن أمور الدنيا العامة ومشاغلها الهامة غاية البعد لا يهتمون بها في أغلب الأوقات والأزمان.

هذا ومعظم طوائف الأكراد سنيون على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله، فلهم قدم راسخ في الإقبال على العمل بالشريعة الإسلامية، وإتباع سنن سيد الأنام محمد عليه الصلاة والسلام، وعلى آله وصحبه الكرام وطريقة خلفائه الراشدين العظام، فلذا تراهم يطيعون علماء الإسلام فيما يفقهونهم في أركان الدين من صلاة وحج وزكاة وصيام، حيث له بذلك غرام عظيم؛ وتمسك به

---

١ - دست درازازابی يك حبه سيم به كه به برند بدانكى ونيم.

شديد، ما عدا بعض العشائر الكردية الضارية في أنحاء الموصل والشام مثل الطاسنية[1] والخالدية[2]، والبسيانية[3] وبعض من البختية[4] والمحمودية[5] والدنبلية[6]، حيث يعتنق هؤلاء نحلة اليزيدية الذين يزعمون انهم من أتباع ومريدي الشيخ عدي بن مسافر الذي كان من أتباع خلفاء السلسلة المروانية (الأموية) هذا وتتلخص عقيدتهم الباطلة في أن الشيخ عدي بن مسافر المدفون في جبل (لالش) من أعمال الموصل قد تكفل لهم أداء الصلاة والصيام، وأسقطهما عنهم، وأنه سيدخلهم الجنة بلا حساب ولا عتاب على ما فرط منهم من ترك الصلاة والصيام، ولهم عداء صريح وبغض شديد لعلماء الظاهر، ولفقهاء المسلمين. وفي كردستان كثير من العلماء الفطاحل والفضلاء الأماثل، ولا سيما في العمادية التي هي في هذه الآونة منبع العلوم العقلية ومورد الفنون الأدبية والشرعية. وللأكراد ولع شديد بتحصيل العلوم العقلية وتكميل الفنون النقلية، ولا سيما الحديث، والفقه، والصرف، والنحو، والكلام، والمنطق والبلاغة، حيث يتدارسون بشغف عظيم الكتب المتداولة في العلوم الإسلامية، وينكبون عليها انكباباً عظيماً، ولهم مؤلفات شيقة في بعض هذه العلوم، وإن كان ليس لها شهرة، غير أنهم لا يلتفتون كثيراً إلى العلوم الأدبية والاجتماعية للتكسب من ورائها مثل الشعر والإنشاء وحسن الخط، وسائر ما ينتفع به ويقدر في المجتمعات الرسمية والمجالس الأدبية التي تعقدها الحكام والسلاطين في إيران وتوران، فلذا ترونهم بعيدين عن تولي المناصب الإدارية السامية والمراتب العلمية العالية.

وأما سواد الشعب من الأكراد وعوام الناس منهم في غاية الاحترام للوالدين وإكرام الضيف، والعمل بشرط وقواعد الإسلام، والإيمان الكامل مع بذل النفس والنفيس في سبيل الإخلاص لولي النعم.

والظاهر أن لفظ (الكرد) أطلق عليهم كوصف ولقب لفرط شجاعتهم. يدل على ذلك أن أكثر أبطال الدهر المشهورين، وشجعانه المعلومين قد نشأوا ونهضوا في هذه الأمة الباسلة. فمنهم مثلاً البطل الشهير (رستم بن زال) الذي كان في عهد كيقباد[7].

١و٢: خالتي ـ خالطي. ٣ و٤ و٥ و٦ راجع التعليقات عليها في الجزء الأول من تاريخ الكرد وكردستان.

٧ – مؤسس الدولة الكيانية في إيران.

ولما كان هذا البطل ولد في إقليم (سيستان = سجستان) فقد اشتهر برستم الزابلى. وقد وصفه الفردوسي الشاعر صاحب الشهنامه بقوله (رستم كرد). ومن الأكراد أيضاً (بهرام چوبين) الذي كان اسبهسالار (قائد الجيش) في عهد (هرمز بن أنوشيروان)[1]، من ملوك العجم فقد نشأ في تركستان وخراسان واشتهر في حروبهما، وإليه يرجع نسب الكرتيين[2]، والسلاطين الغوريين في العهد الإسلامي. ومنهم (كركين ميلاد) الذي ذاع صيت شجاعته في الآفاق. وقد مضى أربعة آلاف سنة على عهده، فلا يزال أولاده وأحفاده، المنحدرون من نسله، مستقلين في ولاية (لار) في جنوب شرقي فارس من غير أن يعتور حكمهم تبديل ولا تغيير. وقد كانوا يستقلون أحياناً استقلالاً تاماً، فينفردون بالخطبة، والسكة حيث كان يرضى منهم السلاطين ذوو الشوكة بالقليل من الهدايا والتحف، ثم لا يتعرضون لولاياتهم. ومنهم مولانا (تاج الدين الكردي) الذي كان في الأوائل مدرساً في مدينة بروسه، ثم صار وزيراً أعظم للسلطان (أورخان) العثماني، فاشتهر باسم (خير الدين باشا). وأما أعجوبة الزمان ونادرة الدوران والأوان وزعيم العشاق المتيمين الوالهين، ورئيس الأوفياء المعذبين المضطهدين أعني (فرهاد) الذي قاس الأهوال، والشدائد في سبيل غرامه وهيامه وحبه (شيرين) التي كان يعشقها في الوقت نفسه (خسرو پرويز)[3]، من ملوك إيران، فقد كان من أكراد الكلهر.

ولا يطيع الأكراد بعضهم بعضاً، فلا اتفاق بينهم ولا تعاون، وإلى هذه الظاهرة يشير مولانا (سعد الدين)[4]، مدرس المغفور له السلطان (مراد خان) في تاريخه التركي الذي يتضمن وقائع، وتواريخ آل عثمان في عبارات بليغة عالية. فيقول في صفات الأكراد وخلالهم: إن كل واحد منهم رافع رايات الاستبداد. والانفراد مفضلاً الحياة الحرة المستقلة في قلال الجبال وأعماق الوهاد. لا تجمعهم سوى رابطة الشهادة الإسلامية (التوحيد). ويحكي الناس قصصاً عجيبة في بيان سبب عدم اتفاق هذه الأمة، فيقولون: إنه لما ذاع صيت النبوة المحمدية في الآفاق، ودوى صدى الدعوة الإسلامية في أرجاء العالم، واهتمت

---

١ - راجع التعليقات عليه في الجزء الأول من تاريخ الكرد وكردستان (المترجم)

٢ - المصدر السابق.

٣ - المصدر السابق.

٤ - المصدر السابق.

ملوك البلاد وسلاطين الممالك والأقاليم بهذه الظاهرة الجديدة، ورغبت في أن تتشرف بالخضوع إلى هذا السيد الكريم، وبتقديم الطاعة له بكل إخلاص وحماس. أرسل (أوغوزخان) الذي كان حينئذ من عظماء ملوك تركستان وفداً إلى فخر المرسلين، وسيد الأنام في المدينة المنورة على ساكنها أفضل السلام، وعلى رأسه شخص يدعى (بغدوز) من أعيان الأكراد وعظمائهم. وكان كريه المنظر، فظاً غليظ القلب شديد المراس، فلما وقع نظر النبي عليه الصلاة والسلام على هذا الرسول، الكريه المنظر، والضخم الجسم، انزعج، ونفر منه، نفوراً شديداً، فسألوا الرسول عن قبيلته والجنس الذي ينتمي إليه، فأجابهم بأنه من الطائفة الكردية. وعندئذ دعا النبي عليه الصلاة والسلام عليهم قائلاً: لا وفق الله تعالى هذه الطائفة إلى الوفاق والاتحاد، وإلا فأن العالم يهلك على أيديهم إذا ما اتحدوا، ومن ذلك اليوم لم توفق هذه الطائفة إلى تأسيس دولة عظمى متحدة، وسلطنة كبرى موحدة ما عدا خمس دويلات كردية قامت في العهد الإسلامي، واستقلت بالحكم وبضرب السكة والانفراد بالخطبة، وسائر مظاهر الاستقلال ودام حكمها حيناً من الدهر كما سنبين تفاصيله في محلها إن شاء الله تعالى.

هذا ولما كان الأكراد ليس بينهم الآن عموماً من يطاع أمره فيهم، وينفذ حكمه، فأن أكثرهم صاروا يسفكون الدماء، ويستهترون بقواعد الأمن والنظام وإنهم يثورون لأتفه الأسباب، وأهونها، فيرتكبون الجرائم الكبيرة للأغلاط التافهة والذنوب الصغيرة، ثم يقبلون الدية عن قتل النفس كاملة: بنتاً أو جواداً أو بضع شياه من المواشي. وأما الدية عن الأطراف والأعضاء الصغيرة كاليد والرجلين، والسن، فلا يلتفتون إليها.

وبمقتضى السنة النبوية المحمدية يبيحون التزوج من أربع من الحرائر، ثم يضمون إليها أربعاً من الجواري، إذا كانت لديهم القدرة على ذلك. وهكذا يتناسلون ويتكاثرون بإذن الله تعالى في مدة وجيزة. فلولا القتل المتفشي بينهم لربما انتشر القحط والغلاء من كثرة نسلهم وذراريهم ليس في بلاد إيران خاصة، بل في جميع أنحاء العالم، يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد نظم شعر[1].

---

١ - آفرينش بطريقى كه نهادست نكوست   نظرى هركه خطا ديدهم أزعين خطاست

معناه: فالجميل هو ما ورد وفق الطبيعة والخلقة الأزلية، فكل من يرى هذا خطأ فقد ارتكب عين الخطأ.

فالذين اشتهروا بشدة البأس من حكام كردستان وملوكه، يسمون باسم تلك العشائر مثل: الحكاري، والسهراني، والباباني، والأردلاني. وأما الحكام الذين يمتلكون القلاع والمدن، فمشهورون بتلك القلاع والمدن، مثل حاكم حصنكيفا، وحاكم بدليس، وكحكام الجزيرة، وحزو، وأكيل، وهلم جرا.

هذا ولما كانت بلاد كردستان ولرستان، بلاداً جبلية وصخرية في الغالب ولا تفي محصولاتها بسكانها دائماً، فلا جرم أن الأكراد يقاسون الأهوال بالنسبة لسكان البلاد الأخرى، ويعانون المشقات والصعاب في سبيل الحصول على قوتهم اليومي، فيقضون أيامهم بكل شمم، وبالزهد ورياضة النفس من غير تكلف ولا صلف؛ إذ أنهم بطبيعتهم قانعون وعما في أيدي الغير زاهدون، فأكثر عوامهم يمضون أيامهم بخبز الذرة والدخن، ولا يفكرون في أن يذهبوا إلى أبواب الأغنياء وذوي السلطان والجاه، للحصول على خبز القمح، أو أن يصيبوا شيئاً من الجاه والمال لديهم. كما أن السلاطين والملوك وغيرهم من أصحاب الحول والطول، لم يطمعوا كثيراً في بلادهم، فما أقدموا على الاستيلاء عليها. وإدامة احتلالها، بل اكتفوا بقبول هداياهم وتقديم طاعاتهم اسمياً، فيحضرون إليهم حين توجههم إلى حرب أو طعان دفاعاً عن حياض الوطن.

وإذا كان ثمة بعض الملوك والسلاطين، قد حدثتهم أنفسهم أحياناً بالاستيلاء على كردستان وسائر مواطن الكرد الجبلية، فقد لقوا دون ذلك أهوالاً وألواناً من المشاق والمتاعب، ثم ندموا أشد الندم على ما أقدموا عليه باذلين الجهد الجهيد، الأمر الذي حملهم على إعادة البلاد التي استولوا عليها إلى أصحابها الكرد. وهؤلاء الملوك مثل حكام ولايات: كرجستان، وشكي، وشيروان، وطوالشي، وكيلانات، ورشمدار، ومازندران. واستراباد الواقعة في شمال إيران والمجاورة لبلاد كردستان.

وأكثر بلاد كردستان تدخل في الإقليمين: الثالث، والرابع، سوى مدن عدة في آخرها تعد في الإقليم الخامس.

هذا ولما فرغ القلم من تسطير المقدمة التي يتوقف عليها ظهور هذا الكتاب المنيف، في عالم التحرير ومنصة التأليف، شرعت في تفصيل ما أجملته في المقدمة حسب هذا الفهرس والبرنامج المذكورين فيها منشداً قول القائل:[1]

معناه:"ليكن مقبولاً لدى الخاص والعام في الدنيا".

❖ ❖ ❖

---

[1] - مقبول خاص وعام جهان باد.

الصحيفة الأولى[1]

الباب الأول

في ذكر حكام كردستان الذين رفعوا علم السلطنة مستقلين، فأدخلهم المؤرخون في عداد السلاطين والملوك. وأحوال هؤلاء مذكورة في خمسة فصول:

الفصل الأول

في ذكر حكام ديار بكر والجزيرة

لا يخفى على ذوي البصائر من أهل العلم أن أول من قام بأعباء الحكم من الأكراد مستقلاً في ديار بكر والجزيرة هو:

أحمد بن مروان

حيث علا شانه في عهد الخليفة العباسي (القادر بالله أحمد بن إسحاق بن المقتدر بالله جعفر) وطار صيته في الآفاق حتى أنعم عليه الخليفة لقب (ناصر الدولة)، وقد عاش ثمانين عاماً في حياة رغيدة. وحكم اثنين وخمسين عاماً حكماً مستقلاً، فأرسل سفيراً إلى السلطان طغرل بك السلجوقي، يعرض عليه طاعته وولاءه ويحمل له هدايا وتحفاً عظيمة، فكان من جملتها قطعة ياقوت عظيمة اشتراها بمبلغ كبير من المال من ملوك الديالمة. وقد وزر له فترة من الزمن الوزير الخطير (فجر الدولة بن جهير) الذي صار فيما بعد وزيراً للخلافة العباسية، كما أن أبا القاسم المغربي الذي كان وزيراً لشرف الدولة من آل بويه، كان من جملة وزرائه. وقد توفي إلى رحمة الله بأجله المحتوم الموعود في سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة (٤٥٣هـ =١٠٦١م).

ويحكى أنه كان له ثلاثمائة وست وستون جارية حسناء يخلو كل ليلة بواحدة بحيث لا يتكرر ذلك منه مع واحدة منهن طيلة أيام السنة.

نصر بن نصر الدولة أحمد

تولى الحكم بعد وفاة أبيه، فعالج شؤون الدولة إحدى وعشرين سنة كاملة بفضل وزارة بن جهير له، ثم نشب خلاف بينه وبين أخيه سعيد على الحكم، فانفرد بالحكم في ميافارقين، واستقل سعيد في آمد عوضاً عن والده. ودام الحال على هذا المنوال حتى توفي في شهر ذي الحجة سنة (٤٧٢هـ = ١٠٨٠م).

سعيد بن نصر الدولة أحمد

وقد كان فترة غير قليلة والياً على آمد، فكان مهتماً بأمور الشعب، ومحباً للضعفاء والفقراء، يعاملهم بالرحمة والشفقة. فأمضى الشعب أيامه في بحبوحة من الأمن ورغد من العيش في عهد هذا الملك الذي توفي في سنة خمس وستين وأربعمائة (٤٦٥هـ = ١٠٧٣م).

منصور بن نصر بن نصر الدولة أحمد

تولى الحكم بعد والده نصر، ثم حدث بينه وبين الوزير فخر الدولة بن جهير قتال، لحقته الهزيمة على يديه. وبعد ذلك بمدة حدث خلاف بينه وبين صاحب الموصل جكرمش، فأسره هذا وقيده في بيت يهودي في الجزيرة. وتوفي في محرم سنة تسع وثمانين وأربعمائة (٤٨٩ هـ = ١٠٩٥م). وبه انقضى عهد هذه الأسرة التي حكم من أعضائها أربعة ملوك مدة إحدى وتسعين سنة.

الفصل الثاني

في ذكر حكام الدينور وشهرزور الذين اشتهروا باسم حسنويه

لا يخفى على متتبعي أحوال العالم، ودارسي تواريخ الأكابر والأصاغر من الأمم، أن حسنويه بن حسين، باتفاق المؤرخين، كان معاصراً لركن الدولة بن حسن بن بوية الديلمي. وقد ارتفع شأنه، وطار صيته في الآفاق في عهده، ومع ذلك فقد عصى ركن الدولة؛ إذ وقع بينهما خلاف شديد، أفضى أخيراً إلى امتشاق الحسام بينهما، حيث جرد ركن الدولة حملة عسكرية كبيرة بقيادة

وزيره ابن العميد على حسنويه خلال سنة تسع وخمسين وثلاثمائة (٣٥٩هـ = ٩٦٩م) فتمكن حسنويه من إرجاع هذه الحملة من حيث أتت من غير إراقة قطرة من الدماء بفضل دهائه وحسن سياسته؛ إذ وسط أناساً بين الطرفين فأنهوا الخلاف بالصلح والوئام.

ويقال إنه كان من الأثرياء العظام لا تعد أمواله ولا تحصى، فكان يتصدق كل سنة بمبلغ كبير في سبيل الله، وفي وجوه الخير الكثيرة، وقد توفي في يوم السبت الثالث من ربيع أول سنة تسع وستين وثلاثمائة (٣٦٩هـ = ٩٧٩م).

بدر بن حسنويه

تولي الحكم بعد وفاة والده، فعظم شأنه وعلا قدره سنة (٣٨٨هـ=٩٩٨م) حتى إن بغداد أنعمت عليه بلقب ناصر الدولة. وكانت حدود دولته تمتد من الدينور حتى الأهواز، وخوزستان، ومروجرد، وأسد آباد، ونهاوند، وتناول جميع هذه البلاد وما بينها من الجبال، والصحارى، والسهول. وأخيرا في سنة (٤٠٥هـ=١٠١٤م)[1] زحف على قلعة كوسجد[2]، فحاصر بها حسين بن منصور[3] فطالبه جيشه بفك الحصار عند اشتداد الشتاء وطول أيام الحصار، فلم يبال بهم، وشدد الحصار، وبينما الأمر كذلك إذ بطائفة من الجوزقان تزحف على المحاصرين، فاضطروا إلى رفع الحصار والهروب.

هلال بن بدر

لم يكن بينه وبين أبيه ود وصفاء، فقد نشب بينهما خلاف سنة (٤٠٥هـ= ١٠١٤م) فأفضى ذلك إلى القتال والحروب، وأخيراً قبض على هلال في الحروب التي دارت رحاها مع فخر الملك الوزير ببغداد، وزج به في أعماق السجون.

١- وفي ابن الأثير سنة (٤٠٠).

٢- ...

٣- هكذا في الأصل الفارسي المضطرب الذي سقط منه كلمة حاكم، ثم تصحف اسم هذا الحاكم إلى حسين بن منصور، في حين أن المصادر الأخرى تذكره باسم حسين بن مسعود، وتضيف إلى ذلك قولها: بأن الجوزقان من جنود (بدر) انقضوا عليه واغتالوه أمام القلعة المحصورة وانصرفوا عن ساحة القتال تاركين جثته، فعلم بذلك حسين بن مسعود، فخرج من القلعة مسروراً واحتفل بدفن الأمير بدر بما يليق بمقامه من التجلة والإكرام. (المترجم)

ولما كان جلال الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة حاكماً لبغداد، ترامى إليه أن شمس الدولة بن فخر الدولة بن ركن الدولة حسن بن بويه صاحب همذان، يطمع في الاستيلاء على بلاد بدر، فبادر إلى إطلاق سراح هلال وعينه قائداً لحملة عسكرية قوية تعضيداً ومعاونة له؛ لاسترداد ملكه الموروث، فوقعت حروب شديدة ومعارك طاحنة بينه وبين شمس الدولة في ذي الحجة سنة (٤٠٥هـ= ١٠١٥م) فقتل هلال في ساحة الوغى وانتهى أمره.

طاهر بن هلال

كان قد لجأ شهرزول حينما كان والده معتقلاً بها؛ وذلك خشية أن يبطش به جده. وبعد فترة من الزمن جاء مجتاحاً بلاد جده فوقع في يدي شمس الدولة وزج به في السجن ولبث فيه إلى سنة (٤٠٦هـ= ١٠١٥م) حيث أطلق سراحه، وقتل في العام نفسه في المعركة التي جرت بينه وبين أبي الشوك.

بدر بن طاهر بن هلال

تولى الحكم مستقلاً في الدينور، وقومش[١] على سبيل الاستقلال بعهد من (إبراهيم ينال) سنة (٤٨٨هـ= ١٠٩٥م)

أبو الفتح محمد بن عيار[٢]

قام بأعباء الحكم في مقاطعة حلوان مدة عشرين سنة. وتوفي إلى رحمة الله خلال سنة (٤٠١هـ=١٠١٠م) وهو من قبيلة كردية أخرى. وليس من سلالة وأحفاد (حسنويه) ولكن المؤرخين أدخلوه ضمن حكام الدينور، وشهرزول من آل حسنويه. وكان مركز حكومته في مقاطعات: قومش[٣]، وشهرزول.

١- لعله تصحيف (قرمسين= كرمنشاه) إذ لا يوجد في تلك الجهات بلدة أو مقاطعة بهذا الاسم. (المترجم)

٢- الظاهر أن كلمة: (عيار) مصحفة من (عناز) أو (عنان) كما في المصادر الأخرى كابن الأثير، وسعيد باشا الديار بكري، إلا أن القرائن والاعتبارات الأخرى التي دل البحث عليها ترجع أن لفظ (عيار) بالياء أصح وأبعد من التحريف. (المترجم)

٣- راجع التعليق رقم (١) (المترجم)

أبو الشوك محمد بن عيار

لقبه حسام الدولة، استولى على ولاية قوما[1] في (٤٢١= ١٠٢٠). وكان النزاع بينه وبين أخيه متفاقما دائماً، واستمر إلى أن توفي سنة (٤٣٧= ١٠٤٥).

مهلهل

أخو الأمير السابق وكنيته أبو الماجد، ذهب إلى خدمة طغرل بك السلجوقي في سنة (٤٤٢= ١٠٥٠) وسعى سعياً بليغاً لديه في إطلاق سراح أخيه (سرخاب) الذي كان معتقلاً لديه، فأجيب إلى طلبه في عز.

سرخاب بن محمد

بعد أن نجا من المعتقل، كلف القيام بحكومة (ماهكي)، فكان يمضي أوقاته في هذه الجهات. ولكن حدث أخيراً أن قامت فتنة بين طوائف من قومه، فقبضوا عليه وذهبوا به إلى إبراهيم ينال في سنة (٤٣٩= ١٠٤٧) فما كان من إبراهيم بك إلا أن سمل عينيه وحرمه من نور البصر.

سعدي بن أبي الشوك

قبض عليه عمه سرخاب، وزج به في سجن قلعته، ولبث فيه إلى أن أطلق سبيله أبو العسكر بن سرخاب بعد حادث والده سرخاب. وفي سنة (٤٤٤= ١٠٥٢) كلفه طغرل بك بالذهاب إلى العراق العربي على رأس حملة عسكرية كبيرة، ففعل وألقى القبض على عمه مهلهل.

سرخاب بن بدر بن مهلهل

كنيته أبو الفوارس، وهو المعروف بابن أبي الشوك، قام فترة من الزمن بأعباء الحكم في مقاطعتي شهره زول، وقوما (قرميسين) واستولى على قلعة (جقندكان) التي كانت قد خرجت من أيدي أسرتهم مدة من الزمن. وكان ذلك

١- راجع التعليق رقم (١) في هامش الصفحة السابقة (المترجم)

في شهور سنة (٤٩٥ = ١١٠١) وقد كان هذا الأمير يملك ثروة عظيمة، وغناءً واسعاً، وتوفي إلى رحمة الله في شوال سنة (٥٠٠هـ = ١١٠٦م).

أبو المنصور

تولى الحكم بعد وفاة أبيه، وقد دام الحكم في هذه الأسرة زهاء مائة وثلاثين سنة كاملة.

الفصل الثالث

في ذكر الحكام الفضلوية المشهورين باللر الكبير (لر بزرك)

ورد في "زبدة التواريخ" أن إطلاق لفظ (لر=لور) على هؤلاء القوم، يذكر ويحكى على هذا الوجه. وهو أنه في ولاية (ما نرود) قرية تدعى كرد، ويوجد في تلك المنطقة (مضيق=دربند)يطلق عليه باللسان اللري (كول) ففي هذا المضيق موضع يقال له (لر). ولما كان هؤلاء الناس في الأصل قد نزحوا من ذلك الموضع، فنسبوا إليه فقيل لهم (اللر). وهناك روايات ووجوه أخرى في تسميتهم بهذا الاسم أضرب الصفح عنها، لأنها على ما أعتقد أقوال ضعيفة لا تستحق الذكر.

وينقسم إقليم (لرستان) إلى قسمين: اللر الكبير، واللر الصغير. وذلك أنه كان هناك أخوان معاصران يحكمان بلادهما حوالي سنة (٣٠٠هـ=٩١٢م)، فكان اسم حاكم اللر الكبير (بدرا)، وحاكم اللر الصغير (أبا منصور). وقد طال عهد حكم بدر في البلاد، حيث خلفه أخيراً في الحكم ابن ابنه (نصير الدين محمد بن هلال ابن بدر)، فعهد هذا بمنصب وزارته إلى محمد خورشيد.

وفي خلال سنة (٥٠٠هـ=١١٠٦م) نزحت زهاء أربعمائة أسرة كردية من جبل السماق ببلاد الشام إلى لرستان، إثر نزاع قام بينهم وبين زعيمهم في موطنهم الأول، فآثروا الجلاء عن الوطن على الإقامة؛ وهناك دخلوا في رعاية عشائر وقبائل أحفاد محمد خورشيد المذكور.

وفي ذات يوم دعا أحد حفدة محمد خورشيد الذي كان وزير الدولة، هؤلاء الأكراد إليه، وأولم لهم وليمة عامة حيث كانوا كلهم من ضمن أتباعه وحشمه، وحدث أن قدموا رأس بقر في السماط أمام (أبي النصر فضلوي) رئيس هؤلاء

المدعوين، فاعتبره هذا فأل خير لمستقبله، وقال لأتباعه ورجاله الحاضرين معه إننا سنكون رؤساء هؤلاء الناس والمسيطرين عليهم.

وكان لأبي الحسن فضلوي هذا نجل يدعى علياً، خرج يوماً إلى الصيد والطراد مصطحباً معه كلبه، فصادفه في الطريق جملة من الناس، تحرشوا به، أدى إلى عراك شديد، ضرب في أثنائه ضرباً مبرحاً حتى أغمي عليه، فظنوا أنه مات وقضى نحبه، فسحبوا جثته وألقوا بها في مغارة هناك، ولكن كلبه الوفي تعقب هؤلاء المعتدين حتى جن الليل فناموا في مكان. وما كان من هذا الكلب النابه إلا أن تمكن من الوصول إلى رئيس هؤلاء القوم المعتدين وهو نائم، فأخذ يعض خصيتيه إلى أن مات. ولما رجع الكلب إلى بيت صاحبه عرف أتباعه وأهله من آثار الدماء التي في فم الكلب أن حادثاً حصل لعلي فقاموا يتعقبون آثر الكلب إلى أن أوصلهم هذا إلى المغارة التي فيها جثة عليٍ، فوجد على قيد الحياة. فحملوه إلى البيت وعالجوه إلى أن شفي. وعادت صحته إليه. وبعد مدة توفي (علي) فبادر ابنه (محمد) إلى خدمة الأسرة السلغرية[١]، التي كانت حاكمة في إقليم فارس حينذاك؛ من غير أن ينالوا لقب السلطنة الذي نالوه فيما بعد.

تقدم محمد هذا لدى السلغريين تقدماً عظيماً، حيث ظهرت منه آيات الشجاعة الفائقة والبسالة النادرة. ولما مات هذا خلفه ابنه (أبو طاهر) الذي كان شاباً شجاعاً مقداماً وبطلاً صنديداً، فالتحق بخدمة الأتابك سنقر[٢]، الذي كان في ذلك الوقت في نضال شديد مع حكام شبانكاره[٣]، فانتهز هذه الفرصة، وأرسل أبا طاهر على رأس جيش كبير مدداً (لجيشه السابق لمقاتلة العدو)[٤]، فذهب أبو طاهر، وناضل العدو حتى ظفر بهم، وعاد إلى فارس منصوراً

---

١ - سلغر: اسم لثلاثة من سلاجقة إيران أولهم جد الأتابك سنقر بن مودود، مؤسس الحكومة السلغرية السلجوقية بإيران. المترجم

٢ - هو سنقر بن مودود بن سنقر مؤسس الدولة الأتابكية السلجوقية بفارس سنة ٥٤٣هـ=١١٤٨م. كان في الأصل من أمراء السلطان مسعود السلجوقي. دام حكم هذه الدولة بفارس إلى سنة٦٦٢هـ=١٢٦٣م، أي(١٢٠سنة). وعدد ملوكهم عشرة. المترجم

٣ - هي حكومة (الشبانكاره=الشوانكاره) التي قامت بفارس سنة (٤١٢هـ=١٠٢١م) إلى (٦٥٨هـ=١٢٥٩م) على يدي (فضلويه بن علي بن حسن بن أيوب) من فرقة الراماني من أكراد الشبانكاره. أنظر التفصيل في الفصل السابع من تاريخ الدول والإمارات الكردية الصادر في سنة ١٩٤٨ في القاهرة. المترجم

٤ - هذه العبارة ساقطة من الأصل الفارسي الذي بأيدينا آتي بها لتصحيح الكلام، واستقامة المعنى حسبما يدل عليه السياق والسباق. المترجم

مسعوداً، مما أثار إعجاب الأتابك سنقر به، ورضاءه عنه، فعبر عن ذلك بقوله له: أطلب مني ما تشاء، فطلب أبو طاهر جواداً من جياده الملكية الخاصة، فأجابه سنقر إلى طلبه، وقال له أطلب شيئاً آخر، فطلب أبو طاهر منحه لقب علامة الأتابك (داغ أتابكي) فما كان من سنقر إلا أن منحه هذا أيضاً. وفي النهاية سأله الأتابك أن يلتمس مطلباً آخر، فقال أبو طاهر: فليسمح لي الأمير بأن أزحف إلى ولاية لرستان؛ لأستخلصها باسم الأتابك، فوافق الأتابك على هذا أيضاً، وأمده بجيش عرمرم للاستيلاء على(لرستان).

أبو طاهر بن محمد بن علي بن أبي الحسن فضلوي

حين استولى أبو طاهر هذا على (لرستان) بفضل تعضيد الأتابك (سنقر) له، وبفضل ما استعمله من الدهاء والسياسة، تارة، واللطف والعنف، تارة أخرى، في المعارك التي جرت بينه وبين مخالفيه وخصومه، وصار سيد الموقف، وتاقت نفسه إلى الاستقلال، أمر الناس بأن ينادوه أتابكاً. وهكذا خلع التبعية، ولقد نسج على منواله أبناؤه فيما بعد، وعلى هذا يكون وصف أمراء هذه الأسرة وملوكها بلقب الأتابك فخرياً (جعلياً) لا حقيقياً، لأن لقب الأتابك هو لقب جماعة من الأمراء الذين يتولون الحكم بمقاطعات الحدود، فكان الملوك السلجوقيون يعهدون إليهم بتربية أولادهم وتنشئتهم نشأة عسكرية، مما يجعل هؤلاء الأنجال ينادونهم بقولهم: أتابك أعني (الأب الأمير) في المنزلة والقدر.

وصفوة القول أن أبا طاهر الذي هو غرس يدي الأتابك سنقر، بعد أن تم له الأمر في لرستان، خالف ولي نعمته في سنة (٥٥٠هـ=١١٥٥م) حيث رفع لواء الاستقلال عالياً، وقضى فترة من الزمن على هذا الحال، حتى توفي إلى رحمة الله سنة (٥٥٥هـ=١١٦٠م) تاركاً في صفحة الوجود خمسة من الأنجال: (١- هزار آسف = هزار أسب، ٢-بهمن، ٣-عماد الدين بهلوان، ٤- نصرة الدين ايلواكوش، ٥- قزل أتابك).

هزار أسب

تولى الحكم بعد والده بوصية منه، وباتفاق من أخوته وأعيان بلاده. وصار حاكماً مستقلاً بإقليم لرستان الذي نهض نهضة عظيمة في عهده، حتى صار فردوساً من الفراديس تغتبطه جنات الخلد والنعيم. فهرع إليه أقوام كردية كثيرة

من سكان جبل السماق للإقامة به. وذلك كجماعة العقيلي من نسل عقيل بن أبي طالب، والهاشمي من سلالة هاشم بن عبد مناف، وطوائف مختلفة أخرى مثل: استركى، مماكويه، بختيارى، جوانكى، بيدانيان، زامديان، علانى، لوتوند، بتوند، بوازكى، شنوند، راكى، خاكى، هارونى، اشكى، كويى، ليراوى، مويى، بحسفوى، كمانكشى، مماستى، أومكى، توابى، كداوى، مديحه، اكورد، كورلاد، إلى غير ذلك من القبائل والعشائر الأخرى التي لا يعرف لها نسب.

فازداد شأن هزار أسف وأخوته بقدوم هذه الجماعات عليهم والتحاقهم بهم، إذ قوى جانبهم بهم فهاجموا مقاطعة (شولستان)[1] أيضاً وضموها إلى بلادهم. وهكذا ارتفع قدر هزار أسف في عيون الناس، وطار صيته في الأفاق، فكان يتفقد شؤون البلاد بنفسه، لا يجد أرضاً غامرة إلا عمرها بالناس، ونشر وأقام مشاريع العمران من زرع محصولات جديدة، وبناء قرى حديثة في أطراف البلاد، وأقاصيها فضلاً عن سهره الدائم على استتباب الأمن، ونشر ألوية السلام وتوزيع العدل بين الرعايا من غير فارق بينهم؛ مما حمل الخليفة في بغداد على أن يرسل إليه منشور الولايات التي تحت يده، وأن ينعم عليه بخلع سنية، وهدايا سامية ، ودام على هذه الحال إلى أن توفي سنة (٦٥٥هـ-١٢٧٥م).

الأتابك تكله بن هزار أسف

هذا الأمير يمت بالنسب من جهة أمه إلى الأسرة السلغرية المالكة. تولى الحكم بعد وفاة والده. وانتهز سعد السلغري[2] حاكم فارس فرصة وفاة هزار أسف الذي كان هو ووالده، قد أساءا السياسة معه واستهترا به، فساق حملات عسكرية قوية على (تكله) ثلاث مرات لإخضاعه، ولكن تكله انتصر فيها جميعاً.

هذا وفي سنة (٦٥٥هـ= ١٢٥٧م) حينما زحف هلاكو خان إلى بغداد، ذهب إليه تكله طائعاً، فألحقه هلاكو بفرقة كيتموقانوبين. وبعد حادث بغداد والاستيلاء عليها، بلغ هلاكو أن تكله أسف أشد الأسف لما حدث للمسلمين من الهزيمة وقتل الخليفة، فثارت ثائرة هلاكو واشتد غضبه، فأراد أن يبطش به.

١- أي بلاد الشول. قال في مسالك الأبصار: الشول: جبل من الأكراد يأتون بعد اللر والشبانكارة في الشأن والتعداد. (المترجم)

٢- أحد الملوك الأتابكية بفارس. (المترجم).

ولكن تكله علم بجلية الأمر، فبادر إلى العودة إلى لرستان من غير استئذان، فأرسل هلاكو حملة عسكرية قوية بقيادة كتموقانوبين، وقواداً آخرين إلى لرستان تتعقبه وتطارده. وصادف أن كان آلب أرغون أخو تكله قادماً في الطريق إلى معسكر هلاكو، فقبضت عليه تلك الحملة المغولية وأوثقته، وواصلت السير إلى لرستان، فانهزم تكله من أمامهم؛ إذ لم يتمكن من الثبات والمقاومة، فلجأ إلى قلعة (مانخست) وتحصن بها، وقد بذل القواد جهوداً جبارة تارة بالوعد، وتارة بالوعيد في سبيل استسلامه، فلم يجد ذلك معه نفعاً، وأخيراً أرسل هلاكو خاتمة إليه رمزاً على الأمان والاطمئنان، فوثق تكله بذلك وخرج من القلعة، وسلم نفسه إلى قواد الجيش، فأرسلوه إلى هلاكو بتبريز. وبعد إجراء التحقيق معه، وإثبات التهمة عليه صدر الأمر بقتله، فقتل، وتمكن رجاله من نقل نعشه سراً إلى لرستان، ودفنه بقرية زرده.

الأتابك شمس الدين آلب أرغون

تولى الحكم بلرستان بمرسوم من هلاكو، بعد استشهاد أخيه كما سبق. وقد دام حكمه للبلاد زهاء خمسة عشر عاما. نهض بها نهضة عامة، سادها العدل والأمن والعمران. وتوفي تاركاً في صفحة الوجود؛ نجلين نجيبين هما: (يوسفشاه) و (عمادين پهلوان).

الأتابك يوسف شاه بن آلب أرغون

وصل إلى الحكم بعد وفاة أبيه بمرسوم من أبقا خان بن هلاكو، ولكنه كان ملازماً للحضرة الإمبراطورية بمائتي فارس من رجاله منيباً عنه في حكم لرستان منبثق بهم رجال الدولة وحفظة الأمن، ولقد تجلى صدق يوسف شاه وإخلاصه في بعض المعارك والحروب التي خاض غمارها مع أبقا خان مما لفت أنظاره إليه وإعجابه به. فأنعم عليه بمقاطعة خوزستان، وكوهگيلويه، ومدينة فيروزان، وجرباد قان.

وبعد وفاة ابقا خان سنة (٦٨١هـ= ١٢٨٢م) لازم الأتابك خدمة أحمد خان. ودامت الصداقة والثقة بينه وبين المغول متبادلة حتى بعد شهادة أحمد خان، وتولي [ابن أخيه][١] (ارغون) شؤون الأمبراطورية حيث قربه إليه، وغمره بعطفه

١- ما بين الأقواس المربعة زيادة على الأصل؛ للبيان والإيضاح. (المترجم)

مبدياً إعجابه به، ثم كلفه بالذهاب إلى أصفهان لإحضار الخواجة شمس الدين محمد صاحب الديوان الملكي إلى المعسكر السلطاني، فذهب وقابل الوزير المشار إليه في طريقه إلى المعسكر، فجاءا معاً إلى الحضرة الملكية بالمعسكر حيث نفذ أرغون شاه في الوزير حكم الإعدام، وصعدت روحه الكريمة إلى بارئها شهيدة في سبيل المبدأ، وقد رثاه أحد الفضلاء بقوله[1] :

معناه: "من رحيل الشمس أخذ الشفق يقطر دماً، والقمر يلطم الخد، والزهرة تمزق الصدغ، والليل يلبس السواد في ذلك المأتم، والصبح يتنفس نفساً بارداً ويمزق الجيوب".

وقد عاد يوسف شاه في أواخر أيامه بإذن من أرغون خان إلى لرستان، وبادر إلى التحصين بجبل كَيلويه (كَيلو أو جيلو) غير أنه رأى في الطريق حلماً رديئاً تشاءم منه، فعاد إلى لرستان، وتوفي إلى رحمة الله في الفترة التي كانت حوالي سنة (٦٨٤هـ= ١٢٨٥م) مخلفاً نجلين كريمين هما : أفراسياب، وأحمد.

الأتابك أفراسياب بن يوسفشاه

تسنم عرش الإمارة بمرسوم من أرغون خان بدل والده، وترك أخاه أحمد في خدمة أرغون خان، وذهب هو إلى لرستان، فسلك سبيل الظلم والعدوان البغيض،فعزل جميع النواب والحكام القدماء متلمساً الحجج الواهية، ثم آخذ ينتقم منهم واحداً واحداً بكل قسوة مما أفضى إلى التجاء جماعة من أقرباء هؤلاء المنكوبين إلى حكومة أصفهان. فأرسل أفراسياب ابن عمه والد قزل إلى أصفهان حتى يتعقب الهاربين اللاجئين ويتصيدهم، وفي أثناء ذلك شاع خبر وفاة أرغون خان، فما كان من قزل إلا أن اتفق مع سلغرشاه وشق عصا الطاعة على المغول. وبادر إلى قتل شحنة أصفهان المدعو بايدو، وجعل الخطبة باسم أفراسياب الذي اعتبر نفسه ملكاً مستقلاً بعد ذلك. وتمادى به الأمر حتى إنه رشح من رجاله من يتولى حكومة العراق، كما أنه انتوى انتزاع مركز حكومة المغول فأرسل جلال الدين بن تكله على رأس جيش كطليعة له إلى قلعة كرهرود، فنشب قتال شديد بين هذا الجيش اللوري، وبين المغول المعسكرين في تلك الجهات، أسفر أولاً عن انهزام الأخيرين فاغتر اللر بذلك وتغلغلوا في بيوت

١- أز رفتن شمس از شفق خون بچكيد ❖ مه روى بكند وزهره كيسو ببريد
شب جامه سياه كرد در آن ماتم وصبح ❖ بزرد نفس سرد وگريبان بدريد

المنهزمين ومضاربهم وانغمسوا في الشهوات، واسترسلوا في النهب والسلب، فإذا بالمغول يرجعون بغتة ويحيطون بأعدائهم إحاطة السوار بالمعصم، حتى ليقال: إن امرأة مغولية قتلت عشرة رجال من اللر.

هذا ولما بلغ نبأ عصيان (افراسياب) إلى مسامع (كيخاتوخان) في معسكره ومقامه الإمبراطوري، بادر بإرسال فرقة من الجيش المغولي بقيادة الأمير طولداي يداجي، ومعهم جيش لرستان الصغير الذي كان يبلغ عشرة آلاف فارس، وذلك لإخضاع افراسياب لحكم المغول، وبعد قتال شديد بين الطرفين، قبض الأمير طولداي على افراسياب، وأتى به إلى كيخاتوخان فعفا عنه بفضل شفاعة أروك خاتون، وباد شاه خاتون الكرمانية، وأعاد إليه إمارة "لرستان" فأرسل افراسياب حينئذ أخاه أحمد إلى الحضرة السلطانية، وعاد هو إلى لرستان، وبادر إلى قتل ابن عمه ومعه عدة من القواد والأعيان.

ولما تولى "غازان خان" أمر المغول وبسط سلطانه على البلاد، بادر افراسياب إلى تقديم الطاعة له وإلى التشرف بالحضرة السلطانية، فتعطف عليه السلطان وأبقاه في منصبه في حكومة لرستان. وفي سنة (٦٩٥هـ= ١٢٩٥م) التي كان غازان قد توجه فيها نحو بغداد، كان الأتابك أفراسياب تشرف مرة أخرى عند حدود همدان بالعتبات السامية، ونال لديها الحظوة والقبول، ولكنه حين رجوعه إلى بلاده التقى به في الطريق الأمير (هورقوداق= سورقوداق) الذي كان عائداً حينئذ من فارس قاصداً الحضرة الملكية، فقبض هذا عليه وأعاده بالقوة والغضب إلى الحضرة، ورفع إلى غازان خان تفاصيل ما صدر من افراسياب من الأعمال الجائرة والتصرفات السيئة، وبالغ في ذلك مبالغة كبيرة حتى حمله على صدور الأمر بقتله.

الأتابك نصرة الدين أحمد بن يوسفشاه بن الب أرغون

تولى منصب الإمارة بمرسوم من غازان خان، وذلك بعد مقتل أخيه، فذهب إلى لرستان، وباشر الحكم بكل نصفة وعدالة؛ حيث عمل على إزالة أسباب الظلم والغدر الواقع على أهالي تلك البلاد، وسعى سعياً حثيثاً في تنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية السمحاء بكل ما أوتي من قوة. وهكذا أقام قواعد العدل والإنصاف قرابة ثمان وثلاثين سنة طيلة مدة حكمه في بلاد آبائه وأجداده، إلى أن توفي سنة (٧٣٣هـ= ١٣٣٢م) فخلفه ابنه الصادق يوسفشاه في حكم لرستان.

الأتابك ركن الدين يوسفشاه بن أحمد

حكم لرستان مدة ست سنوات بالعدل والإنصاف فأرضى الجميع من الرعايا والبرايا من أهالي البلاد وأعيانها، وتوفي إلى رحمة الله في سادس جمادي الأول سنة (٧٤٠ = ١٣٣٩)، فدفنه رجاله وأنصاره في المدرسة المسماة بركن أباد.

مظفر الدين أفراسياب أحمد بن يوسفشاه

تسنم عرش الإمارة بعد وفاة والده بلرستان. وفي أيام هذا الأمير ذاع صيت الفاتح العالمي الشهير (تيمورلنك) حيث دوخ الممالك، واستولى عليها بعد ثل عروشها. وكان إقليم لرستان من أقاليم بلاد إيران من ضمنها، فأعاد تيمورلنك بلاد هذا الأمير إليه في يوم السبت الموافق الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة (٧٩٥هـ = ١٣٩٣م) وتوفي بعد ذلك بمدة يسيرة.

الأتابك پشنك بن يوسفشاه

تولى الحكم بعد وفاة عمه، وأمضى ردحاً من الزمن، ثم توفي تاركاً على صفحة الوجود ولد صدق هو أحمد.

الأتابك أحمد

خلف أباه في منصب الإمارة، ولكن البلاد تدهورت في عهده، فعم الخراب سائر الأنحاء. وقد حل محله ابنه أبو سعيد.

الأتابك أبو سعيد

تولى الحكم بعد والده، وقد حكم البلاد فترة من الزمن إلى أن توفي سنة (٨٢٧هـ= ١٤٢٣م).

الأتابك شاه حسين بن أبي سعيد بن أحمد بن پشنك يوسفشاه.

حكم البلاد فترة وجيزة، حيث قتل على يد (غياث الدين بن كاوس بن هوشنك ابن پشنك) في سنة (٨٢٧هـ = ١٤٢٣م)، وكان من جراء ذلك أن أرسل

(ميرزا إبراهيم بن ميرزا شاه رخ) جيشاً عرمرماً إلى غياث الدين، فأخرجه من تلك البلاد . فمن ذلك اليوم لم يظهر أحد في تلك البلاد من هذه الأسرة الكردية العريقة كما قال الشاعر[1] :

المعنى: "لا يتعلق قلبك بهذه العجوز المتخلفة (الدهر) لأنها عروس لا يهمها من العقد إلا الصهر".

الفصل الرابع

في ذكر ولاية "لر" الصغير

سبق أن ذكرنا موطن طائفة اللر، وسبب تسميتهم باسم اللر، حيث قلنا : إن هؤلاء الناس كانوا في وادي كول مانرود، فلما زاد عدد هؤلاء الناس، وكثروا في ذلك الوادي، أخذت كل طائفة منهم تنزح إلى جهة ما وتقيم فيها، ويطلق عليها اسم الجهة كما هو حال طائفتي (جنكروى) و (أوترى) فكل قبيلة من هؤلاء الناس ليست مقيمة في ذلك الوادي لا تعد من اللر الأصلي.

ولهذه الطائفة شعب وفروع كثيرة، مثل: كرسكى، ولنيكى[2] ، وروز بهانى، وساكى، وشادلوى، وداود عيانى، ومحمد كمارى.

وأما طائفة جنكروى التي هي أمراء اللر الصغير وخلاصة هؤلاء الناس، فهي ممن شعبة الشلبورى[3] . ولهذا القوم شعب وفروع أخرى، مثل: كارانه، وزرهنكرى[4] ، وفضلى، وستوند، وآلانى، وكاهكاهى، ورخواركى[5] ، ودرى، وبرارند، ومانكره دار، وانارکى، وأبو العباسى، وعلي ماماسى[6] ، وكيجاى، وسلكى، وخودكى، وندروى، وغيرهم من الفروع والشعب.

---

١ - دل درين پير زن عشوه كر دهر مبند كين عروسيست كه در عقد بسى داماد است.

٢ - لينكى: نسخة أخرى. المترجم

٣ - سلغرى.

٤ - رزجنكرى.

٥ - دخواركى.

٦ - علي ماماىى. المترجم

وأما قوم: سامى ، واسبان، وسهى، وأركى، فإنهم وإن كانوا يتكلمون اللغة اللرية إلا أنهم ليسوا لوريين أصليين، ولا من القرى الخاصة باللر، بل إنهم فلاحون من القرى تابعون لهم.

هذا وكانت هذه الطوائف اللرية حتى سنة (٥٥٠هـ =١١٥٥ م) خاضعة لسلطان دار الخلافة المباشر، ولم يكن لها أمير أو رئيس مستقل، وفي أثناء خضوعهم لديوان سلاطين العراق، كان (حسام الدين شوهلى) من الأتراك الأفشارية الخاضع للسلاجقة، قد عين من قبلهم حاكماً على تلك البلاد، وجزء من خوزستان. فبادر حينئذٍ كل من محمد وكرامى ابني (خورشيد) من قوم جنكروى إلى الالتحاق بخدمةٍ حسام الدين شوهلى. وتقدما في المراتب وعلا شأنهما، وأعقبا ذرية صالحة في غاية من الرشد تبشر بمستقبل، منهم (شجاع الدين خورشيد) الذي سنذكره قريباً .

وفي هذا الوقت نفسه كان سرخاب بن عيار الذي ذكرنا شيئاً من أحواله آنفاً يخدم حسام الدين شوهلى أيضاً، فحدث ذات يوم في الصيد والطراد أن وقع نزاع بين شجاع الدين خورشيد، وبين سرخاب بن عيار على أرنب وشهر كل واحد سيفه على الآخر غير أن حسام الدين شوهلى، تمكن من الفصل بينهما حينذاك، ولكنهما أسّرا الشر نحو بعضهما . وبعد فترة من الزمن أسند حسام الدين منصب شحنة بعض مقاطعات اللر الصغير إلى شجاع الدين خورشيد، كما أرجع بعضها إلى سرخاب بن عيار، ولما كان ظلم ولاة العراق وحكامه قد اشتد على أهالي هذه الولاية في تلك الآونة، فقد فزعت الأهالي إلى شجاع الدين خورشيد وجاءت طالبة أن يدفع عنهم الضرر والظلم، مؤكدين له بالإيمان والمواثيق بأن لا يخرجوا عن أمره قط، وأن ينفذوا جميع مطالبه، وصادف أن توفي حسام الدين شوهلى في هذه الأثناء، وصار شجاع الدين خورشيد حاكماً مستقلاً في تلك الجهات، وعلا شأنه ونفذ أمره في أنحاء البلاد كلها، حيث أقصى سرخاب بن عيار عن حكم البلاد تدريجاً، حتى رضي مكرهاً أن يكون حاكماً على مانرود من قبله، وهكذا خضع ملك اللر الصغير كله له.

شجاع الدين بن خورشيد بن أبي بكر بن محمد بن خورشيد

لما قيض الله تسخير ولاية اللر الصغير كلها لهذا الأمير؛ حيث صار حاكمها المستقل بلا منازع أرسل نجليه: بدراً وحيدراً، لمحاربة قوم جنكروي بولاية

"سمها" فلما وصل الأميران المذكوران إلى تلك الولاية، ضربا نطاق الحصار على قلعة دزسياه (القلعة السوداء) وفي أثناء الحصار الذي طال، قتل نجله حيدر، فتأسف لذلك أشد الأسف وإلى على نفسه أن يقتل كل من يقع تحت يده من هؤلاء القوم انتقاماً منهم لابنه، حتى ضج القوم وجلوا عن ديارهم مانرود.

وبعد ردح من الزمن استدعي كل من شجاع الدين خورشيد وأخيه نور الدين محمد لديوان الخلافة، وكلفا بتسليم قلعة ما نكره إلى رجال الخليفة، فأبيا ذلك، فزج بهما في السجن، إلا أن أخاه نور الدين محمداً توفي في السجن، فأوصى أخاه شجاع الدين بأن لا يفرط في تسليم الصخرة قط (يريد القلعة المذكورة)، وعمل هذا بوصية أخيه فترة أخرى مفضلا السجن على التسليم. ولما رأى أخيراً أن لا خلاص له من السجن إلا إذا سلم القلعة، فسلمها بشرط أن يعوض عنها بأخرى، فأعطاه ديوان الخلافة ولاية (طرازك) من ملحقات ولاية (خوزستان).

وهكذا تمكن من العودة إلى لرستان والقيام بشؤون الحكم ثلاثين سنة أخرى. وقد بلغ من العمر عتياً حتى أفضى به الخرف إلى أن لا يفرق الخير من الشر، مما اقتضى الحال أن يلازمه دائماً ابنه بدر وابن أخيه سيف الدين رستم بن نور الدين محمد، فحدث في هذه الأثناء أن أغار ملك بيات وهو من طائفة الأتراك على بلاد لرستان وأخذ ينهب البلاد ويسلب العباد، فاضطر بدر وسيف الدين رستم إلى رد العادية فحملا بجيش لرستان على المعتدي وألحقا به هزيمة شنيعة أدت إلى سقوط جميع ولاية بيات في أيدي اللر، فما كان من الأمير شجاع الدين خورشيد إلا أن عين نجله بدراً وابن أخيه سيف الدين رستم وليين للعهد، وعهد إليهما بشؤون الإمارة كلها. ولكن سيف الدين رستم خان عمه وخدعه بأن ألقى في روعه أن ابنه بدراً اتفق مع امرأة أبيه على القضاء عليه، فصدقه شجاع الدين فيما يقوله ابن أخيه لغلبة الغفلة والخرف عليه وأمر بقتل نجله بدر. ولكن سيف الدين احتاط فأخذ من عمه خاتمه علامة على رضائه بذلك، ونفذ القتل في (بدر) الذي أعقب أربعة من الأولاد الذكور، وهم: حسام الدين خليل، وبدر الدين مسعود، وشرف الدين تهمتن، وأمير علي.

ولم يمض على مقتل بدر ردح من الزمن، حتى سأل ذات يوم شجاع الدين: أين بدر، فما أراه قط؟ فأطلعه جمع من محارمه على جلية الأمر، فتأثر لذلك كثيراً وغشيته الهموم والأكدار، واعتلت صحته وانتابته الأمراض، حتى توفى سنة (٦٢١هـ= ١٢٢٤م). ويقال: إن عمره تجاوز المائة. ومرقده يزار من قبل اللر لما كان عليه من العدل والإنصاف، وحب الرعية والسهر على شؤونهم.

سيف الدين رستم بن نور الدين محمد بن أبي بكر بن محمد بن خورشيد.

ولما تولى منصب الإمارة بعد وفاة عمه شجاع الدين خورشيد، وصار حاكماً مستقلاً لجميع بلاد لرستان الصغير، بادر حسام الدين خليل الابن الأكبر لبدر إلى الرحيل إلى دار الخلافة، وأقام بها متحيناً الفرص، ولكن سيف الدين أقام ميزان العدل بين الرعية في جميع أنحاء البلاد. فشاع العدل وذاع الإنصاف. حتى إن امرأة في قرية (واشجان) كانت توقد تنورها بالشعير بدل الحطب، فبلغ خبر ذلك إلى مسامع الأمير سيف الدين رستم، فدهش وطلب المرأة، وسألها عما حملها على ارتكاب هذا العمل الغريب. فأجاب على الفور: بأني ما أقدمت على هذا ألا ليقال: إن الرغد والرخاء قد وصل في عهد الأمير إلى مدى، كانت النساء في بلاده توقد تنانير الخبز بالشعير بدل الحطب، فأعجبه جواب هذه المرأة، وطيب خاطرها بإنعامه وإحسانه. ويقال أيضاً: إنه قد ظهر في عهده عصابة مؤلفة من ستين شخصاً من شجعان اللر، أخذت تقطع الطريق وتسلب السابلة، فأقض ذلك مضاجع الحكام والسلاطين في العراق؛ حيث عجزوا جميعاً من استئصال شأفتها، فما كان من الأمير سيف الدين رستم، إلا ان شمر عن ساعد الجد، وحاربهم حرباً عواناً إلى أن تغلب عليهم جميعاً، وأسرهم ثم أعدمهم بالرغم من أنهم كانوا يعرضون عليه فدية، عن كل واحد منهم، هي ستون بغلاً ذات لون واحد من البغال النادرة؛ قائلاً في سبب رفضه هذه الصفقة: لا أريد أن يسجل على صفحات الدهر بأن سيف الدين كان بياع اللصوص وقطاع الطرق.

ولما كان اللر لا يحتملون مثل هذا العدل الصارم والإدارة الحازمة، اتفقوا سراً مع أخيه شرف الدين أبي بكر ضده ليقتلوه، وبلغه الخبر وهو في الحمام، فما كان منه إلا أن انطلق من الحمام حاسراً الرأس أشعث أغبر ومعه رجل ركض معه، فتبعه القوم المتآمرون فلما وصل قمة جبل (كوه كلاه) تعرض له الشخص الذي معه فجأة، وجرحه في رجله واضطره إلى الجلوس على صخرة هناك. وعند ذلك أصابه أخوه (شرف الدين أبو بكر) بسهم قائلاً للأمير علي بن بدر: خذه واقطع رأسه، اقتصاصاً عن دم والدك (بدر).

شرف الدين أبو بكر بن نور الدين محمد

ولما عاد شرف الدين إلى قومه بعد قتل أخيه في جبل (كوه كلاه)قابلته امرأة بدر والدة حسام الدين خليل، وأعطته - وهو قاتل أخيه؛ قصاصاً لزوجها المقتول -كأساً من الشراب وكان مسموماً. فمرض مرضاً شديداً ولما تماثل للشفاء، نوعاً ما، خرج إلى الصيد والطراد، فانتهز أخوه عزالدين كرشاسف الفرصة وبادر إلى قتل الأمير علي بن بدر قائلاً: إذا كان أخي قد قتل أخاه فهذا من حقه فما تدخلك بين الأخوين إلا فضول منك. وما أن وصل نبأ ذلك إلى بغداد حتى وصل حسام الدين خليل إلى لرستان، واتفق شرف الدين أبو بكر مع رجاله الأخّصاء على أن يقضوا على حسام الدين خليل حين زيارته له بسبب المرض. وذلك حينما يتغطى بثيابه بمحضر من الزائر علامة على تنفيذ الخطة المتفق عليها. ولكن رجاله تهاونوا في تنفيذ الأمر حين حضور (حسام الدين خليل) للعيادة، ولما سئلوا عن سر ذلك بعد ذهاب حسام الدين خليل من الزيارة أجابوا بقولهم: يا أميرا أنت الآن على فراش الموت، وأمور الملك قائمة ببقاء حسام الدين خليل في الحياة. ولكن هذا الكلام أغضب الأمير أكثر من ذي قبل، وصمم على قتل حسام الدين خليل بأي وجه كان، فلجأ حسام الدين مرة أخرى إلى دار الخلافة خوفاً على حياته، ومات شرف الدين في مرضه المذكور، وارتحل من دار الغرور هذه إلى عالم السرور فتولى الإمارة بعده أخوه (عزالدين كرشاسف).

عزالدين كرشاسف بن نور الدين محمد

تولى الإمارة في نفس اليوم الذي توفي فيه أخوه، حيث أخذ في يده مقاليد الأمور، ثم بادر إلى عقد نكاحه على ملكة خاتون أرملة أخيه وأخت (سليمان شاه أبوه)[1] . ولما وصل الخبر حسام الدين خليل في بغداد، بادر إلى الذهاب إلى خوزستان بقصد تخليص لرستان لنفسه. وفعلاً تمكن من جمع جيش عرمرم بها، وتوجه قاصداً لرستان لمحاربة عز الدين كرشاسف الذي لم يكن يميل إلى الحرب والقتال، بل كان من رأيه تسليم مقاليد الأمور إلى خصمه من غير نزاع ولا جدال، بيد أن أخواته لم يرضين بهذا القرار، وقلن لأخيهن: إذا لم تبادر أنت

---

١ - بين أن صحة لقبه إيوان: أي سليمان باشا الإيواني. لا إيوائي ولا أبوه. أنظر تاريخ العراق بين الاحتلالين. المترجم

لقتاله فإننا بأنوثتنا هذه سنقدم على أعمال الرجال ونحاربه مهما تكن النتيجة. فاضطر عز الدين إزاء ذلك للعمل بقول النساء واستعد للحرب والنضال. ولما نشب القتال بين الطرفين في إحدى القرى بتلك الجهات، مال معظم اللر إلى معسكر حسام الدين خليل، وبذلك لحقت الهزيمة عز الدين كرشاسف الذي أراد اللجوء إلى قلعة (كريت)[1] التي كانت بها ملكة خاتون امرأته، ولكن خصمه أخذ علماً بالخبر، فأرسل جماعة من الجنود لقطع طريقه إليها ومنعه من الدخول، حتى تمكن حسام الدين خليل من الوصول إلى خصمه، وألقى القبض عليه وأمنه على حياته، ثم ضرب نطاق الحصار على قلعة (كريت)، وبعد ثلاثة أيام من حصار القلعة أمر عز الدين كرشاسف بفتح أبوابها، وتسليمها إلى حسام الدين خليل، فقامت (ملكة خاتون) بذلك وانتهى القتال والفتن بعد ذلك، وانتقل حكم تلك البلاد إلى حسام الدين خليل.

حسام الدين خليل بن بدر بن شجاع الدين خورشيد

لما تولى حسام الدين خليل شؤون الإمارة، وصار حاكماً مستقلاً لحكومة لرستان، عين عز الدين كرشاسف ولياً للعهد. وبعد مضي سنة على ذلك طلبه ذات يوم إليه، ولكن القلق ساور امرأة كرشاسف، ملكة خاتون، وتوجست خيفة من ذلك، فأبدت عدم رضاها من ذهاب زوجها الذي أجاب الطلب، وذهب إلى حسام الدين خليل من غير حذر. وقد كان هذا عديم المروءة مع عز الدين كرشاسف حيث أمر بقتله بمجرد دخوله عليه، فما كان من (ملكة خاتون) حينئذ إلا أن عمدت خفية في نفس الساعة التي قتل فيها زوجها عز الدين كرشاسف إلى إرسال أولادها منه وهم: شجاع الدين خورشيد، وسيف الدين رستم، ونور الدين محمد سراً إلى بغداد لدى أخيها (سليمان شاه أبوه)[2]. الأمر الذي أثار العداء والبغضاء بين حسام الدين خليل، وبين سليمان شاه حتى امتشقا الحسام، وحصل بينهما صراع شديد ومعارك دامية، بلغ عددها واحدة وثلاثين معركة في مدة شهر واحد، وأسفرت النتيجة عن اندحار سليمان شاه، وسقطت قلعة (بهار) وقسم من كردستان في أيدي اللر، وبعد مدة حشد (سليمان شاه) جيشاً آخر، واشتبك في حرب ضروس مع (حسام الدين خليل)

---

١ - لعلها كربة = كريخ = كربق، وهو موضع قرب الأهواز على ثمانية فراسخ غرباً. المترجم

٢- كذا في الاصل، والصحيح أنه محرف من سليمان شاه الإيواني. كما سبق ذكره في الحاشية. (المترجم)

ﻓﻲ موضع يقال له: (دهليز)، فكسره شر كسرة، ثم عاد أدراجه مكتفياً بذلك، غير أن حسام الدين خليل لم يترك غريمه يعود سالماً، فشجعه حب الانتقام على تتبعه ومطاردته حتى أدركه، وقتل من رجاله وحاشيته، أخاه عمر بك وجمعاً كثيراً من أقربائه، فما كان من سليمان شاه إلا أن عاد إلى دار الخلافة مستنجداً، فحصل على مدد عسكري قوي يبلغ ستين ألف جندي من المقاتلة، وجاء على رأسهم لإعادة الكرة على خصمه حسام الدين خليل الذي قابل هذا الجيش الكبير بجيش قوامه ثلاثة آلاف من الفرسان، وتسعة آلاف من المشاة فقط، ونشب القتال بينهم ﻓﻲ هضبة (سابور)[1]، وظهرت بوادر الهزيمة ﻓﻲ بادئ الأمر على سليمان شاه، بيد أنه ثبت ﻓﻲ مكانه هذه المرة رابط الجأش لا يتزحزح حتى رجعت جنوده المنهزمة مرة أخرى إلى صفوفهم وشرعوا يقاتلون العدو أشد القتال، وكان (حسام الدين خليل) قد حلف بالطلاق على أن لا يرجع عن هذه المعركة حتى يظفر بغريمه أو يقتل ﻓﻲ ساحة الوغى، وقد حدث فعلاً أن أحاط به العدو من كل جانب، وقتلوه وأخذوا رأسه إلى سليمان شاه بعد أن أحرقوا جثته. وقال سليمان شاه للذين أتوا برأسه: لو كنتم أتيتم به حياً إلي، لكنت أمنته على حياته، ووهبت له روحه. ولكن الله قدر فكان. وأنشد هذه الرباعية على البداهة[2]:

معناها: "ارتبك المسكين خليل بدر، وتحير حينما انطوت نفسه على بذور الهوى والهيام بها، (بهار: بمعنى الربيع، واسم للقلعة التي كانت عاصمة ولاية سليمان شاه) لأن شيطان هواه وهوسه كان يريد ملك سليمان، ذهب قتيلاً بأيدي شياطين سليمان". وكان ذلك ﻓﻲ شهور سنة (٦٤٠هـ= ١٢٤٢م).

بدر الدين مسعود بن شجاع الدين خورشيد

لما قتل أخوه (خليل بدر) ﻓﻲ صحراء شابور، ذهب هو إلى (منكوقا آن) لاجئاً وطالباً منه إمداده بجيش من عنده قائلا: "إننا من القديم مخلصون لسدتكم السنية ومتعلقون بها، غير أن دار الخلافة قد أنجدت خصمنا فنجح ﻓﻲ

١- لعلها: سابور خداست، التي هي ولاية بين خوزستان وأصبهان، بينها وبين نهاوند ٢٢ فرسخاً، ومنها إلى اللور ٣٠، لا قرية ولا مدينة. واللور بين سابور خواست وخوزستان. وهي غير (سابور) التي هي كورة مشهورة بفارس، ومدينتها النوبندجان أو شهرستان، أو هي اسم للمدينة على اختلاف الروايات كما ﻓﻲ معجم البدان. (المترجم)

٢- پيچاره خليل بدر حيران گشته — تخم هوس (بهار) درجان گشته
ديوهوسش ملك سليمان ميجست — شد در كف ديوان سليمان گشته (المترجم)

مبتغاه" فألحقوه بخدمة (هلاكو خان) وأرسل معه إلى إيران. ولما توجه هلاكو خان إلى بغداد قاصداً فتحها التمس (بدر الدين مسعود) منه أن يهبه (سليمان شاه) فأجاب هلاكو أن هذا الكلام لشيء كبير. الله يعلم ذلك.

ولما فتحت بغداد واستشهد سليمان شاه في تلك الواقعة، عاد بدر الدين مسعود فطلب من هلاكو تسليم أسرة سليمان شاه وحاشيته إليه، فأجابه هلاكو إلى طلبه، فأحضرهم بدر الدين مسعود بأكملهم إلى لرستان وأكرم وفادتهم، ولم يقصر قط في تقديم ما يلزمهم من المساعدات والخدم، حتى إذا ما عادت مظاهر العمران والتجديد إلى مدينة (بغداد) التي كانت قد تخربت، خيرهم بين أن يمكثوا بلرستان فيزوجهم إلى أقربائه، وبين أن يختاروا العودة إلى بغداد للإقامة بها، فمال البعض منهم إلى الشق الأول وتزاوجوا مع أولاده وأقاربه. ورغب البعض الآخر في العودة إلى بغداد.

هذا ولما بلغت مدة حكم (بدر الدين مسعود) ستة عشر عاماً توفي سنة (٦٥٨هـ= ١٢٥٩م). وكان أميراً عادلاً عالماً. أثر عنه أنه كان يحفظ أربع آلاف مسألة فقهية في مذهب الإمام الشافعي عن ظهر قلب، وأنه لم يرتكب الفاحشة في حياته قط.

وقد دب دبيب الخلف والنزاع حول تولي منصب الإمارة بعد وفاته بين ابنيه: جمال الدين بدر، وناصر الدين عمر من جهة، وبين تاج الدين شاه بن حسام الدين خليل من جهة أخرى، فأدى الأمر إلى أن يلتجئوا إلى معسكر (أباقا خان) الذي أمر بقتل ولديه سياسة، وإسناد منصب حكومة لرستان إلى تاج الدين شاه.

تاج الدين شاه بن حسام الدين خليل بن بدر بن شجاع الدين خورشيد

تولى هذا الأمير منصب الحكومة بأمر من (أباقا خان)، واستمر في حكم لرستان سبعة عشر عاماً إلى أن قتل بأمر من أباقا خان سنة (٦٧٠هـ= ١٢٧١م) حيث تقرر إسناد منصب الحكومة لولدي بدر الدين مسعود، وهما: فلك الدين حسن، وعز الدين حسين، فتعين الأول حاكماً للولاية، وتعين الثاني حاكماً لإينجو[١]، ووليا لعهد أخيه. وقد حكما البلاد على هذا المنوال خمسة عشر عاماً كاملة، تقدمت خلالها لرستان تقدماً محسوساً، فاستتب الأمن وازدهر العمران، وتوسعت حدود البلاد بفضل تغلبهما على كثير من الأعداء والخصوم،

١- يراجع معناه ؟.

وبإغارتهما على مملكة (بيات، وبشر[1]، ونهوند) والسيطرة عليها في غالب الأوقات.

وكان فلك الدين حسن في غاية من الذكاء والعلم والدراية والتدين والتقوى، إلا أنه كان يحب المزاح الحاد حباً شديداً. وعلى العكس كان عز الدين حسين جباراً قهاراً حقوداً، لا يرحم أحداً قط من المجرمين. وكان مدى نفوذهما قد اتسع وامتد من ولاية (همذان) حتى (شوشتر) ومن حدود (أصفهان) حتى بلاد العرب، وكانا يبالغان في إجراء العدل وتحقيق المساواة بين الناس لدرجة أنهما كانا يتلفان حبارى[2] في سبيل خيارة. وكانا في غاية من الاستقامة والوفاق مع بعضهما في تصريف الأمور والشئون العامة، وكان يبلغ عدد جيوشهما أكثر من سبعة عشر ألفاً من المقاتلة، فلذا كان ملوك إيران راضين عنهما وشاكرين لهما حسن إدارتهما للبلاد، ولا يفكرون قط في إيصال الأذى بهما.

ومن غرائب الاتفاق انهما توفيا في سنة واحدة في عهد الإمبراطور (كيخاتو خان) عام (٦٩٢هـ= ١٢٩٢و١٢٩٣م) وخلف فلك الدين ولداً يدعى (بدر الدين مسعود)، وأما عز الدين فقد ترك بعده ابنه (نور الدين محمد).

جمال الدين خضر بن تاج الدين شاه بن حسام الدين خليل ابن بدر الدين بن شجاع الدين خورشيد

تولى جمال الدين خضر منصب الإمارة بمرسوم من الإمبراطور (كيخاتوخان) ولكن حسام الدين عمر بك بن شمس الدين بن شرف الدين تهمتن بن بدر ابن شجاع الدين خورشيد، وشمس الدين لنبكى نازعاه في الحكم، ولم يقدما له الطاعة حسب المعتاد، فتفاقم الحال واشتد الأمر حتى باغتاه ليلة من الليالي، وكبساه على مقربة من (خرم آباد) وذلك بتعضيد من الجيش المغولي الذي كان حينذاك معسكراً في تلك الجهات، وتمكنا من قتله وقتل عدة من أقربائه، مما أدى إلى انقراض نسل حسام الدين خليل نهائياً. وكان سنة (٦٩٣هـ = ١٢٩٣م).

١- راجع الجزء الأول من تاريخ الكرد وكردستان.

٢- وفي نسخة جبارا

حسام الدين عمر بك

لما تولى حسام الدين عمر بك منصب الإمارة بالغلبة كما تقدم خاصمه من الأمراء كل من صمصام الدين محمود بن نور الدين محمد، وعز الدين محمد، كما أن الأمير دانيال من نسل كرشاسف أيضاً يعضده بعض الأمراء الآخرين، اتفقوا في هذا الأمر، فأقدموا على مخاصمته ومطالبته بدم أولاد (تاج الدين شاه) قائلين: إن عمر بك غير لائق لتولي الإمارة؛ لأنه من فرع لم يتول الإمارة قط. فالمستحق للإمارة والملك هو صمصام الدين محمود؛ لأن آبائه وأجداده كانوا حكام لرستان وأمرائه. وفي الحق أن صمصام الدين محمود كان شاباً في غاية من الذكاء والبسالة، وعلى جانب عظيم من السخاء والكرم، فما كان منه إلا أن زحف من خوزستان بجيش كبير إلى حدود (خرم آباد) فتوسط الشفعاء بين الطرفين واستقر الرأي على أن يجلو شهاب الدين الياس لنبكى وأخوته، الذين كانوا سبب الفتن والفساد في البلاد، عن ولاية لرستان، وأن يتنازل حسام الدين عمر عن الحكم للأمير صمصام الدين محمود. وهكذا تم الأمر لصمصام الدين محمود.

صمصام الدين محمود بن نور الدين محمد

تولى منصب الإمارة بعد عمر بك، وازدهرت في أيامه البلاد، ونهضت نهضة عظيمة، ودام الأمر على هذا المنوال ردحاً من الزمن، فحدث ذات يوم أن قصد (شهاب الدين الياس لنبكى) وإخوته بالسوء، وهاجمهم وحيداً، فثبتوا له وقاتلوه إلى أن جرحوه جراحاً بليغة بلغ عددها أربعة وخمسين جرحاً، ومع ذلك لم ينهزم ولم يول الإدبار عنهم، فطاردهم إلى أن لجأوا إلى قمة جبل مغطاة بالثلج الكثير، وتمكن بعد إنذارهم وتوعدهم بالويل والثبور من إنزالهم من شاهق الجبل ثم قتلهم عن آخرهم. فتوجه بعد هذا، حفيد شيخ كاهويه إلى بلاط (غازان خان) شاكياً كلاً من عمر بك وصمصام الدين محمود، ومطالباً القصاص منهما لمقتل جمال الدين خضر، وشهاب الدين الياس، فأحضر كل من عمر بك وصمصام الدين محمود إلى المعسكر بأمر من الخان، فسأل (غازان خان) عمر بك عن سبب قتله جمال الدين خضر، فأجابه بقوله: لأنه لم يقتلني، وسأله لماذا قتلت ابنه الصغير، فلم يحر جواباً. وعند ذلك سلمه الخان إلى ورثة

(جمال الدين خضر) فاقتصوا منه بالقتل. ثم نفذوا حكم القتل والإعدام في صمصام الدين محمود، قصاصاً عن مقتل شهاب الدين الياس. وكان ذلك كله سنة (٦٩٥هـ = ١٢٩٥و١٢٩٦م).

عز الدين محمد بن الأمير عزالدين حسين بن بدر الدين مسعود

تولى الإمارة وهو صغير السن بعد مقتل كل من عمر بك وصمصام الدين محمود، فقد صار حاكم لرستان المستقل، بيد أن ابن عمه (بدر الدين مسعود بن فلك الدين حسن) الذي كان أكبر منه سناً، عارضه ونازعه الحكم، ففي عهد السلطان محمد خدابنده صدر المرسوم الإمبراطوري بإسناد منصب حاكم لرستان لبدر الدين مسعود مع منحه لقب أتابك، على أن يقوم عزالدين محمد بأعمال الخزانة العامة (دلاي لاولاي) وبأعمال الخان إينجو[١] . وبعد فترة من الزمن أضيف منصب الولاية مرة أخرى إلى عز الدين محمد . ودام حكمه للولاية كلها مدة من الزمن. حتى قضى نحبه بأجله الموعود في سنة (٧١٦هـ=١٣١٦و ١٣١٧).

دولت خاتون زوج عزالدين محمد

تولت هذه السيدة منصب الإمارة في تلك الولاية بعد وفاة زوجها وصارت ملكتها . وفي عهدها اختلت الأمور، وساءت الأحوال في البلاد، فزالت هيبة الحكومة، وانحط شأن الأسرة الحاكمة، فكان يتولى الأمور العامة في البلاد في أغلب الأوقات، موظفون منتدبون من ديوان الإمبراطورية المغولية. فلهذا لم تتمكن من أن تعمل شيئاً، ففوضت أمور الحكومة لأخيها .

عز الدين حسين أخو دولت خاتون

تولى هذا الأمير شئون حكومة لرستان، وأجرى العدل والإنصاف مدة أربع عشرة سنة، ذاق فيها الأهالي لذة الطمأنينة والسكينة، وعاشوا خلالها مرتاحين، ثم حل محله ابنه.

---

١ - انظر charmoy ج١ القسم الثاني ص٦٤.

شجاع الدين محمود

تولى الحكم بعد وفاة والده السابق الذكر، ولكنه لم يكن كأبيه إذ أسرف في الظلم والعسف، حتى ضجت الناس منه، فثاروا عليه وقتلوه سنة(٧٥٠هـ=١٣٤٩و ١٣٥٠م).

الملك عزالدين بن شجاع الدين محمود

تسلم عرش الإمارة بعد مقتل والده، ووفق إلى عقد اتفاقات ومعاهدات مع سلاطين العراق وحكامه، فزاد قدره بذلك وعلا شأنه. وأخيراً قلب له الدهر ظهر المجن، فأغار عليه (تيمور كوركان لنك) وحاصره في قلعة (داميان)، على مسافة نصف فرسخ من (بروجرد)، ثم قبض عليه وأرسله (سنة٧٩٠هـ=١٣٨٨م) منفياً إلى سمرقند، كما أن ابنه سيدي أحمد قد نفاه إلى (أندكان=أندخان). وبعد تربيته ثلاث سنوات أعاده إلى لرستان حاكماً كالسابق. غير أن سوء سلوك ابنه (سيدي أحمد) وجلافته وسماجته في تصريف الأمور أثرت فيه، فاتهمه المغول بالعصيان والثورة، فوقع في أيدي المحصلين المغول وذهبوا به إلى السلطانية سنة (٨٠٤هـ=١٤٠١و ١٤٠٢م) وشنقوه بعد سلخ جلده في سوقها، ولبث معلقاً أسبوعاً كاملاً.

سيدي أحمد

وكان سيدي أحمد هذا طيلة عهد تيمورلنك هائماً على وجهه في الجبال في لرستان في أسوأ حال وأبشع صورة، ودام حكمه للبلاد بعد واقعة تيمورلنك، وتسلطه على الولاية حتى سنة (٨١٥هـ=١٤١٢و١٤١٣م).

شاه حسين بن الملك عزالدين

تولى هذا الأمير حكم اللر، وأخذ يغير دائماً على بلاد (همذان) و (جريادقان) ونواحي من (أصفهان) حتى إذا ما ولى السلطان أبي سعيد كوركان، انتهز الفرصة واستولى على همذان. ثم زحف إلى قشلان (مشتى) شهرزول = شهرزور، وأغار على عشيرة بهارلو، غير أن (كوربير علي بن علي شكر) الذي كان رئيس العشيرة قطع عليه خط الرجعة، وتمكن من قتله سنة (٨٧٣ هـ=١٤٦٨و١٤٦٩م).

شاه رستم بن شاه حسين

قام بأعباء الحكم بين هؤلاء القوم ردحاً من الزمن، وأخيراً التحق بخدمة الشاه اسماعيل الصفوي الذي أغدق عليه من سابغ نعمه وعطفه، ما جعله يفتخر على أمثاله من الحكام والأمراء، بيد أنه ما مضت على ذلك مدة قليلة حتى توفي.

أغور بن شاه رستم

كان أغور النجل الأكبر والأرشد لشاه رستم، فتولى الإمارة خلفاً لأبيه. ثم رافق الشاه طهماسب حينما زحف الشاه سنة (٩٤٠هـ=١٥٣٣م) إلى خراسان؛ لرد عادية عبيدالله خان أزبك. وكان الأمير أغور قد ترك أخاه الصغير جهانكير بين قومه وعشيرته نيابة عنه مدة سفرته هذه، فما كان من هذا الأخ النائب إلا أن استمال قلوب رؤساء العشيرة، وقواد الجيش إليه وشق عصا الطاعة وأعلن نفسه حاكماً على القوم. ولما عاد الجيش الشاهاني من سفر خراسان، بلغ هذا النبأ غير السار إلى مسامع الأمير أغور الذي بادر إلى الاستئذان بالعودة من الجيش حالاً إلى بلاده. وفي الطريق حينما وصل إلى أطراف نهاوند، اجتمع حوله بعض من أوباش وأجلاف اللر فقط من غير أن يلتفت إليه الرؤساء والزعماء؛ إذ ثبت هؤلاء على إخلاصهم لجهانكير؛ مما أفضى إلى أسر أغور وقتله بعد مصادمات عنيفة ومحاربات عديدة.

جهانكير بن شاه رستم

صار هذا الأمير حاكماً منفرداً ومستقلاً في بلاده بعد مقتل أخيه، فحكم لرستان مدة تسع سنوات بالطمأنينة والراحة. وأخيراً لقي مصرعه على يدي الشاه طهماسب في سنة (٩٤٩هـ=١٥٤٢و١٥٤٣م).

شاه رستم بن جهانكير

لما فرغ طهماسب من قتل جهانكير، بادر أبو مسلم گودرزي إلى شاه رستم حيث كان مربيه ورائده، وأتى به طوعاً أو كرهاً إلى الشاه طهماسب، مثبتاً بذلك صداقته المتناهية للسدة الشاهانية. فما كان من الشاه إلا أن أصدر أمره القاضي بوضع الأمير الشاب هذا في القيد وحبسه في قلعة (آلموت) وكان جزاء

الشـاه طهماسـب للأمـير أبـي مسـلم گـودرزي إزاء إخلاصـه هـذا أن أسـند إليـه منصب مير آخوري، وميزه علـى أقرانـه مـن الأمـراء. وأمـا محمـدى الابـن الصـغير لجهـانگير، الـذي لم يكـن ليصـلح للحكـم والإمـارة لصـغره، فقـد أخفـاه الشـعب اللوري في موضع محكم يقال له: (چنكله) تحت الرعاية والعناية منتظرين سـنوح الفرصـة؛ لأنـه لم يكـن قـد بقـي بلرسـتان شـخص يسـتحق الإمـارة سـواه. فلبـث العشائر والقبائل فترة من الـزمن مـن غـير حـاكم أو أمـير منـهم، حتـى حـدث ذات يوم أن ظهر شـخص مـن لئـام لرسـتان لـه شـبه كـبير بشـاه رسـتم فـادعى أنـه هـو بنفسه، وقد فر من قلعة آلموت هارباً. وذهـب إلى بيـت شـاه رسـتم مـن غـير وجـل ولا خوف وقدم نفسه لزوجة شاه رستم التي كانت قد فارقها زوجها منذ بضـع سنين فاغتنمت الفرصة إذ صدقته وعاشـرته معاشـرة الأزواج. ولما رأت طوائـف اللر هذه الحالة من زوج شاه رستم زالت الشبهات والريـب مـن أذهـانهم، وكلـهم آمن بأنه شاه رستم حقيقة، فقدموا له الطاعـة بإخلاص. وعندما وصلت أنبـاء هذه الأحوال العجيبة والأمور الغريبة إلى مسامع الشاه بقزوين، أطلق سـراح شـاه رستم المحبوس في قلعة آلموت، ومنحه مرسـوماً شـاهانياً بإعـادة منصـب حكومـة خرم آباد بلرستان إليه، حيث كانت عاصمة الملك علاوة على منصـب السـردارية بلرستان، وقد كلفه بأن يذهب على جناح السرعة إلى تلك الجهات.

وقد أسرع شاه رستم في الرحيل "جاعلاً المرحلتين مرحلة واحـدة" كمـا قـال الشـاعر[1]، حتى إذا ما وصل لرستان وتوغل بين قبائلـه وعشـائره مـن اللـر الـذين أطلعوا على جلية الأمور، بادر شاه رستم الـدّعي إلى الفـرار، والهـروب مـن المـأزق الـذي وقـع فيـه، غـير أن رجـال شـاه رسـتم الأصـيل لحقـوه، فـألقوا القـبض عليـه ورجموه حتى مات.

وفي هذه الأثناء كان أخـوه محمـدي قـد بلـغ سـن الرشـد، فنـازع أخـاه رسـتم علـى الحكومـة الموروثـة، وطـال النـزاع بينـهما حتـى أفضـى ذلـك إلى امتشـاق الحسام، وعند ذلك توسط المصلحون بين الأخوين وانعقد الصلح على أن يتـولى الأخ الكبير شـاه رسـتم إدارة أربـع مقاطعـات مـن لرسـتان، والأخ الصـغير محمـدي يتولى إدارة المقاطعتين فقط. وتكون حكومة لرستان كلها مشتركة بينهما، فرضـي الأخوان بهذا الصلح ودام الحال على هذا المنوال ردحاً من الزمن، حتـى إذا كانـت سنة (٩٧٤هـ= ١٥٦٦م) جـاء أمـير خـان الموصـلي الـذي كـان حـاكم همـذان حسـب

١- دو منزلرايكى ميكرد وميرفت.

فرمان الشاه طهماسب لتحصيل الأموال الأميرية المطلوبة من لرستان الكبير الشهير بالبختياري، والذي أسند الشاه طهماسب رئاسة عشائرهم إلى تاج أمير من قبيلة استرك بعد أن انقرضت سلالة أمرائهم كما سبق القول فيهم - وكان عمدة عشائر هؤلاء القوم - على أن يدفع سنوياً مبلغاً كبيراً للديوان الشاهاني على سبيل الهدية والتقبل، ولما عجز تاج مير هذا عن دفع المبلغ قتل بأمر من الشاه، وأسند رئاسة ذلك القوم إلى مير جهانكير البختياري الذي هو أيضاً من البارزين في تلك العشيرة على شرط أن يدفع كل سنة لعمال ونواب الشاه عشرة آلاف رأس من البغال، وقد كلفه في ذلك شاه رستم، وكذلك عندما ذهب إلى جهة دزفول، وشوستر لجمع الأموال المطلوبة من بعض مقاطعات إقليم خوزستان، التي كانت تحت تصرف وحكم أعراب بني المشعشع، كانت السيدة المدعوة شاه برور أخت أغور وزوج شاه رستم حصلت سراً على أمر شاهاني صادر باسم أمير خان في صدد القبض على محمدي كلما سنحت الفرصة لذلك وإرساله إلى الدرگاه.

وخلاصة القول في هذا الموضوع هو أن أمير خان لما وصل نواحي خرم آباد خف محمدي إلى مقابلته والسلام عليه وأخذ يتردد عليه مدة من الزمن. وذات يوم دعاه أمير خان وعدداً من رجاله إلى وليمة تقام في منزله، ولما حضروا وتكامل عددهم ألقى القبض عليه، وعلى مائة من الذين كانوا معه من زعماء لرستان وأعيانه وأرسلهم مقيدين إلى البلاط الشاهاني، فسجنوا فوراً في قلعة آلموت. وستأتي حوادث محمدي وشاه رستم ومصيرهما في ذكر الوقائع والحوادث الآتية إن شاء الله.

محمدي بن جهانكير

ولما امتدت مدة سجن محمدي هذا في قلعة آلموت إلى عشر سنوات، قام أولاده الأربعة: علي خان، وأسلمز، وجهانگير، وشاهوردي، بثورات، وإحداث قلاقل متواصلة في لرستان، أقضوا بها مضاجع عمهم شاه رستم، بل إنهم أخذوا يغيرون أيضاً على أملاك الشاه نفسه حيث نهبوا همذان، وجريادقان، ونواحي أصفهان بالرغم مما بذل شاه رستم والأمراء، والعمال القزلباشية في تلك الحدود من مقاومتهم، ولكنهم كانوا عاجزين تماماً عن إخماد الفتنة، وأخيراً استقر رأي أولياء الأمور في الدولة أن يرفعوا إلى البلاط الشاهاني اقتراحاً يعالج هذا الموضوع، ويقطع دابر الفتنة من البلاد، وهو أن يطلق سبيل محمدى من

السجن، وأن يوضع لدى أحد أمراء القزلباشية العظام وديعة، ويوعد ويمنى هو بإسناد حكومة لرستان إليه إذا ما كتب إلى أنجاله بالحضور إلى بلاط الشاه طهماسب؛ فبهذه الطريقة السلمية وحدها يمكن القضاء على الفتنة. ولما عرض الأمر على محمدى رضي به أيضاً واستبشر، ففرضوا عليه أن يقدم لعمال الشاه ونوابه في البلاد زهاء ثلاثين ألف رأس من الخيول والبغال والأغنام، على سبيل الهدايا والجوائز، علاوة على إحضار أولاده إلى البلاط الشاهاني، ليبقوا به كرهائن ثم يسافر هو إلى لرستان ويقوم بتصرف شئون حكومته.

فأطلق الشاه طهماسب حسب رأي الأمراء وأركان الدولة ومشورتهم هذه، سراح محمدى من قلعة آلموت، وسلمه بقزوين إلى عهدة حسين بك استاجلو، ليكون عنده رهينة، فبادر محمدى إلى إرسال خطاب إلى أنجاله يطلب إليهم تحضير زهاء ثلاثين ألف رأس من الخيول والأغنام قيمة المطلوب من حكومة لرستان، وأن يأتوا بها على وجه السرعة إلى قزوين.

فلما وصل هذا الخطاب إليهم قام اثنان منهم بجمع عشرة آلاف رأس من الخيل والغنم، وتوجها بها نحو قزوين على جناح السرعة، ولما نزلا في قرية شرف آباد الواقعة على مسافة فرسخ من قزوين؛ انتظاراً للأمر أرسل محمدى إلى كافله حسين بك استاجلو يقول له: إن أنجال العبد وصلوا إلى قرية شرف آباد، وعسكروا بها مع الخيول والمواشي، فأرجو التصريح لي بالذهاب إليهم لمعاينة الخيول والمواشي، فأنتقي منها ما يصلح لخدمة السدة الشاهانية، وآتي بها للإسطبل العامر وانتظر حتى تحضر بقية المطلوب من الخيل والمواشي، فأجاب حسين بك ملتمسه هذا وسمح له بالذهاب إلى القرية المذكورة مصحوباً بعدة من كبار رجاله الملازمين له، ولما قرب المساء قال محمدى لرفقائه المصاحبين: "حيث إن الليل قد دخل ولا يمكن فيه معاينة الخيل والمواشي، فالمصلحة إذن في أن نقضي الليل هنا لنتمتع بصحبة ورؤية أولادنا الذين لم نرهم منذ مدة طويلة، وعند الصباح الذي هو محل كل فوز ونجاح، نقوم جميعاً بمعاينة الخيل والمواشي بكل راحة وطمأنينة" وقد وجد هؤلاء القزلباشية المرافقون للأمير محمدى كلامه معقولاً وجديراً بالاعتبار، فوافقوا على رأيه وباتوا بتلك القرية، ولما جنّ الليل ركب محمدى ونجلاه جياداً مدربة على القتال أسرع من ريح الصبا والشمال، وأطلقوا العنان لخيولهم حتى وصلوا إلى لرستان. هذا ولما أسفر الصباح وشاع هذا النبأ في قزوين أمر شاه طهماسب، أمير خان حاكم همذان ومعه بعض الأمراء، والقواد بوجوب مطاردة الأمير محمدى ونجليه،

ولكنهم لم يستطيعوا اللحاق بهم مع ما جدّوا في السير بخيولهم المنهكة، وكان محمدى ومن معه قطعوا في أربعة أيام ما يستغرق قطعه عشرة أيام حتى بلغوا لرستان.

ولما علم شاه رستم بخبر وصول أخيه على هذا المنوال، فزع وتنازل عن أعباء الحكم حالاً، وطلق عروس الحكم والسلطان ثلاثاً، وغادر لرستان في نفس السنة إلى قزوين، وأقام بها طيلة حياته في حالة يرثى لها؛ حيث لم يتيسر له قط حكم لرستان مستقلاً مرة أخرى، حتى قضى نحبه بأجله الموعود.

وأما محمدى فقد صار حاكم لرستان المطلق، وأميرها المنفرد الذي كان يهتف لسان حاله ويقول: أنا ولا غيري. وقد سلك طريق المداراة والسياسة الحكيمة مع الشاه طهماسب والشاه إسماعيل الثاني، وجلب رضائهما وعطفهما نحوه طيلة حياتهما؛ حيث أظهر بعدهما انقياده وخضوعه لسدة المغفور له السلطان مراد خان الثالث العثماني، الأمر الذي حمل أولياء الأمور في الآستانة على مكافأة هذا الأمير الكيّس، ما دام قائماً بواجبات الصداقة نحو الدولة، فألحقوا بإيالته الأصيلة نواحي: مندلي، وچسان، وبادرانى، وترساق من الأملاك الخاصة الهمايونية التابعة لبغداد (دار السلام)، والتي يقدّر إيرادها العام بمبلغ اثنتي عشرة كيساً من الذهب العثماني، وهو ما يساوي ستمائة تومان من رايج العراق من العملة، وأرسلوا إليه منشوراً بإبقاء إيالة لرستان الموروثة مع ملحقاتها في عهدته، ومعه خلع سنيّة من حمائل سيف مذهبة مرصعة.

فمضت بضع سنين على هذه الحال، وهو متمتع بالثقة والرضاء، وأخيراً دبت عقارب الخلاف والحسد بينه وبين المير ميران والي بغداد، وسائر البكوات العثمانية فيها؛ حيث أخذوا يدّسون له لدى البلاط العثماني بتهمة عدم القيام بما هو مطلوب منه من حسن الخدمة والتفاني في الإخلاص، حتى حصلوا سراً على أمر همايوني بإلقاء القبض عليه، ولكن محمدى علم في الوقت المناسب بما بيتّه له مير ميران بغداد، فأخذ حذره منه، وفعلاً تعرض أحد ضباط بغداد ذات يوم له، وأراد القبض عليه ففشل في مسعاه، وعند ذلك تحاشى محمدى التجول في أطراف بغداد، واستغنى عن ملاحظة محصول ومنافع الخواص السلطانية العائدة لبغداد؛ كما أن نجليه: شاهوردى، وجهانگير اللذين كانا رهينة في بغداد، قد انتهزا ذات يوم فرصة ركوب الباشا ولاذا بالفرار من بغداد، متجهين نحو

الصحارى والبوادي مطلقين العنان لخيولهم التي لا تلحق نقعها الريح الصرصر العاتي، وفي أثناء هذه الحوادث الهامة حدث أن طلب الشاه سلطان محمد بن الشاه طهماسب يد كريمة الأمير محمدى، لنجله الميرزا حمزة رامياً بذلك إلى حثه على الاتفاق مع الإيرانيين، وتوثيق أواصر الصداقة والود معهم كما في السابق، فلبى الأمير الطلب واختار هذه المرة خدمة القزلباشية، ودام على هذا الحال إلى أن توفي إلى رحمة الله.

شاهوردي بن محمدي

تولى منصب الإمارة بعد وفاة والده، بفضل تعضيد أعيان لرستان وتأييد رؤسائه له، وعلى ذلك صدر المرسوم الشاهاني بإقرار ذلك من الشاه سلطان محمد. هذا ولما انتقلت مقاليد الأمور في سلطنة إيران إلى أيدي الشاه عباس القوية، رأى الشاه أن من حسن السياسة أن يؤكد أواصر الصداقة بينه وبين أيالة لرستان، فبادر إلى التزوج من اخت شاهوردي الكبرى التي كانت زوجة أخيه السلطان حمزة ميرزا وان يزوج بنت ابن عمه حفيدة بهرام ميرزا من شاهوردى، مما أفضى إلى دوام الصداقة والود الخالص بينهما ردحاً من الزمن، حتى إذا ما أسند الشاه عباس منصب أيالة همذان إلى أغورلوبك البياتي، تحرك وتجدد الخلاف القديم الذي كان بين اللر والبيات، وقام النزاع والخصام بين شاهوردى، وبين أغورلو على ناحية بروجرد وبلغ الأمر إلى حشد الجيوش وامتشاق الحسام، فنشب القتال حوالي قصبة بروجرد، ومن سوء الحظ أن قتل أغورلو بك رئيس طائفة البيات في إحدى المعارك ومعه خلق كثير من جماعته، ووقعت أموال كثيرة من الغنائم في أيدي اللر، فنهبوها نهباً فلم يتركوا شيئاً، فلجأ شاهقلي بك أخو أغورلو بك إلى بلاط الشاه عباس في قزوين وعرض تفاصيل ما وقع من قتل أخيه وكثير من أعيان البيات، ونهب أموالهم ومقتنياتهم، فاشتد غضب الشاه من سماع هذه الحوادث الدامية، ونهض حالاً على رأس حملة صغيرة ألّفها ممن كانوا موجودين ببلاطه من القواد والجنود فشنّ بهم غارة شعواء، وقد أسقط في يد شاهوردي حينما بلغه خبر قدوم الشاه بنفسه، فبادر فوراً إلى عبور نهر سميره بكل صعوبة واضطراب وحيرة مع بضعة من أخصائه وأولاده وحريمه، فتمكن من الوصول إلى جبل كلاه، وبقي جيشه وعشائره وسائر طوائف اللر، وجماعاته في الجانب الآخر من النهر، فأدركهم الشاه عباس بجيشه وقاتلهم وشتت شملهم، وأقطع جهة خرم آباد التي كانت مركز حكم

أمراء اللر (مهدي قلي سلطان شاملوي) حفيد (أغزوار سلطان) وعينّه أمير أمراء تلك الجهة، ووضع تحت إمرته عدة من القواد والضباط من القزلباشية؛ للقيام بوظيفة الضبط والربط بين العشائر والقبائل. ثم عاد الشاه إلى قزوين منصوراً ظافراً. وما كاد يصل إليها حتى عاد شاهوردي يجمع الناس، فالتف حوله جمع من طائفة الگوران، ومن رجال العشائر والقبائل من طوائف أخرى، وتوجه بهم جميعاً لمقاتلة مهدي قلي سلطان، فاجتاز نهر سميره بكل جسارة وجراءة وأقام معسكره في ظاهر خرم آباد، حتى نشب القتال بشدة والتحم الفريقان وحميت المعركة بين الطرفين، وأسفرت الحرب عن انكسار اللر وهزيمتهم هزيمة نكراء فولوا الأدبار، واضطر شاهوردي إلى الفرار إلى بغداد واللجوء إلى ساحة البلاط العثماني وتقديم طاعته وإخلاصه له، ولما بلغت أنباء هذه الحوادث الأخيرة مسامع الشاه عباس، رأى من المصلحة إصدار عفوه عن أعمال شاهوردى، فأصدر منشوراً بإسناد منصب حكومة لرستان وإيالة خرم آباد إليه حسب الأصول المتبعة الجارية من عهد آبائه وأجداده، ثم أغدق عليه من الخلع والهدايا الكثيرة ما جعله مطمئن البال وفخوراً بها بين أقرانه، وهكذا ارتفع شأنه وعلا قدره، وهو يدير شئون حكومته بحزم وعزم حتى الآن وهو سنة خمس وألف الهجرية (١٠٠٥هـ=١٥٩٦و١٥٩٧م).

الفصل الخامس

في ذكر سلاطين مصر والشام المشهورين باسم آل أيوب

يرى علماء التاريخ ومتتبعو السير أن جد ملوك مصر والشام هؤلاء هو (شادي ابن مروان) وكان في الأصل من أكراد رونده[1] دوين أذربيجان، ودوين الآن قرية خربة تدعى كرني جفر سعد. ففي عهد السلطان مسعود السلجوقي عينه أحد نواب وعمال السلطان محافظاً لقلعة تكريت. وقضى شادي نحبه في القلعة المذكورة، وحل محله في المنصب ابنه نجم الدين أيوب. وحدث ذات يوم أن كان نجم الدين أيوب سائراً في الطريق مع أخيه أسد الدين شيركوه، فاذا بامرأة تقبل

١- وفي نسخة رواندهٔ دوين، وفي أخرى ارندهٔ دوين. والظاهر أن الأصح هو ما ورد هنا إذ أن لفظ رونده بمعنى الذاهبين والجائين يستعمل أيضا بمعنى المهاجرين، فلا شك ان الأكراد سكان دوين أذربيجان قد هاجروا مع من هاجر من المسلمين من شمال كردستان إلى جنوبها حين غزو الكرج، والروس، والأبخاز من النصارى، كرجستان وأران، وكردستان حتى وصلوا. (المترجم)

عليهما باكية ومولولة، وشكت لهما من شخص تعدى عليها من غير سبب، فتهور أسد الدين وأحضر ذلك المعتدي وسأله عن الواقع فلم يحر جواباً، فنزع أسد الدين الحربة من يده وضربه بها في مقتل، فخر صريعاً ليس به حراك. فما كان من نجم الدين إلا أن اعتقل أخاه، وأبلغ الحادثة كما هي لنائب السلطان مسعود، فكتب النائب إليه يقول: كان بيني وبين القتيل علاقة صداقة وطيدة وصلة ود وثيق؛ فلا يمكنني إذا اجتمعت بكما إلا أن أطالبكما بدمه. فالمناسب إذن أن تغادرا بلدي، حتى لا يقع نظري عليكما. وعلى هذا بادر نجم الدين أيوب مع أخيه إلى الرحيل من البلد إلى الموصل، ولما بلغاها قابلهما أميرها عماد الدين زنكي بالحفاوة وأكرم وفادتهما، حتى إذا ما فتح الله عليه في إحدى فتوحات قلعة بعلبك، أسند إلى نجم الدين أيوب منصب محافظة القلعة المذكورة. هذا وكان نجم الدين حسن الصورة طيب السيرة عاقلاً متديناً عادلاً أميناً، بنى في بعلبك خانقاهاً للصوفية سماها النجمية، وأغدق عليها أموالاً كثيرة، وقد أشاع في البلدة المذكورة العدل والحب بين الناس، حتى إذا توفي عماد الدين زنكي، ذهب مع أخيه أسد الدين إلى خدمة نور الدين محمود فنالا ثقته وإعجابه بهما ؛ إذ تولاهما بعطفه وتقديره، حتى أسند إلى أسد الدين منصب قيادة الجيش مع توليته حكومة حمص. ولما استنجد الخليفة العاضد الإسماعيلي في مصر بالسلطان نور الدين محمود، على الإفرنج لردّ عاديتهم عن مصر، ندب السلطان أسد الدين شيركوه ثلاث مرات لهذه المهمة على رأس حملة عسكرية قوية. ففي المرة الأخيرة، قتل أسد الدين، شاوراً[1] وزير العاضد بإذن منه، وولي منصب الوزارة. وقبل أن يقتطف وردة من بستان الوزارة هذه توفي في يوم الأحد الموافق لثاني جمادى الآخرة (سنة ٥٦٤هـ= ١١٦٩م) بعد أن لبث في دست الوزارة خمسة وستين يوماً، حيث خلفه ابن أخيه صلاح الدين بن نجم الدين أيوب.

صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب

ولما تولى صلاح الدين منصب الوزارة، شل حركة جميع أركان دولة الخليفة لعاضد بالله ورجالها؛ وذلك لما كان عليه من المقدرة الفائقة والذكاء النادر، ونال من الخليفة لقب الملك الناصر في مدة وجيزة. وهكذا تمكن من مصر

[1] - في المصادر العربية شاور، ولعل هذا معرب شاپور الذي ورد هكذا في النص. (المترجم)

فأرسل إلى نور الدين محمود رسولاً يلتمس منه الترخيص لوالده بالحضور إلى مصر، وأجاب نور الدين طلبه إجابة عزيزة. وعلى ذلك تحرك نجم الدين أيوب متجهاً نحو مصر فوصلها في الرابع والعشرين من رجب سنة (٥٦٥هـ= ١١٦٩م) وقابله الخليفة العاضد بنفسه بظاهر مصر بالحفاوة والإكرام، وعاد البصر إلى عيني نجم الدين الذي كان من حزنه لفراق ولده قد ابيضت عيناه من الحزن، وذلك على أثر رؤيته صلاح الدين الذي بالغ في الحفاوة بوالده وإكرام وفادته؛ حتى إنه عرض عليه ان يتخلى عن منصب الوزارة ليتولاه هو، غير أن الوالد العظيم لم يقبل ذلك ودعا لابنه بالتوفيق شاكراً. وأخذ صلاح الدين يصرف شئون الدولة بكل جدارة واستحقاق، إلى أن اشتد المرض بالخليفة العاضد في أوائل المحرم سنة (٥٦٧هـ= ١١٧١م)، حتى توفي إلى رحمة الله يوم العاشوراء من محرم تلك السنة، فاستولى صلاح الدين على جميع خزائن الإسماعيلية التي كانت تعج بنفائس الدرر، وغوالي الجواهر، ووافر النقود والحلي من الذهب والفضة. وقد استقل في تسيير دفة الأمور استقلالاً كاملاً، فأرضى العسكريين والمدنيين جميعاً بحسن إدارته وبعد نظره، وقد ذكر صاحب تاريخ اليافعي[١]، أن من جملة النفائس التي استولى عليها صلاح الدين من خزائن العاضد، عصا من الزمرد. وأما نفائس الكتب الجيدة الخط، فقد كان عدد مجلداتها يبلغ مائة ألف.

هذا وقد توترت العلاقات بادئ الأمر بين صلاح الدين، وبين نور الدين محمود من جراء استقلاله بمصر، وذلك لبعض الوشايات، فأراد نور الدين أن يحضر بنفسه إلى مصر وأن ينصب عليها رجلاً آخر من رجاله، ولما خبر هذه النية إلى مسامع صلاح الدين جمع مجلس استشارة مؤلف من والده وخاله وإخوته وسائر أقربائه؛ لاتخاذ التدابير نحو الدفاع عن مصر، وحينما التئم المجلس نهض تقي الدين[٢] بن أخي صلاح الدين وخطب قائلا: إن مصلحة الدولة تقتضي أن نقاوم نور الدين محمود فيما إذا توجه إلى هذه الناحية بجيوش لا قبل له بها، لكي لا ندع له مجالاً في التدخل في شئون هذه المملكة. فضاق نجم الدين أيوب ذرعاً من كلام حفيده هذا، فشتمه ووجه إليه قارص الكلم وأنكر عليه هذا الرأي، ثم وجه كلامه إلى صلاح الدين قائلا: "إني والدك وهذا خالك شهاب الدين، ومع كوننا أكثر حباً لك وأشد عطفاً عليك من هؤلاء

١- أنظر مرآة الجنان للإمام اليافعي. (المترجم)

٢- هو الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، وله أخ يدعى فرخشاه. (المترجم)

الحاضـرين كلـهم، فاننـا إذا مـا واجهنـا نـور الـدين لا يسـعنا إلا أن نلـثم سـدته السـنية كما كنـا نفعل مخلصـين لـه الطاعـة، وإذا أمـر بضـرب رقابنـا فـلا بـد أن نسلمها إليه طائعين مختارين، فإذا كان حال والدك وخالك هكذا فماذا تظـن في هؤلاء الأمراء وأركان الدولة، فالبلاد بلاد نور الدين ونحـن في الحقيقـة مماليكه وعبيده المخلصون، فـإذا شـاء أن يقيلنـا مـن مناصبنا فسمعاً وطاعـة، فـأرى مـن المصلحة الآن أن نرفع إلى نور الدين عريضة نضمنها ما يأتي: "بلغني أن الخاطر الهمـايوني قـد اسـتقر رأيـه علـى توجيـه جيشـه الظـافر إلى هـذه الـبلاد لاستخلاصـها، في حـين أن لا حاجـة إلى هـذا العمـل وتجشـم متاعـب السـفر لتنفيذه لأني لم أحد قط عن جادة العبودية وإني ملازم لعتبات سـرير السـلطنة، وإني أقبل كل حكم عادل تصدرونه. نظم[1] :

معناه: كل مـا تصـدره مـن الأحكـام فـاني خاضـع لـه، وكل مـا تـأمر بـه مـن الأعمـال فـاني فاعلها وخادمها. هـذا وإذا كـان شـيء مـن الكـدورة مـني قـد علـق بالضمير السلطاني الأنور، فالمناسب والأحرى أن ترسل أحد مماليكك الخاصـة إلى مصر ليضـع في عنقـي الغـل بيـده، ويـأتي بـي الـدرگاه الـذي هـو ملجـأ الـدنيا شعر[2] :

معناه: ماذا يعمل العبد إذا لم يخضع للأمر.

وما كان من صلاح الدين إلا أن أصغى كل الإصـغاء لنصـائح والـده، وأذعـن لها وتقبلها بكل سرور وارتيـاح، فـانفض المجلس وتفرقت الجماعـة إلى منـازلهم. ثـم اختلـى نجـم الـدين أيـوب بابنـه وقـال لـه: إنـك لا تـزال شـاباً لـيس لـه تجـارب كافية تبصره بالأمور ليتميز بها الصالح من الطالح وحسن التدبير من سـوئه. ألا تعلـم أن هـؤلاء الجماعـة يطلعـون علـى مـا في ضـميرك ويقفـون علـى نوايـاك، فيبلغونهـا أول بـأول إلى نـور الـدين قـائلين لـه: إنـك تريـد أن تقـاوم وتحـول دون دخوله مصر، ولا شك في أن هذا الكلام سيحمل نور الدين علـى أن يبـذل جميـع جهـوده في هـذا السـبيل، فيحشـد جيشـي الموصـل والشـام كليهمـا لإخراجنـا مـن مصـر مهما كلفه هذا الأمر، في حين انه إذا سمع ما ذكـر في المجلس مـن الأقـوال فيعـرف إنـا طـائعون لـه ومنقـادون، فيفكـر في أشـياء أخـرى أهـم. وهكـذا نكـون فارغي البال من قضيته.

١- بهرچه حكم كنى بنده ايم فرمانبر　　　بهرچه أمر كنى چا كريم وخد متكار

٢- چه كند بنده كه گردن ننهد فرمانرا.

وفي الواقع أن هذا التدبير قد وافق التقدير الإلهي؛ إذ ما وصلت عريضة صلاح الدين إلى مقام نور الدين، وقد جاءت نتيجة للاجتماع الذي تم مع أفراد أسرته، وكان قد بلغه ما دار في المجلس حتى أظهر العطف عليه والمودة له، ورأى الصواب في أن يتركه في مصر وشأنه وألا يعكر عليه صفوه.

وفي سنة (٥٦٨هـ= ١١٧٢م) سقط نجم الدين أيوب عن جواده والتزم الفراش عدة أيام مريضاً ثم مات، فقام نجله العظيم على نهج السنة بتجهيزه وتكفينه ودفنه في مكان يليق به، وقام بما ينبغي في الجلوس للعزاء. هذا وقد خلف نجم الدين أيوب ستة من الأولاد الذكور هم: صلاح الدين يوسف، وسيف الدين محمد أبو بكر، وشمس الدولة تورانشاه، وسيف الإسلام طغرلتكين (طغتكين)، وشهنشهاه، وتاج الملوك بورى.

ولما توفي نور الدين محمود في (سنة ٥٦٩هـ= ١١٧٣م)، تم لصلاح الدين الاستقلال التام بالبلاد المصرية، ولم يمض كبير وقت على ذلك إلا وأضاف إلى ملكه بلاد الشام أيضاً، فنشر ألوية العدالة وبسط رواق السلام على سكان هذه البلاد. ثم انتزع مدينتي: القدس، وخليل الرحمن من أيدي غاصبيها النصارى (الإفرنج) كما أنه كلف ابن أخيه قراقوش[1] بفتح بعض من البلاد المغربية، فزحف قراقوش بجيش لجب إلى تلك الجهات وانتزع بلدة طرابلس من أيدي الإفرنج؛ وكانوا مستولين عليها. وفي الوقت الذي كانت شمس طالع صلاح الدين ساطعة تنير الآفاق، جاءت الأنباء السارة إليه بأن أخاه شمس الدولة تورانشاه، قد سطعت شمسه أيضاً في أفق مملكة اليمن حيث هزم الزنديق المتغلب على تلك البلاد المدعو عبد النبي الذي قتل في المعارك التي نشبت بينهما. وسبق القول إن أكثر بلاد الشام مع بلدة دمشق قد سقطت في أيدي رجال صلاح الدين في سنة (٥٧٠هـ=١١٧٤م)، وأصبحت خالصة له، وأن الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود قد اكتفى بحكومة حلب فقط. هذا وقد صدر أمر صلاح الدين في سنة (٥٧٢هـ=١١٧٦م) بإنشاء سور كبير طوله تسعة وعشرون ألفاً وثلاثمائة ذراع حول مصر والقاهرة مبتدأً من ناحية الصحارى؛ فحشدوا لذلك البنائين والعمال من جميع الجهات، وأخذوا يشتغلون ليل نهار لآخر حياة صلاح الدين.

١- هو مملوكه وليس ابن أخيه فليبحث. ذهب في معية فرخشاه ابن أخي صلاح الدين، لفتح المغرب. (المترجم)

وفي سنة (٥٧٣هـ=١١٧٧م) زحف صلاح الدين إلى عسقلان، وأغار على ما حوله من القرى فغنم أموالاً كثيرة من النصارى الإفرنج، ثم عطف عنان همته نحو الرملة، فإذا بجيش من الإفرنج يصل إلى تلك الجهات بغتة، فنشب القتال بكل سرعة وشدة، وأسفرت المعركة عن اندحار المسلمين، واستشهد كثير من جنود صلاح الدين، وفي مقدمتهم ابن تقي الدين، الذي كان حفيد أخي[1] صلاح الدين، وكان إذ ذاك يبلغ من العمر عشرين سنة فقط، وقد نجا صلاح الدين من هذه الورطة بإعجوبة، ووصل القاهرة منهزماً في حالة يرثى لها، وتوجه النصارى بعد هذه المعركة نحو حماة وحاصروها أربعة شهور.

وفي أواخر سنة (٥٧٣هـ=١١٧٨م) دخلت قلعة حلب في طاعة صلاح الدين سلماً من غير تعب ولا إراقة دماء. فعيّن ابنه الملك الظاهر حاكماً لتلك الولاية الكبيرة.

وفي سنة (٥٧٤هـ=١١٧٨م) نهض فرخشاه[2] ابن أخي صلاح الدين وكان نائبه بدمشق لمقاتلة جيش من الإفرنج الذين كانوا يهاجمون دمشق، فألحق بهم هزيمة منكرة على أبوابها وقتل قائدهم، فولوا الأدبار منهزمين. وفي هذه السنة توفي إلى رحمة الله شهاب الدين خال صلاح الدين، وكان قائماً بحكومة حماة وتعين بدله الملك المظفر تقي الدين عمر بن شهنشاه بن نجم الدين أيوب الذي حكم حماة حتى سنة (٥٧٧هـ=١١٨١م) حيث توفي، وفي سنة (٥٧٦هـ=١١٨٠م) توفي شمس الدولة تورانشاه ابن نجم الدين أيوب فاتح اليمن بالسيف في الاسكندرية، وكان قد وفد إليها . ونقلت رفاته إلى الشام، ودفنت في المدرسة التي كانت قد بنتها أخته بظاهر دمشق. وأسندت حكومة اليمن بعده إلى أخي صلاح الدين الآخر، وهو سيف الإسلام (طغتكين).

هذا وفي يوم الجمعة من أيام ربيع الأول سنة (٥٨٣هـ=١١٨٧م) حصل المصاف بين صلاح الدين وبين الإفرنج الملاعين في سهول الطبرية، فجرت رحى معارك دامية بين الطرفين أسفرت أخيراً عن انتصار المسلمين بإذن الله تعالى، وببركة سيد المرسلين، فوقع زعيم النصارى في الأسر بعد مقتلة عظيمة من جنوده، وما ضيع صلاح الدين الفرصة، فواصل الزحف إلى عكا فانتزعها من النصارى، وأطلق سراح أربعة آلاف أسير مسلم، كانوا بها، ثم واصل الزحف على هذا المنوال، حتى حرر كثيراً البلدان والقلاع، مثل: نابلس، وحيفا، وقيسارية،

١- شهنشاه بن نجم الدين أيوب. المترجم

٢- هو أخو تقي الدين عمر وهما ابنا شهنشاه أخي صلاح الدين. المترجم

والناصرة، وعسقلان. وبعد ردح من الزمن أعد جيشاً زحف به على القدس، ونزل في جانبها الغربي. ثم عدل عن ذلك بعد عدة أيام، وانتقل إلى الجانب الشرقي فحاصرها، وبدأ القتال، وكانت مدينة القدس حينذاك يقطنها ستون ألف مسيحي، فشمروا أيضاً عن ساعد الجد والاجتهاد في الدفاع عنها ضد المسلمين غير أن الأحوال، قد تطورت تطوراً كبيراً، فما حل يوم الجمعة الموافق للسابع والعشرين من رجب سنة (٥٨٣هـ=١١٨٧م)، حتى ضيق صلاح الدين الخناق على المحصورين تضييقاً شديداً بضرب القلعة والمدينة بالمنجنيقات، فنادوا بالأمان والصلح، فأمنهم صلاح الدين على ألا يقتلوا ولا يؤسروا، ودخل المسلمون المدينة وكسروا الصليب الذي كان النصارى قد رفعوه على قبة الصخرة في المسجد الأقصى، ثم بادروا إلى أداء فريضة الجمعة في نفس اليوم في المسجد، فارتفعت أصوات التكبير والتهليل من الفقير والكبير إلى عنان السماء. وهكذا رُدت البضاعة إلى أهلها، وقد كانت تحت حكم الإفرنج ابتداءً من سنة (٤٩٢هـ=١٠٩٨م)[1] حتى هذه السنة، وأمضيت شروط الصلح بين صلاح الدين والإفرنج الملعونين في ذلك اليوم المشهود على المنوال الآتي:

يدفع كل رجل من الكفار عشرين ديناراً، وكل امرأة خمسة دنانير إلى المسلمين، وعن كل طفل من الأطفال دينار واحد، وكل من لا يستطيع أن يدفع ما هو مفروض عليه من الفدية يكون أسيراً في أيدي المسلمين؛ ولقد وزع صلاح الدين هذه الأموال التي أخذها من النصارى على الجنود والعلماء والزهاد. ثم توجه نحو قلعة صور، ولما كانت أسوار هذه القلعة غاية في المناعة، وان الجنود قد أخذوا يضجون بالشكوى من شدة البرد وهطول الأمطار، وافق صلاح الدين بناء على رأي أهل المشورة على العدول عن مواصلة الحصار، واتجه مسرعاً نحو بلدة طرسوس حيث استولى عليها عنوة، وغنم منها أموالاً كثيرة وأسر من النصارى أسرى عديدين. ثم احرق المدينة وواصل السير وأخذ يستولي على البلاد بلدة فبلدة، حتى وصل إلى ظاهر قلعة البرزية التي كانت الأمثال تُضرب بحصانتها ومتانتها؛ إذ كان ارتفاعها مع أسوارها أكثر من سبعين وخمسمائة ذراع، فاستولى عليها بالسيوف والسهام. وبعد ذلك بادر صلاح الدين إلى ناحية انطاكية وعقد معهم الصلح حيث مالوا إليه، وأطلقوا سراح جميع أسرى المسلمين بها .

---

١ - في الأصل – ٤٧٢ .

ثم عطف عنان سيره من انطاكية نحو حلب بناء على التماس نجله الملك الظاهر، حيث قام بما في وسعه من الاحتفاء بوالده العظيم وإكرام وفادته مدة ثلاثة أيام التي أمضاها بها. وبعد ذلك غادر حلب إلى حماة حيث قام حاكمها تقي الدين بما يلزم للضيف العظيم من الإكرام، فتعطف صلاح الدين على ابن أخيه هذا، وأضاف إلى مقاطعته بلدة (جبلة) مع بضع قصبات أخرى. ثم توجه صلاح الدين إلى دمشق واستراح فيها بضعة أيام؛ وقام بالزحف إلى بلدة صفد وافتتحها صلحاً، مما أدى إلى فتح: كرك، وكوكب، صلحاً أيضاً. ثم توجه إلى القدس وصلى صلاة عيد الأضحى في ذلك المكان المقدس، وبعد ذلك قصد إلى عسقلان؛ وأخذها من أخيه الملك العادل وعوضه عن ذلك بمقاطعة كرك. ولما بلغ عكا أمر بعمارة سورها الخرب وتجديده. ثم توجه نحو قلعة الشقيف التي كانت من أقوى وأمتن الحصون في تلك الجهات، فباشر حصارها بنفسه الشريفة. ولما رأى حاكم القلعة؛ وكان من أهل الرأي والعقل بين الإفرنج، أن بوادر النصر والظفر تلوح في جانب المسلمين، خرج من القلعة وحيداً وتقدّم نحو حضرة السلطان مستسلماً فأدناه السلطان إليه وأولاه عطفه؛ وحيث إن الضيف العزيز كان يعرف اللغة العربية ويتقنها فقد عرض على الحضرة السلطانية بنفسه ما يريد عرضه؛ قائلاً: إن الغرض من مضايقتي هذه للسدة السنية هو أن أتشرف بصدور أوامركم الكريمة بالسماح لي ولأسرتي بالإقامة بدمشق، وإجراء رواتب سنوية على ما يكفيني من الديوان السلطاني من الذهب والغلات، فإذا نال التماسي هذا القبول فإني أسلم القلعة حالاً لرجال السلطان.

فأجاب السلطان التماسه وعاد حاكم شقيف إلى قلعته، وقد أبطل الجيش الإسلامي القتال ورفع الحصار منتظراً عقد شروط الصلح، وبعد بضعة أيام تبيّن لكل ذي عينين أن ذلك الكافر كان يرمي بعمله هذا إلى الخدعة والحيلة، بأن يوقف الضغط على القلعة؛ حتى يتمكن من إصلاح أسوارها وتجديد أبراجها؛ وان يشحنها بالذخائر. ولا شك في أن السلطان قد غضب لهذا الفعل المنكر غضباً شديداً، وأمر جيشه المظفر بضرب نطاق الحصار على القلعة مرة أخرى، فشرع المسلمون من جديد يحاصرون القلعة وذلك بتهيئة أسباب النزال وأدوات الحصار وآلاته، وبينما هم كذلك إذ وصل الخبر بأن جموعاً كثيرة وحشوداً كبيرة من جيوش الصليبيين قد وصلت إلى ميناء عكا، وأخذت في محاصرة القلعة، وان الملك العادل قد رضي وقبل إزاء هذا الحادث الخطير أن يعقد الصلح مع كفار شقيف على الشروط الآتية؛ أن يسلم البلدة أي عكا مع

جميع السلاح والعتاد والمراكب التي فيها، ومائتي ألف دينار ذهب إليهم، وأن يطلق سبيل مائة من أعيان أسراهم وخمسمائة من مجاهيلهم، في نظير أن يسمح الكفار بخروج المسلمين من البلدة بأمان وسلام.

ولقد تأثر السلطان من سماع هذا الكلام أيما تأثر، وأنكر مثل هذا الصلح إنكاراً بليغاً، وقد أمر عند ذلك باتفاق آراء التدبير والمشورة، ترك حصار شقيف، وأمر بتخريب عسقلان خشية أن يسبق الإفرنج فيستولون عليها، ويستغلون الغنائم والأموال الكثيرة التي فيها لاسترداد القدس، والاستيلاء عليها. فبادر الملك الأفضل من أنجال صلاح الدين وحاكم دمشق من قبله إلى القيام بهذه المهمة حيث أمر أهالي عسقلان كلهم بالجلاء والتفرق في سائر بلاد الشام؛ مما أحزن الخاص والعام من أهالي البلدة المنكودة الحظ، وشرعوا في بيع ما لا يمكن نقله من السلع بأثمان رخيصة جداً، فكان يعرض للبيع ما يساوي عشرة دراهم بدرهم واحد وليس من يشتري، وقد ورد، في تاريخ مرآة الجنان[1]، أن عسقلانياً باع اثنتي عشرة دجاجة بدرهم واحد، وقس الباقي على ذلك.

والخلاصة أن جمعاً كثيراً من الأهالي والجنود اشتغل بتخريب هذه البلدة من ٢٠ شعبان حتى غرة رمضان. ثم اشتعلوا فيها النار فأتت على بيوتها كلها، كما فعلوا مثل ذلك في بلدة اللد، وقلعة الرملة. وفي أثناء ذلك ورد الخبر من الملك العادل بأن الإفرنج راضون بعقد الصلح معهم إذا تركنا لهم البلاد الساحلية؛ ويتعهدون بعدم التعرض لبلاد الإسلام بعد ذلك، فوافق صلاح الدين على هذا العرض وأجاز للملك العادل عقد الصلح، فعقدت معاهدة بين المسلمين والإفرنج على هذا الأساس، وتأكدت بالمواثيق والإيمان الغلاظ، وشرع التجار من الطرفين في التردد على الأسواق، وعلى هذا سمح السلطان لنجله الملك الأفضل وجيشه بالعودة إلى بلادهم للراحة، كما توجه هو بنفسه النفيسة إلى بيت المقدس، وأقام به فترة. ثم توجه إلى دمشق عاصمة الملك فوصلها في اليوم السابع والعشرين من شوال سنة (٥٨٨هـ= ١١٩٢م) وقد اجتمع بها جميع أنجاله مع سائر عماله وقواده في خدمته الشريفة مسرورين فرحين. وفي يوم الجمعة الموافق للخامس عشر من صفر سنة (٥٨٩هـ=١١٩٣م) ركب السلطان وخرج ليستقبل الحجاج بنفسه الكريمة، فعاد من هذه المقابلة الكريمة محموماً مصاباً

١- للإمام اليافعي كما تقدم. المترجم

بالحمى المحرقة، وتوفي إلى رحمة الله في اليوم السابع والعشرين من الشهر المذكور، فعم الحزن الناس، واشتدت المصيبة على الخلق من الخاص والعام جميعاً، رحمه الله، فاجتمع خلق كثير في جنازته، وعلا صراخهم حينما وقع نظرهم على مشهده المهيب. فقد كان صلاح الدين سلطاناً عادلاً، وملكاً شجاعاً هماماً، وكان يحب العلماء والأدباء ويقربهم من مجالسه ويجالسهم، ويغدق عليهم من نعمه وآلائه. وكان طوال حكمه لمصر زاهداً عفيفاً متجنباً الآثام والمناهي مهما صغرت. وفي عهده الزاهر نهضت مصر والشام نهضة عظيمة؛ إذ أنشأ كثيراً من المؤسسات الخيرية، وأوقف عليها كثيراً من المستغلات والمزروعات. وهاك بياناً ببعض تلك العمارات والأبنية الخيرية العامة:

- مدرسة بالقرافة الكبرى والصغرى بجوار قبر الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه.

- مدرسة القاهرة المعزّية بجوار الضريح المنسوب إلى سيدنا الإمام الحسين رضي الله تعالى عنه في الدارين.

- خانقاه في مكان سراي سعيد السعداء الذي كان من خلفاء الشيعة الاسماعيلية[1].

- المدرسة الحنفية بناها في مكان قصر لعباس بن السلار.

- المدرسة الشافعية وهي معروفة بمصر بزين التجار.

- المدرسة المالكية في القاهرة المعزّية.

- ودار الشفاء في داخل قصره.

- مدرسة وخانقاه أسسهما وأكملهما في قدس الخليل.

هذا ويقال: إن سخاء صلاح الدين كان في درجة لا يتصورها العقل؛ إذ لم يجدوا يوم رحيله والتحاقه بالرفيق الأعلى في تركته سوى سبعة وأربعين درهماً من الفضة، مع تلك البسطة من السلطان والنفوذ واتساع المملكة والبلدان، والعلم عند الله.

١- هم الفاطميون الذي تولوا الحكم أولاً في المغرب ثم في مصر سنة (٢٩٧هـ=٩٠٩م) و (٥٦٧هـ=١١٧١م) سموا بلقب الإسماعيليين الذين هم إحدى فرق الشيعة التي تقول بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق. المترجم

أبو الفتح عثمان بن صلاح الدين يوسف

كان صلاح الدين قد أقطع مصر في حياته لنجله الأكبر عثمان ولقبه الملك العزيز. فلما وصل خبر وفاة صلاح الدين إلى عزيز مصر بادر إلى تسلم عرشها، وأخذ البيعة من جديد لنفسه من أكابر وأشراف البلد، ولما تم له ما أراد أسرع إلى الزحف إلى الشام قاصداً قتال أخيه الملك الأفضل، وكان يعضده في ذلك عمه الملك العادل، حيث تمكنا من انتزاع الشام من صاحبها بعد أن زحفا عليها ثلاث مرات وحاصراها وضيّقا الحصار حتى سلمت لهما دمشق في شهر رجب سنة (٥٩٢هـ=١١٩٦م) ولاذ الملك الأفضل بالفرار. وقد عاد العزيز عثمان إلى مصر بعد أن سلم سلطنة دمشق إلى عمه الملك العادل.

وفي سنة (٥٩٣هـ=١١٩٧م) توفي إلى رحمة الله سيف الإسلام طغرلتكن[1] بن نجم الدين أيوب، الذي كان حاكم اليمن. فتولى الحكم بعده باليمن ابنه فتح الدين إسماعيل الشهير بالملك المعز.

هذا وقد لحق الملك العزيز بالرفيق الأعلى سنة (٥٩٥هـ=١١٩٨م) بمصر وكان شاباً في غاية النباهة والحلم والحياء وعلى جانب عظيم من العفة والسخاء، وبعد وفاة هذا الملك انقسم الأيوبيون في مصر إلى شطرين: اتفق الفريق الأول منهم على تولية ابن الملك العزيز المسمى (علي) والملقب بالمنصور. وأرسل الفريق الآخر وراء الملك الأفضل يدعونه إلى مصر باذلين له الطاعة.

ذكر سلطنة الملك الأفضل بن صلاح الدين يوسف

غير خاف أن الفضل كان حاكم دمشق في حياة والده؛ كما سبق القول في ذلك، وأن أخاه الملك العزيز اتفق مع عمهما الملك العادل، فجردا عليه الجيوش ثلاث مرات بعد وفاة صلاح الدين حتى انتزعا منه الشام وعوضاه عنها بقلعة[2] صرخد التي لبث فيها إلى أن توفي الملك العزيز، فأسرع إلى مصر وتولى الحكم بها فترة من الزمن؛ بيد أن عمه الملك العادل حضر بجيوش جرارة قوية

---

١ – هو الملك العزيز سيف الإسلام أبو الفوارس طغتكين بن نجم الدين أيوب بن شاذي الكردي، توفي بمدينة المنصورة التي بناها في اليمن أيام حكمه بها. المترجم

٢ – قلعة قديمة بين حوران وجبل الدروز بالشام. وهي الآن قلعة صغيرة. المترجم

إلى مصر ونزع ملكها منه وعوضه بقلعة شميشاط[1] فذهب الملك الأفضل إلى هذه القلعة، وقضى بقية أيام عمره فيها إلى أن انتقل إلى جوار ربه سنة(٦٢٢هـ=١٢٢٥م). ولقد جاء في تاريخ اليافعي أن الملك الأفضل كان في غاية من الفضل والأدب وكان قد أخذ علوم الحديث من علماء زمانه، وأجاد الخط حتى اشتهر به، وكان يحب العلم والعلماء ويقربهم ويبالغ في إكرامهم، ولا يحيد عن قواعد العدل والنّصفة قط. وبالجملة فقد كان كريماً عادلاً سخياً فاضلاً، له باع طويل في الإنشاء والترسل،وكذلك كان يجيد قرض الشعر، فمن ذلك أنه حينما اتفق أخوه العزيز الذي كان اسمه عثمان وعمه العادل الذي كان اسمه أبا بكر فانتزعا سلطنة دمشق منه، نظم الأبيات الأتية وأرسلها إلى الخليفة الناصر لدين الله[2] :

مولاي إن أبا بكر وصاحبه عثمان قد غصبا بالسيف حق علي

وهو الملك الذي ولاّه والده[3] عليهما فاستقام الأمر حين ولي

فخالفاه وحلاّ عقد بيعته والأمر بينهما والنصّ فيه جلي

فانظر إلى حظ هذا الاسم كيف لقى من الأواخر ما لاقى من الأول

فأجابه الخليفة الناصر لدين الله بهذه الأبيات الثلاثة:

وافى كتابك يا بن يوسف معلناً بالود يخبر أن أصلك طاهر

غصبوا علياً حقه إذ لم يكن بعد النبي له بيثرب ناصر

فاتبشر فإن غداً عليه حسابهم واصبر فناصرك الإمام الناصر

وكان وزير الملك الأفضل نصر الله بن أبي الكرم ضياء الدين محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري، مشتهراً بابن الأثير الجزري كأخويه عز الدين علي، ومجد الدين أبي السعادات، وكان ابن الأثير الوزير هذا رئيس فضلاء زمانه، وزعيم علماء عهده، حيث كان من المهارة في فنّ الإنشاء وتحبير الرسائل

---

١ - قلعة قديمة على نهر الفرات في شمال الرها وجنوب حصن منصور في كردستان تركيا، واسمها الآن (صاماد). المترجم

٢ - هو الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء الرابع والثلاثون من الخلفاء العباسيين ببغداد (٥٧٥-٦٢١هـ).

٣ - وهو الملك الذي ولاه والده.

فوق ما يتصور. ولد في الجزيرة العمرية ونشأ فيها حيث حفظ القرآن الكريم في أوائل أيام الصبا، ويقال إن ذاكرته كانت في غاية من القوة حتى إنه حفظ ديواني المتنبي والبحتري عن ظهر قلبه في مقتبل عمره. وجاء في تاريخ اليافعي، نقلاً عن ابن خلكان، أن ابن الأثير هذا بعد أن اكتسب العلوم ونال الفضائل، التحق ببلاط السلطان صلاح الدين الذي شمله بعطفه، فأسند إليه منصب وزارة نجله الملك الأفضل. فقام بأعباء هذا المنصب في استقلال وحرية إلى أن استولى الملكان العزيز والعادل على الشام، وانتزعا دمشق من الملك الأفضل؛ فساور الوزير القلق من ذينك العزيزين واختفى في المدينة حتى تمكن أحد حجاب الملك من وضعه في صندوق وقفله، ثم حمله على جمل والخروج به من دمشق إلى مصر حيث قام فيها بأعباء منصب الوزارة أيضاً لنجل العزيز.

ولما استولى الملك العادل على مصر هرب ابن الأثير منها إلى حلب وخدم بها الملك الظاهر مدة، ثم توجه منها إلى الموصل، ومنها إلى سنجار، ثم عاد إلى الموصل، وقضى بها آخر أيامه. ومن مؤلفاته الدالة على فضله وأدبه كتابه: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، وهو كتاب ضمنه الآداب والقواعد التي لا يستغني عنها الشعراء والكتاب والمنشئون. وله أيضاً كتاب: الوشي المرقوم في حل المنظوم.، وكتاب المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء. توفي إلى رحمة الله سنة (٦٣٧هـ=١٢٣٩م)، وكان أصغر من أخويه عز الدين علي، ومجد الدين أبو السعادات.

ذكر سلطنة الملك العادل بن نجم الدين أيوب

ورد في تاريخ اليافعي أن الملك العادل، كان في غاية من كمال العقل، وحسن التدبير، فلذا كان صلاح الدين يستشيره في الملمات والأحداث الطارئة، وكان فضلاً عن ذلك ميالاً إلى العبادة والزهد صائماً بالنهار وقائماً بالليل. وكان في عهد أخيه صلاح الدين قائماً بأعباء الحكم في بعض المقاطعات مثل عكا، والكرك، واستولى على الشام ومصر بعد وفاة ابن أخيه الملك العزيز، حيث بعث بابن الملك العزيز المسمى علي والملقب بالمنصور إلى الرها، ووضع شئون مصر في أيدي نجله الملك الكامل محمد، وأعطى حكومة دمشق لابنه الآخر الملك المعظم، كما فوض أمور حكومة الجزيرة إلى نجله الملك الأشرف، ثم أقطع إيالة أخلاط إلى نجله الرابع الملك الأوحد المسمى أيوب، وأقام هو بمصر متفرغاً لشئون السلطنة العظمى والدفاع عن حياض الإسلام.

هذا وما حلت سنة (٥٩٨هـ=١٢٠٢م) حتى قتل في شهر رجب منها الملك المعز إسماعيل بن سيف الإسلام طغتكن بن نجم الدين أيوب بأيدي أمرائه في زبيد؛ إذ كان قد أسرف في الظلم والجور والانغماس في الشهوات، فادّعى أنه من نسل الأمويين. وقد تولى مكانه ابنه الملك الناصر وهو صغير السن. وكان من جملة الأفاضل المعاصرين للملك المعز هذا أبو الغنائم مسلم بن محمود الشيرازي الذي صنف كتابه: عجائب الأسفار وغرائب الأخبار، باسمه.

وفي سنة (٦٠٩هـ=١٢١٢م) توفي إلى رحمة الله الملك الأوحد أيوب ابن الملك العادل، الذي كان يحكم (خلاط) بالظلم والجبروت وسفك الدماء، فانتقلت الحكومة إلى أخيه الآخر الملك الأشرف. وفي سنة (٦١٢هـ=١٢١٥م) أسند الملك العادل حكومة اليمن إلى حفيده الملك مسعود بن الملك الكامل وبعثه إلى اليمن. ولما وصل الملك المسعود إلى حدود هذه المملكة قابله أهلها من الأعيان والأشراف بالترحاب والطاعة، وسلموا له مقاليد الحكومة واعتبروه في اليمن عنوان اليُمن والسعادة.

وفي سنة (٦١٥هـ=١٢١٨م) التحق الملك العادل بالرفيق الأعلى تاركاً على صفحة الوجود خمس عشرة من الأولاد الذكور، توصل منهم الخمسة السعداء إلى عرش السلطنة وهم: الكامل، والمعظم، والأشرف، والصالح، وشهاب الدين غازي.

ذكر الملك الأشرف موسى بن الملك العادل

كان الملك الأشرف المسمى موسى قائماً بالحكم في مدينة الرها (أورفا) في حياة والده الملك العادل، ثم أضيف إليه إيالة حران. ولما توفي الملك الأوحد امتد سلطان الملك الأشرف إلى أخلاط أيضاً. وفي سنة (٦٢٥هـ=١٢٢٧م) لما توفي الملك المعظم شرف الدين عيسى الذي كان قد رفع راية السلطنة في دمشق عالياً، تولى مكانه نجله الملك الناصر المسمى داود.

وفي سنة (٦٢٦هـ=١٢٢٨ و١٢٢٩م) حينما زحف الملك الكامل من مصر إلى دمشق لنزعها من يد صاحبها، بادر الملك الأشرف إلى تعضيد أخيه هذا، فاضطر الملك الناصر داود إلى طلب الصلح والسلام، وتبودلت الرسائل والرسل بين الطرفين، حتى استقر الأمر على أن يكتفي الملك الناصر بحكومة الشوبك، ونابلس، والكرك، وأن يجلس الملك الأشرف على عرش دمشق، ويتنازل عن

حران، والرها، والرقة، ورأس العين، للملك الكامل. ولما تم تنفيذ هذه الشروط عاد الملك الكامل إلى مصر. فتسلم عرش دمشق الملك الأشرف، وأخذ يستميل قلوب الجيش ورجاله، وأعيان البلاد وجمهور الرعية من الشعب بحكمه العادل وإدارته الحازمة؛ إذ كان ملكاً عادلاً حازماً حليماً كريماً محباً للخير، ناشراً للعلم والفضل بتقريب ذويهما له، وبإنشاء الدور والمؤسسات لهم. فمن ذلك دار الحديث التي بناها بدمشق للمحدث الشهير الشيخ أبي عمرو عثمان الشهير بابن الصلاح. وكانت ولادة الملك الأشرف رحمه الله سنة (٥٧٠هـ=١١٧٤م) ووفاته في سنة (٦٣٥هـ=١٢٣٧م) حيث بادر أمراء جيشه وأركان دولته إذ ذاك إلى دفنه في قلعة دمشق أولاً، وبعد مدة نقلوا رفاته إلى العمارة التي كان بناها بجوار المسجد الجامع بدمشق.

ذكر الملك الكامل محمد بن الملك العادل

كان الملك الكامل متصفاً بجلالة القدر ونباهة الشأن، ومعروفاً بنشر رايات العدل والإحسان، كما أنه كان مشهوراً بين الخلائق برقة الطبع، والسمعة الطيبة وحسن التدبير، متمسكاً بالسنة السنية النبوية، محباً لمن يعمل على تقوية الأواصر بين الشعوب الإسلامية، ومقرباً لهم، فكان مجلسه عامراً كل ليلة جمعة بالعلماء والفضلاء، يباحثهم بنفسه في العلوم ويناقشهم في الفنون. وفي عهده الزاهر وضع أساس دار الحديث في القاهرة المعزية، وكانت في غاية من السمعة والفسحة، ثم بنى قبة عالية على ضريح الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه وأتمها.

هذا وكان الملك الكامل في عهد والده العظيم قائماً بشئون حكومة مصر، فكان الحل والعقد والفتق والرتق في يده، ولما توفي والده الملك العادل في سنة (٦١٥هـ=١٢١٨م) استقل بالحكم، ثم مد سلطانه في مدة وجيزة إلى الحجاز والشام واليمن؛ فلذا كان الخطباء في جوامع هذه البلدان كلها يدعون باسمه الكريم فيقولون: صاحب مكة وعبيدها، واليمن وزبيدها، ومصر وصعيدها، والشام وصناديدها، والجزيرة ووليدها، وسلطان القبلتين ورب العلامتين، وخادم الحرمين الشريفين، ناصر الدين خليل[1] ولي أمير المؤمنين.

١- كذا في النسختين المطبوعتين يوجد لفظ(ولي)بين القوسين تفسيراً لخليل بخلاف النسخ الخطية الأخرى. المترجم

وكانت وفاة الملك الكامل في أواخر يوم الأربعاء الحادي والعشرين من شهر رجب سنة (٦٣٥هـ=١٢٣٨م) في قلعة دمشق بالغاً من العمر حوالي أربعين سنة.

القول في ذكر وفيات سلاطين مصر والشام واليمن

جاء في تاريخ اليافعي أن الملك المسعود يوسف بن الملك الكامل الذي كان قد زحف بأمر من جده إلى اليمن على رأس حملة عسكرية في سنة (٦١٢هـ=١٢١٥م) واستولى عليها ثم مد سلطانه إلى بلاد الحجاز فصار يحكمها، قد توفي إلى رحمة الله في مكة المكرمة سنة (٦٢٦هـ= ١٢٢٨و ١٢٢٩م)، وقد أوصى في مرض موته بأن لا يصرف على تجهيزه وتكفينه من أمواله الخاصة، وأن تسلّم جثته إلى الشيخ صديق، وكان من أعاظم صلحاء عصره ليصرف على تجهيزها من الوجه الحلال حسب السنة النبوية على أبسط صورة، فقام الأمراء وأركان الدولة بتنفيذ وصيته، وبادر الشيخ صديق المذكور إلى تكفين هذا الملك المؤمن بالرداء والإزار اللذين كان قد حج واعتمر بهما، ودفنه في مقبرة المسلمين العامة وكتبوا على قبره حسب وصيته ما يأتي:

هذا قبر الفقير المحتاج إلى رحمة الله تعالى: يوسف بن محمد بن أبي بكر بن أيوب. ولما وصل مصر خبر نعي الملك المسعود، اشتد الغم والأسى على الملك الكامل وجلس للعزاء. وفي سنة (٦٣٢هـ=١٢٣٤م) توفي إلى رحمة الله الخادم (صواب) الذي كان يتولى منصب مقدم جيش الملك الكامل، وكان يضرب المثل بشجاعته تاركاً وراءه مائة غلام مدربين مهذبين، وصل البعض منهم إلى مرتبة الإمارة. وتوفي في نفس السنة الملك الزاهر بن السلطان صلاح الدين يوسف، المكنى بأبي سليمان، والمسمى داود في قلعة بيره[1] حيث كان حاكماً بها. وتولى مكانه ابن أخيه الملك العزيز بن الملك الظاهر. وفي سنة (٦٣٣هـ=١٢٣٥م) توفي إلى رحمة الله الملك محسن بن صلاح الدين، وكان عالماً بالحديث والسنة، وسائر العلوم العقلية والنقلية، وفي غاية من التواضع والزهد والحلم. وفي سنة (٦٣٤هـ=١٢٣٦م) توفي إلى رحمة الله في حلب الملك غياث الدين محمد بن الملك الظاهر بن صلاح الدين يوسف. وكان رحمه الله حينما تولى الحكم بعد وفاة والده الملك الظاهر، يبلغ من العمر أربع سنين. وفي سنة (٦٣٥هـ=١٢٣٧م) توفي إلى رحمة الله الملك الأشرف في دمشق، فقام مقامه أخوه الملك الصالح

١- مدينة بيره جك الحالية على الفرات. المترجم

إسماعيل، فما كان من الملك الكامل بمصر إلا أن زحف إلى دمشق، وتحصن الملك إسماعيل في المدينة حيث ضرب الكامل نطاق الحصار عليها. وأخيراً تم الصلح والوئام بين الطرفين، ولبث الملك الكامل في دمشق شهرين يعالج أمور الدولة باليُمن والإقبال، ثم مرض ومات إلى رحمة الله، كما سبق القول في ذلك، وقد أخفي خبر موته عن الناس مدة يومين، وفي اليوم الثالث الذي كان يوم الجمعة، قام شخص قبل صعود الخطيب المنبر فقال: اللهم ارحم على الملك الكامل، وخلد ظلال سلطنة الملك العادل، فوقع هذا الكلام على الناس وقوع الصاعقة، فعجوا بالبكاء والعويل. ولقد رأى أولياء الأمور وأهل الحل والعقد أن من الحكمة والمصلحة أن يقوم في الحكم في دمشق ابن أخيه مظفر الدين يونس الملقب بالملك الجواد، نيابة عن الملك العادل ابن المغفور له الملك الكامل. وبعد ذلك أعدوا له مدفناً بجوار المسجد الجامع ونقلوا جثته من القلعة إليه.

ذكر سائر سلاطين هذه الأسرة العلية الشأن وبيان زوالها وانقراضها

ورد في تاريخ اليافعي أنه بعد وفاة الملك الكامل تولى مكانه ابنه الملك العادل في مصر، وصار الملك الجواد نائبه في دمشق، وفي سنة (٦٣٧هـ=١٢٣٩م) رأى الأمراء والأعيان في مصر أن الملك العادل، نظراً لصغر سنه، لا يستطيع أن يعالج شئون الحكم، فاستقر رأيهم على تولية أخيه الملك صالح أيوب عوضاً عنه، وعمدوا إلى وضع الملك العادل في محفة مكشوفة وإخراجه من قصر الإمارة على هذه الحال، فاجتمع حول المحفة كثير من الجنود وأرجعوه إلى القلعة وحبسوه بها. وهكذا تم الأمر لأخيه الملك الصالح أيوب بلا منازع فتفرغ لشئون الدولة يعالجها بكل حزم ولباقة. فقد بسط رواق العدل والإنصاف بين الرعية، وأخذ ينشئ المساجد والمعابد في أنحاء المملكة، حتى إذا ما فرغ من تثبيت قدميه في مصر زحف بجيش لجب إلى دمشق فعزل الملك الجواد عن حكومتها، وأعطاه إمارة الاسكندرية بدلاً عنها، وكلفه بان يحمل غاشية فرسه وهو راكب ويمشي بين يديه بضع أقدام. بيد أنه ندم لعمله غير اللائق هذا أشدّ الندم فيما بعد. ثم توجه إلى نحو بلاد الغور وطلب من عمه إسماعيل الملقب بالملك الصالح في بعلبك اللحاق به. ولكن الصالح إسماعيل لم ير من المصلحة إجابة طلب ابن

أخيه وطاعته، بل بادر إلى الاستنجاد بالمجاهد[1]، الذي كان حاكم حمص، فأرسل له نجدة تقوى بها، ودخل دمشق بغتة من طريق غير الطريق المعهودة. ولما وصلت هذه الأنباء إلى مسامع ملازمي الملك الصالح أيوب، انفضّوا من حوله وهرعوا إلى دمشق مقدمين الطاعة للملك الصالح أيوب، كما أن جمعاً من جنود الملك الناصر حاكم الكرك، هاجم الملك الصالح وقبضوا عليه وأتوا به إلى حاكمهم حيث أمر باعتقاله في قلعة الكرك. ولما وصلت أنباء هذه الأحداث العظيمة إلى مسامع الملك العادل الذي كان قد تمكن من الخروج من القلعة بمصر في غياب أخيه، وصار سلطانها المستقل، أرسل رسولاً إلى الملك الناصر يعرض عليه مائة دينار[2] في سبيل تسليم الملك الصالح إليه. فلم يقبل الملك الناصر هذا العرض، بل بايع الملك الصالح ورافقه في الزحف إلى مصر. وما أن وصلوا إلى حدود مصر حتى مال الأمراء الكاملية إلى سلطنة الملك الصالح، وقبضوا مرة أخرى على الملك العادل وحبسوه في القلعة، ثم أحضروا الملك الصالح إلى عاصمة ملكه مصر، وعاد مرافقة الملك الناصر إلى مقره في الكرك. وفي سنة (٦٣٨هـ=١٢٤٠م) ترك إسماعيل ملك دمشق قلعة الشقيف إلى كفار الإفرنج؛ لغرض في نفسه، مما أثار النقمة عليه حيث أنكر عمله هذا كل من عز الدين عبد السلام وأبي عمرو بن الحاجب من أجلة العلماء بالشام إنكاراً بليغاً. ولكن الغضب حمل إسماعيل على عزل عزالدين عبد السلام من خطابة جامع دمشق، وأن يسجنه مع رفيقه أبي عمرو بن الحاجب في القلعة. وفي سنة (٦٤١هـ=١٢٤٧م) توفي إلى رحمة الله الملك الجواد الذي كان تولى أمر دمشق بضعة أيام بعد وفاة الملك الكامل. وفي سنة (٦٤٥هـ=١٢٤٧م) انتهت أيام حياة الملك العادل ابن الملك الكامل في سجنه تاركاً وراءه ولداً واحداً يدعى الملك المغيث عمر، وقد حبسوه أيضاً في القلعة بعد وفاة أبيه. وبعد هذه الحوادث المذكورة حدثت عدة مصادمات وحروب بين كل من الملك الصالح أيوب ملك مصر، والملك الصالح إسماعيل سلطان دمشق، والملك الناصر حاكم الكرك، وكانت الهزيمة في الغالب تلحق الملك إسماعيل، وقد اجتاح غلاء شديد ووباء جارف دمشق في عهده. وفي سنة (٦٤٧هـ=١٢٤٩م) توفي إلى رحمة الله الملك الصالح أيوب في المنصورة، فأخفى مملوكه قطايا باتفاق مع سائر الأمراء وأركان الدولة خبر الوفاة ثلاثة شهور عن الناس، وأرسل خلالها رسول إلى ابنه الملك

١- شيركوه بن محمد بن أسد الدين بن شادي. المترجم

٢- كذا في الأصل. المترجم

المعظم الذي كان في بلاد الشام ليحضره إلى مصر، وحينما وصل الملك المعظم إلى القاهرة المعزية أفشى خبر وفاة والده، وازدانت المنابر والنقود باسمه الكريم ولقبه العظيم. وفي سنة (٦٤٨هـ=١٢٥٠م) قصد الإفرنج الكفار مصر، فبادر الملك المعظم إلى مقاتلتهم في المكان الذي يدعى الآن المنصورة، حيث جرت رحى معارك دامية، وهبت رياح النصر والظفر على أعلام المعظم؛ إذ فرت منه جنود الإفرنج لا يلوون بشيء بعد أن قتل منهم زهاء سبعة آلاف من المقاتلة، وأسر ملك الإفرنج وحبس في قلعة المنصورة، أخيراً تملك الغرور والطيش المعظم حيث أساء معاملة مماليك أبيه؛ مما أفضى إلى خروجهم عليه وقتله أشنع قتلة. وكان من ضمن الثائرين عليه من المماليك عز الدين إيبك التركماني فعينوه مقدم الجيش، وعادوا جميعاً إلى القاهرة المعزية بعد أن أطلقوا سبيل ملك الإفرنج مقابل مبلغ قدره خمسمائة ألف دينار دفعه لهم ليطلقوه، وقد أخلى مدينة دمياط وسلمها للمسلمين، وفي خلال هذه الأحداث كان الملك الناصر حاكم الكرك قد حشد جيشاً هجم به على دمشق واستولى عليها. ثم عمد إلى تنظيم جيش الشام وجمع شمله. ولما تم له ذلك قصد مصر وواصل سيره حتى العباسية حيث انبرى له جيش مصر ونشب القتال بين الجانبين، ولحقت الهزيمة بالمصريين ودخل الشاميون القاهرة المعزية، وأقاموا الخطبة باسم الناصر، وفي أثناء ذلك كان قد تمكن عز الدين وقطايا ومعهما زهاء ثلاثمائة من المماليك الصالحية من النجاة والهرب نحو الشام، فقابلوا في الطريق طائفة من جنود الملك الناصر يحملون أثقال الجيش وخزائنه وسائر مهماته من طبل وعلم، فانقضوا عليهم كالصاعقة وشتتوا شملهم جميعاً، ووقع شمس الدين لؤلؤ نائب الملك الناصر في أيديهم أسيراً، وساقوه كالخروف، فذبحوه وكسروا طبل الملك الناصر ونهبوا خزائنه، وواصلوا السير حتى بلغوا غزة وهنالك أسروا من أمراء البيت الأيوبي ولد السلطان صلاح الدين يوسف، والملك الأشرف موسى بن العادل (؟) الذي كان حاكم حمص، والملك الصالح إسماعيل بن العادل الذي سبق شيء من سيرته، وطائفة من القواد والأمراء العسكريين، ثم قضوا عليهم جميعاً. ولما وصلت أنباء هذه المحنة إلى مسامع الملك الناصر لم يبق له مجالاً لإقامته بمصر فبادر إلى طلاق عروس ملكه طلاقاً لا رجعة فيه، وخف إلى بعض البلاد الشامية مسرعاً. وكان ذلك كله في سنة (٦٤٨هـ=١٢٥٠م) وفي سنة (٦٤٩هـ=١٢٥١م) عمد الطواشي الذي كان والي كرك من قبل الملك الناصر، إلى إطلاق سراح الملك المغيث عمر بن الملك العادل بن الملك الكامل من السجن،

ونصبه ملكاً على البلاد، وبذلك أثبت نكرانه لجميل الناصر ولي نعمته هذا، وتوفي الملك صلاح الدين بن الملك الظاهر بن الملك صلاح الدين بن نجم الدين أيوب في سنة (٦٥١هـ=١٢٥٣م). وفي سنة (٦٥٢هـ=١٢٥٤م) أقام أمراء وأعيان مصر عز الدين التركماني الذي كان مملوك الملك الصالح أيوب سلطاناً عليها ولقبوه المعز. ومن ذلك التاريخ عادت سلطنة مصر إلى أيدي المماليك، وانقطع نفوذ آل أيوب وتقلص ظل سلطانهم نهائياً من تلك الديار، وسنذكر في الخاتمة إجمالاً أحوال مماليك آل أيوب الذين تولوا الحكم في مصر بعدهم، وهم معاصرون لسلاطين آل عثمان، مع أحوال وسيرة هؤلاء السلاطين العظام بتوالي السنين. وأما الملك الناصر داود بن المعظم بن العادل الذي كان يتنقل كل يوم من بيت إلى بيت مختفياً خوفاً من عز الدين، فقد توفي في شهور سنة (٦٥٦هـ=١٢٥٨م) وكان رجلاً عالماً عاقلاً رقيق الطبع وحادّ الذهن، اشتغل مدة من الزمن بتحصيل العلوم والفنون، فتلقى الحديث من المؤيد الطوسي، وكان له شعر جيد في غاية من الجزالة والحكمة.

وقد هاجم جيش قادم من مصر سنة (٦٢٢هـ=١٢٢٥م) الملك المغيث عمر ابن الملك العادل الذي حكم كرك ردحاً من الزمن، فتحصن الملك المغيث في المدينة، وطالت مدة الحصار فضاق عليه الحال، فاضطر أخيراً للتسليم طالباً الأمان، ثم لما أرسل لاجئاً إلى ملك مصر قضى عليه هناك سراً. وبعد هذا الملك الأيوبي لم يتيسر لأحد من أنجال نجم الدين أيوب أن يلي الحكم والسلطنة قط. والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.



الصحيفة الثانية

في ذكر عظماء حكام كردستان الذين وإن لم يكونوا قد ادعوا السلطنة والاستقلال إلا أنهم انفردوا أحياناً بالخطبة وضرب النقود باسمهم، وهي في خمسة فصول.

الفصل الأول

في ذكر حكام أردلان

جاء في روايات نقلة أخبار حكام كردستان، وكتابات حملة آثار أتابكية لرستان في صدد بيان نسب حكام أردلان، أنهم من أولاد ولاة ديار بكر، وسلائلهم الذي هم حفدة أحمد بن مروان[1]، الذي سبق ذكره بإسهاب. حيث أن شخصاً يدعى بابا أردلان كان قد أقام فترة من الزمن بين طائفة الگوران[2]، حتى استولى في أواخر عهد الدولة الجنكيزية على ولاية شهرزور[3].

فأحسن الإدارة فيها حتى اتسع نفوذه، وصار حاكماً مستقلاً بها، ولما جاء أجله ارتحل إلى دار الآخرة. فتولى الحكم بعده ابنه المدعو كلول، الذي وافاه الأجل المحتوم، الذي لا يستأخر ساعة ولا يستقدم، فشدّ الرحيل من هذه الدنيا الفانية إلى دار البقاء. وسنذكر أولاده وأحفاده فيما يأتي حسب الترتيب الذي تولوا الحكم بموجبه:

١-خضر بن كلول، ٢- الياس بن خضر،٣- خضر بن الياس، ٤- حسن بن خضر، ٥- بابلو بن حسن، ٦- منذر بن بابلو.

وبما أن أحوال هذه الجماعة لم تكن محققة لدى راقم هذه الحروف، ولم يكن سمع بها أيضاً عن أفواه من يعول عليهم، فإني قد صرفت النظر عنها مكتفياً بذكر أحوال جماعة من هذه الأسرة التي تحققت أخبارها بالتواتر من الثقات، وبمشاهدة حوادثها بعيني رأسي. فما سطره القلم ذو اللسانين في عبارات مختصرة هنا ليس إلا ترديداً لتلك القصص والأقوال، كما سمعتها بلا زيادة ونقصان ضارباً الصفح عن الأقوال المختلفة التي يمجها الذوق، ولا يستسيغها أرباب العقول السليمة، والسلام على من اتبع الهدى.

---

١ - مؤسس الدولة المروانية الكردية، التي قامت في ديار بكر والجزيرة. المترجم

٢ - سبق القول إنه قسم من الشعب الكردي. المترجم

٣ - وفي نسخة أخرى (وسمى نفسه قباد بن فيروز الساساني ويقول حمد الله المستوفي في صدد تسمية شهرزور: إن حكامها كانوا دائماً من الأكراد حيث كانوا يستولون على الحكم فيها غصباً واقتداراً، فمن كان قوته أكثر ونفوذه أدوم صار حاكماً مستقلاً بلا منازع ودام حكمه ما دامت القوة باقية لديه). المترجم

مأمون بن منذر بن بابلو بن حسن بن خضر بن الياس بن خضر ابن كلول بن بابا أردلان

تولى الحكم بعد وفاة والده، ودام شغله لمنصب الإمارة، وحكم هذه الديار على سبيل الاستقلال مدة طويلة. ولما ارتحل إلى دار الآخرة خلف ثلاثة أولاد ذكور هم: بيكه بك، وسرخاب بك، ومحمد بك.

بيكه بك بن مأمون بك

لما توفي والده ولي منصب الولاية بدلاً عنه، ولكن البلاد كان قد قسمها والده في حياته بين أولاده، فكانت نواحي ضلم[1]، وتغسوا، وشميران، وهاور، وسليمان، وراودان، وگل عنبر في يد بيكه بك. وباقي البلاد من الولاية كان أخوته يتصرفون فيها حسبما نذكر أحوالهم فيما يأتي. ولما بلغ عهد حكومة بيكه بك اثنتين وأربعين سنة وجاوزها، ارتحل من هذه الدنيا الفانية إلى دار الخلود والبقاء، تاركاً وراءه ولدين هما: إسماعيل، ومأمون.

مأمون بك بن بيكه بك

تولى مسند الحكم بعد وفاة والده بجدارة واستحقاق، ولما مضت مدة سنة على ذلك، اقتضت إرادة السلطان سليمان خان عليه الرحمة والغفران، ندب سلطان حسين بك حاكم العمادية، ومعه بعض أمراء كردستان للاستيلاء على ولاية شهرزور، فتوجه سلطان حسين بك حسب الفرمان الشاهاني إلى شهرزور، قاصداً الاستيلاء عليها، فضرب نطاق الحصار على مأمون بك في قلعة ضم. وبعد قتال شديد دام مدة تمكنوا بطريق الصلح من إخراج مأمون بك وإرساله إلى أعتاب السلطان سليمان. فما كان من سرخاب عم مأمون بك هذا، بعد إرساله إلى بلاط السلطان سليمان، إلا أن ضم ولايته إلى إيالته هو التي كانت مؤلفة من: لوى، ومشيله، ومهران، وتنوره، وكلوس، ونشكاش. وأعلن إنقياده وإخلاصه لبلاط الشاه طهماسب. ولما تحقق للسلطان سليمان براءة مأمون بك أمر بإطلاق قيده، وتعطف فأسند إليه منصب سنجق الحلة من أعمال بغداد دار السلام على طريق التمليك مدى الحياة، فإلى يومنا هذا الذي في سنة

---

١ - زلم. يقول أمين زكي بك: تسمى اليوم قلاي خان بناحية گل عنبر. المترجم

(١٠٠٥هـ=١٥٩٦م) لا يزال مأمون بك قائماً بتصريف شؤون ذلك السنجق هانيء البال وسعيد الحال، ومستقلاً كل الاستقلال. وأما أخوه إسماعيل بك فقد أسند إليه ديوان آل عثمان سنجق سروجك[1]، فقام بإدارته وحكومته خير قيام إلى أن توفي إلى رحمة الله.

سرخاب بك بن مأمون بك بن منذر

سبق القول في إنه قام بشئون حكومة شهرزول وضلم (زلم)، وصار حاكمها المستقل بعد اعتقال ابن أخيه مأمون بك بن بيكه بك. ونُضيف إلى ذلك أنه قد تمكن من ضم ما كان تحت حكم أخيه الآخر محمد بك من البلاد إلى الولاية الموروثة. فقام بأعباء الحكم خير قيام إلى أن حدث أن التجأ في سنة (٩٥٦هـ=١٥٤٩م) القاص ميرزا أخو الشاه طهماسب إلى البلاط العثماني مستنجداً بالسلطان سليمان خان للاستيلاء على عرش إيران، وأنه بعد ردح من الزمن صدرت منه بعض حركات أثارت الشبهة في نفس السلطان، مما أقض مضاجع الأمير الإيراني اللاجئ، فاتصل بسرخاب بك هذا، وجعله شفيعاً لدى أخيه طهماسب ليطلب إليه منحه العفو والسماح له بالعودة إلى ولاية شيروان التي كانت في عهدته من قبل، وأنه في مقابل هذا يخضع تمام الخضوع ولا يطلب المزيد. وما كاد سرخاب بك يعرض هذا الملتمس على البلاط الإيراني، حتى بادر الشاه طهماسب إلى انتهاز الفرصة السانحة فألف وفداً رسمياً تحت رئاسة شاه نعمة الله القهستاني، وعضوية بعض من القواد والأعيان القزلباشية لتسلم القاص ميرزا. فذهب الوفد وتسلمه وحضر به إلى البلاط وعند ذلك صدر الأمر الشاهاني باعتقاله حالاً وزجّه في غياهب سجون قلعة القهقهة. وبعد مضي عام على هذه الخدمة الكبيرة للشاه طهماسب تقرر لسرخاب بك من خزانة الشاه مبلغ سنوي قدره ألف تومان على سبيل الإنعام والمكافأة. وقد تمتع بهذا الإنعام مدى حياته التي طالت كثيراً حتى بلغت مدة حكمه ٦٧سنة كان في أثنائها في غاية الود والصفاء مع الشاه طهماسب. ولما ارتحل من عالم الوجود إلى عالم العدم ترك على صفحة الوجود أحد عشر ولداً من الذكور هم:
١- حسن، ٢- اسكندر، ٣- سلطان علي، ٤- يعقوب، ٥- بهرام، ٦- بساط، ٧- ذو الفقار، ٨- اسلمش، ٩- شهوار، ١٠- ساور، ١١- قاسم.

---

١ - سروجك وقره طاغ من أقضية السليمانية الآن. المترجم

محمد بك بن مأمون بك

تسلم مقاليد الأمور بعد وفاة أبيه في حصته من البلاط، وهي سروجك، وقراطاق، وشهريازار، وآلان، ودمهران، ثم بادر إلى الرحيل إلى بلاط السلطان سليمان، بقصد الحصول على حكومة إيالته الموروثة كلها، فساعده في ذلك الوزير الأعظم رستم باشا، حتى صدر الأمر بتكليف مير ميران بغداد عثمان باشا ومعه أمراء كردستان بالزحف إلى ولاية أردلان والاستيلاء عليها. وتنفيذاً للأمر السلطاني زحف هؤلاء القواد والأمراء إلى الولاية المذكورة، وشرعوا في ضرب نطاق الحصار على قلعة ضلم (زلم) التي تعتبر من امتن وأحصن القلاع في الولاية، وأعلاها شأناً وارتفاعاً حيث تناطح السحاب، وتتحدى الزحل والبروج العاليات. ولقد دام الحصار مدة سنتين حدث في خلالهما أن قتل محمد بك برصاصة بندقية، ثم جاء مدد من قبل الشاه طهماسب للمحصورين. فاضطر عثمان باشا لترك الحصار، والتقهقر نحو شهرزول حيث توفي هنالك بأجله الموعود. وفي هذه الأثناء أخلى المتحصنون القلعة ولاذوا بالفرار. ولكن محمد باشا البلطجي انتهز هذه الفرصة في سنة (٩٦٩هـ=١٥٦١م) واحتل قلعة ضلم هذه حالاً، حيث أخذ في احتلال باقي بلاد وقلاع هذه الولاية بالسياسة وحسن التدبير، وهكذا دخلت ولاية شهرزور في عداد الممالك السلطانية، وأصبحت من ذلك التاريخ إحدى الولايات الملحقة للدولة العثمانية.

سلطان علي بك بن سرخاب

تولى هذا الأمير حكم أردلان بعد وفاة والده، ودام حكمه ثلاث سنوات حيث وافاه القدر المحتوم فتوفي إلى رحمة الله تاركاً ولدين صغيرين هما: تيمورخان، وهلوخان، وسنذكر أحوالهما فيما يأتي من السطور حسب ما وصل إلى علمي من الأنباء.

بساط بك بن سرخاب بك

تولى الحكم في أردلان بعد وفاة سلطان علي، وقد استتب له الأمر في الجملة ولكن أنجال سلطان علي الذين كانوا أولاد أخت منتشا سلطان استاجلو، التجأوا إلى بلاط الشاه إسماعيل الثاني طالبين إسناد الحكومة الموروثة إليهم، وأخيراً بعد وفاة الشاه إسماعيل الثاني، شرع تيمور خان الابن الأكبر لسلطان

علي في الإغارة على بلاط بساط سلطان[1]، وإطلاق يد السلب والنهب فيها. مما أفضى إلى دوام العداوة والبغضاء بينهما إلى أن توفي بساط سلطان إلى رحمة الله.

تيمور خان بن سلطان علي

بعد وفاة بساط سلطان إلى رحمة الله تولى ابن أخيه تيمور خان أمور حكومة أردلان. وبادر في شهور سنة (٩٨٨هـ=١٥٨٠م) إلى تقديم طاعته إلى بلاط السلطان مراد خان الذي تعطف فأنعم عليه براتب سنوي من الأملاك الخاصة السلطانية الواقعة في ولاية شهرزول يقدر بمبلغ مائة ألف آقجة عثمانية، وبإقطاع بلاد سنه، وحسن آباد، وقزلجة قلعه=القلعة الحميراء، بطريق السنجق لابنه الكبير سلطان علي، وقره طاغ لابنه الآخر بوداق، ومهروان، لابنه الآخر مراد، وشهريازار لابنه الأصغر، وفضلاً عن ذلك فإن ولاية الدينور الخاضعة لحكم القزلباش، قد ضمت إلى ولايته الموروثة أيضاً، وانتظم هو في سلك مير ميران العظام للدولة العثمانية، ولقب تيمور باشا. وأخيراً داخله الغرور الشديد، وغلبته النخوة الشيطانية، فنزع إلى الانفراد بالسلطنة والاستقلال، ومال تارة إلى الروم=الترك، وتارة إلى القزلباش=الفرس، وصار يغير على جيرانه من الأمراء والحكام فيطلق يد السلب والنهب لجنوده، حتى ضجت الناس منه. ولما وصل به الأمر إلى أن يشن الغارة على بلاد ابن عمر بك الكلهري الذي خف إلى نجدته أيضاً شاهويردي حاكم لرستان حيث أوقعاه في كمين لدى عودته سالماً وغانماً من نهب ولاية الكلهر، فحملا عليه حملة صادقة حتى أبادوا أكثر من معه من الجنود والقواد وأعيان عشيرته وألقيا القبض على تيمور خان في موضع يقال له: خسر، واعتقلاه أياماً، ثم أطلقا سراحه شفقة به غير متنبهين لمضمون هذا البيت الذي يقول فيه الشاعر:

"إذا تمكنت الخصلة الخبيثة في النفس وصارت طبيعة، فلا يمكن أن تزول قط إلى يوم الممات"[2].

بادر تيمور خان بعد إطلاق سبيله إلى الزحف نحو مقاطعة زرين كمر وملحقاتها، التي يحكمها دولت يار السياه منصوري، من قبل الديوان الشاهاني

١- هو نفس بساط بك الذي هو باصطلاح الإيرانيين بساط سلطان. المترجم

٢ - البيت الفارسي: خوى بد در طبيعتى كه نشست نرود تابروز مرگ أزدست

القزلباشي، فنشب القتال ودارت رحى معارك دامية بين الطرفين إلى أن قتل تيمورخان في شهور سنة (٩٩٨هـ=١٥٨٩م) وتولى مكانه أخوه هلوخان.

هلوخان بن سلطان علي بن سرخاب

لما تولى زمام الأمور في حكومة أردلان مكان أخيه، أعلن خضوعه إلى بلاط المغفور له السلطان مراد خان العثماني مع سلوك سياسة حكيمة مع الملوك القزلباشية أيضاً، ملؤها المداراة والمسايرة وهكذا تم له الاستقلال التام في الإدارة والانفراد بالحكم طيلة أيامه. ولا يزال قائماً بالحكم حسب المنوال المذكور إلى يومنا هذا الذي يقع في سنة (١٠٠٥هـ=١٥٩٦م).

الفصل الثاني

في ذكر حكام حكاري الذين اشتهروا بلقب (شنبو)

لا يخفى على ذوي البصيرة من أهل الأدب والتحرير، وعلى أصحاب الآراء الصائبة والفكر المنير، أن نسب حكام هذه الولاية الجليلة ينتهي إلى الخلفاء العباسيين، ولكن أحداً لم يذكر لنا إلى أي خليفة من هؤلاء الخلفاء العظام ينتهي نسبهم، ولذا فإننا سنحاول بيان ذلك. والحق أن هذه الأسرة وهؤلاء الحكام، معروفون بين حكام كردستان بعلو الحسب وسمو النسب، وبالخصال الحميدة، والأوضاع الحسنة، مما حمل السلاطين العظام، والخواقين الكرام على الثقة بهذه الأسرة الكريمة، والعطف عليها في أغلب المناسبات، بحيث لم يطمعوا قط في الاستيلاء على بلادها وانتزاعها منها،وإن كان هناك بعض من السلاطين قد استولى على بعض بلادها وقتاً من الزمن، إلا أنهم أعادوها إليها بطريق التمليك مرة أخرى، فلهذا يقول مولانا (شرف الدين علي اليزدي) في كتابه (ظفرنامه)[1] : إن الأمير تيموركوركان الفاتح الشهير حينما انتهى من فتح قلعة (بايزيد)، وزحف نحو قلعتي وان، ووسطان، في شهور سنة (٧٨٧[2] - ١٣٨٥م)، كان عزالدين شير حاكماً على حكاري ووالياً على ولايتها، فتحصن في قلعة وان، واستعد للنضال وامتشاق الحسام ضد الأمير تيمور الذي بادر حالاً إلى ضرب نطاق الحصار على قلعة وان، والتضييق على المحصورين فيها، ولما تبين لعزالدين شير استحالة المقاومة وعدم إمكان الدفاع آمن بمضمون البيت الفارسي الذي يقول[3] : "كل من صارع فولاذي الذراع عرض ذراعه الفضية للمشقة والهلاك" فاضطر إلى النزول من القلعة بعد مقاومة يومين واستسلم لسلطان الأمير تيمور وجبروته معترفاً بالعجز والانكسار، ومستعداً لتقبيل العتبات السامية، ولكن أحد أقربائه

وهو من يدعى ناصر الدين أبى الطاعة لتيمور، ولبث في القلعة مصراً على الدفاع حتى النهاية، فأغلق باب القلعة، وشرع في إيقاد نار الحرب والقتال من جديد، ومضى سبعة وعشرون يوماً على هذا الحال، حتى قام الجنود

١- كتاب فارسي في تاريخ تيمورلنك مطبوع في كلكتا سنة ٨٨٥هـ-١٨٨٧م.

٢- في الروسية ٧٨٩هـ-١٣٨٧م.

٣- هركه باپولاد بازوپنجه كرد ساعد سيمين خودرا رنجه كرد

المدربون على فتح القلاع وتسلق الأسوار بهجوم عام شديد واقتحموا تلك القلعة العاتية الجبارة، وأبادوا من فيها من المدافعين المحصورين، بالسيوف البتارة والخناجر الظامئة إلى الدماء. ولقد أرّخ أحد الفضلاء فتح قلعة (وان) هذه بقوله نظماً:[1]

ومعناه: "الملك الذي أخذ بالسيف ملك إيران، وفتح قمر رايته حدود الزحل، إذا سألك ما هو تاريخ أخذه لقلعة وان، فقل من أخذ وان".

هذا وبعد أن تم الاستيلاء على القلعة، أمر تيمور قائد الحرس السلطاني بتخريبها، ولما كانت هذه القلعة من آثار شداد بن عاد العانية، حيث إن الصخور العظيمة التي بنيت بها أسوارها وأبراجها، لا يوجد لها مثيل في الأبنية الأخرى، فلم يمكن تخريبها تماماً بالرغم مما بذلوا من الجهود والهمة، فاكتفوا بالقليل من التخريب، وتوجه الأمير تيمور بعد ذلك بموكبه الشاهاني نحو خوى، وسلماس، وأقام في سهل سلماس بالعز والامتنان، وتفضل الأمير تيمور وشمل الملك عزالدين شير بعطفه السلطاني؛ إذ أعاد إليه ملكه الموروث عن آبائه وأجداده حسب الأصول السابقة على طريق التمليك، وأصدر مرسومه الكريم موشحاً بالدمغة التيمورية الحمراء بالإذن له بالعودة إلى مقر ملكه بالعز والإقبال والدولة.

وفي سنة (٨٢٤هـ-١٤٢١و١٤٢٢م)كان تشرف كل من الملك محمد بن الملك عزالدين، والأمير شمس الدين والي ولاية بدليس، وخلاط، يحفهما العز والسعادة بمقابلة الميرزا شاهرخ بن الأمير تيمور كوركان، حيث شملهما بالعطف الشاهاني، وجدد لهما منشور الإيالة وأبقاهما في منصبيهما الموروثين، وقد أذن شاهرخ لهما بالعودة إلى مقر ملكهما، قبل أن يشتبك في القتال مع أولاد قره يوسف التركماني، في المعركة التي حدثت في حدود الشكرد.

هذا وتمتلك هذه الأسرة النبيلة القديمة، عدا ما تقدم من الوثائق، مرسوماً بالخط الأيغوري من السلاطين الجنگيزية بتملك الإيالة لهم مدى العمر. وقد أطلع راقم الحروف هذا على ذلك المرسوم الجنگيزي، والغرض من سرد هذا هو إثبات أن السلاطين العظام عاملوا هذه الأسرة دائماً بالعز والإكرام، فأبقوا عليهم ملكهم الموروث، إما بعدم التعرض له من بادئ الأمر، وإما

١- شاهي كه بتيغ ملك إيران بكرفت — ماه علمش سرحد كيوان بكرفت
تاريخ كرفتن حصار وان را — پرسندت اكريكوكه كيوان بكرفت

بإعادته إليهم بطريق التمليك بعد أن نزعوه منهم. وسنذكر فيما يأتي أسماء الذين تولوا الحكم من هذه الأسرة.

أسد الدين بن كلابي بن عماد الدين

علم كاتب هذه الأوراق مراراً من الثقاة الرواة أن بعض حوادث الزمان ألجأت أسد الدين بن كلابي من أولاد حكام الحكاري إلى الرحيل إلى مصر، واختار ملازمة السلاطين الجراكسة بها، وأنه ظهرت منه هنالك ضروب من الشجاعة والبسالة، وذلك بخوضه غمار الحروب والمعارك الطاحنة في غزو الكفار الفجار، مما أدى إلى فقده إحدى ذراعيه في تلك الحروب، وما كان من سلطان ذلك العصر إلا أن وضع له ذراعاً من الذهب، وأغدق عليه كثيراً من النعم والأموال والألقاب، فسماه أسد الدين ذا اليد الذهبية (زرين جنگ).

هذا ولما تم الأمر في إيران لحسن بك الآق قوينلي، وصار ملك إيران وسلطانها المطلق، وكانت نفسه قد انطوت على كثير من الداء والبغضاء نحو حكام كردستان، كلف كلاً من: صوفي خليل، وعربشاه، من كبار قواد التراكمة الآق قوينليه بالزحف إلى كردستان، والاستيلاء على ولاية حكاري، فتربص صوفي خليل مدة حتى سنحت له الفرصة فقام يوماً بإغارة فجائية على حاكم حكاري، وكان ذلك اليوم بالصدفة يوم الأربعاء حين يستريح حاكم الولاية عز الدين شير الذي قابل أنباء اجتياح العدو حدود البلاد الواردة من حراس الحدود والطرق بالاستخفاف، وعدم المبالاة قائلاً: اليوم يوم الأربعاء وهو ليس يوم الحركة والقيام، ولا يمن فيه، وقد ذهبت نصائح المستشارين والمخلصين لدولته سدى؛ إذ لم يستعد لتلقي العدو قط. مما أفضى إلى ظهور العدو بقيادة صوفي خليل، وعرب شاه بك بغتة على رأس عز الدين شير، فقتلاه فوراً. وهكذا انتقلت ولاية حكاري من أيدي هؤلاء الحكام دفعة واحدة إلى أيدي الأجانب حيث تصرف فيها التراكمة، وعهدوا بأمور الضبط والربط فيها إلى عشيرة الدنبلى التي قامت ردحاً من الزمن بالحكم في حكاري نيابة عن الآق قوينلية.

وأخيراً كانت جماعة من الرعايا من نصارى تلك الولاية المشهورين بالآسوريين، قد ذهبت حسب العادة إلى مصر والشام؛ للتكسب والعمل، فأتيحت لهم الفرصة بأن يروا بأنفسهم ما عليه أسد الدين زرين جنك من المكانة وعلو الشأن، فاستقر رأيهم على أن هذا الشخص يليق لحكومة حكاري، وقالوا ينبغي لنا أن نخدعه ونحمله على قبول ما ارتأيناه من الذهاب به إلى حكاري، ونصبه

حاكماً عليها . ولما عرضوا رأيهم هذا على أسد الدين رضي به، ووافقهم على الخطة، فسافر معهم إلى ولايته الموروثة (حكاري) سراً، ولبث وقتاً ما مختفياً بين الطائفة الآسورية هذه منتظراً الفرصة السانحة، وكان من عادة نصارى هذه الجهة أنهم في يوم السبت الذي يعطلون فيه أعمالهم الخاصة يقومون بنقل الذخيرة والحطب وغيره من اللوازم والمؤن، إلى قلعة (دز)، ففي يوم من أيام السبت المبارك عمدوا إلى إلباس أسد الدين مع جمع من أبطال العشيرة، ثياب النصارى وأزيائهم، وقد أخفوا أسلحتهم وعتادهم في أحمال التبن والحطب، ودخلوا جميعاً حسب العادة القلعة، وألقوا فوراً الأحمال وتقلدوا السلاح وباغتوا حامية القلعة بهجوم خاطف بالسيوف البتارة، فلم يتركوا لهم مجال الدفاع والمقاومة قط، فتشتت شملهم بقتل بعض هؤلاء الدنابلة، وجرح آخرين ووقوعهم صرعى، وهكذا طهروا داخل القلعة من لوث الأعداء، وجعلوها مثل المعابد والزوايا والخلوات المقدسة التي يعمرها الذين يستغفرون بالأسحار طاهرة وصافية، وقد أسمعوا القاصي والداني نداء فاعتبروا يا أولي الأبصار، وناشرين من جديد لواء حكومة العباسيين على قلعة دز، حيث أخذ أسد الدين يطهر البلاد من الأعداء يوماً فيوماً، حتى تم له استبدال الحلة العباسية بالبزة العسكرية التي كان يلبسها، وأنشد لسان حال الدهر البيتين الآتيين المناسبين لهذه القصة العجيبة:[1]

ومعناهما "في يوم السبت ضرب شماس الدير خيمته في سواد العباسيين حيث كسر أعداءه وشتت شملهم، ثم طرح بساط العيش هانئ البال"، ولما كان بدء قيام الدولة الحكارية للمرة الثانية في يوم السبت كما سبق ذكره (شنبه=السبت) وفي اصطلاح هؤلاء القوم بلفظ (شنبو) فلذا اشتهروا باسم حكام شنبو. وبعد أن حكم أسد الدين البلاد ردحاً من الزمن، ونظم شئون الطائفة الحكارية تنظيماً كاملاً، وافاه القدر المحتوم فانتقل إلى دار البقاء حسب قول الشاعر[2] : ومعناه "أية دوحة إقبال ودولة ناطحت السحاب والفلك الدوار، لم يعصف بها صرصر الأجل أخيراً فاستأصلها".

١- روز شنبه كه دير شماسى خيمه زد در سواد عباسى
جمع بدخواه راپريشان ساخت بفراغت بساط عيش انداخت

٢ - كدام دوحهٔ اقبال سر بچرخ كشيد كه صرصر أجلش عاقبت زبيخ نكند

ملك عز الدين شير بن أسد الدين زرين چنك

قام هذا الأمير مقام أبيه بعد وفاته، ونهض بمهام الإمارة نهوضاً عظيماً إلى أن توفي إلى رحمة الله، فكان أميراً عادلاً طيب الخصال جليل الأعمال خيراً.

زاهد بك بن عز الدين شير

تولى منصب الإمارة مستقلاً بعد وفاة أبيه، ودام عهده زهاء ستين سنة، حيث حكم في هذه المدة الطويلة البلاد بسياسة حكيمة رشيدة، فأطاع الشاه إسماعيل الصفوي الذي عطف عليه، وشمله بالرضاء والثقة، فأصدر منشور الإيالة الموروثة باسمه، وتقدمت العلاقات بينهما لدرجة أن الشاه كان يخاطبه بلفظ يا عمي! مما يدل على نمو الصداقة والود الخالص بينهما، ووصولها إلى أعلى مراتبها، وتوفي إلى رحمة الله بعد أن قسم في آخر عمره البلاد بين ولديه: ملك بك، وسيد محمد بك.

ملك بك بن زاهد بك

تولى ملك بك الحكومة في قلعة (باي) مكان أبيه فأحسن الإدارة، وحكم البلاد بالعدل والإنصاف، وكان له سبعة أولاد ذكور كالأنجم هم: ١- زينل بك، و ٢- بايندور بك، و ٣- بوادق بك، و ٤- بايزيد بك، و ٥- حسين بك، و ٦- بهاء الدين بك، و ٧- رستم بك، فقام منهم رستم بك بإدارة ناحية كواش، ومحافظة قلعة اختمار في عهد والده، وقد قتل أثناء معركة قامت حول ناحية كواش، بينه وبين عشيرة الروزكية. وأما زينل بك فقد شق عصا الطاعة على والده، بالاتفاق مع محمود آغا سلبي دزدار قلعة باي وجمع من أعيان العشيرة، وقد تمكن من الاستيلاء على القلعة لنفسه، ودام القتال والجدال بين الطرفين حتى تيسر له اعتقال أبيه، وقد هم بقتله في بادئ الأمر، ثم استقر رأيه أن يغض النظر عن قتله، ويكتفي بكف بصره، بيد أن ابنه الآخر حسن بك توسط في الأمر، وأنقذه من هذه الورطة الدامية، وفر هارباً ولاجئاً إلى أخيه سيد محمد بك حاكم وسطان، ولم يستقر له قرار هنالك فبادر إلى الرحيل إلى بدليس لاجئاً إلى حاكمها شرف بك، فأكرم وفادته واحتفى به حفاوة بالغة طيلة الأيام.

هذا وزينل بك الذي كان أرشد أولاد ملك بك قد ولي حكم ولاية حكاري بعد عمه سيد محمد، بكمال الاستقلال والحرية، وسنذكر أحواله فيما بعد. وأما أخبار سائر أولاد ملك بك فنتلخص فيما يلي:

فابنه بايندر بك هرب، ولجأ إلى بلاط الشاه طهماسب غير أنه لم يلق هنالك الإكرام الذي كان ينتظره، فعاد إلى وان حيث توفي تاركاً ثلاثة أولاد ذكور هم:

زاهد بك، ومحمد بك، وحاجي بك. وابنه بوادق بك مات في طريقه إلى حج بيت الله الحرام، وقد خلف ولدين هما: مير عزيز، وسلطان حسين. وابنه بايزيد بك انخرط في سلك زعماء ديار بكر، ورافق السردار مصطفى باشا في غزوه لشيروان فوقع أسيراً في معركة جلدر في أيدي القزلباشية، فذهبوا به إلى قزوين حيث وقع نظر الشاه سلطان محمد عليه فسلمه إلى ابن أخيه زاهد بك فقتله. وابنه حسين بك كان يقوم أحياناً بأعباء حكومة ألباق، وتوفي تاركاً ولداً واحداً يدعى إسماعيل.

وأما ابنه الآخر بهاء الدين، فإن أحواله ستذكر ضمن أحوال زينل بك إن شاء الله.

سيد محمد بن زاهد بك

تصدى لمنازعة ابن أخيه زينل بك بفضل تعضيد عشيرة البنيانشي له، حتى تغلب عليه وأخرجه من ولاية حكاري. وهذا بسط سلطانه على جميع بلاد الولاية الموروثة، وما كان من زينل بك إزاء هذا، إلا أن التجأ إلى ساحة سلطان حسين بك حاكم العمادية، فساعده هذا في الشخوص إلى بلاط السلطان سليمان خان، وقد تلقاه هنالك الوزير رستم بك بالحفاوة والعطف، قائلاً له: بما انك من ظلم بني أعمامك قد كنت تركت وطنك، وذهبت إلى أذربيجان لاجئاً إلى الشاه طهماسب فمما لا شك فيه أنه قد أوغر الصدور عليك هنا، فإذا قدمت الآن إلى استرداد أسرتك وأتباعك من إيران والإتيان بهم إلى البلاد العثمانية، فإن الرضاء الشاهاني ينالك وتعود الثقة بك، ويصدر المرسوم السلطاني بإسناد حكومة حكاري إليك، فقبل زينل بك هذا العرض مسروراً وغادر الأستانة عائداً إلى ولايته ليقوم باستدعاء أهله وأسرته من إيران. وفي أثناء مروره وسفره في ولاية بختى حيث كان طريقه، من هنالك، أتيحت الفرصة لحاكم الجزيرة[1]، بدر بك، لأن يشفي غلته بالاعتداء على زينل بك؛ لما كان بينه وبين سيد محمد بك من الصداقة والود، فضلاً عن العداوة القديمة التي كان

١- الشهيرة في المصادر العربية بجزيرة ابن عمر، والآن بجزيرة بهتان، ترجمة وتحريفاً باللغة الكردية من قولك بالعربية: (جزيرة البختية) (المترجم)

يكنها لطائفة الحكارية، وذلك بأن عمد إلى تسليح عدة من شجعان البختية تسليحاً كاملاً، وأرسلهم يعترضون طريق زينل بك؛ ليغتالوه. فقام هؤلاء بالمأمورية، وبعد معركة دامية بين الطرفين تمكن البختيون من أن يصرعوا زينل بك ورفقاءه، وقطعوا رؤوس القتلى ما عدا رأسه الذي أبقوه على حاله احتراماً له. ولما عرضت الرؤوس المقطوعة على بدر بك، ولم ير رأس زينل بك سأل عن جلية الأمر، فقالوا إننا ضربناه بالسهام والسيوف حتى سقط صريعاً لا يبدي حراكاً، ولكنا احتراماً لكبره لم نقطع رأسه، ولم نفصله عن جسمه. ولما شاع هذا النبأ في بلدة الجزيرة، ووصل إلى مسامع حرم بدر بك، بادرت إلى الالتماس من زوجها من أن يسمح لها بأن يؤتى بجثة زينل بك إلى المدينة، ويحتفل بدفنها حسب السنة الشرعية فرضي بدر بك بذلك، وأرسلت الخاتون عدة من رجالها الأخصاء لإحضار الجثة، فأسرع المبعوثون إلى المكان الذي به القتلى صرعى، ولدى البحث وجدوا أن بزينل بك رمقاً من الحياة، فحملوه فوراً بين الحياة والموت إلى المدينة، وبلغ الخاتون نبأ أنه به رمق من الحياة، فأرسلت الجراحين والأطباء والأدوية، وتكلفت بمعالجته على حسابها، وذلك رغم إلحاح بدربك وإصراره على القضاء عليه نهائياً، ولكن نصائح هذه السيدة الكريمة ووقوفها أمام زوجها الشديد أطفأت نار الغضب التي كانت تتأجج في صدر زوجها العاتي، وجاءت بلسماً على جراح ذلك الأمير المنكود الحظ الذي منّ الله عليه بالشفاء العاجل، فذهب إلى ولايته معززاً مكرماً بأمر تلك السيدة، فبلغها سالماً ومتمتعاً بالصحة الكاملة، وستأتي عن قريب تفصيل أحواله وأحوال أولاده.

أما سيد محمد بك الذي تم له أمر الاستيلاء على زمام الأمور في إيالة حكاري، فقد غضب عليه إسكندر باشا مير ميران وان، وسعى لدى الآستانة حتى استصدر مرسوماً سلطانياً بإسناد إيالة حكاري إلى زينل بك، وبالإذن له بقتل سيد محمد بك إذا ما وجد إلى قتله سبيلاً.

فأرسل إسكندر باشا من يدعو سيد محمد بك إلى الحضور إلى ديوان وان، ولكن محمد بك شعر بما في هذه الدعوة من الأمور المبيتة، فلذا أخذ حذره وتوجه إلى ملاقاة الباشا المشار إليه بجمع من رجاله وجنوده، وأرسل إلى الباشا يقول: "نظراً لتفشي الطاعون وآثار الوباء لا يمكنني دخول المدينة، فإذا سمح الباشا وتنازل وعين مكاناً حتى خارج البلدة، للملاقاة يكون قد أضاف مكرمة أخرى على سائر مكارمه"، فاضطر إسكندر باشا إلى الخروج من البلدة واستقباله في المكان الذي عينه من غير أن يحقق غرضه؛ إذ بادر سيد محمد

بعد انتهاء المقابلة إلى العودة حالاً إلى وسطان، وخيل إليه أن كيد إسكندر باشا له قد انتهى، فصرف جموعه المحتشدة واطمأن إلى الحالة، وقرر أن يمضي فترة من الزمن في تلك القلعة، ولما اطلع إسكندر باشا على جلية أمره، كلف رئيس المماليك بوان بالزحف إليه مع حشد من الجنود، ثم أرسل إلى سيد محمد يقول له جاءت الأنباء غير السارة من جهة القزلباش، فحضورك سريعاً إلى ديوان وان، محتم ولازم. وفي الوقت نفسه نبه رئيس المماليك بوان إلى وجوب القبض عليه وسوقه إلى وان بأية طريقة.

ولما وصل رئيس المماليك إلى وسطان، وأبلغ الأمر لسيد محمد بك، حاول كثيراً التملص من الإجابة والتساهل في تنفيذ الأمر، ولكن لم يجده، فقد تغلبوا عليه وأخذوه قهراً واقتداراً وذهبوا به إلى وان فزجه إسكندر باشا في غياهب السجن. بيد أن نجله يعقوب بك تمكن من الفرار إلى ولايته بقصد الاستيلاء على الحكومة فأرسل إسكندر باشا لمطاردته جمعاً من جنود المماليك بوان مع حسن بك المحمودي، الذي كان سبب هذه الفتنة كلها، فما كان من يعقوب بك إلا أن ألقى بنفسه في أحضان عشيرة بنيا نشي مستنجداً بشاهقلي البليلاني، ليساعده على أن يكون حاكم حكاري، ولكن خاب أمله إذ اتفق كل من شاهقلي بك، وحسن بك المحمودي في الأهداف التي كانت ترمي إلى القضاء على أسرة سيد محمد بك، لما كان بينهما من الود القديم والقرابة، فسلم شاهقلي بك نجل ولي نعمته السابق ناكراً لجميله ومعروفه إلى خصمه حسن بك، وذهبا به معاً إلى وان، فما كان من إسكندر باشا إلا أن بادر بقتل سيد محمد بك، وابنه يعقوب بك، وإسناد حكومة حكاري إلى زينل بك، وخلف يعقوب بك ثلاثة من الأولاد الذكور: أولامه، وسلطان أحمد، وميرزا، هذا وإن كان أولامه بك لم يحظ بشيء من حكومة حكاري، إلا أنه نال ثقة السلطان مراد خان، فأسند إليه منصب حكومة خوى، فحكمها ردحاً من الزمن على السنجقية، ثم عزل عنه وسافر إلى الأستانة العلية وأخيراً توفي هو وأبنه عمر بدار السلطنة العظمى.

زينل بك بن ملك بك

سبق القول إن زينل بك كان يخاصم أحياناً أباه، ويعصي أمره، وتارة ينازع عمه، ومرت به تلك الحوادث والوقائع التي سبق ذكرها. والآن نقول إنه منذ أن وصل إلى ديار حكاري بفضل إنقاذ السيدة حرم حاكم الجزيرة له من هذه الورطة الدموية، كان يعد ويهيئ أسباب السفر والرحلة إلى استانبول، فإذا بنبأ

ينزل عليه كالصاعقة يقول: إن رستم باشا الوزير الأعظم، قد عُزل من منصبه الكريم، فساوره القلق وتملكه اليأس، وعدل عن السفر إلى استنابول بيد أنه صار متحيراً بين العودة إلى حكاري، وبين مواصلة السفر إلى أية جهة أخرى، وأخيراً استقر رأيه على الفرار إلى إيران لاجئاً إلى بلاط الشاه طهماسب الذي لم يلتفت إليه كثيراً رعاية؛ لخاطر سيد محمد، وهكذا هام على وجهه مدة من الزمن، حتى إذا ما جاء خبر إسناد منصب الوزارة العظمى مرة أخرى من قبل السلطان سليمان إلى رستم باشا، وشاع ذلك في ديار القزلباش، عمد زينل بك إلى العودة من تلك الديار قاصداً الآستانة؛ للتشرف بأعتاب السلطان سليمان، ولكن الوزير رستم باشا لم يلتفت إليه هذه المرة كما ينبغي، فاكتفى بتخصيص زعامة له في ولاية البوسنة من أعمال روم إيلي؛ ليكون ريعها مدداً له في المعاش، وأرسله فعلاً إلى تلك الجهة. ودام الحال على هذا المنوال حتى حدثت وقائع وقضايا في هذه الأثناء، وذلك كقتل إسكندر باشا، بعد فتح وان، لسيد محمد حاكم حكاري بتهمة أنه كان وسيطاً بين الأمير السلطاني مصطفى، وبين الشاه طهماسب ومتحداً معه فيما قام به من اللجوء إلى الإيرانيين، وغير ذلك من المقدمات الأخرى. كعزل رستم باشا من منصب الوزارة. فانتهز إسكندر باشا هذه الحوادث فرصة؛ لعرض أمر زينل بك على العتبات السلطانية السليمانية؛ بقصد إسناد حكومة حكاري إليه، فتمكن في بادئ الأمر من إتيانه من ولاية الروملي إلى (وان) حيث أرسله من هنالك إلى الحدود الإيرانية على رأس قوة؛ للإغارة والغزو وجس النبض، فلما وصل زينل بك إلى نواحي سلماس، وجد أن أخاه بايندور بك أيضاً قادم من قبل القزلباش؛ لنفس الغرض فاقتتلا قتالاً شديداً، حتى غلب بايندور بك على أمره، وعاد زينل بك بعدد من الأسرى من رفقاء أخيه المغلوب إلى إسكندر باشا بوان، وأفضى هذا الانتصار إلى علو شأن زينل بك، فرفع إسكندر باشا تقريراً عن صداقة زينل بك وإخلاصه للدولة العثمانية، والتماس إسناد حكومة حكاري إليه، ووجوب قتل سيد محمد بك حاكمها الحالي، فصدر المرسوم السلطاني بإجابة ذلك كله، وصار زينل بك حاكماً مستقلاً لحكومة حكاري، ودامت أيام حكمه زهاء أربعين سنة، وإن كان أحياناً قد أسندت هذه الحكومة خلال المدة المذكورة إلى أخيه بهاء الدين بك الذي قتل أخيراً بيد زينل بك وابنه سيدي خان، وهكذا انفرد زينل بك بالحكم بلا منازع ولا ممانع، وكان له أربعة أولاد ذكر هم: زاهد بك، وسيدي خان، وزكريا بك، وإبراهيم بك.

أما زاهد بك فكان يعصى أباه أحياناً حتى أدى به الأمر إلى إخراجه إلى ولاية البوسنة عوضاً عن أبيه، هذا وإن كان قد تنازل زينل بك أخيراً عن الحكم لابنه الآخر سيدي خان عن طواعية وحسن إرادة، واستصدر باسمه منشور الإيالة من حكام الخلافة العظمى، إلا أن سيدي خان هذا قد ارتحل إلى دار القرار في ريعان شبابه ومقتبل عمره حيث سقط عن جواده فمات، فاضطر زينل بك إلى تحويل منشور الإيالة إلى اسم نجله الآخر زكريا بك وإلى جعل ناحية الباق سنجقية، وإسنادها إلى ابنه إبراهيم بك.

وفي سنة (٩٩٣هـ=١٥٨٥م) حينما صدر أمر السلطان مراد خان إلى الوزير الأعظم عثمان باشا بفتح أذربيجان وغزوها، صدر حكم همايوني أيضاً إلى زينل بك بان يشرع في الإغارة على البلاد القزلباشية، وإطلاق يد النهب والسلب فيها . واتفق أن كان الشاه سلطان محمد مع ابنه سلطان حمزة ميرزا، معسكرين في تبريز، فلما وصل نبأ اجتياح زينل بك للبلاد الإيرانية، وبلوغه إقليم مرند، بادر الشاه والأمير إلى إرسال قوة مؤلفة من قواد التركمان وجنودهم، للدفاع والمقاومة. ففي الوقت الذي كانت جنود زينل بك قد عادوا من غزوهم لبلاد كركر، وزنوز، ومَرَند، سالمين غانمين مستسلمين إلى الراحة، والاطمئنان، حيث كان زينل بك، ومعه بضعة من رجاله، قد أووا إلى ناحية من خان ألكي، قائمين بأداء فريضة العصر، نعم، في هذا الوقت دهم التركمان زينل بك ورجاله واشتد وطيس القتال والنضال بينهما إلى أن استشهد زينل بك، ومن معه من الرجال المعدودين في المعركة، وأسر ابنه إبراهيم بك. وقد بادر سادات وأهالي مرند إلى تكفين جثة زينل بك ودفنها هنالك؛ حيث نقلت بعد فتح تبريز إلى بلدة چولامرك التي كان المرحوم قد بنى بها مدرسة، فدفنوها بها نهائياً . وصدر مرسوم من ديوان السلطان مراد خان تأييداً للمنشور الذي تسند فيه حكومة حكاري إلى زكريا بك، وكان قد استصدره في حياته كما سبق ذكره. ودفعوا فدية كبيرة إلى القزلباش حتى أطلقوا سراحه، فجاء إلى مقره يقوم بأعباء حكومة ناحية آلباق حسب السابق.

زكريا بك بن زينل بك

بعد مضي عامين من حكم هذا الأمير، سعى بعض المفسدين من الوشاة لدى الوزير جعفر باشا والي إيالة وان ومحافظ ولاية آذربيجان قائلين له: إن منصب إيالة حكاري حسب قواعد الشريعة المصطفوية وطبق القوانين والآداب

العثمانية، ليس إلا من حق زاهد بك النجل الأكبر للمرحوم زينل بك، فتفويض هذا الأمر الخطير إليه أنسب وأحكم، فما كان من الوزير إلا أن رفع الأمر إلى السدة السنية العثمانية التي بادرت إلى تفويض أمر إيالة حكاري إلى زاهد بك حسب الالتماس، وأسرع زاهد بك بإشارة من الوزير جعفر باشا إلى الذهاب إلى الإيالة، ليتسلم زمام الأمور بها، بيد أن أكثر الأهالي والعشائر كان هواهم وميولهم مع زكريا بك، فلم يرضخوا لأوامر زاهد بك، وأفضى الأمر إلى القتال والجدال. وفي النتيجة قتل زاهد بك مع ابنه في المعركة. وما وصلت أنباء هذه الحوادث إلى مسامع جعفر باشا حتى بادر إلى تفويض أمر حكومة حكاري إلى ملك بك بن زاهد بك الآخر، واستصدر مرسوماً عالياً بذلك من السلطان العالي المكان، ثم أصحبه بجمع كثير من جنود وان، وتبريز، وأرسله لضبط وتسخير ولايته. وعند ذلك لم يبق أمل لزكريا بك في نجاح المقاومة والدفاع، فلذا فضل الخروج من الإيالة والالتجاء إلى سيدي خان حاكم العمادية الذي رأى من المناسب أن يعرضا الأمر كما هو على مقام الخلافة الأعلى، فصدر المرسوم من الديوان السلطاني بفضل مساعدة وتعضيد سنان باشا الوزير الأعظم بتفويض إيالة حكاري حسب الدستور السابق إلى زكريا بك على أن يدفع مائة ألف فلوري هدية للديوان العثماني، فعاد زكريا بك إلى ولايته وأخرج ملك بك منها. وبادر هذا أيضاً إلى الرحيل إلى استانبول شاكياً حاله وطالباً إعادة الحكومة إليه، غير أن الأجل المحتوم وافاه هنالك، فمات في الطاعون.

وفي أوائل سنة (١٠٠٥هـ=١٥٩٦م) قتل أبو بكر آغا كتخدا، زكريا بك ووكيله الذي كان غاية في الصدق والأمانة، ظلماً وعدواناً، وذلك بدسيسة ووشاية من فخر الدين الذي كان قد تولى وكالة زكريا بك لدى البلاد السلطاني، وتفصيل الخبر أن سنجق خوي الذي كان أولاد شاهقلي البليلاني، قد حصلوا عليه بشروط عدة بواسطة ابن أخيهم الأمير سيف الدين، وكانوا يتصرفون فيه على هذا الوجه. الأمر الذي حمل فخر الدين المذكور على استصدار مرسوم سلطاني من ديوان السلطان محمد خان بإسناد السنجق المذكور على الرغم من هؤلاء إلى حسن بك ولد سيدي خان بك بن أخي زكريا بك، فأثار هذا العداوة القديمة التي كانت بين زكريا بك وبين أولاد شاهقلي البليلاني، بعد أن كانت تبدلت أخيراً بوساطة أبي بكر آغا بالصداقة والاتحاد، وهكذا حلّ الخلاف والعداء محل الصداقة والصفاء من جراء النزاع حول حكومة خوي، وأفضى الأمر إلى امتشاق الحسام حيث زحف إبراهيم بك بن زكريا بك عدة مرات إلى خوي:

للاستيلاء عليها، فقاومه الأمير سيف الدين مقاومة شديدة، ومات من الطرفين خلق كثير ومع ذلك لم يتحقق الغرض المطلوب. نعم! وإن كان إبراهيم بك يتلقى نجدات من زكريا بك من رجال العشائر والقبائل إلا أنها كانت نجدة ظاهرية، ولم تكن حقيقية لأن أبا بكر آغا وكيل زكريا بك ما كان يرضى بالفساد، وكان يسعى دائماً لإحلال الصلح والوئام محل التعدي والبغضاء، وعلى هذا لم يساعد على تقديم المعاونة الكافية في هذا الموضوع، فلذا انتهز فخر الدين المفسد المذكور فرصة قدوم أبي بكر آغا، مع هدايا وتحف، من وسطان إلى وان؛ لتهنئة سنان باشا الميرميران، وأقدم على حيلة ماكرة ودسيسة ظالمة لدى سنان باشا؛ لما كان يعلم من أن الباشا رجل مستهتر وطماع وجبار فاتك، وهي انه اتفق مع حسن بك ولد سيدي خان، وجاءا معاً إلى وان وراء أبي بكر آغا وعرضا على سنان باشا أقوالاً كاذبة عن لسان زكريا بك مفادها: إني مستاء جداً من تغلب أبي بكر آغا عليّ، واستبداده بالأمور فإذا قبض عليه الباشا بوجه من الوجوه، وقضى عليه فإني مستعد لأن أقدم لخزينة الباشا مبلغ ثلاثة أكياس من الذهب بطريق الهدية. فما كان من الباشا الطامع في المال إلا أن أقدم على إلقاء القبض على أبي بكر آغا وقتله في الحال. والآن في سنة (١٠٠٥هـ=١٥٩٦م) يقوم زكريا بك بأعباء الحكومة ببلدة چولامرك التي هي مقر دولة أسرته من القديم، كما أن إبراهيم بك قائم بإدارة ألباق. والمأمول أن يوفقا إلى الأعمال الصالحة والأمور المستحسنة.

الفصل الثالث

في ذكر حكام العمادية الذين اشتهروا ببهادينان

الصادحون في جنات ورود غرائب الأخبار، القصاصون في قصور بساتين عجائب الآثار، يروون أن نسب حكام العمادية ـ على زعمهم ـ ينتهي إلى الخلفاء العباسية. وعلى رواية بعض نقلة الأخبار المتقدمين، أنه ينتهي إلى شخص يدعى عباس كان من مشاهير الأعيان في عصره؛ والعلم عند الله. ومهما كانت الروايات فمما لاشك فيه أنهم مشهورون ببني عباس، وأنهم في الأصل كانوا في ولاية شمدينان = شمس الدينان، حيث كان جدودهم هنالك قبل مجيئهم إلى العمادية، قائمين بأعباء حكم قلعة (طارون) من أعمال ولاية شمس الدينان. والرجل الذي جاء من طارون إلى العمادية، كان يدعى بهاء الدين، فلذا اشتهر حكام العمادية بين حكام كردستان ببهادينان، وفي أصح الروايات أنه قد مضى الآن على حكم أولاد بهاء الدين في تلك الديار زهاء أربعمائة سنة. هذا وقلعة العمادية الحالية من الأبنية الجديدة التي بناها في عهد السلاجقة، عماد الدين زنكي بن آقسنقر والي الموصل وسنجار، وتقع المدينة وقلعتها على صخرة عظيمة مستديرة، وترتفع بعض الأمكنة منها عن الأرض مائة ذراع وبعضها حوالي الخمسين أو الستين، والبعض الآخر عشرين ذراعاً. وفي القلعة جُبّان، عميقان يمدّانها بالماء، ومنهما تأخذ الحمام والمدرسة، وسائر العمارات، ولكن الناس يجلبون مياه الشرب من خارج البلد على ظهور الدواب، وتختلط أزياء ولهجات أقوام هذه الديار الكردية بشيء من العربية حيث تسود الثقافة الدينية، والعلمية العربية، مما جعل الكثيرين منهم صلحاء متدينين مائلين إلى العبادات، والزهد وعمل الخير والمبرات؛ فلذا أنشأ حكام العمادية فيها عدداً من المدارس والمساجد يؤمها العلماء والفضلاء، يفيدون ويستفيدون بتحصيل العلوم الدينية، وتكميل المعارف اليقينية.

فمن عمدة عشائر العمادية، عشيرة المزوري أولاً، وعشيرة الزيباري ثانياً. و(زي) اسم لنهير في ولاية العمادية. ولما كانت هذه الطائفة الأخيرة متوطنة في شاطئ ذلك النهير، أطلق عليها اسم (زي باري = زيباري). ولهذا النهير اسم آخر وهو بالعربية (نهر الجنون) سمي به لشدة جريانه، وعنفه في سيره. وهناك عشيرة أخرى تدعى (رادكان) وقد حرف اسمها أخيراً في ألسنة الأكراد فصار

(بريكاني = بريفكاني). وأما بقية عشائرها فهي (پروري، ومحل، وسياب روي، وتيلي، وبهلى). وبهل في اصطلاح هؤلاء القوم اسم للوادي.

ومن قلاع العمادية الشهيرة قلعة (عقره) ولها بلدة يسكنها زهاء ألف ومائة أسرة من المسلمين واليهود. وهناك أيضاً قلعتا (دهوك) و(دير) حيث يقوم فيهما أمراء، وبنو عم حكام العمادية بأعباء الحكم. وقلعة (بشرى) التي تسكنها عشيرة رادكان[1]. وقلاع (قلاده، وشوش، وعمراني، وبازيران) تسكنها عشيرة الزيبارى.

ومن نواحي العمادية وملحقاتها. ناحية زاخو التي يتألف سكانها من عشيرتين خاصتين (السندية، والسليمانية=سليڤان) والمشهور بين الناس إطلاق اسم (سنديان = السندية) على هذه الناحية أيضاً حيث ظهر منها أكثر علماء وفضلاء كردستان، وكانت من القديم مقاطعة وراثية خاصة، فكان لها حكام مستقلون لا يخضعون لحكم العمادية. ولما ضعف هؤلاء الحكام أدخلها حكام العمادية في حوزتهم، والآن يوجد على قيد الحياة من أولاد حكام زاخو رجل يدعى يوسف بك يخدم حكام الجزيرة.

هذا والحكام الذين قاموا بأعباء الحكم في العمادية من نسل بهاء الدين، بعضهم لا يعرف له حال، والبعض الذين علم حاله في الجملة نذكره بالترتيب بعون الملك الصمد.

الأمير زين الدين

كان هذا الأمير قائماً بأعباء الحكم في ولاية العمادية بالعز والإقبال هانئ البال في أيام فتوحات وسلطنة الأمير تيمور گورگان الفاتح الشهير، وفي عهد ولده الأرشد شاهرخ سلطان. ولما توفي هذا الأمير، اللطيف مع أصدقائه، والشديد الوطأة على أعدائه، قام مقامه نجله السعيد.

الأمير سيف الدين

تولى منصب أبيه فبسط جناح الرحمة والعدل والإحسان على الرعايا والبرايا، حتى إذا ما جاء الأجل المحتوم ارتحل إلى جنة الخلد تاركاً في صفحة الوجود ولدين حسن، وبايرك.

---

١ - وفي نسختين خطيتين: زنكار بدل رادكان. (المترجم)

حسن

قام مقام والده، وهو أكبر ولديه. وفي عهده كان زحف سليمان بك بيزن أوغلي من قبل سلاطين الآق قوينلية إلى ولاية العمادية؛ للاستيلاء عليها. فتمكن سليمان بك هذا من الاستحواذ على قلعتي: العقر، والشوس، ولكنه عجز عن الاستيلاء على قلعة العمادية بالرغم من جهوده الجبارة التي بذلها في سبيل ذلك، واضطر أخيرا للرحيل عنها.

وبعد أن ولت أيام سلاطين الأسرة الآق قوينلية، وحل محلهم الصفويون بادر الأمير حسن إلى الشخوص إلى بلاط إسماعيل الصفوي الذي شمله بعطفه، ومنحه ثقته مما ساعده على استخلاص قلعة دهوك من أيدي طائفة الطاسنية= الداسنية وأضافها إلى ولايته الموروثة، كما أنه نزع ناحية سندي من أيدي طائفة السندية الذين كان لهم حاكم مستقل منفرد وضمها أيضاً لولاية العمادية. ثم توفي إلى رحمة الله مخلفاً سبعة أولاد ذكور وهم: ١- سلطان حسين، ٢- سيدي قاسم، ٣- مرادخان، ٤- سليمان، ٥- پيربوداق، ٦- ميرزا محمد، ٧- خان أحمد.

فقام مقام والده أكبر وأسن أخوته، وهو سلطان حسين بك الذي سنذكر أحواله وأحوال أولاده عن قريب. وخلف سيدي قاسم ولداً يدعى عليخان. ولم يعقب مراد خان أولاداً ذكوراً، وقد قتل في حادث قباد بك. وخلف سليمان بك ولداً يدعى شاه رستم، وخلف پير بوداق ولداً واحداً. وخلف ميرزا محمد ولداً يدعى سلطان محمود، وخلف خان أحمد ولداً يدعى شاه يوسف. وأما بايرك بن سيف الدين فكان له ولد مجنون تسبب في قتل قباد بك فيما يأتي من الحوادث.

سلطان حسين

وأما سلطان حسين الذي هو خلاصة الأسرة العباسية وزبدة رجال حكام العمادية، فقد تسنم عرش الإمارة بوصية من والده بموجب مرسوم صادر من السلطان سليم خان، وكان على جانب عظيم من العلم والنباهة، فكان يقرب العلماء والفضلاء من بلاطه، ويوليهم عطفه وثقته ويوزع العدل والنصفة بقسطاس مستقيم بين الجند والرعايا، لا فرق بين صغير وكبير وغني وفقير، مما جعلهم يتعلقون بأذيال حكمه راضين شاكرين. وفي الوقت نفسه كان يتودد

للبلاط العثماني، ويقوم بخدمات جلى في سبيل إرضاء جلالة السلطان، وكسب ثقته بطريقة لا مزيد عليها، فصار بفضل ذلك ممتازاً، ومحسوداً بين الأقران والأمثال، حتى أصبح المرجع الأول والأخير بين حكام وأمراء كردستان، لا يصدرون إلا عن أمره، ولا يتبعون إلاّ نصائحه ومشورته فيما يطرأ من الحوادث، والقضايا في شئون كردستان التي كان يرفعها إلى السدة العالية السليمانية بكل إخلاص وجسارة؛ حيث كانت طلباته لا ترد قط من رجال الدولة، فعلى هذا المنوال حكم ولاية العمادية وملحقاتها ومضافاتها مدة ثلاثين سنة كاملة إلى أن توفي إلى رحمة الله بأجله الموعود في شهور سنة[1] ... تسعمائة تاركاً على صفحة الوجود خمسة من الأولاد الذكور هم: ١- قباد بك، ٢- وبيرام بك، ٣- ورستم بك، ٤- وخان إسماعيل، ٥- وسلطان أبو سعيد.

قباد بك بن سلطان حسين بك

تولى زمام الأمور في ولاية العمادية بعد وفاة والده بمرسوم من السلطان سليم خان[2] بيد أنه كان درويشاً متزهداً ذا طبع رقيق وشعور حسّاس، وقلب رحيم مكباً على العبادات في الأوقات الخمسة، ومنهمكاً في الصيد والطراد ليل نهار غافلاً عن شئون الإمارة، وسائر أمور الدنيا غير عارف بخفاياها، وخباياها، فلذا كان يتصدى للانتقام لأجل جريمة خفيفة وينزل بمرتكبها أشدّ العقوبات، وقد يتساهل مع صاحب الجريمة العظمى، ويصدر عفوه عنه؛ الأمر الذي حمل العشائر والقبائل على النفور والامتعاض منه، فمالوا إلى مبايعة أخيه بيرام بك الذي لم يكن له قبل بمقاومة أخيه قباد بك، ففر إلى إيران لاجئاً إلى بلاط الشاه إسماعيل الثاني بقزوين حيث نال منه مواعيد كبيرة، كما أن عشيرة المزوري، التي هي من عمدة عشائر تلك البلاد ثارت ضد قباد بك، وخلعته عن الحكومة فعينوا بدله من أبناء عمومته سليمان بن بايرك بن سيف الدين متصرفاً لهم. ولما كان زينل بك حاكم حكاري ممتعضاً من قباد بك ومستاءاً منه، بادر إلى إيفاد رسول إلى بيرام بك بإيران عمل على إطلاق سراحه من سجن الشاه سلطان محمد وإحضاره إلى طرفه، فتخاذل قباد بك من هذا العمل

١- هكذا في جميع النسخ بياض. والظاهر أنه أربع وسبعون أو بعدها بدليل أن ابنه قباد بك تولى الإمارة بعده مباشرة بمرسوم من السلطان سليم الثاني الذي تولى في سنة (٩٧٤هـ = ١٥٦٦م). (المترجم)

٢- تولى السلطان سليم خان الثاني السلطنة في ٩ ربيع الأول سنة (٩٧٤هـ = ١٥٦٦م). (المترجم)

وتسلطت عليه الأوهام، وخشي مغبة الأمر فلاذ بالفرار إلى جهة الموصل وسنجار تاركاً شئون الحكم، وتوجه بيرام بك نحو العمادية بقصد الاستيلاء على حكومتها، ولما اطلع السردار المشهور فرهاد باشا على جلية الأمر، أقطع ناحية زاخو بطريق السنجقية لبيرام بك. وفي هذه الأثناء غادر قباد بك الموصل خائفاً إلى آمد قاصداً استانبول، وما كاد يصلها حتى اتصل بسياوش باشا الوزير الأعظم الذي ساعده في تجديد براءة حكومة العمادية، وإسنادها إليه فقفل راجعاً إلى ولايته. وما أن وصل إلى قلعة دهوك حتى خطر بباله أن يقف فيها مدة ويدبر أمر الذين ثاروا عليه من رجال العشائر، فيقضي عليهم حتى يتخلص من المفسدين ومثيري الفتنة قبل الذهاب إلى العمادية. ولكن سليمان بك بايرك السابق الذكر ومعه مير ملك المزوري، حشدوا جمعاً من الغوغاء والدهماء من أنحاء الولاية وزحف به على قباد بك وأحاط بقلعة دهوك من كل الجوانب وفي أثناء ذلك تمكنوا من الاتصال بمن في القلعة من أنصارهم من الأهالي، فسهلوا لهم فتح أبواب القلعة، وهكذا دخلوها بسهولة وقبضوا على قباد بك ومعه أحد أنجاله، وبعض من رجاله المرافقين له، وقتلوهم جميعاً. ثم أطلقوا يدهم في نهب أموالهم وسلب ممتلكاتهم. ولما وصلت أنباء هذه الحوادث إلى مسامع بيرام بك بزاخو غادرها تواً إلى العشائر والقبائل فبادر سليمان بك ومير ملك إلى تنصيبه رئيساً لحكومة العمادية. ورأى بيرام بك أن من الصواب والأصلح ألا تنفض عنه جموع العشائر، فقبل منصب الحكومة منهم طوعاً كان أوكرهاً.

وأما سيدي خان بك، وسلطان أبو سعيد نجلا قباد بك، فشدا الرحال باكين مستصرخين إلى عتبات السلطان مراد خان. ولكن أكثرية سكان العمادية الصغير منهم والكبير، والغني والفقير والمسلمون والنصارى، والجنود والرعايا، كانوا ميالين إلى بيرام بك فتحققت رغبتهم، وحصل مقصودهم فأقبلوا يهنئون بعضهم بعضاً، ويقيمون معالم الزينات والسرور ويفرقون الصدقات والنذور، ويعتبرون زوال حكم قباد بك فوزاً عظيماً.

بيرام بك بن سلطان حسين بك

سبق القول إن بيرام بك كان من جراء الخوف والخشية من أخيه قباد. قد التجأ إلى ساحة إسماعيل الثاني، ولقى لديه عطفاً وإكراماً، بيد أنه حين توفي الشاه إسماعيل، وتولى بعده أخوه الشاه سلطان محمد لم يلق بيرام بك الالتفات والعطف اللذين كانا يلقاهما سابقاً من البلاط، بل استضعفوه وسجنوه في قلعة

آلموت، فلما اطلع زينل بك حاكم الحكاري على هذه الحالة سعى في استخلاصه، ففاوض أمير خان والي تبريز في هذا الصدد، وأسفر الاتفاق بينهما على أن يدفع مبلغ خمسة آلاف فلورى بصفة هدية إلى الشاه سلطان محمد، وأمير خان في نظير إطلاق سراح بيرام بك من معتقله في قلعة آلموت، وتسليمه إلى زينل بك، فدفع زينل بك المبلغ لرجال أمير خان، حسب الاتفاق، وعند ذلك سلموا له بيرام بك الذي تولى منصب حكومة العمادية، وتم له الأمر بعد الحوادث والوقائع السابق ذكرها حيث كان سلوكه مع الأهالي والعشائر غاية في العدل والإنصاف، وحسن الإدارة وحزم الأمور. فلما وصلت أنباء هذه الحوادث ولاسيما ما يتمتع به بيرام بك من مظاهر الثقة ورضاء الأهالي والجنود عليه إلى مسامع الوزير الأعظم عثمان باشا القائد الأعلى للجبهة الإيرانية، تعطف وأرسل من معسكره بقسطمونى منشور إيالة العمادية باسم بيرام بك.

وفي هذه الأثناء كان سيدي خان بك ولد قباد بك، قد وصل إلى عتبات السلطان مراد خان ورفع إليها حقيقة الأحداث والوقائع التي أفضت إلى قتل والده، وتمرد العشائر وثورة الأهالي وتنصيبهم بيرام بك لرئاسة الحكومة، فما كان من السلطان إلا أن شمله بعطفه وأرسل مرسوماً بتفويض إيالة العمادية إليه، وأوامر أخرى شديدة بتكليف السردار فرهاد پاشا بالتحقيق مع بيرام بك والقضاء على الثوار ومثيري الفتنة في العمادية، وتنفيذاً للأمر شرع السردار في العمل حيث بادر إلى ضم سنجق حسنكيف إلى حكومة زاخو، وإسنادها إلى بيرام بك مؤقتاً إلى أن تسنح الظروف بإعادة حكومة العمادية إليه. وكان غرضه من هذا أن يستميله ويقبض عليه. فلذا كتب إليه خطاباً بهذا المعنى يستميله ويقول فيه: إن المصلحة الآن تقضي أن تترك حكومة العمادية لسيدي خان بك حسب المرسوم السلطاني، وأن تقوم بأعباء حكومة زاخو وسنجق حسنكيف. مع المبادرة في الحضور إلى مصاحبة الجيش العثماني الظافر في حرب كرجستان هذه السنة؛ لتساهم في خدمة السلطان والدولة، وبذلك يتيح له الفرصة بعد العودة من الحرب لأن يرفع تقريراً عن صادق خدماته إلى العتبات السامية ملتمساً إعادة منصب حكومة العمادية له.

فجازت هذه الحيلة المتقنة على بيرام بك الساذج الطيب القلب، وتنازل عن حكومة العمادية باختياره إلى سيدي خان بك مقتنعاً بسنجق حسنكيف بعد أن بلغت أيام حكمه ثمانية شهور فقط. ثم لبى دعوة السردار ورافق الجيش العثماني إلى حرب كرجستان. وبعد العودة من هذه السفرة ألقى السردار

القبض على بيرام بك وزجه في سجن قلعة أرضروم وسنذكر مآله في السطور الآتية بعون الله الحميد المجيد.

سيدي خان بك بن قباد بك

حينما فوض إلى سيدي خان بك أمر إيالة العمادية، وأسند منصب والده العالي بمنشور من عتبات السعادة إليه حسب القضاء والقدر، صدرت أوامر وأحكام مشددة إلى ميرميران بغداد وشهرزول وإلى سائر حكام كردستان وأمرائه بان يزحفوا جميعاً متفقين على بيرام بك، وينزعوا منه القلعة ويسلموها إلى سيدي خان بك، إذا امتنع عن تسليم قلعة العمادية وإيالتها. ولما وصل سيدي خان بك الموصل أطاع بيرام بك الأمر السلطاني، وأخلى القلعة والولاية وذهب إلى الخارج وبادر سيدي خان بك بتعضيد من خاله سليمان بك حاكم سهران إلى دخول قلعة العمادية في أواسط ذي الحجة (٩٩٣هـ=١٥٨٥م) وقام بأعباء الحكم فيها كما سبق ذكره فيما مضى.

هذا ولما عاد السردار فرهاد باشا من سفر كرجستان، وألقى القبض على بيرام بك حسب الخطة واعتقله، وأرسل إلى سيدي خان بك وأحضره إلى أرضروم، وبعد أن تقاضى منه مبلغاً كبيراً من المال كجائزة له أشار إليه بأن يطالب بمحاكمة بيرام بك محاكمة شرعية بتهمة قتله والده قباد بك، فثبتت التهمة عليه حسب الشريعة، وسلم بيرام بك إلى سيدي خان بك الذي اقتص منه في شهور (٩٩٤هـ=١٥٨٥م). وقد مضى الآن إحدى عشرة سنة على توليه حكم العمادية مستقلاً تمام الاستقلال، لا ينازعه فيها أحد، وإن كانت طائفة المزوري قد عارضته بضعة أيام، وشقت عصا الطاعة إلا أنه تغلب عليها أخيراً وأخضعها لحكمه باللطف تارة، وبالعنف والشدة تارة أخرى. وفي الحقيقة أنه شاب في غاية من اللطف والكياسة، وعلى جانب عظيم من الشجاعة والسخاء، فقد أرضى الجميع من الجند والأهالي بدماثة خلقه والتزامه جانب العدل، ويرجى أن يوفق إلى أعمال طيبة بإذن الله.

الفصل الرابع

في ذكر أمراء الجزيرة، وينقسمون إلى ثلاث شعب

يؤخذ من عبارات وأقوال المؤرخين الثقات، أن الثابت والمحقق هو أن سلسلة نسب حكام الجزيرة تنتهي إلى خالد بن الوليد الصحابي الكريم[1]، وأن أول شخص من أجداد وآباء هؤلاء وصل إلى حكم الجزيرة، كان يدعى سليمان بن خالد وكان رجال هذه الأسرة في بادئ الأمر يعتنقون النحلة اليزيدية المشئومة ويسلكون طريقتهم الممقوتة. ثم وفقهم الله إلى الهداية والرجوع إلى مذهب أهل السنة والجماعة، فأنشأوا المساجد والمدارس ورصدوا عليها قرى يانعة، ومزارع مثمرة. كما أن عشيرة (البختي=البختية) مشهورة من بين طوائف كردستان بالشجاعة والبسالة، ومتصفون بالشهامة والفروسية، وهم مغرمون بحمل وشراء الأسلحة القيمة، وآلات الحرب والطعان النادرة، ولا سيما السيف المصري والحراب الدمشقية، وكانوا يشترونها بثمن غال جداً، ويقدّرونها فيما بينهم حق قدرها، كما أنهم يقتنون الخيول العربية الأصيلة. وفي أيام الوغى والطعان يقفون صفاً واحداً أمام العدو لا يزعزعهم الخوف ولا الوجل، فلا تفارقهم رباطة جأشهم قط في أحرج المواقف، وهم من هذه الجهة متفوقون على أمثالهم من طوائف كردستان جمعاء.

ومدينة الجزيرة هذه من المدن القديمة، فتحت في عهد خلافة عمر رضي الله تعالى عنه سنة (١٧هـ=٦٣٧، ٦٣٨م) صلحاً على يد أبي موسى الأشعري، وسعد بن عياض بن عثمان[2]، حين قبل أهاليها جميعاً دفع الجزية ما عدا عشائر ملحقاتها من عرب بني تغلب الذين فروا إلى ملك الروم، وأرسلوا من

١- هذا هو المشهور على ألسنة أهالي الجزيرة. لكن جاء في تاريخ الدول والإمارات الكردية المطبوع في القاهرة سنة ١٩٤٥م ص٣٦٤: (إن أخبار التاريخ الصحيحة تقول: انه – خالد بن الوليد رضي الله عنه – مدفون بحمص. والمتواتر أن سليمان بن خالد قتل في حرب صفين. ويقول صاحب أسد الغابة: إنه لم يبق أحد من ذرية خالد لموتهم بالطاعون، ولذلك ورث أملاكه في المدينة أيوب بن سلمة. ويؤيده في ذلك صاحب نهاية الأرب، ويقول: إن من يدعي الانتماء إليهم فقد كذب، ثم يقول المؤلف: ولما كان بعض عشائر الجزيرة منحدر من الشعب (الخلدي=الكلدي) القديم وإن الأكراد يمجدون الأبطال أمثال خالد بن الوليد ويقتدون بهم عدا حبهم وتمسكهم الشديد بالإسلام اعتقدوا أن أمراء الجزيرة من نسل خالد بن الوليد) اهـ بتصرف واختصار.

٢- هكذا في النسخ التي بأيدينا. والمعروف أنه عياض بن غنم. المترجم

هنالك يقولون: إذا كان المال المطلوب منهم على سبيل الصدقة فإنهم مستعدون للدفع. ولما عرض أمرهم على عمر رضي الله عنه قال: إن الصدقة أيضاً جزية فاقبلوها. وعلى ذلك عادوا إلى مساكنهم. وأما قلعة الجزيرة فهي من آثار عمر بن عبد العزيز الذي هو ثامن خلفاء بني أمية، واشتهر بالعدل والإنصاف من بينهم حتى لقب بعمر بن الخطاب الثاني رضي الله عنهما. وهو الذي أبطل العادة القبيحة الشنعاء التي كان الأمويون قد أبدعوها ودأبوا عليها زهاء مائة سنة، وهي لعن سيدنا علي كرم الله وجهه والإمامين الهمامين الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم، على المنابر في المساجد، وهكذا أنقذ العالم الإسلامي من تبعة ووبال هذه الجريمة.

وتقع مدينة الجزيرة وقلعتها على ساحل نهر شط العرب (دجلة) الذي حينما يطغى ينشطر شطرين يحيطان بالقلعة، والمدينة من الجانبين. وهناك سد عظيم مبني من الحجر، والطين في أعلى القلعة يحول دون وصول الضرر من المياه الدافقة إلى بيوت وعمارات القلعة؛ فلذا ترون الناس دائما يترددون إلى القلعة والمدينة بجسر؛ فلذا سميت المدينة بالجزيرة العمرية. ولولاية الجزيرة هذه قلاع حسنة ونواح مرغوبة. نذكر منها في هذه النسخة أربع عشرة قلعة وناحية حتى لا يمل القارىء الفاضل ولا يعتريه الملل:

(١)ـ ناحية (گوركيل) التي بها جبل الجودي.. الذي استقرت عليه سفينة نوح عليه وعلى نبينا السلام ـ على ما يقال ـ. وتنحصر عشائر هذه الناحية في سبع طوائف: فأربع منها حسينية؛ ١- شهريوري، ٢- وشهريلي، ٣- وگوركيل، ٤- وأستوري، والثلاث الأخرى يزيدية:،١- نيويد كاون، ٢- وشورش، ٣- وهيودل.

(٢)- قلعة وناحية (بركة) التي اشتهرت باسم العشيرة التي تمتلك هذه الناحية.

(٣)- ناحية وقلعة (أروخ) الخاضعة لحكم قبيلة أروخ فهي من امنع قلاع كردستان وأحسنها.

(٤)- ناحية وقلعة (پروز) التي هي خاصة بقبيلة بروز المنقسمة إلى ثلاث فرق: جاستولان، وبزم، وكرافان.

(٥)- قلعة وناحية (بادان) الخاصة بعشيرة (گارسي).

(٦)- ناحية (طنزى) التي يطلق على قلعتها اسم كلهوك وهي أيضاً في تصرف عشيرة (گارسي).

(٧)- قلعة وناحية (فنيك) التي تنحصر عدة قبائلها في أربع طوائف يأتي ذكرها في أحوال أمراء فنيك.

(٨)- ناحية (طور).(٩)- ناحية (هيثم). وأكثر سكانها من الأرمن والنصارى، وترد منها جل حاصلات وغلال لحكام الجزيرة وتقطنها قبيلة (جلكي) أيضاً.

(١٠)- ناحية وقلعة (شاخ) المشهورة في بلاد الجزيرة برمانها الطيب، ورعايا هذه الناحية أيضا من الأرمن والنصارى وتسكنها قبيلة (شيلدى).

(١١)- قلعة (نش أتل). (١٢)- قلعة (أرمشاط) التي تحت تصرف عشيرة براسي التي هي من عمدة عشائر البختية، وتعتبر من أكثر العشائر خدماً وحشماً وأعز نفراً.

(١٣)- قلعة (كيور) التي يطلق عليها أيضا اسم قميز، وهي تحت تصرف قبيلتي: كارسي، وقرشي.

(١٤)- قلعة (ديرده) التي هي من نواحي طنزى، وبعض رعاياها من سكانها، من العرب مثل: الطهيري، وصفان، وبني عبادة، وأكثر أرمن هذه الناحية يتكلمون باللغة العربية. وتعداد قبائلها وعشائرها كما يلي: ١- دنبلي، ٢- نوكي،٣- محمودي،٤-شيخ بزني،٥- ماسكي،٦- رشكي،٧- مخ نهران، ٨- پيكان،٩- بلان،١٠- بلاستوران،١١- شيرويان،١٢- دوتوران. والقول الأصح هو أن عشيرتي: دنبلي، ومحمودي نزحتا من ولاية الجزيرة في الأصل، وسيأتي ذكرهما في الصحيفة الثالثة حسب الفهرست المذكور في المقدمة بعون الله الملك المعبود. والآن نشرع في ذكر أحوال حكام الجزيرة بتوفيق واهب الخير والجود.

سليمان بن خالد

سبق القول إن أول شخص من أجداد حكام الجزيرة الذي تولى حكومتها، هو سليمان بن خالد؛ إذ حكمها ردحاً من الزمن بالعز والإقبال إلى أن وفاه الله عن ثلاثة من الأولاد الذكور هم: مير حاجي بدر، ومير عبد العزيز، ومير أبدال. ولكن أرشد أولاده من حيث القابلية والاستعداد، كان الأمير عبد العزيز، فقد كان متفوقاً على إخوته في ميدان العدل والكرم وكانت تظهر عليه مخايل الذكاء وعلامات الشهامة، لتولي الأمور العامة يوماً فيوماً، وساعة فساعة حتى علا

شأنه وارتفع قدره بين الناس، وانطبق عليه قول الشاعر[1] :

معناه: "كان مفرق رأسه من فرط عقله يناطح الكوكب العالي"، فلذا آل إليه أمر القيام بحكومة الجزيرة، بعد وفاة والده، كما تقرر إسناد أمور ناحية گوركيل إلى أخيه مير حاجي بدر، وناحية فنيك إلى الآخر مير أبدال، وقد اتفقوا جميعاً على إدارة البلاد بالحزم والعزم سالكين طريق العدل والإنصاف، فقاموا بواجبهم نحو الشعب خير قيام، لا يختلفون في شيء.

الشعبة الأولى

في

ذكر حكام الجزيرة الذين اشتهروا باسم العزيزية

نهض الأمير عبد العزيز بأعباء حكومة الجزيرة نهوضاً عظيماً ردحاً من الزمن، حتى وافاه الأجل المحتوم تاركاً أميرين: هما سيف الدين، ومجد الدين. قام مقامه النجل الأكبر.

الأمير سيف الدين بن عبد العزيز

لما تسنم هذا الأمير عرش حكومة الجزيرة،لم يحد قط عن سنة والده في أصول الحكم والإدارة، فسعى في إرضاء الرعايا والجند، وسائر رجال العشائر والقبائل.

وهكذا نال ثقتهم جميعا، ولما أدركته المنية انتقل الحكم إلى أخيه.

الأمير مجد الدين بن عبد العزيز

ألقيت إليه مقاليد الأمور في حكومة الجزيرة، فأراد دفة الأمور أحسن من والده وأخيه، ونهض بشؤون البلاد نهوضاً عظيماً، وقد طالت أيام عهده السعيد حتى إذا جاءه الأجل المحتوم، فخلفه نجله الأمير عيسى.

١- البيت بالفارسية: بالاى سرش زهو شمندي   مي تافت ستارهء بلندي

الأمير عيسى

قام مقام أبيه وسلك طريق العدل والإحسان عاملاً بقول الشاعر[1]:

معناه: "إعدل فإن العادل محترم من الناس جميعاً" إذ فتح أبواب عدله للجميع، فاستمال قلوب الناس أجمعين، وهكذا أمضى أيامه السعيدة بين رعيته وجنده متمتعاً برضاهم، وثقتهم ولم يقدم على إيذاء أحد منهم من غير ما سبب؛ إلى أن توفي، فولى مكانه نجله وثمرة شجرته.

الأمير بدر الدين

قام بأعباء الإدارة والحكم خير قيام، فنشر ألوية العدل والمساواة بين الرعايا وطبقات الشعب جميعاً، وبالغ في ذلك أيما مبالغة. وكان فضلاً عن تمسكه بأهداب العدل ومقته للظلم، فإنه كان ميالاً إلى التصوف والزهد، ساعياً إلى الاجتماع بأهل الكشف والكرامات من أصحاب الإيمان، وأرباب الإتقان. حتى توفي فقام مقامه نجله.

الأمير أبدال

لما تسلم هذا أريكة الإمارة عوضاً عن والده، سلك طريقة أجداده العظام في تصريف جميع الشؤون إلى آخر أيامه. فتولى الحكم والرئاسة بعده ابنه.

الأمير عز الدين

ولما وصل هذا الأمير إلى رئاسة الحكومة وزعامة العشائر والقبائل، كانت فتوحات الفاتح الشهير الأمير تيمور، قد وصلت إلى أقصاها، وردّد العالم صداها حيث يقول مولانا شرف الدين علي يزدي في كتابه ظفرنامه: إن الأمير تيمور گورگان بعد أن استولى على بغداد دار السلام في شهور سنة (٧٩٦هـ=١٣٩٣ و١٣٩٤م) وضرب قلعة تكريت، واستولى على قلاع ونواحي تلك الجهة، توجه نحو ماردين ولما وصل إلى موضع يقال له جمليك على مسافة سبعة فراسخ من ماردين، خف الأمير عزالدين حاكم الجزيرة إلى مقابلة تيمور، والتشرف بسدّته السنية رافعاً هدايا وتحفاً عظيمة، فنال من لدنه العطف

١- البيت الفارسي: بعدل كوش كه عادل هميشه معتبرا ست.

والرضاء، وعاد إلى ولايته مقروناً بالسعادة والإقبال حيث قبل ما طلب إليه من إرسال إتاوة (تفار) هي عبارة عن الأرزاق والزاد اللازم للجيش.

هذا وقد صدر من سلطان عيسى حاكم ماردين بعض التقصير نحو رجال تيمور ليس هنا مقامه، مما حمل تيمور على أن يفكر في محاصرة ماردين، ولكنه عدل عن ذلك أخيراً. نظراً لعدم امكان إقامة جيش كبير عرمرم في تلك الجهات لقلة المراعي والزاد والذخيرة، فرأى من المصلحة العودة إلى الموصل في يوم السبت ثامن ربيع الآخر من السنة المذكورة، ومن هنا أرسل الأمير تيمور طائفة من رجاله يحملون هدايا عظيمة، وتحفاً نادرة إلى الأميرات والأمراء من أسرته في بلدة السلطانية. وفي هذه الأثناء كان أحد الأكراد من العشيرة البختية، ويدعى شيخ موجوداً في معسكر تيمور، وقد سبق له أن تشرف مع الأمير عزالدين بالمقابلة السامية، فانتهز فرصة سفر تلك الجماعة بالتحف والهدايا فاستأذن في السفر ورافقهم في ذلك، ولما وصلوا إلى جوار الجزيرة حاد عن طريق الصواب، وتعدى على تلك التحف والهدايا، فأخذها وذهب بها إلى الجزيرة. وما كان من الأمير عز الدين إزاء هذا إلا أن شارك هذا المأفون الأثيم في عمله ناقضاً عهده مع رجال تيمور. ومع أن الأمير تيمور القادر الجبار لكي يلزم الأمير عز الدين الحجة أرسل إليه الرسول مرتين يقول له: إذا قبضت على الشيخ وأرسلته أليّ، فإني أصفح عنك، وإلا أُدمر جميع القلاع والنواحي في بلادك وأجعلها خراباً يباباً تحت سنابك الخيل. لكن الأمير عز الدين اغتر بحصانة قلعته، ووفرة المياه حواليها لكونها على الشط (دجلة)، فلم يمتثل للأمر القاضي بتسليم الشيخ المذكور، وأبى تنفيذ الطلب. فلذا اضطر الأمير تيمور في يوم الاثنين الثالث عشر من جمادى الأول من السنة المذكورة، إلى ترك الأثقال والمهمات في الموصل، والزحف إليه خفيفاً والإغارة على الجزيرة، فاجتاز بالجيش جميعاً دجلة، وباغت العدو ليلاً حيث أحاط بالجزيرة وقت السحر من كل الجوانب. ولم تمض ساعة إلا وكان تيمور مستولياً على القلعة والمدينة معاً، وأطلق يد النهب والسلب في جميع بلاد الإمارة. وكان الأمير عزالدين قد وقع في تلك المعركة الخاطفة في يد جندي لم يعرف شخصيته، فعذبه وسلبه ما عليه من السلاح والمال، ثم أطلق سبيله. وهكذا تخلص من هذه الورطة وهو بين الحياة والموت. وفي هذه النقطة من القصة تتلخص رواية أهل الجزيرة فيما يأتي:

إن الأمير تيمور كان يكرم وفادة الأمير عز الدين ويحترمه، حتى إنه كان

يلعب معه الشطرنج، ويصاحبه في رحلاته ويستأنس به في مجالسه الخاصة، وقد حرضه على الذهاب معه إلى غزو البلاد الشامية، بيد أن الأمير عز الدين أبى الاشتراك في غزو البلاد العربية لأنه كان يتقاضى من سلاطين الشام مبلغاً كبيراً كمخصصات، فغضب تيمور عليه واجتاح بلاده لهذا السبب فقط، ومهما يكن فإن الأمير عز الدين قد أمضى بقية حياته مختفياً متحملاً المشاق، وأنواع الرياضة بين عشيرة أروخي؛ إلى أن مات.

الأمير أبدال بن الأمير عز الدين

تولى حكومة الجزيرة بعد وفاة أبيه وقام بشؤون رئاسة العشائر والقبائل خير قيام، ولكنه توفي بعد مدة وجيزة ولم تدم أيامه.

الأمير إبراهيم بن الأمير أبدال

لما توفي والده، حلّ محله في منصب حكومة الجزيرة، فحكم البلاد مدة من الزمن، وخلف ثلاثة من الأولاد الذكور هم: الأمير شرف، والأمير بدر، وكك محمد.

الأمير شرف

تولى هذا الأمير أولاً منصب والده، فحكم البلاد ردحاً من الزمن، ثم توفي تاركاً الحكم لأخيه.

الأمير بدر

قام بأعباء الحكم بعد أخيه فترة من الزمن، ثم توفي تاركاً وراءه ثلاثة من الأولاد الذكور هم: مير مشرف، ومير محمد، وشاه علي بك.

كك محمد بن الأمير إبراهيم

استولى على مقاليد الأمور في حكومة الجزيرة بعد وفاة إخوته، وفي عهده كان استيلاء حسن بك الآق قوينلو[1] على هذه البلاد، فنالها كثير من التخريب

١- هو مؤسس الدولة الآق قوينلية الشهير بحسن الطويل. (المترجم)

والتدمير على أيدي هؤلاء التركمان، وقتل أكثر أعيان وكبار البختية. فقبضوا على كك محمد وأبناء مير محمد، وشاه علي بك، وأخذوهم مقيّدين إلى العراق، وهكذا سقطت جميع تلك الديار في أيدي تراكمة الآق قوينلية. وقد عهدوا بحكومة الجزيرة إلى رجل منهم يدعى چلبي بك الذي لا يزال أحفاده يعرفون بين التركمان باسم چلبي لو. وقد قام چلبي بك هذا بأمر هذه الولاية بالحزم والعزم، فضبط بحزم الأمور ونشر ألوية السلام، وبقيت البلاد تحت حكمه إلى أن استخلصها أخيراً الأمير بدر من أيدي الآق قوينلية.

الأمير شرف بن الأمير بدر

كان هذا الأمير قد تمكن من الفرار أثناء القبض على عمه كك محمد، وأخويه مير محمد، وشاه علي بك، من قبل طائفة الآق قوينلية، وكان منزوياً في جهة ما بعيداً عن العيون، حتى إذا ما قارب عهد سلاطين الآق قوينلية إلى الزوال والاضمحلال، فأخذت شمس آمال الأمير شرف في البزوع والظهور والاكتمال، كما قال الشاعر[1] : معناه "إذا لم يمت أحد محروماً فإن الآخر لا يسعد ويتمتع بالاطمئنان".

بادر الأمير شرف إلى حشد بقية السيوف من رجال العشيرة البختية، وجمعهم حوله بالسياسة والكياسة، وأخذ يعمل حثيثاً لاسترداد حكومة الجزيرة، وقد ابتسم له الدهر فجأة بعد أن كان يمض أيامه في عزلة تامة، بعيداً عن الأنظار مدة ثلاثين سنة قاطعاً الأمل في الوصول إلى حقه، فبادر إلى انتهاز الفرصة فوراً، فزحف إلى عدوه ونازله نزالاً شديداً، حتى أنقذ ولايته الموروثة فصار حاكمها المستقل. وفي هذه الأثناء تخلص عمه كك محمد، وأخواه: شاه علي بك، ومير محمد من قيد التراكمة وسجنهم البغيض، وجاءوا إليه واتحدوا معه قلباً وقالباً. هذا ولما ظهر الشاه إسماعيل الصفوي، وتم له الأمر في إيران حيث نزع ولايتي العراقين وآذربيجان من أيدي التراكمة، واستولى أيضاً على ولايات دياربكر، والموصل، وسنجار، وأرسل إلى جهة الجزيرة جيشاً من القزلباش بقصد الاستيلاء عليها، بيد أن الأمير شرف قاومه أشدّ المقاومة، وكسره شرّ كسرة في عدة معارك جرت بينه وبين القزلباش، فكانت الغلبة دائماً في جانبه حتى إنه قتل في إحدى المعارك ألفاً وسبعمائة رجلاً، وأسر جمعاً كبيراً

١- البيت الفارسي: تانميرد يكى بنا كامى ديگرى شاد كام ننشيند

منهم، وكذا في المرة الثانية التي قام محمد استاجلو ميرميران دياربكر من قبل القزلباش، ومعه أخوه قره خان بالزحف إلى الجزيرة، ومحاصرة الأمير شرف بها، انتصر الأمير شرف أيضاً وعاد المهاجمون يجرّون ذيل الفشل. وفي المرة الثالثة عمد الشاه إسماعيل إلى تجريد حملة عسكرية قوية من همذان مؤلفة من الجنود المدربين من الحرس الشاهاني تحت قيادة يكان بك التكلو رئيس الحرس؛ لمحاربة الأمير شرف ومهاجمة الجزيرة وفتحها، فتوكل الأمير شرف على الله عملاً بقوله تعالى: (كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّه) وصمم على الدفاع عن بلاده، فجمع جنوده الأبطال ورجاله المدربين المجربين للقتال، وقابل بهم العدو المهاجم أشدّ المقاومة ودارت رحى معارك دموية بين الفريقين، وأسفر القتال عن اندحار يكان بك وطرده من الولاية شر طردة، ومن ذلك اليوم لم يخطر ببال القزلباش أن يتعدوا حدود ولاية الجزيرة مرة أخرى. وهكذا قضى الأمير شرف بقية أيام حكمه هانئ البال سعيداً، حتى توفي إلى رحمة الله.

شاه علي بك بن الأمير بدر

تولى منصب الإمارة بعد وفاة أخيه الأمير شرف بانتخاب عشائر وأعيان الطائفة البختية له، فقام بأعباء حكومة الجزيرة خير قيام وأقطع قلعة فنيك وناحيتها لأخيه الأمير محمد. ولما حان وقت اتفاق أمراء كردستان واستحسانهم الذهاب إلى خوى وتبريز، لملازمة بلاد الشاه إسماعيل، انخدع شاه علي بك بالمظهر ونسي ما كان بين والده والقزلباشية، من الكراهية، والبغضاء من جراء الهزيمة المنكرة التي ألحقتها البختية بجموع القزلباشية. وهكذا انساق مع هؤلاء الأمراء الاثني عشرة الأكراد من حكام كردستان، وذهب إلى بلاط الشاه إسماعيل الذي لم يكن قد نسي ما يكنه من البغضاء وما يضمره من العداء نحو الأمير شرف وأولاده، فبادر إلى حبسه مع الأمراء الآخرين ووضع الأصفاد والغلال في أيديهم وأرجلهم، وبعد ردح من الزمن حينما تخلص هؤلاء الأمراء من قيودهم بوسائل مختلفة، تخلص شاه علي بك أيضاً من تلك القيود والسجن، وجاء إلى الجزيرة التي كانت حينئذ تحت إدارة أحد موالي الشاه إسماعيل (أولاش بك) أخى خان محمد استاجلو والي دياربكر، فنشب القتال بينهما حول ولاية الجزيرة، واضطر أولاش بك إلى ترك البلاد، ولاذ بالفرار ودخلت قلاع الجزيرة ونواحيها كلها في طاعة شاه علي بك من جديد. هذا ولما

توثقت أواصر الصداقة والأخوة بينه وبين الأمير شرف حاكم بدليس، أعلنا طاعتهما للسلطان سليم خان العثماني، وأخذا يحرضانه على انتزاع ولايات: دياربكر، وأرمينية، وآذربيجان، من أيدي القزلباش. وبعد مضي بضع سنين من أيام حكم شاه علي بك انتقل إلى رحمة الله تاركاً من بعده أربعة من الأولاد الذكور هم: بدربك، وناصر بك، وكك محمد، ومير محمد. وقام بدر بك مقام والده بعد وفاته. كما أن أولاد ناصر بك، ومير محمد حكموا الجزيرة وستأتي تفاصيل أحوالهم فيما بعد. وقد خلف الأمير محمد ولداً شجاعاً شهماً يدعى سليمان بك لا يزال في قيد الحياة.

بدر بك بن شاه علي بك

تسلم أريكة الإمارة بعد وفاة والده فأحسن الحكم والإدارة أيما إحسان، فنشر ألوية العمران والنهضة بالبلاد رافعاً علم العدل والمساواة عالياً، فطالت أيامه حتى بلغت سبعين سنة حكم خلالها البلاد حكماً مستقلاً. وكان طيلة عهد السلطان سليمان خان العثماني قائماً بالخدمات السلطانية بكل إخلاص ومهارة، فاشترك في حروب السلطان في وان، وغزوه لتبريز، وفتحه بغداد، وسائر بلاد العراق العربي. بيد أن حادثين شنيعين صدرا منه لفرط اعتماده على خدماته الطيبة للدولة، واعتزازه بها، فغيرا عليه قلب السلطان وقلب وزيره الأعظم رستم باشا.

الأول: إنه في يوم التشريفات السلطانية بمناسبة انتهاء حرب إيران وعودة الأمراء والحكام إلى بلادهم مستأذنين، قدم سلطان حسين بك حاكم العمادية على بدر بك الذي أبى هذا، وخرج من الديوان الهمايوني من غير أن يتشرف بالمقابلة السلطانية، فغادر دار السلام من غير أن يستأذن السلطان والوزير، إلى مقر إمارته الجزيرة.

والثاني: سبق القول إن بدر بك أرسل عدة من المجرمين الفاتكين من البختية إلى طريق زينل بك حاكم حكاري الذي كان عائداً من استانبول، بعد أن نال بغيته بمساعدة الوزير رستم باشا من التماس الحكومة له، فحينما وصل زينل بك هذا مع رفقائه حدود الجزيرة هاجمه المتربصون، وقتلوا من معه وجرح هو جروحاً بليغة وسقط مغمى عليه. ولما بلغ نبأ هذا إلى مسامع رستم باشا ازداد تأثراً منه وغضباً عليه. فلذا بادر رستم باشا حينما جاء للوزارة للمرة الثانية إلى تحريض الأمير ناصر أخي بدر بك وتحريكه لطلب حكومة الجزيرة

لنفسه، وأن يحضر إلى عتبات السلطان ويعرض التماسه. فلبى ناصر بك الإشارة السامية، وتوجه إلى عتبات السلطان سليمان، ونال من لدنه العطف بفضل تعضيد الوزير له، فصدر المرسوم السلطاني بإسناد حكومة الجزيرة إليه. وما كاد ناصر بك يصل الجزيرة مقر الحكومة حتى غادرها بدر بك إلى طرف سنجار متخلياً عن الحكم لأخيه. وبعد سنتين قد مضتا على هذا شد بدر بك الرحال إلى العتبات السلطانية، وتمكن من استصدار مرسوم سلطاني بإعادة حكومة الجزيرة إليه، وتفريق ناحيتي: طور، وهيثم من الإيالة الجزيرية، وهكذا قضى عمره الطويل في حكم الولاية بموجب المرسوم العالي المذكور بكل حزم وعزم. بيد أنه كان يتعاطى المخدرات جهاراً في المجالس والمحافل، حيث كان يصرف في مجلسه خمسمائة درهم من الحشيش كل يوم، وكان مقرره هو من هذه المادة كل يوم صباحاً ومساءً نحو مائة درهم. وأغرب من هذا انه كان ينبه وكيله الخاص إلى وجوب شراء هذا المقدار من ماله الخاص من وجهه الحلال أعني من الذهب غير المغشوش. وعلاوة على هذه الحالة فإنه كان في غاية التقى والتمسك بأهداب الشريعة، وتنفيذ الأحكام الدينية بكل دقة وإخلاص، فكان يقرب إليه العلماء والفضلاء ويعطف عليهم عطفاً شاملاً، فالعلماء والفضلاء الذين اجتمعوا في عهده بالجزيرة لم يسبق لهم مثيل في كثرة العدد وسموّ المكانة في مختلف العصور، وذلكم: كمولانا محمد البرقلعي، ومولانا أبي بكر، ومولانا حسن السورچي، ومولانا زين الدين يبى الذي كان من عمداء العلماء في العلوم الظاهرة والباطنة، ومن زبدة مشايخ العصر. وكمولانا سيد علي وغيرهم الذين تتداول العلماء وطلاب العلوم مؤلفاتهم ومصنفاتهم العلمية. ويروى أن مولانا أبا بكر استاء ذات يوم وتأثر خاطره من بدر بك، وهم بالرحيل عن الجزيرة، فما كان من بدر بك إلا أن خف مع الأشراف والأعيان إلى زيارة مولانا الشيخ، فطيب خاطره وأنعم عليه خلعاً وألبسه تشريفية، حتى أرضاه وأرجعه إلى مكانه.

ولما توفي أخوه ناصر بك أعاد ناحية طور وهيثم إلى حكمه كالسابق، فضمها إلى الإيالة الموروثة. وعمر طويلاً حتى بلغ عمره التسعين وتجاوزه إلى المائة، وعندئذ ظهرت عليه بوادر الضعف والخور في قواه العقلية، فكانت تصدر منه أفعال بعيدة عن العقل والصواب.

ولقد سمعت مراراً عن الثقات أنه في ذات يوم جاء رجل إلى بدر بك يشكو قصاب المدينة عما ألحقه من الإهانة والتحقير فخيل إلى بدر بك أن المشكو عنه

قصار لا قصاب فاستدعى إليه رئيس القصارين وعاقبه بالجلد، ولما انتهى العقاب سأله القصار: ما هو الذنب الذي استوجب عقوبتي هكذا ؟ فأجابه بدر بك: إنك أهنت الشخص الفلاني. فقال القصار: أيها الأمير إن الذي ارتكب العمل المذكور هو قصاب وأنا قصار، لا قصاب، فردّ الأمير عليه قائلاً: إن كلمتي قصار، وقصاب، واحدة وبينهما اشتراك لفظي. فمثل هذا السهو التافه لمن السهل تلافيه. ولما لبى الأمير نداء ربه بأجله الموعود كان له ولد واحد، هو أمير محمد.

الأمير محمد بك بن بدر بك

كان الأمير هو المعول عليه في عهد والده في إدارة شؤون البلد، ومعالجة مشاكلها، وكان حريصاً على جمع المال والثروات. فيحكى أنه كان يملك اثنتى عشرة ألف رأس من الشياه تدرّ عليه مبلغاً عظيماً من المال كل سنة؛ كما كان له مائة ألف دجاجة عهد بتربيتها إلى الرعاة والمزارعين، فكانوا يعطون له كل سنة عدداً من البيض عن كل دجاجة. وصفوة القول إنه كان على جانب عظيم من الغنى والثروة؛ إذ كانت له اليد الطولى في جمع المال وادخاره. ولما توفي والده إلى رحمة الله استقل بالحكم في الجزيرة وظل كذلك سبع سنوات إلى أن التحق بجيش الوزير الثاني لالاقرة مصطفى باشا المكلف بالاستيلاء على ولاية كرجستان، وشيروان، بموجب فرمان السلطان مراد خان. ولما وصل هذا الجيش الإسلامي الظافر كردستان – بلاد الكرج – فوجئ بجيش إيراني مؤلف من عشرة آلاف من الخيالة القزلباشية بقيادة كل من محمدي خان الشهير بتوقمق حفيد قازق حمزة استاجلو ميرميران جقور سعد، وإمام قولى سلطان قجار ميرميران قره باغ وكنجه ارّان، معسكرين في موضع يقال له (جلدر) في طريق مصطفى باشا وجيشه العرمرم واتفق أن كان درويش باشا بكلربكى دياربكر في ذلك اليوم قائد الطليعة للجيش الإسلامي، فنشب قتال شديد بين الفريقين في سفح جبل في موضع جلدر من العصر حتى مغرب الشمس، فبادر أبطال الكرد قبل كل أحد إلى الهجوم على هؤلاء الجمع ظانين انهم من القلة بمكان، فتهوروا تهوراً كبيراً وغفلوا عن مكر الدهور والشهور، كما قال الشاعر[١]:

١– الأبيات الفارسية: مبين گرچه شيرى عدورا حقير ... بينديش ازو كو بود شير گير
مناز زبهى أى زخيل بهان ... كه باشد به أربه بسى درجهان
بسرپنچهء أهنينت مناز ... كه آهنگر انند آهن كداز

" لا تستحقر العدو ولو كنت ضرغاماً واخشه واهتم به لأنه قد يكون صائد الآساد ولا تعتمد أيها الباسل على البسالة فقط فإن هناك في الدنيا من هو أكثر شجاعة وأقوى بسالة ولا تركن إلى يديك الفولاذيتين لأن الحداد قد يذيب الفولاذ والحديد" .

وقد قابل القزلباش هذا الهجوم السريع بتخصيص طائفة من طليعتهم تقدّر ببضعة آلاف؛ لمقابلة الجيش الرومي (العثماني) وأخفى الباقي وهو الكثير من الجنود المدرّبة، والعساكر المجربة وراء الجبل في الكمين منتظرين سنوح الفرصة، فقد هاجم أبطال الأكراد في طليعة الجيش الإسلامي هؤلاء القزلباش كالليوث الهائجة، وشتتوا شملهم في غمضة عين، وإذا بالقزلباش الذين كانوا في الكمين، وهم زهاء بضعة آلاف من الفرسان المدربين يخرجون من وراء الجبل، ويباغتون المهاجمين من الكرد ويحيطون بهم إحاطة السوار بالمعصم، فاستحرّ القتال وعلا الصياح إلى عنان السماء وظن أن القيامة قامت، وظهرت أشراط الساعة، وانتهت أيام الخواص والعوام في تلك المعركة حيث ذاقوا كأس الموت إلى ثمالتها حسبما قال الشاعر[1] :

"إن صدى وصوت حوافر الخيل وصهيلها، أقلقت الأسماك في البحار والأقمار في السماء؛ وظهرت من كل الجوانب أعواد السهام كعروق الغيرة المنبثة في جسم الإنسان حينما تنتفخ وتتمكن؛ وإن الدماء التي أسالتها الحراب من فرق الرأس جعلت الخيول ترتفع وتخفق وتعلو مع طيالسة الأبطال؛ كما أن الطبرزينات أصبحت غريقة في لجة من دماء مثل عرف الديك حينما تخرج الديكة من حرب ضروس" . وخلاصة القول إن المعركة أسفرت عن مصرع كل: من مير محمد، وصاروخان بك حاكم حزو، ودومان بك الزرقي، ومير محمد الفنيكي. هذا وقد كانت العاقبة على خلاف ما كان ينتظره القزلباش حيث اندحروا أخيراً اندحاراً تاماً، وقتل من الطرفين زهاء بضعة آلاف من الجنود. ولما قتل مير محمد هذا كان معه في خزائنه نحو مائتي ألف من الذهب الأحمر من المسكوكات السلطانية عدا ما كان له من الأقمشة الفاخرة والأمتعة المرصعة

---

١ - صداى سم وشيهه بادپاى در آورد   ما هى ومه را زجاى
تمايان شد ازهر طرف چوب تير   جو رگهاى غيرت بتن جاى گير
زخزنى كه تيرك زد أزمز فرقگاه   يلان رابر أفراخت پركلاه
تبر زين بخون يلان كشته غرق   چوتاج خروسان جنگى بفرق

والآلات القيمة. ولم يكن له وارث سوى ولد واحد يدعى سلطان محمد يبلغ من العمر خمس سنوات وأربع بنات. ولم يكن أحد من حكام كردستان في هذا العصر يملك من الخزائن والأموال مثل هذا المقدار.

سلطان محمد بن مير محمد

مات أبوه وهو صغير السن ووالدته بنت ملك محمد بن ملك خليل حاكم حصنكيف. ومن عادات كردستان أن الولد إذا مات أبوه وهو صغير السن يلقبونه باسم والده ويدعونه به. ويحتمل أن الجزء الأول من اسمه وهو سلطان تنوسي في الاستعمال وأصبح اسمه مجرد محمد والعلم عند الله.

هذا ولما كانت والدة الأمير هذا سيدة فاضلة عاقلة في غاية من الحزم وحسن التدبير تمكنت من إرضاء ورثة الملك[1]، وزعماء العشيرة البختية بالإنعام عليهم بخلع فاخرة وهدايا عظيمة بفضل الأموال الطائلة والثروات العظيمة التي ورثها من الوالد والابن، وتمكنت من استبقاء الحكم في بيتها بسلوكها طريق العدل والمساواة، وتمسكها بأهداب السياسة والمداراة مع الرعايا ورجال العشائر. ثم بادرت إلى تزويج بناتها لمير نصر، وشرف بك، ولدى خان أبدال وعهدت إليهما بأمور الولاية وشؤون البلاد، فقاما بها خير قيام، حيث لم يسبق لإدارتهما مثيل في ولاية الجزيرة قط. ثم أخذت ولدها بغتة وسافرت به إلى بلاط السلطان مراد خان باستانبول، حاملة الكثير من الهدايا والتحف النادرة إلى رجال الدولة وأعيان الباب العالي وأخذت تستميلهم إلى جانبها، وهكذا تمكنت من استصدار مرسوم سلطاني بتجديد إسناد حكومة الجزيرة إلى ابنها مع الإنعام عليهما بخلع فاخرة، ورجعت بابنها إلى الجزيرة موفورة الكرامة فخورة.

هذا وبعد أن مضت خمس سنوات على حكم الأمير لبت والدته الخيّرة نداء الموت. وما مضى على ذلك بضعة أيام إلا ومرض هو أيضاً وتوفي في سنة (٩٩١هـ=١٥٨٣ و١٥٨٤م) بأجله الموعود. وفي رواية أن المطالبين بوراثة الحكم لأنفسهم من المعارضين دسّوا له السم في الطعام، فانقطع نسل بدر بك ولم يبق من أولاده أحد.

١- في الأصل المطبوع (وارث مان) بدل (وارثان) التي وردت في نسختين خطيتين وهذه هي الأوضح فلذا أخذنا بها وتركنا الأولى.(المترجم)

ناصر بك بن شاه علي بك

كان درويش محمود كله جيري نديماً بارزاً من ندماء المجلس السامي السلطاني في عهد السلطان سليمان خان ومدبّراً لأمور رستم باشا الصدر الأعظم أيام وزارته. وهو في الأصل سليل عشيرة الروزكية (الروجكية) ومن تلاميذ مولانا إدريس البدليسي في قرض الشعر ومعالجة أساليب الإنشاء والتحرير وقد قام مدة بمنصب الإنشاء والتحرير في ديوان الأمير شرف بك حاكم بدليس ثم غادرها بعد مقتله إلى ديار الروم وتوصل هنالك إلى أن يكون مدرساً لبنت السلطان سليمان زوج رستم باشا مما جعله يتقدم ويعلو شأنه في الأوساط العالية حتى أصبح مرجع أولياء الأمور في السلطنة العظمى في شؤون كردستان جميعاً كما أن أكثر حكام كردستان وأمراءه، قد أصبحوا أيضاً يلجأون إليه في مهمات الأمور. وهكذا أصبح رستم باشا بفضل هذا عالماً بما يجري من الأمور في كردستان كلها، وملماً بالتغييرات التي تحدث في أمور هؤلاء الحكام الوارثين.

والغرض من هذا التمهيد هو أن نذكر تفاصيل ما سبقت الإشارة إليه وهو كيف أن رستم باشا الوزير الأعظم حرض ناصر بك على أخيه بدر بك ليخالفه ويطالبه بإسناد حكومة الجزيرة إليه. فخف ناصر بك حسب الإشارة الوزارية إلى استانبول ملتمساً من عتبات السلطان سليمان إسناد حكومة الجزيرة إليه، فصدر المرسوم من لدن جلالته بذلك. والآن نقول: إنه بعد مضي سنتين على ذلك شخّص بدر بك بدوره إلى استانبول واستصدر مرسوماً بتفريق ناحيتي: طور، وهيثم من إيالة الجزيرة وإسنادها بطريق السنجقية إلى أمير ناصر بك وتقرير حكومة الجزيرة لنفسه. ولم يمض على هذا إلا مدة وجيزة حتى أدركت المنية ناصر بك في ولاية طور وهيثم، وبادر بدر بك إلى ضم هذه الولاية أيضاً إلى إيالة الجزيرة كما سبق. فالغرض من ذكر هذه التفاصيل هو تبيان أن بعض الأكابر والعالمين ببواطن الأمور والأسرار، يعتقدون أن أكثر التغييرات والتنقلات التي حدثت بين حكام كردستان في ذلك العهد كانت من أثر أستاذية درويش محمود كله چيري المذكور وإشاراته.

وصفوة القول إن ناصر بك حين توفي إلى رحمة الله، بادر ابنه أبدال بك مرة أخرى إلى شد الرحال إلى استانبول في عهد السلطان سليم خان ووزارة محمد باشا الصدر الأعظم بقصد مطالبة سنجق طور، وهيثم، لنفسه حيث أن

شيطان الغرور وشهوة الحكم في الجزيرة كان قد تمكن منه، ورسخ في ذهنه فكان يسعى سعياً حثيثاً لزوال هذه الإيالة من الوجود، بيد أن محمد باشا الوزير نظراً لما له من الصداقة والود لبدر بك، وربما إيثاراً للمصلحة العامة ومحافظة على النظام العام والأسر القديمة، قد استقرّ رأيه على منع أبدال بك من الاسترسال في طلباته ومساعيه. وذلك بإلقاء القبض عليه وحبسه، ثم إنزال العقوبة التي يستحقها به، فبناء على هذا كلف محمد آغا الچاويش باشي، ومعه عدة من جاويشية الباب العالي بإحضار أبدال بك إليه. واتفق أن كان أبدال بك ومعه عدة من أولاد أمراء البختية، وطائفة من رجاله الملازمين له، قد ذهبوا لأداء فريضة العصر في جامع أدرنة حين وصول هؤلاء الجاويشية الذين ذهبوا إلى الجامع فوراً، وبعد انتهاء الصلاة تقدم رئيس الچاويشية إلى أبدال بك ودعاه إلى الذهاب معه إلى ديوان الوزير. فهنا بدا للأكراد أن يقولوا إن الذي حمل الچاويش باشي على الحضور مع عدة من الچاويشية إلى هنا يطلب خان أبدال بك لاشك ليست علامة خير، ولابد أنهم يريدون اغتياله والقضاء عليه، ولمجرد هذا الظن بادر كردي يدعى شيخ شيخان من ملازمي خان أبدال بالسير خلف الجاويش باشي وطعنه بخنجره من ظهره حتى خرج النصل من بين صدره، فتشتت رفقاء الچاويش باشي وأعوانه وعادوا إلى الوزير الأعظم وعرضوا عليه ما أقدم عليه ذلك الكردي المتهور في الوقت الذي كان خان أبدال ورفقاؤه متحيرين لا يدرون ماذا يعملون، فتشتتوا هم أيضاً على غير هدى في شوارع أدرنة يختفون في الزوايا والبيوت، ومنهم من تمكن من الهروب إلى خارج المدينة، قاصدين البراري والصحارى. ولكن أهالي المدينة تلقوا الأمر من السلطان والوزير بالبحث عن خان أبدال، وإلقاء القبض عليه وعلى غيره من الملازمين له أينما كانوا، وخرج المنادون يعلنون الأمر ويحثون الأهالي على تنفيذه، فما مضى زمن وجيز حتى ألقوا القبض على خان أبدال، وعلى أكثر تابعيه وملازميه، وأحضروهم إلى الديوان، وصدر الأمر فوراً بقتلهم جميعاً، وكانوا أكثر من مائة من أعيان البختية وزعمائها، وصادر ضابط بيت المال أموالهم وأملاكهم وأدخلها في الخزينة العامرة. وهكذا قضي على خان أبدال.

وكان له من عقبه سبعة أولاد ذكور هم: ١- أمير ناصر، ٢- أمير شرف، ٣- أمير محمد، ٤- شاه علي، ٥- أمير سيف الدين، ٦- أمير عز الدين، ٧- أمير أبدال.

فأولاً (الأمير ناصر) كان قد اشترك في (سفر روان=إيروان) نيابة عن سلطان محمد حاكم الجزيرة، وحين العودة من تلك السفرة جاءت الأنباء إلى الوزير فرهاد باشا السردار، وهو على قلعة قارص بوفاة سلطان محمد، فاستقر رأيه

الصائب على أن يسند منصب حكومة الجزيرة لأحد الوارثين الذين شاركوا الجيش السلطاني في هذه السفرة. وبناء على ذلك وقع اختيار أعيان البختية على الأمير ناصر لحكومة الجزيرة، وجاؤوا إلى كاتب هذه السطور؛ ليقوم هذا الضعيف برفع التماسهم ورغبتهم إلى مقام السردار في إسناد حكومة الجزيرة إلى من اختاروه. ولكن الأمير عزيز بن كلك محمد، كان قد رفع سراً تقريراً بواسطة (بالي چاويش) إلى السردار يقول فيه: إن سلطان محمد قد ترك زهاء مائة ألف قطعة من الذهب مسكوكة بسكة سلطانية، وكثيراً من الأموال والثروات الطائلة وليس له وارث سوى أختين. وأنا أقرب وأحق للحكومة من الأمير ناصر، فإذا تفضلت بإسناد حكومة الجزيرة إلي فإني مستعد لتقديم مائة ألف فلوري سلطاني من مال سلطان محمد، واثنى عشر ألف فلوري من مالي الخاص، إلى الخزينة السلطانية العامرة. فوافق هذا العرض هوى السردار وانتهز الفرصة، فأمر بعقد مجلس الديوان غداة هذا العرض وهو اليوم الذي حدد لمقابلة الأمير ناصر، وطلب إلى الأمير عزيز الحضور أيضاً في الديوان، ثم وجه السردار كلامه إلى أعيان العشيرة البختية، ورؤسائها قائلاً: أي الأميرين: ناصر، وعزيز، أقرب إلى المرحوم سلطان محمد ؟ فأجاب أعيان الجزيرة بان الأمير عزيز أقرب إليه بدرجة. فقال السردار: إذن يكون إسناد منصب الجزيرة إلى الأمير عزيز بحسب الميراث أولى وأنسب. ولكن أعيان الجزيرة عادوا فقالوا: إن الأمير عزيز وإن كان أقرب إلى سلطان محمد بحسب الإرث، وإن الحكومة تعود إليه من هذه الجهة فقط، إلا أن رغبة جميع العشائر والقبائل وأعيان الولاية كلها، وهواهم مع الأمير ناصر، فهو من هذه الجهة أنسب، وكذلك لمقدرته على الضبط والربط، والمحافظة على الحقوق لأحسن من الأمراء السابقين أيضاً. وقال السردار حينئذ: نعم ! ولو أن الأمر كما تقولون هو الواقع؛ لكني عينت الأمير عزيز حاكماً للجزيرة وكفى ! فانبرى أحد أعيان البختية له وقال: إن هناك حكماً من السلطان سليمان بان كل من تختاره العشائر والقبائل حاكماً هو الذي يكون الحاكم الشرعي، فلذا لا نقبل حكم الأمير عزيز. فثارت هنا ثائرة السردار وطلب الجلاد حالاً إلى باب خيمة الديوان ونفذ حكم الإعدام في الأمير ناصر في يوم الخميس الموافق للتاسع والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة (٩٩١هـ=١٥٨٣م)، فقام الضجيج وعلا الصياح وبكى الصغير والكبير، للظلم الشنيع الذي حلّ بمن لا ذنب له سوى أن الشعب يطلبه.

وهكذا تم للسردار أن يسند حكومة الجزيرة للأمير عزيز، وينعم عليه خلعاً سنية. ثم أصحبه ببالي جاويش وأرسله إلى الجزيرة ليتسلم زمام الحكومة،

فاختفى عندئذ الأمير شرف مع إخوانه وأصدقائه في ناحية طنزى، وستأتي قريباً تفاصيل أحوالهم بعون الله الملك الحميد المجيد.

الأمير عزيز بن كك محمد

تولى منصب حكومة الجزيرة بعون الوزير فرهاد باشا ومساعدته له، ولم يمض على ذلك إلا سنة وأربعة شهور فقط حتى بادر عثمان باشا الوزير الأعظم إلى عزله، وإعطاء حكومة الجزيرة إلى الأمير محمد بن خان أبدال. ولم يبق أمام الأمير عزيز سوى أن يرافق الجيش الإسلامي الظافر في غزوه لتبريز، ويقوم في أثناء ذلك بخدمات جليلة للسلطان وجيشه. وقد غادر الجزيرة نهائياً بعد العودة من تلك الغزوة ولجأ إلى سنجار حيث كان يمضي أوقاته. ولما توفي عثمان باشا في تبريز وتولى فرهاد باشا مرة أخرى منصب السردارية، وتوجه نحو ديار العجم خف الأمير عزيز إلى مقابلة السردار بأرضروم، والتمس منه إعادة منصب حكومة الجزيرة إليه، فأعادها السردار إليه بشرط أن تفرز ثلاثون قرية من قرى النصارى التابعة لإيالة الجزيرة، وتضم إلى إدارة الأملاك الهمايونية الخاصة، وأن يتعهد بدفع مبلغ ستين ألف فلوري نظير الحاصل من تلك القرى إلى الخزينة العامرة، فدهش الأمير محمد من سماع هذا النبأ، وخف إلى عتبات السلطان باستانبول. ولما كان منصب الوزارة العظمى قد آل إلى سنان باشا حينئذ، فقد عمل هذا الوزير حسب استدعاء الأمير عزيز على منع الفتنة وقطع دابر الفساد، فأرسل الأمير محمد إلى جهة الروملي. وعندئذ بادر الأمير عزيز إلى جعل ناحية طنزى التي كانت موطن ومدار معيشة الأمير شرف وإخوته، سنجقاً وأسنده إلى ابنه حاجي بك، ثم وضع نصب عينيه محاربة أولاد خان أبدال. وهكذا تم له الأمر وحكم البلاد من غير منازع ولا مشارك، ودام الحال على هذا المنوال مدة من الزمن إلى أن عمد الأمير شرف بن خان أبدال بالاتفاق مع أخوته الأمير عز الدين، والأمير سيف الدين، والأمير أبدال الذين كان كل منهم غصناً من أغصان الإيالة، ودوحة باسقة من دوحات بستان الحكومة تتبعهم العشائر والأقوام لا يعصون لهم أمراً، إلى منازعة الأمير عزيز، حيث تحزموا بحزام العداء وتسربلوا بالبغضاء طالبين دم أخيهم الأمير ناصر فهاجموا عمال الأمير عزيز ورجاله، وقضوا على نفوذه في الإيالة حتى لم يبق له من البلاد سوى قلعة الجزيرة والبلدة، فاضطر الأمير عزيز لأن يعهد إلى ابنه حاجي بك ومير هاوند بن أخيه بإدارة البلدة والمحافظة على القلعة، وان يشدّ

هو الرحال إلى عتبات السلطان؛ ليدبر شيئاً ينتقم به من أولاد خان أبدال. ولكن الأمير شرف مع أخوته أمعن في غزو البلاد والقرى الواقعة في أطراف الجزيرة، واستولى عليها جميعاً حيث خضعت أكثر طوائف البختية له، واستطاع بذلك من مواصلة الزحف إلى قلعة الجزيرة وضرب نطاق الحصار عليها، ولما طالت أيام الحصار وبلغت أربعين يوماً ولم يصل خلالها مدد للمحصورين من الأمير عزيز، فقد ضاق بهم الحال واشتد الأمر، وحدث في أثناء ذلك أن جاء نبأ وفاة حاجي بك الذي كان قد ذهب إلى ديار بكر لطلب النجدة من إبراهيم باشا ميرميرانها، فما كان من الأمير هاوند إلا أن بادر بالخروج في منتصف الليل من القلعة تاركاً عدة من رجاله مع أسرة الأمير عزيز من الأهل والعيال في القلعة.
فعلم الأمير سيف الدين أخو الأمير شرف جليّة الأمر فسبق وقطع عليه طريق النجاة، واحتدمت حينئذ رحى معركة حامية بينهما أسفرت عن مقتل الأمير سيف الدين على يد الأمير هاوند الذي نجا بنفسه من تلك الورطة الدامية.
وذلك في الوقت الذي كان الأمير شرف والأمير عز الدين قد دخلا قلعة الجزيرة وأخذا ينهبان أموال وأسباب الأمير عزيز وأنصاره، ولم يكتفيا بذلك بل عمدا إلى أسر أولاد وعيال الأمير عزيز وتسليمهم إلى أيدي الجنود ورجال القبائل، وهما اختصا مع أحبائهما بجواريه الخاصة من مغنيات ومطربات، وضاع ابن صغير للأمير عزيز في هذه الفوضى والمظالم، ولما شاع خبر هذه المأساة في الأستانة وبلغ ذلك المسامع السلطانية العالية أصحب السلطان الأمير عزيز بحسين باشا ميرميران الموصل، وفي يدهما مرسوم سلطاني صادر إلى أمراء وحكام كردستان يأمرهم فيه بالتوجه مع حسين باشا إلى الجزيرة، ونزعها من أيدي المستولين عليها وتسليمها للأمير عزيز، وأن يعملوا جميعاً على إلقاء القبض على الأمير شرف وأخوته الذين يقيمون في الجزيرة على سبيل الغلبة والقهر، وأن ينزلوا بهم أشدّ العقوبات بحيث يكونون بعد ذلك عبرة للذين تحدثهم أنفسهم بالتمرد. فامتثل حسين باشا للأمر، واخذ في تنفيذه بالاتفاق مع محمد بك حاكم (حزو) حيث توجها إلى الجزيرة ومعهما جيش الموصل في شتاء سنة (٩٩٩هـ=١٥٩٠م)، ولما ترامت أخبار ذلك إلى الأمير شرف وأخوته بادروا إلى إخلاء القلعة والمدينة، ولجأوا أولاً إلى طنزى حيث تركوا فيها الأهل والأولاد، ثم شدوا الرحال إلى جهة خيزان ومكس. وهكذا سهلوا مهمة حسين باشا، فوضع الأمير عزيز في قلعة الجزيرة، وعاد بجيشه هو سالماً. ولما بلغ نبأ عودة الباشا، الأمير شرف وأخوته وأكثر أعيان الشعب أسرعوا إلى محاصرة

قلعة الجزيرة. ولما لم يكن للأمير عزيز مقدرة على الدفاع لاذ هو والأمير هاوند بالفرار تاركين القلعة والمدينة خاليتين؛ بيد أن الأمير شرف أمعن في مطاردتهما حتى وصل إليهما فقتل الأمير هاوند على يدي الأمير شرف. كما أن الأمير عزيز وجد بعد مضي عدة أيام ميتاً وملقى في الصحارى والفيافي البعيدة عن العمران. قال الشاعر[1] :

معناه "هكذا سنة الفلك القديم الدوار، فكلما صعدت وجدت نفسك قد أنزلها الأسفل ؟ لأن في هذه السراي اللازوردية ذات البابين يأتي النائح عقب المطرب والمغني".

الأمير محمد بن خان أبدال

لما قتل فرهاد باشا الوزير الأعظم سنة (٩٩١هـ=١٥٨٣م)، الأمير ناصر أخا الأمير محمد، وكان قد عهد بإمارة الجزيرة إلى الأمير عزيز، وكلف بالي جاويش بضبط أموال سلطان محمد في الجزيرة،لم يبق أمام الأمير محمد إلا أن يلجأ إلى ساحة السلطان بالآستانة، فشدّ الرحال مع أهل وأولاد أخيه المقتول إلى استانبول طالباً العدل والإنصاف. واتفق أن كان فرهاد باشا حينئذ معزولاً من منصب السردارية لما ظهر منه من تقصيره وإهماله في حرب العجم، وكان السردار حينئذ هو عثمان باشا الذي بادر إلى عزل الأمير عزيز من حكومة الجزيرة، وأسندها إلى الأمير محمد. ولما توفي عثمان باشا هذا في تبريز وجاء فرهاد باشا مرة أخرى إلى ذلك المنصب السامي بادر الأمير عزيز إلى خدمة الباشا في أرضروم كما سبق ذكره؛ حيث منحه إيالة الجزيرة بشرط إفراز ثلاثين قرية من قرى الأرمن في ولاية الجزيرة، وإدخالها في إدارة الأملاك السلطانية الخاصة، وأن يتعهد بدفع ستين ألف فلوري قيمة محصولات تلك القرى إلى الخزينة العامرة. فتوجه الأمير محمد معزولاً مرة أخرى إلى البلاط السلطاني. وبعد الأخذ والردّ في استانبول حول هذا الموضوع، تقرر بحسب إشارة فرهاد باشا إرسال الأمير محمد إلى ولاية (بدون)[2] يقوم هنالك بوظيفة ما مدى الحياة، ويقيم بها لآخر عمره. وكان الأمير شرف وسائر أخوته مع

١- الأبيات الفارسية: چنين است دستور چرخ كهن   كه چون سر بر آرى بر آرد زين
درين لا جور دى سراى دودر   زد نبال مطرب رسد نوحه كر

٢- ربما ودين التي كانت عبارة عن ولاية الروملي القديمة.؟ المترجم

فرهاد باشا في غزوه لكرجستان. وبعد عودة السردار الظافر المنتصر من جهاد الكفار الفجّار، توجه الأمير شرف وأخوته إلى جهة طنزى واختفوا بها، ولكن الأمير عزيز لم يترك لهم هذه الجهة أيضاً بل حصل على مرسوم من السلطان بإسنادها إلى ابنه حاجي بك على طريق السنجقية. هذا وإن الأمير عزيز لما دخل الجزيرة هذه المرة بذل جميع جهوده؛ للقضاء على أولاد الأمير خان أبدال، ولكن تدابيره ومحاولاته كلها لم توافق التقادير الإلهية، وأخفق في مسعاه، ويتضح مما سبق أن الأمير عزيز وابنه حاجي بك وابن أخيه مير هاوند وأولادهم من ذكور وإناث، قد انقرضوا تماماً وانقطع نسلهم؛ فصار الأمير شرف بحسب الرشد والأهلية متولياً لأمر الحكومة، فكلف أخوته بضبط القلاع والنواحي في أنحاء الإيالة. هذا ولما شاع نبأ هذا العمل الفجائي في البلاط السلطاني، أرسلوا رسولاً خاصاً من البلاط إلى الأمير محمد في البوسنة وأحضروه إلى استانبول، وأسندوا حسب التماس الوزير إبراهيم باشا إيالة الجزيرة إليه، وكلفوا مير ميران دياربكر، وهو محمد باشا البوسنوي بالاتفاق مع أمراء كردستان بتمكين الأمير محمد من الحضور إلى الجزيرة، وأن يعملوا على تخليص الإيالة من أيدي أخوته وتسليمها إليه، فلما بادر محمد باشا المير ميران بالاتفاق مع أمراء دياربكر وكردستان بالزحف إلى الجزيرة، لم يتأخر الأمير شرف عن تسليم القلعة والولاية إلى أخيه الأمير محمد، بل سلمها من غير قتال ولا نزاع، وتوجه هو إلى ناحية طنزى، وأقام بها، وبعد مدة توسط أعيان وزعماء العشيرة البختية بين الأخوين، فاحضروا الأمير شرف إلى الجزيرة، وجمعوا بين الأخوين وأصلحوا ذات بينهما على أساس إسناد زهاء نصف ولاية الجزيرة المؤلف من ناحية شاخ، وبعض القرى والنواحي الأخرى إلى الأمير شرف، وإخوته، وسائر أقاربه وأتباعه، وإبقاء قلعة الجزيرة والمدينة في عهدة الأمير محمد، على أن يؤدي هو ما تعهد به من أداء مال قدره مائة وخمسون ألف فلوري لجلالة السلطان والوُزير على سبيل الهدية. وقد قبل الطرفان هذا الصلح وانتهى النزاع. وبعد مدة وجيزة من هذا الاتفاق، ظهر ميل أكثر أعيان البختية وزعمائها وحبهم للأمير شرف والتزام جانبه في كل المناسبات. ولما تبيّن الأمير محمد هذه الظاهرة من الشعب تحقق له أنه سوف يتأخر، بل يعجز عن دفع المبلغ الخطير الذي تعهد القيام به فغادر الجزيرة وتركها للذين بها. وعند ذلك بان لرجال الدولة وثبت أن الذي يليق بإمارة الجزيرة وتولي حكومتها هو الأمير شرف، فأصدر السلطان المغفور له مراد خان الرابع منشوراً بإسناد إيالة الجزيرة إلى الأمير شرف، فما كاد

الأمير محمد يسمع هذا الخبر حتى هرع إلى كنف محمد بك حاكم حزو لاجئاً إليه ومستغيثاً به حيث كان صهره من ناحية أخته مما سهل له أن يترك أهله وأسرته لديه، ويشدّ الرحال إلى الآستانة بتعضيد منه وقاصداً بذلك استعطاف رجال الدولة عليه، فصدر أمر سلطاني بإسناد منصب سنجق حسنكيف إليه. وكان الأمير محمد هذا أخيراً في معية السلطان ملازماً له مثل الظفر والنصر حينما توجه إلى فتح قلعة أكرى ومحاربة الكفار الفجار في تلك الأنحاء. والآن أثناء تحرير هذه الأوراق سنة (١٠٠٥هـ=١٥٩٦م) صدر مرسوم من ديوان السلطان محمد خان بإسناد حكومة الجزيرة إليه، بيد أنه خوفاً من الأمير شرف غير قادر على المجيء إلى مقر منصبه.

الأمير شرف بن خان أبدال

هذا الأمير هو زبدة أسرة حكام الجزيرة والبارزين من أمراء هذا البيت الجليل إذ تفوق على أمثاله من أقرانه ولداته في السخاء والشجاعة والمروءة والنجدة، فتشهد له بالبطولة الرائعة والبسالة الفائقة المعارك التي يخوض غمارها بقوة ذراعه القاهرة وحدة سيفه القاطع. كما قال الشاعر[1] :

معناه "في يوم سخائه يستحي الإنسان من جود حاتم. وفي ساحة الوغى يخجل الإنسان من نضال رستم".

والحق أن الرعية والجند كانوا بعدله وإحسانه راضين ولأعماله وأفكاره مرتاحين، كما أن الأجانب والأقارب كانوا شاكرين فضله ومقدرين مواهبه وخصاله الحميدة؛ فلذا كان محبوباً لدى الخاص والعام والقريب والبعيد معجبين به وطالبين له الخير والعز والإقبال. سبق القول في ترجمة أحوال الأمير عزيز أن مقاليد أمور حكومة الجزيرة، قد ألقيت إلى الأمير شرف. بعد الحوادث التي وقعت بينه وإخوته من جهة، وبين الأمير عزيز والأمير هاوند من جهة أخرى، حيث نهض بأعباء الحكم خير نهوض، فحافظ على الحدود وصان الأمن، حتى شعر الناس بالطمأنينة والراحة في عهده. وفي خلال ذلك عمد الوزير محمد باشا إلى الأمير محمد أخي الأمير شرف فاستقدمه من بلاد البوسنة، وأسند إليه منصب حكومة الجزيرة، وحيث إنه لم يستطع القيام بأعباء المنصب فقد أعيد إسناد المنصب من الديوان السلطاني مرة أخرى إلى الأمير شرف، كما

١- البيت الفارسي: بود بروز سخايش زجود حاتم ننگ   بود بكاء وغايش زرزم رستم عار.

سبقت الإشارة إلى ذلك كله. وبعد هذا بمدة نازعه أخوه الأمير عز الدين في الحكم حيث قام بطلب الحكومة لنفسه، فأخذ بشن الغارات كل يوم على أطراف الجزيرة وجوانبها ويطلق يد النهب والسلب فيها. حتى التف حوله حشد كبير من الأحلاف والأوباش والدراويش، الأمر الذي جعل شرف بك يوجس منه الخيفة ويحذره كل الحذر، فأعمل الحيلة وعمل التدبير حتى أوقعه في الفخ، وذلك بأن اتفق مع بعض رجاله المخلصين على اغتياله حينما يدخل بيته ملبياً دعوة وجهت إليه. وتنفيذاً لذلك أخفى عدداً من هؤلاء في المنزل وأرسل يدعو الأمير عز الدين إليه. فلم يكد الأمير عز الدين يدخل المنزل حتى خرج هؤلاء الرجال من الكمين وانقضوا عليه كالأسود وأخلوا قصر دماغه من الغرور المسيطر عليه والطيش الملازم له. وهكذا صار الأمير شرف حاكماً مستقلاً من ذلك اليوم، وأخذ يدبر أمور الحكومة بكل عزم وحزم، ويصرف شؤون الرعية بكل عدل وإنصاف، وظهرت آثار العمران وعلائم النهضة في تلك الولاية في عهده، نسأل الله تعالى أن يوفقه.

الشعبة الثانية

في ذكر أمراء " گوركيل "

سبق أن ذكرنا أن أولاد سليمان بن خالد، قد قسموا ولاية الجزيرة فيما بينهم، فلحقت ناحية گوركيل بمير حاجي بدر؛ فأمراء گوركيل كلهم من أحفاد هذا الأمير ونسله. واسم گوركيل كان أولاً مشهوراً بجرد قيل، ثم صار گوركيل من كثرة الاستعمال، والجبل الذي استقرت عليه سفينة نوح عليه وعلى نبينا السلام يقع في هذه الناحية التي تتألف من زهاء مائة قرية يسكنها المسلمون والنصارى، فلها مشاتي ومصايف ومراع كثيرة بحيث تأوي إليها القبائل وتتردد عليها دائماً.

وقد توفي مير حاجي بدر في هذه الولاية، فقام مقامه من أحفاده من يدعى حاجي محمد بن شمس الدين، وحكم البلاد فترة من الزمن إلى أن توفي إلى رحمة الله. فخلفه ابنه مير شمس الدين وهو أيضاً حكم البلاد فترة من الزمن، ثم ارتحل إلى دار الآخرة تاركاً ثلاثة أولاد ذكور هم: أمير بدر، وأمير حاجي محمد، وأمير سيد احمد تولوا الحكم في گوركيل متعاقبين بالدور، وبما أن راقم الحروف هذا لم يكن لديه معلومات عن الأميرين الأولين، فإني لم أتمكن من ذكر شيء عن أحوالهما.

الأمير سيد أحمد بن الأمير شمس الدين

كان هذا الأمير في غاية الشجاعة والشهامة؛ إذ كان له مواقف معدودة في ساحة الوغى وميدان القتال والطعان. وقد تقرب من السلطان سليم خان أثناء طاعة أمراء كردستان وخضوعهم للبلاط العثماني، حتى صار من ندمائه في المجلس الخاص، لما كان عليه من لطف المعشر وحلاوة الحديث. ودام الحال بعد وفاة السلطان سليم على هذا المنوال في عهد السلطان سليم خان أيضاً، حيث كانت طبائعه وسجاياه تؤهله لمرافقة السلاطين وكسب ثقتهم؛ مما أفضى إلى إسناد ولايتي الموصل، وسنجار، أحياناً إليه، علاوة على حكومته الموروثة (گوركيل). ويروى أن سيد أحمد هذا عمد يوماً إلى وضع نفسه في تابوت متظاهراً بالموت وأمر رجاله بوضع تابوته هذا في طريق عودة السلطان سليمان خان من فتح بغداد دار السلام، ففعلوا ذلك ولما مر به السلطان سأل عن سر هذا التابوت فقيل له إنه تابوت سيد أحمد يقول بذلك: إن ولاية الموصل بمثابة الروح من جسدي وحيث إن السلطان قد أعطاها للغير فأصبح جسدي ميتاً من غير روح" . وقد أثار هذا العمل إعجاب السلطان به وسروره، فأضاف إليه ولاية الموصل علاوة على حكومة كوركيل، وأصدر بذلك منشوراً . وهكذا أحيا روح سيد أحمد ومنحه عمراً طويلاً. وكان خلال ذلك العمر المديد موضع رضا السلاطين وعطفهم عليه.

هذا وقلعة كوركيل من أمنع قلاع كردستان وأحصنها؛ فيروى أنه في أثناء محاضرة سليمان بك بيجن أوغلي، قلعة العمادية وعودته منها خائباً، لحلول الشتاء عليه ورحلته عنها لإمضاء الشتاء في نواحي بشيرى[1] ، كان عز الدين شير حاكم حكاري متحصناً في قلعة باي من أعمال ولايته حيث كانت سائر بلاده، وقلاعه، قد وقعت في أيدي عمال الآق قوينلية، فأرسل إلى سليمان بك هذا يقول له: إنه ما دامت قلاع: گوركيل، العمادية، وباي، وقلعة سوى من أعمال بدليس في أيدينا معشر الأكراد فلا يمكن أن يتسرب إلى نفوسنا الخوف والوجل منكم، وما خيامكم ومضاربكم وقيمتها في نظرنا إلا في حكم السرقين، وروث الأبقار والجواميس. وصفوة القول إن الأمير سيد احمد حكم گوركيل مع ولاية الموصل ردحاً من الزمن مستقلاً حتى إذا أدركته المنية، وتوفي إلى رحمة الله قام مقامه في ولايته الموروثة ابن أخيه.

١- ورد في بعض المصادر الحديثة انها كانت تسمى (طنزي). المترجم

الأمير شمس الدين بن الأمير بدر

تسلم أريكة الإمارة في گوركيل بعد وفاة عمه الأمير سيد أحمد. وكان له ثلاثة أخوة آخرون هم: الأمير إبراهيم، والأمير عمر، والأمير حاجي محمد. ولما توفي الأمير شمس الدين إلى رحمة الله بعد أن حكم فترة من الزمن خلفه في الحكم أخوه الأمير إبراهيم.

الأمير إبراهيم بن الأمير بدر

تولى الحكم بگوركيل عوضاً عن أخيه. ولقد حدث في أثناء النزاع بين بدر بك حاكم الجزيرة، وبين أخيه ناصر بك على حكومة الجزيرة، حسبما ذكرت تفاصيله في أحوال بدر بك، أن أقدم الأمير إبراهيم هذا على شدّ الرحال إلى وان؛ ليحصل من مير ميرانها فرهاد باشا كتاب تأييد (تربيت نامه) لصالح الأمير ناصر، لما كان بينه وبين هذا الأمير من الصداقة، وليتوجه إلى بلاط السلطان سليمان خان. فاتفق أن غزا الشاه طهماسب في تلك الأثناء جهة وان بجيوش جرارة يزيد عددها على قطرات الأمطار؛ فما كان من الأمير إبراهيم إلا أن بادر إلى الفرار والنجاة بنفسه عملاً بقول القائل: "ومن نجى برأسه فقد ربح"[1]. وقصد الدخول في بدليس عن طريق باركيرى. ولكن طائفة القزلباش أدركته بين باركيرى وأرجيش، ودار قتال شديد بين الأمير إبراهيم وبين هؤلاء المعقبين والمطاردين تجلى فيه بسالة الأمير وقوة عزيمته. إذ تغلّب عليهم وتمكن من دخول قلعة أرجيش، فجاء الشاه طهماسب بنفسه مطارداً له وضرب نطاق الحصار عليها. ولما طالت أيام الحصار حتى بلغت أربعة شهور، وضاق الحال بالمحاصرين، استقر رأيهم على أن يسلموا القلعة إلى الشاه على أن يعطيهم عهداً بالمحافظة على أرواحهم، بيد أن الأمير إبراهيم وجماعته من البختية لم يرق لهم هذا الصلح، ولم يطمئنوا إليه قط، فاستمروا في الدفاع إلى أن حدث أن اتحدت حامية القلعة ذات ليلة مع رجال الشاه طهماسب من القزلباش لإدخال فريق منهم يبلغ عددهم نحو الخمسمائة من الجنود المدربين إلى القلعة في منتصف الليل. وما أصبح الصباح حتى اتحدت هذه القوة مع الحامية، وهاجمت الأمير إبراهيم ومن معه من البختية بالسهام والبنادق والرماح والسيوف، فلقي الأمير في هذه المعركة الدامية مصرعه، وجرح ابن أخيه وأسر مع بضع عشرات من رجاله الآخرين، ولما أحضروا

---

1 - تمام هذا البيت: فقلت للقلب تسل واسترح   ومن نجا برأسه فقد ربح . المترجم

أمام الشاه طهماسب أصدر أمره حالاً بقتلهم بسلخ جلود رؤوسهم، وهم أحياء حتى يسلموا أرواحهم إلى بارئها على هذه الطريقة القاسية.

الأمير أحمد بن الأمير إبراهيم

تسنم هذا الأمير أريكة إمارة (گوركيل) بمنشور كريم من السلطان سليمان خان بعد مقتل والده، فقام بأعباء الحكم مدة ثلاثين سنة. ولما رزقه الله بولد يدعى مير محمد، وكبر وترعرع حتى بلغ سن الرشد عصى والده؛ إذ كان شريراً غير مقدر لحقوق الأبوة، فمال إلى مراعاة الأمير عزيز في الوقت الذي كان والده يبسط حمايته على أولاد خان ابدال في فترات وثورات الأمير عزيز الذي ساعده وحرضه بدوره على خلع والده والحلول محله في حكومة گوركيل. فاضطر الأمير أحمد إلى شد الرحال إلى عتبات السلطان مراد خان ليعرض أمره عليها. فتوفي إلى رحمة الله في الطريق.

الأمير محمد بن الأمير أحمد

قام بأعباء الحكم في إمارة (گوركيل) بعد خلع والده، بيد أنه لم يكن ليستطيع الدوام في الحكم إلا بمساعدة وتعضيد الأمير عزيز له فترة من الزمن؛ لأنه كان خلواً من المواهب والمؤهلات التي تجعله صالحاً للحكم، فلذا قتل أخيراً على أيدي أبناء عمومته: الأمير عمر، والأمير محمد، والأمير محمود.

الأمير أحمد بن الأمير محمد

لما قتل والده كان الأمير صغير السن لتولي الحكم، ولكنه قائم الآن في ٣ رمضان (سنة ١٠٠٥هـ — ١٥٩٧م) بأعباء الحكم بمعاونة الأمير شرف بن خان ابدال، له خير قيام.

-١٥٧-

أما ملك خلف فقد أدركته المنية في ريعان شبابه ومقتبل عمره، وقد خلف ولداً يدعى ملك حمزة، وكذا كل من الإخوة الثلاثة: ملك سليمان، ملك ظاهر، وملك حسن ماتوا في مقتبل عمرهم، فتصدى لطلب سنجق والدهم أخوهم الملك سلطان حسين، وصدر من ديوان السلطان سليم خان مرسوم بذلك. وأما باقي إخوته فقد لازموا

أمـراء كردسـتان، والتحقـوا بخدمتـهم وهـم لا يزالـون يغـدون ويروحـون في أنحـاء كردستان.

ملك سلطان حسين بن ملك محمد

بعد أن تولى هذا الأمير سنجق والده كما تقدم، قام بأعباء الحكم فترة من الزمن خير قيام وتكرر تقلبه في هذا المنصب حتى اعتزل الحكم أخيراً، فهو يمضي أوقاته في كردستان الآن في سنة (١٠٠٥هـ = ١٥٩٦م) ويعيش من غلة الوقف الذي تركه آباؤه وأجداده. والمأمول من الله سبحانه وتعالى أن يجعل التوفيق رفيقه ويسعد حاله فيصل يوماً من الأيام إلى تراث جدوده.

الشعبة الثالثة

في ذكر أمراء فنيك

تخص ناحية فنيك هذه أربعاً من العشائر الكردية هم: ١- بجنوى، ٢-شقاقي، ٣-ميران، ٤-كونيه[١]. وأما أمراؤها فمن نسل الأمير أبدال ابن سليمان بن خالد، وقد سبق القول إن سليمان بن خالد لما توفي إلى رحمة الله في ولاية الجزيرة أقدم أولاده من بعده على تقسيم الولاية فيما بينهم، فخصت ناحية فنيك الأمير أبدال الذي قام ردحاً من الزمن بأعباء الحكم في تلك الناحية. ولما توفي إلى رحمة الله انتقل الحكم من بعده إلى أولاده وأحفاده، ثم أتباعهم إلى أن استولى التركمان الآق قوينلية على هذه الولاية، فعمت الفوضى والقلاقل والفتن البلاد كلها مدة قرن من الزمن تقريباً، أي طيلة حكم هؤلاء التراكمة. وبعد زوال حكم هؤلاء الأجانب من البلاد، وعودة البلاد إلى وارثيها الشرعيين لم يتعد أحد من ذلك اليوم عليهم، ولم ينازعهم قط سوى فترة وجيزة، فرض فيها شاه علي بك حاكم الجزيرة أخاه مير محمد على هذه الناحية. حيث ارجع حكام الجزيرة بعد ذلك الحق إلى نصابه وأعاد ناحية فنيك إلى وارثيها الذين هم قائمون الآن في سنة (١٠٠٥هـ = ١٥٩٦ - ١٥٩٧م) بأعباء الحكم حسب الأصول السابقة.

١- كذا في المطبوعة، وفي نسخة خطية كوينه والظاهر أن الأولى مصفحة من كوتية(كوتي) والثانية هي عشيرة كويان (كوين) فليحرر. (المترجم)

الفصل الخامس

في ذكر حكام حصنكيف الذين اشتهروا بملكان[1]

قال الشاعر[2]:

معناه: "جعل المعلم (الله) لدوران الدهر مدداً مختلفة سمى كل واحدة منها باسم؛ بحيث يجعل صوت الأولين خافتاً حتى يعلى شأن الآخرين".

يؤثر عن نقلة الأخبار ويروى عن حملة الآثار أنه حينما زال حكم آل أيوب (سنة ٦٦٢هـ = ١٢٦٣ و ١٢٦٤م) عن مصر والشام، ولم يبق لهم في تلك الجهات شأن، وكان أحد أولاد هذه الطبقة العالية قد اختفى فترة من الزمن في بلدة حماه، ثم توجه إلى جهة ماردين فأدخله حاكمها في عداد أمرائه وأعيان رجاله الأخصاء. ولم يكتف هذا الحاكم الكريم الشهم بذلك فحسب، بل عينه أيضاً في منصب حكومة صاور = قلعة الصور. ولكن هذا الشاب الأيوبي لم يطل الإقامة بتلك القلعة؛ إذ ضاقت نفسه بها ذرعاً، فرحل إلى جهة رأس القول[3] التي هي مشهورة للآن بحصنكيف، واختار الإقامة بها حتى تزوج واستأنس بأهليها واستأنسوا به، والتف حوله جم غفير من سكان تلك الجهات، فرضخوا لأمره وأطاعوه في كل صغيرة وكبيرة، لا فرق بين الغني منهم والفقير، فنصبوه حاكماً لهم بالرضاء والطواعية. ثم أخذوا في تعمير وتجديد القلعة التي بتلك الجهة، وصادف أن كان ذلك في أيام تسرب الوهن والضعف فيها إلى بنيان حكومة سلطان ماردين، فتوجس خيفة من تجديد القلعة وتعميرها، وأرسل إلى باني القلعة يطلب إليه الحضور أمامه، ولكن هذا رفض الحضور وأصر على موقفه، الأمر الذي حمل سلطان ماردين على حشد جيشه، والزحف به على رأس القول بقصد الاستيلاء على قلعة حصنكيف، فقاومه باني القلعة أشد المقاومة، وأبدى خلالها ضروباً من الشجاعة والإقدام، حتى اضطر حاكم ماردين إلى العودة من حيث أتى من غير أن ينال منه شيئاً. فمن ذلك اليوم عادت أيام آل أيوب إلى الظهور، وأصبحت راياتهم خافقة على أطراف حصنكيف وأنحائها من جديد، ولم يمض على ذلك كبير وقت حتى عم نفوذهم البلاد وسادها سلطانهم.

١- الملوك (المترجم)

٢- الأبيات الفارسية: بهرمدتى گردش روزگار بطرز ديگر خواند آموزگار
سرهنگ بيشينه گر روكند نواى ديگر درجهان نوكند

٣- الظاهر أنه محرف من لفظة رأس الغول بالغين المعجمة، سميت به قلعة حصن كيفا لحصانتها الفائقة ومناعتها البالغة. (المترجم)

هـذا وان رسـم كتابـة حصـنكيف الشـهير قـد ورد في بعـض الأحكـام السـلطانية ونسخ المتقدمين والمتأخرين هكذا (حسنكيف) بالسين أيضاً، وقد ذكر بعض الثقات في توجيه ذلك أن حاكم القلعة، وبانيها قد ألقى القبض في أيام حكمه على شخص من أعيان العرب يدعى حسن، فزجه في سجون القلعة، ولما طالت أيام السجن على حسن وأشرف على الهلاك، ولم يعرف ما يطلب منه أرسل حسن إلى الحاكم يقول: "إني قد أشرفت على الهلاك ولم يبق لي إلا أيام أو ساعات، فالرجاء أن يمنحني الحاكم فرصة قليلة أركب فيها مهرتي التي جئت بها سابقاً، حتى أتجول بها في القلعة ساعة من الزمن أعرض على أنظار الحاكم، ما كنت أتمتع به من الفروسية واتقاني لفن ركوب الخيل، وما لمهرتي هذه من الأصالة في الركض والجري السريع، وبعد ذلك فإني رهن إشارة الحاكم بخصوص الإبقاء على أو القضاء"، فأجابه الحاكم على طلبه وتحقيق ملتمسه آمراً بإحضار مهرته، فلما حضرت أذن له بالركوب، فما كان من حسن إلا أن وثب عليها كالبرق الخاطف، فجرى كالسيل الجارف في أنحاء القلعة هنيهة مبدياً للملك حركات سريعة، وألعاب غريبة بمهرته وبالغ مهارته كما قال الشاعر[1]:

معناه: "الحصان السريع الذي لا تعرف الأرض شمسه، هل خرج عن كنفها برجل واحد أو أربع، كثيراً أن الدمعة التي تقطر من جفن، تمر في سباقها بشعر الجفن في ليل حالك، تدلف على الماء كفُقّاعَة، وتسعى الخروج من خمر من شدة النار كشرارة، تسعى إلى المنخفض مثل القطرة في يوم نوروز، وإلى العلو سابقة مثل السحابة في شهر آذار، مفزوعة مثل المراد، وموصولة مثل النهار، مجتهدة مثل النسيم، متحملة مثل النار، إن آلافٌ من الدوائر تظهر في نقطة واحدة، ولكن أرجلها من حديد مثل بركار".

ثم عمد إلى مهمازه فجأة يشد عليه بعنف ويقفز قفزاً خطيراً من شرفة القلعة، وكان علوها أكثر من مائة وخمسين ذراعاً معمارياً، وينزل في لجة الماء في دجلة التي

١- الأبيات الفارسية:

تكاورى كه ندارد زمين خبر زشمس	كه ازبرش بيكى باي رفت يابچهار
بسان قطره اشكى كه أز مژة بچكد	گذركند بتكي تارموى درشب تار
بخوش خرامي برآب بگذر دجوحباب	بكرم تابى ز آتش بيرون جهد چو شرار
سوى نشيب شتابان چو قطره در نوروز	سوى بلندي تازان چو أبر در اذار
رمنده همچو مراد ورسنده چون روزي	جهنده همچو نسيم وخورنده آتش وار
هزار دايره بر نقطه پديد آرد	مكرقو ايمش أز آهن است چون بركار

تمر بجانب القلعة، ولكن بطن الجواد قد تمزق، فأخذ حسن في السباحة حتى بلغ إلى ساحل السلامة، والنجاة من تلك الورطة الهائلة واللجة الدامية. ويقال إن حسن لما غاب عن الأنظار علت الأصوات قائلة. حسن كيف! وهكذا صار لفظ حسن كيف علماً على هذه القلعة من جراء هذه القصة الغريبة. كما قال الشاعر: يكون الكلام غريباً وطريفاً إذا كان صحيحاً. وفي رواية أخرى إن باني القلعة هو من يدعى كيفا بن طالون فلذا سميت باسم كيفا. والعلم عند الله.

هذا وعمدة عشائر حسنكيف وقبائلها ثلاث عشرة قبيلة: ١- أشتي، ٢- محلبي، ٣- مهراني، ٤- بجنوى، ٥- شقاقي، ٦- استوركي، ٧- كوردلي كبير، ٨- كوردلي صغير ٩- رشان، ١٠- كيشكي، ١١- جلكي، ١٢- خندقي، ١- سوهاني وبيديان. والنواحي المعتبرة في حسنكيف هي قصبة أسعرد، وناحية بشيرى، وناحية طور، وناحية أخرى، هي أرزن التي هي تحت تصرف حكام حزو الآن. وفيها من المسيحيين المكلفين بدفع الخراج من يبلغ عددهم اثني عشر ألف نفر. ولقد حكم باني القلعة البلاد بجميع نواحيها وملحقاتها، قائماً بأعباء رياسة العشائر والقبائل أيضاً من يوم ما اختلف مع حاكم ماردين، واستقل بالقلعة حتى وافته المنية. هذا والذين تولوا الحكم بعده على ما هو المشهور في الألسنة والأفواه هم كما يأتي:

الملك سليمان

هو من أولاد ذلك الأمير؛ وقد ولي سرير الحكم وقام بأعبائه في حسنكيف فترة من الزمن، حتى آخر حكم الدولة الجنگيزية في سنة (٧٣٦هـ = ١٣٣٥ و ١٣٣٦م) حيث كانت الولاية المذكورة تحت تصرفه. وبعد وفاة سليمان هذا تولى ابنه أمر الحكومة.

الملك محمد

اعتلى سرير الملك مكان أبيه، فقام بأمور الدولة خير قيام، ونظم شئون المملكة تنظيماً حسناً، حتى أصبح يعدُ من كبار الحكام الإداريين، ومن الساسة العظام؛ إذ اتبع طريق المداراة ونهج المسايرة مع سلاطين إيران، وخواقينها من الترك والتتار، حتى توفي إلى رحمة الله.

الملك العادل بن الملك محمد

قام بأعباء حكومة حسنكيف بموجب وصية من والده، فنشر ألوية العدل والمساواة بين الرعية، وازداد العمران وساد الأمن فيها، وبذلك فاق على أقرانه

والسابقين من رجال أسرته من الملوك والأمراء في جلال القدر ورفعة الشأن؛ حتى أدركته المنية في سنة (٧٨١هـ = ١٣٧٩م).

الملك أشرف بن الملك العادل

اعتلى هذا الأمير سرير الملك بعد وفاة والده، وكان معاصراً للأمير گورگان. كما يشير إلى ذلك مولانا شرف الدين علي يزدي صاحب ظفرنامة حيث يقول: "إنه في سنة (٧٩٦هـ = ١٣٩٣ و ١٣٩٤م) بعد ما فتح الأمير تيمور صاحب الزمان مدينة بغداد، واستولى على قلعة تكريت توجه بجيشه اللجب إلى ماردين، ولما وصل مدينة روحا = الرها، بادر والي حسنكيف إلى تقديم الطاعة إلى العتبات الملكية التيمورية بالحضور إليها، فشملته العواطف الشاهانية بالرضاء والقبول وأذن له بالعودة إلى مقر ملكه، ليقوم بأعباء الحكم كما كان". ولبث على ذلك المنوال حتى توفي إلى رحمة الله بعد مدة غير قصيرة.

الملك خليل بن الملك الأشرف الملقب بالملك الكامل

تولى مقام أبيه بعد وفاته بانتخاب من رؤساء العشائر والقبائل. وفي سنة (٨٢٤ هـ = ١٤٢١ و ١٤٢٢م) حينما قدم الميرزا شاهرخ بن الأمير تيمور گورگان إلى حدود وان، ووسكان؛ لرد عادية أولاد قره يوسف التركماني عن البلاد خف الملك خليل إلى مقابلته بالترحاب والولاء، وتشرف بالعتبات السامية مقدماً الطاعة والاستعداد للعمل في المواكب السلطاني. ولبث على ذلك الحال إلى أن أذن الميرزا شاهرخ في حدود الشاكرد للأمراء، وحكام كردستان أمثال الأمير شمس الدين البدليسي، والملك محمد حاكم حكاري، وابن السلطان سليمان الخيزاني بالانصراف إلى ولاياتهم. حيث عاد هو أيضاً إلى ولايته، وأمضى بقية أيامه باليمن والإقبال ناشراً ألوية العدل والإحسان بين الرعايا. حتى توفي سنة (٨٦٢هـ = ١٤٥٧ و ١٤٥٨م).

الملك خلف

وهو المشهور بچاق سُرخ أي خلف ذو العين الحمراء في لغة الأكراد، وهو ابن الملك سليمان أخي الملك خليل، وقد اعتلى سرير حكومة حصنكيف بعد وفاة عمه، فقام برئاسة القبائل والعشائر خير قيام، وظهرت مواهبه الشخصية من بطولة نادرة، وشجاعة فائقة في الحروب التي خاض غمارها مع طائفة البختية الذين كانوا يناوئونه، ويناصبونه العداء حتى اشتهر بين الناس " بأبي سيفين ".

وفي عهد حسين بك البايندوري سلطان الآق قوينلية، قصد هذا الاستيلاء على ولايات كردستان، فندب طائفة من التركمان للاستيلاء على حصنكيف، فجاءوا إليها وحاصروها وأمعنوا في الحصار وشدّدوه، فلم يتيسر لهم الفتح والظفر بقوة السلاح، ولذا عمدوا إلى الحيلة واصطناع الخدعة، فاستمالوا أحد أبناء الملك خلف إليهم، ومنوه بإسناد حكومة هذه الديار إليه إذا ما قتل عمه، فما كان من هذا الغر الطائش إلاّ أن أقدم على قتل عمه في الحمام حيث وجده وحده، وبذلك قضى على آخر أمير من هذه الأسرة الملكية العريقة فضلاً عن ذلك من قطع لصلة الرحم، وهكذا خرج الحكم من أيدي وارثيه الشرعيين، وانتقل إلى أيدي التركمان الذين لم يصدقوا وعدهم للقاتل الذي لم ينله سوى الخزي والعار. قال الشاعر[1] :

معناه "إن بذر الوفاء والودّ لا يظهر للعيان في هذه المزرعة القديمة إلاّ إذا حل موسم الحصاد. حيث يدل شكل الهلال في أول الشهر القمري على تاج سيامك وعظمة زو".

الملك خليل بن الملك سليمان

كان الملك خليل هذا مختفياً في بلدة حماة أثناء استيلاء التراكمة على كردستان. وأخيراً حين دبّ الضعف والوهن في أسرة تراكمة الآق قوينلية، فتشتت شملهم وانفرط عقد اجتماعهم، بادر الملك خليل بالعودة من حماة بمساعدة وتعضيد ميرشاه محمد شيروئي الذي كان له صلة وثيقة بملوك حصنكيف، وكان يلي منصب وزارتهم من القديم أمراء شيروى. فالتف حوله جمع كبير من طوائف حصنكيف زحف بهم إلى سعرد فاستخلصوها من أيدي الآق قوينلية بقوة السيف، ثم عطف على قلعة حصنكيف ونزعها من أيدي التركمان بالحسنى. وهكذا صار الملك خليل حاكماً مستقلاً لتلك البلاد من جديد، وفي الواقع لم يصل أحد إلى درجة هذا الملك في علو الشأن ورفعة القدر في ذلك العصر من حكام كردستان، فكان له عظمة الملوك ومهابتهم، وكان تزوج بأخت الشاه إسماعيل الكبرى حينما وصل حصنكيف، ونزل عنده ضيفاً إذ كان حينئذ مغترباً عن بلده من جراء ضغط السلطان يعقوب عليه، ومتوجهاً إلى زيارة بيت الله الحرام عن طريق ديار بكر. وقد أُقيمت بمناسبة ذلك احتفالات عظيمة لم يسبق لها مثيل؛ حضرها حكام كردستان وملوكها وسائر رجالها

---

١ - الأبيات الفارسية:

تخم وفا ومهر درين كهنه كشت زار ... أنگه شود عيان كه رسد موسم درو

شكل هلال در سرمه ميدهد نشان ... از أفسر سيامك وفر كلاه زو

البارزين من الخاص والعام، وقد دار بكؤوس الشراب سقاة جميل محيّاهم، حلو حديثهم، وأطرب الجمع المغنون بعذب أصواتهم وعزف المطربون بنغمات بريط المشجية. قال الشاعر[1].

معناه "أقامت السموات في الآفاق حفلة عيد، وأي عيد! لقد صارت البلاد به غاية في العمران، وكان ذلك اجتماعاً منيراً اقترن فيه القمر بالشمس، واتصالاً قرب ما بين الملاك والحور. فكأن عرش بلقيس شرف بحضوره سرادق جم السلطان الأعظم بكل جلال وعظمة".

ولما أفل نجم تراكمة الآق قوينلي وسطع نور سلطان الشاه إسماعيل من المشرق، وتقدم ملوك كردستان وأمراؤها العظام إلى بلاط الشاه في تبريز مقدمين الطاعة والإخلاص لعرشه، وكان منهم الملك خليل، وبمجرد وصول هؤلاء الأمراء إلى تبريز، أمر الشاه بإلقاء القبض عليهم، جميعاً، فقيدوا بالسلاسل والأغلال، ووكل بهم القائد زينل خان شاملو.. ثم كلف الملك خليل بإحضار زوجته وأولاده إلى تبريز ؟ فبادر إلى إحضارها وهي أخت الشاه، وقد خلفت منه ولداً وثلاث بنات. ولبث على ذلك المنوال في تبريز ثلاث سنوات، خرجت خلالها ولاية حصنكيف من أيدي وارثيها الشرعيين، وحكمها القزلباش مباشرة. ولما حدثت معركة چالديران الشهيرة بين سليم العثماني، وبين الشاه إسماعيل، انتهز الملك خليل الفرصة بالاتفاق مع باشى بيوك بايكى[2]، وعمد إلى قتل الموكلين بالمحافظة عليه وحراسته وفرّ هارباً من هنالك متوجهاً على جناح السرعة إلى دياربكر، ولما بلغ أطراف وان تصدت له طائفة المحمودى، وأرادت القبض عليه: بيد أن الملك خليل خاض غمار المعركة وقاتلهم قتالاً شديداً، ونجا بأعجوبة وسلك طريق وادي بدليس حتى وصل حصنكيف. وأما باشى بيوك الذي كان معه فقد قتل في تلك المعركة. وفي خلال هذه الفترة كانت طوائف الشيروئى، والزرقى، بالاتفاق مع سائر قبائل وعشائر حصنكيف، قد نصبت الملك سليمان بن الملك خليل حاكماً لها؛ ما عدا عشيرة الرشى = رشان التي كانت قد اتخذت لرئاستها أميراً من أبناء عمومة الملك خليل، كما أن طائفة البختية في هذه الأثناء كانت قد

١- الأبيات الفارسية الملحنة:

آسمان ساخت در آفاق يكى سور چه سور	كه ازآن سور شد أطراف ممالك معمور
اجتماعيست منور قمرى را با شمس	إنصاليست مقرب ملكى را باحور
مهد بلقيس زمان داشتهء أست أرزانى	بسرابردهء جم دولت تشريف حضور

٢- وفي نسخة خطية بيك بدل بايكى، فعلى الأول يكون منسوباً إلى عشيرة بايكى الكردية، وعلى الثاني يكون الشخص المسمى باشى بيوك ملقباً بلقب بك. المترجم

جردت جيشاً لجباً على أسعرد بقصد الاستيلاء عليها من أيدي القزلباش، وبينما هم كذلك إذا بخبر ظهور الملك خليل فجأة على المسرح، قد أدهش الأهالي والناس أجمعين، فأسقط في أيديهم. وتقدم أولاد الملك خليل إليه بالطاعة والخضوع، وترك البختيون حصار قلعة أسعرد، وعادوا إلى بلادهم. وزحف الملك خليل بعد بضعة أيام إلى أسعرد فاستردوها من القزلباش الذين كانوا في أول استيلائهم على قلعة حصنكيف، قد عهدوا بحراستها إلى حامية من أكراد البجنوى (البشنوي)، لتعضيدهم إياهم في الاستيلاء المذكور. وهكذا كانت هذه القلعة في عهدة هؤلاء الأكراد الذين تشربوا بمبادئ القزلباش شيئاً فشيئاً، وخُدعوا بها فحدثتهم أنفسهم الثبات على مقاومة الملك خليل، وعدم تسليم القلعة له بالحسنى، ولذا أرسلوا بمجرد السماع بأن الملك خليل، قد حضر إلى جهة (طور) من أعمال ولاية البختية وأتوا منها مؤونة وذخائر كثيرة شحنوا بها القلعة.

ولما اطلع الملك خليل على ما يدبره هؤلاء الأكراد بادر إلى حشد رجال العشائر والقبائل من أتباعه، وهاجمهم، وشدّد النكير عليهم فاضطروا إلى الوعد بتسليم القلعة وتقديم الطاعة له، وإزاء هذا صفح الملك خليل عنهم وعقد الصلح مع حسين بك البجنوى، وفي نظير الدية عن دماء والده وإخوته التي أُرقيت كما يأتي ذكرها في محله، أقطعه قرية (بالى) بصورة التمليك. وسلم الجماعة المذكورة بعد ذلك القلعة للملك خليل.

ويروى عن الثقاة من رواة أحوال طائفة البجنوية وأخبارها، أن بجن، وبخت، كانا أخوين من أولاد حكام الجزيرة العمرية فتنازعا على حكومة الجزيرة، فاستقرت أخيراً إلى بخت وذهب بجن إلى حصنكيف، وان الملوك حكام حصنكيف، قد نزعوا أخيراً حصنكيف من هؤلاء البجنوية السابقين. وهناك رواية أخرى تقول إن الأكراد عموماً ينحدرون من نسل بجن وبخت. والعلم عند الله.

هذا وكان قد حدث أن الأمير شرف بن الأمير بدر، حينما كان حاكم الجزيرة ظهرت بوادر الخلاف من طائفة البجنوية ضده؛ لعداوة قديمة متأصلة بينهم، فانبرى الأمير شرف للانتقام؛ وطلب إلى الملك خليل أن يرسل إليه مير محمد البحنوي ليجازيه على ما بدر منه من الإساءة إليه. وقد بادر الملك خليل إلى قتل مير محمد مع خمسة عشر نفراً من أولاده واتباعه؛ إرضاءً لخاطر الأمير شرف، ولم ينج من هؤلاء المساكين من القتل سوى حسين بك كبير أولاده، فقد تمكن من الفرار تاركاً الأموال والأرزاق، وبقية رجال العشائر والقبائل طعمة للنهب والغنيمة.

والشائع الآن في الألسنة والأفواه أن موافقة حسين بك في غيبة الملك خليل للقزلباش، وانسجامه معهم كانت بسبب هذه الأحداث السابقة؛ فلذا بادر الملك خليل عند سنوح الفرصة إلى مصالحة حسين بك، وإقطاعه قرية بالى له تطميناً لخاطره. وصفوة القول إن الدهر ابتسم أخيراً للملك خليل فعلا شأنه وارتفع قدره، ولاسيما بعد تسليم طائفة البجنوية قلعة حصنكيف له، حيث حكم البلاد فترة طويلة بالاستقلال التام واليمن والإقبال إلى أن أدركته المنية فلبى نداء:"ارجعي إلى ربِّك رَاضيَةً مَرْضيَّةً"؛ فانتقل من هذه الفانية إلى دار الآخرة تاركاً من بعده أربعة أولاد ذكور هم: ملك سليمان، وملك علي، وملك محمد، وملك حسين.

الملك حسين بن الملك خليل

كان الملك حسين هذا شاباً عالي الهمة محسناً؛ مما أثار إعجاب رجال العشائر والبيوتات الكبيرة في حصنكيف به، ولفت نظرهم إليه، فأقدموا على توليته منصب الحكومة، وهو لا يزال في سن المراهقة، كما قال الشاعر[1] :

معناه: "فالذي يكون هدفه الأسمى العشق والطموح، فلاشك أن ذلك كالنور من محياه يلوح" .

بيد انه بمجرد أن استولى على سرير الحكومة بادر إلى اعتقال كل من أخويه: الملك علي، والملك محمد. وأما أخوه الثالث الملك سليمان الذي كان في ناحية أرزن، فقد فرّ هارباً إلى خسرو باشا مير ميران آمد[2]، طالباً منه المعونة؛ لاسترداد حكومة والده لنفسه. وما كان من خسرو باشا إلا أن أرسل إلى الملك حسين وأحضره مع أخويه المعتقلين إلى الديوان العثماني بآمد، وحسماً للنزاع أمر بقتل الملك حسين، وفوض أمر حكومة حصنكيف إلى أخيه الملك سليمان.

الملك سليمان بن الملك خليل

قال أهل الدين والتقوى: إن الذين يستحقون السؤدد والسلطان وتولي أمور العامة، هم الذين يعملون في جميع الأحوال بمضمون: "وَأَحْسِنْ كما أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ". وأن يرضي رغبات الجميع من الصغير والكبير من الرعايا، ويعمل أيضاً بموجب قوله

---

١ - البيت الفارسي: آنراكه نشان ضرب عشق است از جهرء أو چو نوربيداست

٢ - هي التي تسمى، الآن، دياربكر، من المدن الكردية الرئيسية، في تركيا.

تعالى: "وَأُلُوا الأرحام بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ "؛ إذ من المعلوم أن من تمسك بفضيلة صلة الرحم في جميع أحواله وظروفه، يسود على غيره ويكون محبوباً لدى الجميع كما قال الشاعر[1] :

معناه: "إذا كان الصديقان على قلب رجل واحد كالمقراض، فانهما يقطعان من يشاءان من الناس ولا يقطعان نفسيهما قط".

والغرض من هذا التمهيد وبسط المقدمة هو أن نقول: إنه بعد أن تولى الملك سليمان حكومة حصنكيف بموجب مرسوم السلطان سليمان خان بفضل مساعدة خسرو باشا ميرميران ولاية دياربكر وواليها، وعاد إلى مقر حكومته، تصدى له كل من أخويه الملك محمد، والملك علي، ونازعاه الحكم غير أن الملك علي هذا لم يصمد له وغلب على أمره، فلجأ إلى شرف خان حاكم بدليس، كما أن جميع العشائر والقبائل في البلاد، قد أظهرت غضبها لمقتل الملك حسين، ونفرت من الملك سليمان وأخذت تناوئه. وهذا ما حمل الملك سليمان على أن يوجس خيفة من مناوئيه، فتولاه الخوف والوهم وبادر إلى آمد وسلم مفاتيح القاعة إلى خسرو باشا متنازلاً عن حكومة حصنكيف برضاه، وملتمساً إسناده إيالة ما في ولاية أخرى. فعرض خسرو باشا أمره على العتبات السلمية، فصدر مرسوم السلطان سليمان خان بإسناد منصب روحا (الرها) مع مبلغ سبعمائة ألف آقچه، على طريق الإيالة، عوضاً عن حكومة حصنكيف، كما منحت زعامة ولاية روحا المذكورة بمبلغ ثلاثمائة ألف آقچه لأخيه الملك محمد، وزعامة أخرى بمائتي ألف آقچه أقطعت لأخيه الثاني الملك علي. فقام الملك سليمان هكذا فترة من الزمن في الروحا بأعباء الحكم إلى أن أدركته المنية، فصعدت روحه إلى أعلى عليين.

الملك محمد بن الملك خليل

بعد وفاة أخيه أُخذت إيالة الروحا منه، وقد أُعطي له من ديوان السلطان سليمان سنجق (عربگير)[2]، بطريق الإمارة. وبعد ذلك أُسندت إليه بدليس بطريق السنجقية، ولم يستقر هنالك أيضاً وتقلب في المناصب كثيراً؛ حتى صار يكرهها، ولا يسعى وراءها. هذا ولما كان قد توطدت أواصر الصداقة والمحبة بينه وبين بدر بك

---

١ - البيت الفارسي: دو دوست باهم اگريكد لند چون مقراض   برند أزهمه عالم زيكد يگر نبرند

٢ - بلدة في ولاية خربوط بكردستان تركيا.

حاكم البختية إلى حدّ أنه كان قد زوّج ابنته إلى مير محمد نجل بدر بك، تأكيداً للحقوق القديمة من الجوار والصداقة والاتحاد؛ فقد اختار في آخر حياته أن ينزوي في الجزيرة إلى أن توفاه الله إلى رحمته تاركاً من بعده أحد عشر ولداً ذكراً هم:
١- ملك خلف، ٢- ملك سلطان حسين، ٣- ملك أشرف، ٤- ملك علي، ٥- ملك سليمان، ٦- ملك خليل، ٧- ملك ظاهر، ٨- ملك عادل، ٩- ملك محمود، ١٠- ملك حسن، ١١- ملك أحمد.

أما ملك خلف فقد أدركته المنية في ريعان شبابه ومقتبل عمره، وقد خلف ولداً يدعى ملك حمزة، وكذا كل من الإخوة الثلاثة: ملك سليمان، وملك ظاهر، وملك حسن، ماتوا في مقتبل عمرهم، فتصدى لطلب سنجق والدهم أخوهم الملك سلطان حسين، وصدر من ديوان السلطان سليم خان مرسوم بذلك. وأما باقي إخوته فقد لازموا أمراء كردستان، والتحقوا بخدمتهم وهم لا يزالون يغدون ويروحون في أنحاء كردستان.

ملك سلطان حسين بن ملك محمد

بعد أن تولى هذا الأمير سنجق والده، كما تقدم، قام بأعباء الحكم فترة من الزمن خير قيام وتكرر تقلبه في هذا المنصب حتى اعتزل الحكم أخيراً، فهو يمضي أوقاته في كردستان الآن في سنة (١٠٠٥هـ=١٥٩٦م) ويعيش من غلة الوقف الذي تركه آباؤه وأجداده. والمأمول من الله سبحانه وتعالى أن يجعل التوفيق رفيقه ويسعد حاله فيصل يوماً من الأيام إلى تراث جدوده.

الصحيفة الثالثة

في ذكر سائر أمراء كردستان وحكامه

وهي عن ثلاث فرق

الفرقة الأولى: تشتمل على تسعة فصول

الفصل الأول

في ذكر حكام چمشكزك وهو يحتوي على ثلاث شعب

غير خاف على علماء التاريخ أن نسب حكام چمشكزك بحسب زعمهم يصل إلى شخص يدعى ملكيش من أولاد الخلفاء العباسيين. وفي رواية لبعض الأكابر أن الأمير (سليق بن علي بن قاسم) الذي هو من فروع السلطنة السلجوقية وانه في عهد السلطان آلب أرسلان السلجوقي كان صاحب أرزن الروم وحواليها، وكان العداء مستحكماً والقتال دائراً بينه وبين حكام كرجستان حتى سنة (٥٥٦هـ=١١٦٠ و١١٦١م) حيث وقع المصاف بين الطرفين، فسقط هو وأعيان جيشه أسرى في أيدي الكرج. ولما كانت أخته زوجاً لشاه أرمن[1]، فقد بعث هذا كثيراً من الهدايا والتحف إلى كرجستان، فتمكن من إطلاق سبيله. وقد تولى الحكم بعده ابنه ملك محمد. وبعد وفاة هذا أيضاً انتقلت الإمارة إلى جاقدش[2]. وبعد وفاة جاقدش تسلم عرش الإمارة ملكشاه بن محمد فتاقت نفسه إلى الاستقلال والتفرد بالحكم، ونشب القتال حتى قتل في سنة (٥٩٨هـ=١٢٠١م) بيد سليمان بن قليج آرسلان السلجوقي. وانتقلت أرزن الروم من ذلك التاريخ إلى حكم سلاجقة الروم. فيحتمل أن يكون حكام چمشكزك من نسل ملكشاه هذا، وأن لفظ ملكشاه تحرف في لغة الأكراد إلى كلمة ملكيش. هذا وإن أسماء حكام جمشكزك لتدل على إنهم من أحفاد وأولاد الترك لأن أسمائهم لا تمت بسبب إلى أسماء العرب والكرد ولا تشبهها قط. فعلى كلٍ تقول الرواية: إنّ من يدعى ملكيش من نسل ملكيش السابق الذكر، قد التف حوله جمع كثير فعلا شأنه وازداد قدره، حتى استولى على اثنتين وثلاثين قلعة وست عشرة ناحية، وهي خاضعة الآن بالفعل لحكام چمشكزك. ومن هنا سميت أتباعه باسم ملكيشي، وهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام واشتهروا في كردستان بكثرة الحشم والخدم ووفرة الأنصار والأتباع، والتحق منهم زهاء ألف أسرة بخدمة ملوك إيران؛ كما أن جمعاً منهم انخرطوا ضباطاً في سلك الحرس الشاهاني فظهر منهم حكام مستقلون في المقاطعات، واختصت بلادهم من حيث اتساع الرقعة وخطورة الشأن لدى الخاص والعام باسم (كردستان) بحيث إذا أطلق هذا اللفظ في البراءات والمراسيم وسائر الوثائق السلطانية لا ينصرف

---

١ - كان لقب الحكام التركمان في خلاط وما حولها حينذاك. المترجم

٢ - كذا. وفي نسخة، اخرى، حفيدش، أي حفيده. المترجم

إلا إلى هذه الولاية المهمة. كما أنه كلما ذكر لفظ كردستان بين الأكراد لا يقصد به إلا ولاية جمشكزك، ومنذ سخر ملكيش تلك القلاع الاثنتين والثلاثين، والنواحي الست عشرة السالفة الذكر يتصرف بعده فيها أولاده وأحفاده أيضاً بحسب الترتيب والوراثة، ولم تخرج تلك البلاد والنواحي من أيديهم قط، حتى في فترات الفاتحين العظام مثل جنكيزخان، وتيمورلنك، وابنه شاهرخ ميرزا، وقرا يوسف التركماني. وقد دام الحال على هذا المنوال في تلك الولاية حتى عهد شيخ بن الأمير يليمان (بلان) حيث كانت سلطنة إيران قد انتقلت إلى (حسن بك بايندوري) ملك إيران الذي وجه همته إلى استئصال أمراء كردستان وأسره العريقة، ولاسيما الذين كانوا منهم على صفاء ووئام سابقين مع سلاطين الأسرة القره قوينلية، فمن ذلك أنه سعى في الأخذ في أسباب القضاء على أسرة حكام جمشكزك، فسلط طائفة خربنده لو، وهي عمدة بطون عشيرة القره قوينلية الشهيرة، على ولاية جمشكزك للاستيلاء عليها. فانتزع الخربنده لوئيين الولاية من الأمير الشيخ حسن الذي كان شاباً باسلاً، وشجاعاً نبيلاً في غاية من الكرم والسخاء مما ساعده على التفاف الناس حوله وتعلقهم به حينما بلغ سن الرشد، وتكاملت رجولته، فأخذ يفكر ليل نهار في كيفية استرداد حقه المسلوب، وطرد الأعداء من بلاده الموروثة فتوكل على الله أولاً ثم اعتمد على الذين التفوا حوله من شجعان البلاد وأبطالها الأكراد، وزحف فجأة على الغاصبين وأخرجهم من البلاد. وهكذا تم له الأمر وشرع يحكم البلاد بالعدل والإنصاف؛ حتى قضى نحبه وانتهت أيامه فتولى بعده الحكم ابنه (سهراب بك) الذي حكم فترة من الزمن، وخلفه ابنه الأرشد (حاجي رستم بك)، فظهر في عهده الشاه إسماعيل الصفوي (ملك إيران الشهير) الذي أرسل (نور علي خليفة) من أمراء القزلباشية للاستيلاء على ولاية جمشكزك. فما كان من حاجي رستم بك إلا أن سلم البلاد بلا منازعة، ولا قتال إلى نور علي خليفة، وشدّ الرحال إلى بلاط الشاه إسماعيل مقدماً له الطاعة والخضوع. فلما وصل إلى السدة الشاهانية أنعم عليه الشاه بخلع سنية ونصبه حاكماً على بعض المقاطعات التابعة للعراق عوضاً عن ولاية جمشكزك. وأما نور علي خليفة فقد حاد عن طريق الصواب وأخذ يقسو ويشتد على أهالي ولاية جمشكزك فقتل جمعاً كثيراً من رجال العشائر وأبناء البيوتات من الملكيشيين، الأمر الذي حمل الصغير والكبير من أهالي البلاد على العصيان وإيقاد نار الفتنة والقتال. وقد بادروا قبل كل شيء إلى إرسال رسول إلى حاجي رستم في جهة العراق[1]،

---

١ - يدل هذا على أن المقصود هنا العراق العجمي. المترجم

وأصفهان، يطلبون إليه الحضور وتولي الرئاسة في الثورة، فاتفق أن كان الشاه إسماعيل حينذاك متوجهاً بجيوش العراق وفارس وأذربيجان لقتال السلطان سليم، في جالديران، وكان حاجي رستم في معية الشاه في ذلك السفر. ولما انتهت معركة جالديران هذه بهزيمة الشاه إسماعيل، وهربه، وتوجه السلطان سليم إلى تبريز، بقصد الاستيلاء عليها، بادر حاجي رستم إلى اللحاق بركاب السلطان سليم في موضع يقال له (يام) من أعمال مرند، فما كان من السلطان التركي إلاّ أن أمر في نفس اليوم بقتله هو وحفيده وأربعين نفراً من زعماء عشيرته ورؤسائها الملكيشيين. والمشهور الشائع في ألسنة الناس وأفواههم أن السبب الذي حمل السلطان على هذه الفعلة الشنعاء، هو انه في سنة (٨٧٨هـ=١٤٧٣م) التي زحف فيها السلطان محمد خان والي الروم على قلعة (كماخ) للاستيلاء عليها وحاربه حسن بك البايندوري، فانكسر شر كسرة؛ فأراد حاكم القلعة تسليمها إلى رجال السلطان محمد خان، ولكن حاجي رستم حال دون ذلك، واحتفظ بها ردحاً من الزمن حتى سلمها أخيراً إلى رجال الشاه إسماعيل، وقد انتهز فرخشاه بك البايندوري الفرصة ورفع تفاصيل هذا الأمر إلى سرير الخلافة قائلاً: إن حاجي رستم بك قد تهاون جد التهاون في تسليم القلعة إلى جدكم الكبير في حين انه سلمها إلى رجال الشاه إسماعيل بلا جدال ولا نزاع؛ فترك هذا الأمر أثراً سيئاً في نفس السلطان المنتقم الجبار، وما وقع نظره على حاجي رستم بك حتى أمر بقتله حالاً، جزاءً وانتقاماً. نعم ! يقول الشاعر[1]: " إن من يعمل شيئاً مع السلاطين فلابد أن يعاقب على ذلك".

هذا ولما بلغ خبر مقتل حاجي رستم بك إلى مسامع ابنه بير حسين بك في العراق، غادر فوراً العراق إلى مصر؛ للالتحاق بمعية سلاطينها الچراكسة، وفي الطريق مرّ على ملاطيه التي كان حاكمها من قبل السلاطين الچراكسة، حينئذ، (مماي بك) فاستشاره في أمره وبين له أحواله؛ وعملاً بقوله تعالى: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ) سأله أيضاً عما اعتزم عليه من الالتجاء إلى بلاط مصر. ولما كان (مماي بك) من الرجال المحنكين الذين عركهم الدهر وصقلتهم التجارب، كما قال الشاعر الفارسي[2]:

"شيخ كله العقل والتجاريب، مثله مثل الشمع يتدفق الماء والنار من فمه".

---

١ - باپادشه هرآنكه كند بد كشد جزا ...

٢ - الأبيات الفارسية: خرد پيشه پيرى زكار آگهان چو شمعش همه زآب وآتش دهان.

أطرق الشيخ ملياً وفكر كثيراً ثم أجابه بقوله: إن سطوة آل عثمان وعظمتهم وتفوقهم على سائر السلاطين المعاصرين لفي ازدياد مستمر ونمو دائم، وقد وصل صيت فتوحاتهم وصدى علو شأنهم إلى الآفاق؛ في حين أن أحوال السلاطين الجراكسة في انحطاط وتدهور مستديم؛ لتجنبهم طريق العدل والنصفة؛ فليس من البعيد أن تزول لذلك دولتهم عن قريب، وأن تسقط بلادهم في أيدي الغير من الأجانب، فالمصلحة في أمرك أن تلجأ إلى عتبات السلطان سليم، وأن تتوجه إلى جانب الروم حالاً.

پير حسن بن حاجي رستم بك

هذا الأمير هو خلاصة هذه الأسرة النبيلة وزبدة رجالها البارزين، وقد استقر رأيه بعد مقابلته لماي بك الشيخ العاقل المجرب، على العمل بنصيحته الخالصة من غل وغش، كما ورد في قول الشاعر الفارسي[1]:

معناه: "مثل النصيحة الخالية عن الغرض كمثل الدواء المرّ الذي يدفع المرض". فشمّر عن ساعد الجد واعتزم؛ عملاً بقوله تعالى: (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّه) الرحيل إلى بلاط السلطان سليم منطوياً على الصدق والإخلاص، وحينما تشرف بالأعتاب السنية في بلدة أماسية، ووقع نظر السلطان عليه لأول وهلة تعجب من جسارته النادرة وشجاعته الفائقة وقوة جنانه ورباطة جأشه؛ حيث قال: إني قتلت الأب وولده مع أربعين نفراً من رؤساء عشيرته الملكيشية، ومع ذلك لم يتمالكه الخوف ولا الوجل من الالتجاء إلى بلاطي؛ فأقدم السلطان لذلك على العمل بمضمون هذا البيت الرصين[2]:

معناه: "إذا طلب المذنب المعذرة منك، ولم تغفر له فقد أذنبت أنت". وأنعم عليه بخلع سنية وشمله بعطفه السامي، وأغدق عليه بسابغ نعمه، ثم تفضل عليه بمنصب إمارة چمشكزك حسب الأصول الجارية من عهد آبائه وأجداده الكرام، وقد صار المرسوم الشاهاني بذلك، وبتكليف محمد باشا بيقلو ميرميران مرعش أن يصحب پير حسين بك إلى چمشكزك؛ لينتزعها من أيدي الغاصبين من القزلباشية ويسلمها إليه، فامتثل محمد باشا الأمر وتوجه إلى چمشكزك، ولكن پيرحسين بك تعجل الأمر

---

[1]- نصيحت كه خالى بود از غرض — چو داروى تلخ است دفع مرض

[2] - كنه كار چون عذر خواهت بود — كناهش نبخشى كناهت بود

وحشد الجيوش والأنصار من رجاله وعشائره، وتوجه بهم نحو غاصبي بلاده قبل وصول جيش محمد باشا إلى نجدته، واشتبك مع نور علي خليفة في القتال الشديد في موضع يقال له تاكريبلاغى، وبعد معارك دامية وحرب ضروس أسفرت المعركة عن هزيمة القزلباشية، وانتصار أبطال الأكراد الذين بادروا إلى قطع رأس نور علي خليفة. وهكذا أتم پير حسين تطهير جنة الوطن من أشواك القزلباشية، وصار هو حاكمه الفرد وأميره المستقل بلا منازع ولا مجادل. وبعد أن حكم البلاد ثلاثين سنة كاملة توفي إلى رحمة الله، تاركاً من بعده ستة عشر ولداً من الذكور وهم: ١- خالد بك، ٢- محمدي بك، ٣- رستم بك، ٤- يوسف بك، ٥- پيلن بك، ٦- كيقباد بك، ٧- بهلول بك، ٨- محسن بك، ٩- يعقوب بك، ١٠- فرخشاد بك، ١١- علي بك، ١٢- كلاي بك، ١٣- كيخسرو بك، ١٤- كيكاوس بك، ١٥- پرويز بك، ١٦- يلمان بك[1].

ومن دواعي الأسف أن هؤلاء الإخوة لم يخضعوا لبعضهم غافلين عن مضمون هذا البيت الحكيم[2]:

معناه: "تقوم الدولة بالاتفاق، وتسقط بالنفاق".

والخلاصة أن الكل اتفقوا على إسقاط الدولة، وشدّوا الرحال إلى بلاط السلطان سليمان القانوني، ورفعوا إلى المسامع الكريمة ملتمسهم بان يتفضل ويقبل دخل قصبة چمشكزك، وخراج كفرتها ورسوم أغنام الولاية مع عدة من القرى والنواحي التي تليق بأن تكون من الأملاك الخاصة بالسلطان ضمن الأملاك الخاصة الهمايونية، وأن يجعل سائر البلاد مقسمة إلى سنجقين، وأربع عشرة تيمار، وزعامة. فصدر مرسوم سلطاني حسب طلبهم بجعل ولاية چمشكزك، ما عدا الأملاك الخاصة الهمايونية بها، سنجقين وأربع عشرة زعامة وتيمار يتوارثها أولاد بير حسين بك، وأحفاده على شرط أن لا يسلموا هذا الحق لأجنبي، وألاّ يتولوا هم أيضاً مناصب في بلاد أخرى من ممالك الدولة العثمانية.

---

١ - في نسخة، أخرى، سليمان، أو يمان. المترجم

٢ - دولت همه از اتفاق خيرد بيدولتي از نفاق خيرد

الشعبة الأولى

في ذكرى أمراء مجنكرد

أقطعت ناحية "مجنكرد" بمرسوم من السلطان سليمان بطريق السنجقية إلى محمدي بك النجل الأكبر لبير حسين بيك. فبعد أن حكمها هذا الأمير مدة عام فقط، توفي عن أربعة أولاد ذكور صغار لا يصلح أحدهم لتولي الحكم، فلذا أسند من قبل السلطان سليمان منصب السنجق إلى أخيه فرخشاد بك، ومضت فترة من الزمن على ذلك، دبّت بعدها عقرب الحسد والخلاف بينه وبين إخوته، فنسبوا إليه خيانة السلطان واختلاس أموال الدولة، ورفعوا تقريراً بذلك إلى السدة السلطانية وصدر الأمر بقتله فوراً، فقضى نحبه تاركاً وراءه ولدين هما: حسين بك، وخليل بك، اكتفى بإعطائهما زعامة واحدة من زعامات السنجق، وأعطى السنجق كله إلى قاسم بك أخي سنان باشا الأرناؤوطي مير ميران أرضروم، وأرضوا أولاد محمدي بك الأربعة بتوزيع التيمار والزعامات عليهم. وبعد فترة من الزمن توسط رستم بك حاكم برتك لدى السلطان سليمان في الأمر، ورفع إليه تقريراً قال فيه: "إذا كان فرخشاد بك قد أساء السيرة وارتكب من الأمور ما استوجب قتله حسب المرسوم السلطاني، فهذا أمر قد نفذ. والآن نلتمس إسناد منصب السنجق المتوارث، حسب المعاهدة الهمايونية، لـ (پيلتن) بك، ولد بير حسين بك، وعدم إعطائه للأجانب عن هذه الأسرة كما هو الحال الآن". فأجيب الملتمس وأعطى سنجق مجنكرد إلى پيلتن بك الذي طلب الإذن من السردار مصطفى باشا عند عودته من سفر شيروان، وانصرف متوجهاً إلى مجنكرد. وما كاد يصل إلى ترجان إلا وقد أسلم روحه إلى الباري تعالى تاركاً أربعة أولاد ذكور هم: علي بك، وجهانگير، وعثمان بك، وكل أحمد بك، وقد أعطى سنجق مجنكرد بواسطة مصطفى باشا وبمرسوم السلطان مراد خان إلى ابنه الكبير علي بك المذكور، وقد أرضى إخوته بالزعامات والتيمارات فاكتفوا، واقتنعوا بها، وبعد فترة من الزمن لبى علي بك نداء ربه في قوله تعالى: "يَا أَيَّتُهَا اَلنَّفْسُ اَلْمُطْمَئِنَّةُ اُرْجِعِي إِلَى رَبِّك رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً". فتوفي إلى رحمة الله تاركاً ثلاثة أولاد ذكور هم: حيدر بك، والله ويردى بك، وپيلتن. وأسند منصب السنجق من ديوان السلطان مراد خان للنجل الأكبر حيد بك الذي توفي قبل أن يتصرف في شئون السنجق، فأعطى السنجق بحسب الأصول المرعية إلى أخيه الله ويردى بك الذي يتصرف في منصبه للآن في مجنكرد، وهو يوم الاثنين الثامن عشر من رمضان سنة (١٠٠٥هـ = ١٥٩٧ م).

الشعبة الثانية

في ذكر حكام پرتك

سبق أن قلنا إنه بعد وفاة پير حسين بك، انقسمت ولاية چمشكزك بين الإخوة إلى سنجقين، وبضع زعامات. فمن ذلك أن ناحية پرتك قد وجهت إلى رستم بك النجل الثاني لپير حسين بك بمرسوم صادر من ديوان السلطان سليمان خان. وبعد أن حكم هذا الأمير البلاد ردحاً من الزمن فضل دار البقاء على دار الفناء فارتحل إليها تاركاً على صفحة الوجود ثلاثة من الأولاد الذكور، وهم: بايسنقر، ومحمد، وعلي. فتولى بايسنقر حكومة والده بوصية منه. وفي الحق انه رجل عاقل وشهم أديب في غاية من السياسة والكياسة. حيث ظهرت مواهبه النادرة في ضبط أمور الحكومة، وتنظيم شؤون العشيرة؛ مما جعله فرداً لا مثيل له بين أقرانه من أمراء كردستان وملوكه. وله طبع رقيق في الشعر والأدب، وباع طويل في فن الموسيقى علماً وعملاً فضلاً عن أنه فريد عصره في السخاء والكرم، والشجاعة والفتوة. فهو ثاني حاتم واسفنديار في تلك الخصال الحميدة، وعلاوة على ذلك فإن له ذوقا خاصاً في اقتناء أسباب اللّهو البريء وأدوات الزينة، وأنواع الأسلحة النادرة التي لا يستغني عنها رجال الحكم النابهين أمثاله. وهو قائم الآن عن جدارة واستحقاق بأعباء الحكم في پرتك بالحكم مستقلاً مع رئاسة أبناء عمومته، وسائر العشائر والطوائف الچمشكزية؛ حيث يخضع له كلّهم بكل إخلاص وولاء. فالمأمول من اللّه تعالى ان يوفقه إلى الدولة العظمى والحكومة الكبرى؛ ليحتفظ بذلك بتقاليد آبائه وأجداده.

الشعبة الثالثة

في ذكر حكام سقمان

سبق القول أنه بناء على طلب أولاد پير حسين، والتماسهم من السلطان سليمان خان القانوني كانت ولاية چمشكزك، قد قسمت إلى سنجقين، وأربعة عشر زعامة، وكانت ناحية سقمان بموجب هذا التقسيم، قد دخلت مع قصبة چمشكزك في الأملاك الخاصة الهمايونية. وسبق أن كلاً من كيخسرو بك، وكيكاوس بك، وپرويز بك، أنجال پير حسين بك الثلاثة الذين تولدوا من أم واحدة، وكانوا صغاراً حين

تقسيم ولاية أبيهم، فقنعوا حينئذ بالزعامات والتيمارات دون الحكومات والسناجق. ولما بلغوا سن الرشد والتمييز، اتفقوا جميعاً على الذهاب إلى الآستانة العلية لمطالبة حقهم المهضوم، وكانوا على رأي الشاعر؛ كالأشبال ضعافاً حيث لم تنبت لهم المخالب والأنياب[1].

معناه: "مهما يكن الشبل ضعيفاً ومتخاذلاً، فإن ذلك لعدم ظهور مخالبه وأنيابه".

هذا ولما وصلوا إلى السدة الملكية، وعرضوا حقيقة أحوالهم بواسطة الوزراء وحجاب دار الخلافة تعطّفت المراحم السلطانية عليهم، وصدرت الأوامر الكريمة بإخراج ناحية سقمان من الخواص الهمايونية، وجعلها سنجقاً، وإسناده إلى كيخسرو بك ومنح أخويه الآخرين زعامات غنية جداً. وقد حكم كيخسرو بك ردحاً من الزمن البلاد في صفاء ووئام وطمأنينة، إلى أن توفى إلى رحمة الله. شعر[2]:

معناه: "وأية دوحة إقبال رفعت رأسه إلى السماكين ولم يقض صرصر الأجل أخيراً مستأصلاً شأفتها"؟

وخلف ثلاثة أولاد ذكور، هم: صالح بك، وقاسم بك، وعمر بك. فتولى الأول حسب قواعد الإرث والاستحقاق منصب الحكومة بدل أبيه. وأما الثاني فقد كان معتوهاً بل مجذوباً لا يليق بتولي المناصب الديوانية، فاختار الدروشة والقبوع في داره، ولكن الأخ الثالث وهو عمر بك وإن كان قد رضي في الظاهر بحكومة أخيه صالح بك إلا أنه أسرّ في نفسه الكراهية له والبغض، بل والاجتراء على قتله إذا تمكن منه. وفعلاً وجد الفرصة يوماً من الأيام وطعن أخاه الحقيقي طعنة نجلاء قضت عليه حالاً. وهكذا استولى على الحكومة غصباً وظلماً، وأعلن نفسه أميراً على البلاد. ولم يكتف بذلك بل طمع في أكثر من ذلك إذ أراد أن يتزوج أرملة أخيه صالح بك حتى يستولي على أمواله وممتلكاته الخاصة أيضاً، ففاتحها في ذلك سراً وتظاهرت الخاتون بالرضاء والقبول، وأسرت البغض والكراهية له، وحب الانتقام لزوجها من ذلك الغادر المفتون، فأطلعت هذه السيدة البطلة الشجاعة عدة من رجال زوجها المخلصين على سريرتها، وما اعتزمت عليه من الأمر الجلل، فأصغوا لها كل الإصغاء واستحسنوا رأيها، وقر رأيهم جميعاً على أن يتسلح هؤلاء الجماعة ويدخلوا المنزل سراً يوم الزفاف منتظرين قدوم عمر بك للاختلاء بعروسه. وعند ذلك يخرج

---

1 - الشعر الفارسي: بود بچهء شير چندان زبون   كه ناورده چنكال ودندان بيرون

2 - كدام دوحهء إقبال سر بچرخ كشيد   كه صرصر أجلش عاقبت زبيخ نكند

الموكلون بتنفيذ المؤامرة من مكمنهم، فينقضون عليه. ولما حل موعد الزفاف اختفى الموكلون بتنفيذ الخطة في المكان الموعود وتربصوا للعريس المغرور الغافل، وفعلاً أقبل عمر بك ودخل السراي وتوجه ناحية الحريم، فإذا بالرجال ينقضون عليه كالآساد ويمزقونه شر ممزق. هذا وقد ترك صالح بك ثلاثة أولاد ذكور من تلك السيدة الشجاعة التي حملت ابنها الكبير كيخسرو بك إلى الآستانة العلية لاجئة إلى سدة السلطان مراد خان، وعارضة حالها عليه بالتفصيل بواسطة الوزراء والحجاب العظام؛ فصدرت الأوامر الكريمة بإجابة ملتمسها وإنصافها، وذلك بإسناد منصب الوالد إلى ولده. فعادت هي مقضية المرام إلى بلدها . والآن يقوم كيخسرو بك بحكومة سقمان بلا منازع، ولا مشاركة في هذا التاريخ وهو سنة (١٠٠٥هـ=١٥٩٦ و١٥٩٧م). وأما أحوال سائر أولاد پير حسين بك، فسنفصل القول فيها بالاختصار حسبما وقع فيما يأتي من السطور:

١- يوسف بك بن بير حسين بك؛ نال أثناء قسمة الولاية الموروثة، زعامة بمبلغ سبعين ألف آقچه. وبعد وفاته من غير عقب من الذكور وزعت زعامته على كل من مصطفى بك، وذي الفقار بك، وسهراب بن[1] القاص أنجال محمدي بك.

٢- محسن بك بن پير حسين بك؛ وهذا أيضاً نال زعامة بسبعين ألف آقچه. من قسمة الولاية الموروثة. ولما توفي توزعت زعامته بين أولاده الخمسة: إبراهيم، وجعفر، وشيخ حسن، ومراد بك، وايبه سلطان، بكل سهولة وسعة.

٣- يعقوب بك بن پير حسين بك؛ أعطيت له زعامة بأربعين ألف آقچه. وبعد وفاته قسمت زعامته بين أولاده الثلاثة: فرخ، ودوندار، وبابر بك.

٤- كيقباد بك بن پير حسين بك؛ أعطيت له زعامة بمبلغ خمسين ألف آقچه، غير انه نظراً لما جبل عليه من التهور والشهامة المفرطة أبى أن يقبلها، فغادر الأهل والوطن، وسافر إلى اليمن، وظهرت منه هنالك خدمات جليلة للدولة مما حمله على السفر إلى الآستانة العلية، عله ينال هنالك حكومته الموروثة. ولكن الأجل أدركه هناك، فتوفي إلى رحمة الله، تاركاً أربعة أولاد ذكور هم: حسين بك، ومسيح بك، وزاهدي بك، وإسلام بك.

١-كيكاوس بن پير حسين بك؛ هذا الأمير قد أرضوه بزعامة قليلة؛ وأعطيت بعد وفاته لنجله منصور بك.

---

١ - كذا في الأصل الفارسي ؟

٢-پرويز بك بن حسين بك؛ انتقلت زعامته إلى ابنه حيدر بك.

٣- بهلول بك بن پير حسين بك؛ كانت زعامته أربعين ألف آقچه، وبعد وفاته أعطيت إلى نجله محمدي بك، وبعد وفاة هذا قسّمت الزعامة بين أولاده: ألوند، وأوروج، وأحمد.

٤- گلابي بك بن پير حسين بك؛ كانت زعامته أربعين ألف آقچه، وقد استشهد مع بعض الأمراء والأعيان الأكراد في معركة (چلدر) التي حدثت بين الجيش العثماني، والقزلباش، حين توجه السردار مصطفى باشا إلى إقليم شروان. فأعطيت زعامته إلى نجله محمد بك. وبعد وفاة هذا أعطيت لابن ابنه عليخان بك.

٥- يلمان بك بن پير حسين بك؛ رضي بزعامة عشرين ألف آقچه، وقد انعم الله تعالى عليه بعمر طويل يحكم زعامته معززاً مكرماً، حتى تحرير هذه السطور في سنة (١٠٠٥هـ=١٥٩٧م).

الفصل الثاني

في ذكر حكام مرداسى وهو مذكور في ثلاث شعب

يحكي الرواة ويذكر نقلة الأخبار أن نسب حكام مرداسى يصل إلى سيدنا العبّاس رضي الله عنه عم النبي عليه السلام، وكان أولهم يدعى پير منصور بن سيد حسين الأعرج، وكان رجلاً عابداً صالحاً وصوفياً تقياً تأتيه الأحوال بين آونة وأخرى. وبموجب شجرة النسب التي بأيدي أولاده الآن يصلون في البطن السابع عشر إلى سيدنا علي بن عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهم جميعاً.

وكان پير منصور هذا في بادئ الأمر يقضي أيامه في أنحاء ولاية الهكارى، ثم غادرها إلى جهة أگيل، وسكن قرية بيران بجوار قلعة أگيل وانشأ لنفسه معبداً هنالك اعتكف فيه للعبادة والطاعة وترويض نفسه، وإرشاد أهالي تلك الجهات إلى التّمسك بقواعد الدين وطاعة الخالق، والتف حوله خلق كثير من المريدين والأنصار من الأهالي والأعيان، وصاروا يعتقدون فيه الكرامة والولاية.

ولما توفي إلى رحمة الله خلفه نجله پير موسى في المشيخة والجلوس على سجادة الإرشاد. وبنى هذا خانقاهاً كبيراً في تلك القرية. يؤمها خلق كثير من المريدين والأنصار، وقد طار صيته في تلك الأنحاء بين العشائر والقبائل الكردية من المرداسية وغيرها، وافتتنوا به أيّما افتتان يستوي في ذلك العوام والخواص.

وبعد وفاة پير موسى خلفه نجله پير بدر الذي بلغ في عهده صيت العائلة وتعلّق العشيرة المرداسية بها إلى ذروة المجد وقمة الشرف ! فحدثته نفسه بأن يضمّ السلطنة المادية أيضاً إلى سلطانه المعنوي الروحاني هذا، وقد تاقت نفسه إلى الاستقلال والانفراد بالسلطان، فحمل بأنصاره على أگيل حملة صادقة حتى استولى عليها بالقوة. وأگيل هذه قلعة حصينة مبنية على قنطرة عوجاء عالية جداً لدرجة أن أحداً لا ينظر إليها إلا ويستولي عليه الوهم والهلع. والشائع في أفواه الناس وألسنتهم أن أحد أولياء الله قد مرَّ من هنالك، فأشار بكلمة تركية إلى تلك القنطرة وقال: أگيل أي: "انحني" فتعوجت القنطرة وانحنت بإذن الله. والعلم عند الله !.

وأما العشيرة التي تسكن هذه القلعة، وهذه الولاية فتسمَّى بالمرداسي نسبة إلى مرداس بن إدريس بن نصير بن نصر بن جميل ؟ وكان مقدم بني كلاب. وكانوا في الأصل مقيمين في أطراف حلب التي كانت في ذلك العهد خاضعة لسلاطين وخلفاء مصر الإسماعيليين. فحدث أن دبَّ الخلاف بين أمراء مصر وقوادها، فتزعزعت أركان دولتهم وتشتتت أحوال سكان تلك الجهات، حتى تراءى لصالح[1] ابن مرداس بن إدريس أن يستولي على قلعة تلك الجهات ويتخذها مركزاً له، فهاجمها وحاصرها فترة من الزمن، وقد استولى عليها حيث ضاقت الحالة على السكان من وطأة الحصار. ولما بلغ نبأ هذا الحادث الخليفة الظاهر بن الحاكم الإسماعيلي في مصر أرسل من يقبض على هذا المتولي فقبض عليه، وقتل هو وابنه سنة (٤٢٠هـ=١٠٢٩م). فاضطرت عشائره وأهله إلى الجلاء عن الوطن، والرحيل إلى جهة أگيل والإقامة بها. فمن هذا التاريخ يسكن هؤلاء الناس هذه الولاية.

والخلاصة أن پير بدر بعد أن استولى على قلعة أگيل، وولايتها بتعضيد من رجال عشيرة المرداسي كما ذكر، حكم البلاد على خلاف ما كان عليه آباؤه وأجداده من الاكتفاء بالإرشاد الروحاني، حتى إذا ما حان الوقت وطمع في بلاده أحد السلاطين السلجوقية اضطُّر إلى الفرار هائماً على وجهه، وسنذكر هذه الحادثة بالتفاصيل فيما سيأتي من السطور.

---

١ - هو أسد الدولة أبو علي صالح بن مرداس، وأما ابنه شبل الدولة أبو كامل نصر، فقتل بعد أبيه سنة (٤٢٩هـ=١٠٣٧م). في أبي الفداء أنه مع ابنه الصغير قتلا في الأردن ضد المصريين، وابنه أبو كامل نجا وتولى حلب. انظر ج٢ ص ١٤٧. المترجم

الشعبة الأولى

في ذكر حكام أكيل الذين يلقبون ببلدوقآنى

سمعت مراراً من الثقات أن سبب تسمية هؤلاء الحكام؛ (بلدوقآنى هو ان پير بدر حينما نجا من أيدي السلاجقة، وفر هارباً تمكن من الوصول إلى ميافارقين، والتجأ إلى ساحة الأمير حسام الدين حاكم هذه البلاد، وعاش فترة هناك مختفياً، حتى استشهد في معركة استيلاء الأمير آرتق قائد السلطان ألب أرسلان السلجوقي على قلعة ميافارقين هذه. والأمير آرتق هذه كان والياً على ماردين، وآمد من قبل السلطان، وقد امتد نفوذ أولاده حتى حلب، وبغداد، فأدخلهم المؤرخون ضمن سلاطين فروع السلطنة السلجوقية. وعدد ملوكهم سبعة، وآخرهم كان يدعى الملك ناصر الدين الذي قتله حسن بك البايندوري في أوائل عهد الدولة الآق قوينلية، فانقرضت الدولة الآرتقية بوفاته.

وخلاصة القول إن الأمير هذا تلقى الأمر بضرب نطاق الحصار على قلعة مفارقين، فقام بتنفيذ الأمر وضيق الحصار على المدافعين. وفي أثناء ذلك حدث أن أصاب سهم من سهام جنود الأمير آرتق مقتل الأمير حسام الدين حاكم القلعة فقتله؛ وقد فتّ هذا في عضد الأهالي والمحصورين؛ إذ دبّ الفشل والضعف بينهم فلم يبق لهم جهد في مواصلة الدفاع والثبات في المقاومة؛ فانتهز الأمير آرتق ليلة من الليالي الفرصة، وهاجم القلعة من كل الجوانب واقتحمها عنوة، ووضع السيف في رقاب الأهالي في تلك الجهات والمدافعين عن القلعة ولم يدع منهم أحداً، فكان استشهاد پير بدر أيضاً في هذه المعركة والمذبحة الفظيعة. ولم يبق أحد من حكام أگيل على قيد الحياة إلا أن زوج الشهيد پير بدز كانت حاملاً. فكانت الآمال معقودة، وعيون المرداسية متجهة إلى نوع هذا الحمل؛ حيث كانت أعيان العشيرة المرداسية وأركانها يأتون إلى بيت تلك السيدة الحامل ويتسمون أخبار الوضع سائلين: ماذا منّ الله عليهم من ولد : أذكَر، أم أنثى؛ فذات يوم حضروا كالمعتاد أمام البيت؛ وإذا برجل يخرج من البيت، ويقول لهم باللغة التركية وبالكناية والرمز المتفق عليهما سابقاً ما نصه: "چوق شكر خدايه ايستد وكمزى بولدوق". فعلى هذا أصبح اسم هذا الولد النجيب،

الأمير (بولدوق) ثم صار اسم حكام اگيل ولقبهم بلدوقانى. قال الشاعر[1] :

معناه: "نقل عن العقلاء من أهل الروم أن امرأة زاهدة حملت يوماً، فحرمت من زوجها ووطنها، وذهبت حزينة إلى الفيافي، وهي تعاني الضعف وآلام الحمل. وحين الوضع، وهي في سكرات الموت، حزنت على طفلها؛ لعدم وجود من يربيه، ولكنها لم تعلم أن الله سيرعاه بعنايته، ولا يدعه حائراً يتخبط، فهو خالقه ورازقه. وأخيراً منحه كنوزاً في حياته. وهكذا جعله من السعداء".

ومن دواعي الأسف أن الوالدة قضت نحبها بعد وضعها مباشرة، ولكن أعيان العشيرة ورؤساء البلاد بذلوا العناية الفائقة، والهمة الزائدة، في سبيل تربية هذا الكوكب الدري الذي طالما تمنوه، وانتظروا طلوعه ليلاً ونهاراً، حتى بلغ الولد سنّ الرشد وحينئذ نصبوه عليهم أميراً طائعين مختارين، فتولى الأمير بولدوق منصب الإمارة عوضاً عن والده، وأحسن السيرة وحكم بالعدل والإنصاف ردحاً من الزمن إلى أن توفي إلى رحمة الله وتولى بعده ابنه الكبير.

الأمير ابراهيم

قام هذا الأمير مقام أبيه بعد وفاته، ولم يدم عهده كثيراً حيث توفي إلى رحمة الله بعد مدة وجيزة تاركاً الحكم لابنه محمد.

الأمير محمد

تولى الحكم بعد والده؛ ولم تدم أيامه، أيضاً كثيراً، فمات بأجله الموعود، تاركاً ثلاثة من الأولاد الذكور:

١-الأمير عيسى الذي تولى الحكم بعد والده في (أگيل).

٢-الأمير تيمور تاش الذي كان في حياة والده والياً، ومحافظاً لقلعة (باغن) ونواحيها. وحكام پالو من نسل هذا الأمير، وستأتي تفاصيل أحوالهم في الشعبة الثانية.

---

١ - الأبيات: چنين آمد أزهوشياران روم / كه زاهد زنى بود زان مرزو بوم

زآبستنى روز بيچاره شد / زشوى وزشهر خود آوراه شد

بويرانهء بار بنهاد ومرد / غم طفل ميخورد وجان مى سبرد

وزانش خبرته كه پرور دكار / چكونه ورا پرورد وقت كار

چه كنجينها زير بارش گشد / چه إقبال در كنارش گشد

٣-الأمير حسين الذي كان في حياة والده والي قلعة (بردنج)، وناحية چرموك، فقد كان حكام جرموك من نسل هذا الأمير. وعلى رواية بعض الأكابر أن الأمير حسين ليس ابن الأمير محمد، بل من أبناء عمومته، وكان الأمير في أيام حكمه قد عهد إليه إدارة حكومة جرموك، وقلعة بردنج وعلى كل حال فإنا سنذكر بعون الله الملك المجيد أحوال الأمير حسين مع سائر أولاده في الشعبة الثالثة.

الأمير عيسى بن الأمير محمد

تولى الحكم بعد والده وصار حاكم أگيل المستقل، وقد سار مع أقربائه وإخوته سيراً حميداً، وعالج الأمور بحزم وسياسة، ونشر ألوية العدل والإحسان بين الرعيّة والجنود إلى أن مات.

دولتشاه بك بن الأمير عيسى

تولى هذا الأمير منصب حكومة أگيل حسب وصية والده، وبتعضيد العشيرة المرداسية، وبعد مدة حكم البلاد خلالها بالعدل والنصفة، ثم توفي إلى رحمة الله، فتولى ابنه مكانه.

الأمير عيسى

تولى حكومة أگيل بعد وفاة والده، فبذل جهوداً عظيمة في نشر ألوية العدالة بين الأهالي، فتقدمت البلاد في عهده تقدماً عظيماً. وقد توفي عن ولدين من الذكور هما: إسفنديار، وشاه محمد.

شاه محمد بن الأمير عيسى

تولى هذا الأمير منصب والده عن جدارة واستحقاق، ولكنه ودع هذا العالم الفاني سريعاً تاركاً خمسة من الأولاد الذكور هم: ١- قاسم بك، ٢- عيسى بك، ٣- منصور بك، ٤- أصفهان بك، ٥- أميران بك.

قاسم بك بن شاه محمد بك

كان فرداً في الشجاعة، والعلم والأدب، ومكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، وعلماً من الأعلام في حسن الإدارة، وتدبير الرعية واستجلاب قلوبهم، لم يكن له مثيل بين

حكام كردستان. وقد علا شأنه وزاد قدره في عهد سلطنة حكام الآق قوينلية حتى عينوه رائداً ومربياً لأحد أبنائهم من الأمراء، فلهذا اشتهر بين الناس بـ (لاله قاسم=قاسم الرائد) ومن الحوادث المشهورة أن الشاه إسماعيل الصفوي حينما استولى على دياربكر في سنة (٩١٣هـ=١٥٠٧م)، لم يقدم (لاله قاسم)، هذا، الطاعة للشاه، ولم يخضع له قط، بل خالفه كل المخالفة، فلذا جرد عليه خان محمد استاجلو جيشاً عرمرماً فانتزع قلعة أگيل منه، وأعطاها لمنصور بك أحد القواد القزلباشية، فبقيت قلعة أگيل تحت تصرفهم وتغلبهم سبع سنوات إلى أن استردها لاله قاسم، بعد معركة چلديران، بمعاونة السلطان سليم خان، وتعضيده له، فعاد لمنصبه الموروث. وفي رواية: أن لاله قاسم هذا قد انتزع قلعة (آمد) بحيلة بديعة في عهد قراخان من القزلباشية، وسلمها لميرميرانها محمد باشا. وهكذا زاد قدره وعلا شأنه في عهد العثمانيين أيضاً يوماً فيوماً إلى أن توفي إلى رحمة الله من غير أعقاب ذكور، فآل أمر حكومته لابن أخيه مراد بك بموجب وصيته.

مراد بك بن عيسى بك

فوض ديوان السلطان سليمان منصب حكومة (أگيل) بموجب وصية العم لابن أخيه: مراد بك الذي كان في غاية من الصلاح والتقى، وعادلاً كل العدل، محباً للخير متواضعاً دمث الأخلاق يرضي الصغير والكبير، ويسايس الأعلى والأدنى والقريب والبعيد، وقد بنى عمارة فخمة قرب قبر عمه قاسم بك، وأنشأ في جانبها خاناً ورباطاً، وأجرى فيهما الطعام على الغادين والرائحين كل يوم، وتقع هذه العمارات الخيرية على مسافة مرحلة واحدة من مدينة آمد مشهورة بـ (خان شريطين). وبعد بضع سنين من أيام حكمه الزاهرة توفي عن ولدين هما: عليخان، وقاسم بك. توليا حكومة أگيل متعاقبين غير أن أيامهما لم تدم كثيراً كأيام الورد والزهور؛ إذ توفيا في عنفوان شبابهما. وقد خلف قاسم بك ولدين هما: جعفر بك، وغضنفر بك.

جعفر بك بن قاسم بك

أنعم عليه في صغر سنه بمنصب حكومة أگيل حسب الفرمان الصادر من السلطان سليمخان الثاني[1]، والآن نحن في سنة (١٠٠٥هـ=١٥٩٦م). وقد مضت على حكمه أكثر من خمس وعشرين سنة، وهو يحكم تلك البلاد بكل جدارة.

١- هو سليم الثاني بن سليمان الأول (٩٧٤هـ=١٥٦٦م – ٩٨٣هـ=١٥٧٥م).

الشعبة الثانية

في ذكر حكام (پالو)

سبق أن ذكرنا في مبحث أكَيل، أن نسل حكام (پالو) يرجع إلى الأمير تيمور تاش بن الأمير محمد بن الأمير إبراهيم بن الأمير بولدق.

الأمير تيمورتاش

كان هذا الأمير موصوفاً بالسخاء والكرم، ومعروفاً بالشجاعة والشهامة مشهوراً بين أقرانه بالفتوّة والمروءة، ومتحلياً بالرأي السديد والتدبير المحكم. وخلاصة القول إنه كان في غاية العدل والإنصاف يحب الخير للجميع. فلقد سار سيراً حميداً في جميع أيام حكمه من يوم أن وضع والده مقاليد الأمور في يده إلى أن توفي عن ولد واحد هو:

مير حمزة بك

الذي قام بدله في الحكومة باستصواب وموافقة رؤساء القوم، وأعيان العشيرة، وقد توفي هذا عن أربعة أولاد ذكور هم: حسين، ويغمور، وعلي، ورستم.

حسين بك بن مير حمزة

ورث الحكم عن والده بجدارة واستحقاق. وفي عهده حدثت الانقلابات التاريخية والوقائع الدامية التي أدت إلى انقراض دولة الآق قوينلية؛ إذ سادت الفوضى ولاية دياربكر جمعاء، فانتهز حسين بك الفرصة وزحف إلى قلعة أرغني؛ لنزعها من يد التركمان. غير أن الأجل لم يمهله فسقاه شربة الموت قبل أن يقتطف ثمار الحكم والسلطان؛ لأنه قتل في تلك المعركة من غير أعقاب ذكور، فانتقل الحكم لابن أخيه جمشيد بك.

جمشيد بن رستم

يحكى أن جمشيد بك كان في أوائل أمره، وكان عمه على قيد الحياة، في خدمة (خالد بك الپازوكي)، فحدث ذات يوم حينما كان مع خالد بك في الصيد والطراد أن

طار (طائر صيد) لخالد بك وارتفع في الجو إلى عنان السماء حتى قطع الكل الأمل من عودة هذا الطائر، وبينما هم كذلك إذ بالطائر ينقض وينزل فجأة على رأس جمشيد بك. فاعتبر خالد بك ومن معه من الأعيان هذا الحادث فألاً حسناً قائلين: إن هذا الرجل سينال عن قريب الدولة العظمى، فتقبل عليه الدنيا. وما مضت بضعة أيام على ذلك إلا وتحقق الفأل على حدّ قول الشاعر[1]:

معناه: "كل فأل كان منشأه اللعب يتحقق ولاشك إذا مرّ عليه الكوكب الدوّار".

فقد توفي عمه إلى رحمة الله كما سبق ذكره فانتقل حكم بالو أليه. وفي الواقع أنه كان رجلاً مجرياً للأمور، وحازماً في الإدارة وتصريف الشئون. حسن التدبير والسياسة. ولما كان هو أيضاً ضمن الأمراء وحكام كردستان الذين قدموا الطاعة، والانقياد لسدة السلطان سليم خان، وانحازوا إلى العثمانيين ضد القزلباش من حكام إيران، فقد أمدّه السلطان بمساعدات قيمة، لاسترداد ملكه الموروث، وهو ولاية بالو، من أيدي غاصبيها القزلباشية، وكان حاكمها من قبلهم حينئذ من يدعى عريشاه التركماني. فنهض جمشيد بك بتلك المهمة أحسن نهوض، وحارب هؤلاء الجماعة بقواته الخاصة مراراً حتى تمكن من دفع الغاصب، والاستيلاء على الولاية. ومن غرائب الأحوال أن غلاماً من غلمان جمشيد بك قد أصيب من جنود التراكمة بضربة سيف في رأسه ذهبت بنصف جمجمته، حتى انكشف مخه وبرز، فعمد الجراحون إلى وضع قطعة من القرع الناشف محل العظم الطائر، وخاطوها فالتحم الجرح بعد بضعة أيام، وعاش الرجل عدة سنين بعد ذلك، وفي رواية حتى إنه خلف بعد ذلك عدة أولاد. هذا وإن كان ذكر هذه القصة ليس مما يقتضيه هذا المقام إلا أن أساتذة هذا الفن[2]، جرت عادتهم على أن يذكروا الغرائب، والعجائب، كلما وجدوا إلى ذلك سبيلا.

وصفوة القول إن جمشيد بك قد استولى على مقاليد الحكم في ولاية بالو، فباشر الأمور بكفاية نادرة وكفاءة تامة. فأرضى ولاة الدولة العثمانية ووزرائها بحسن تدبيره، وحكيم سياسته فنال ثقتهم به، واعتمادهم عليه في الملمات والنوازل. فمن ذلك أن السلطان سليمان خان الغازي لما مر بكردستان قاصداً فتح إيران وغزوها، وقع اختياره من ضمن حكام وأمراء كردستان على جمشيد بك؛ للاستنارة بمشورته

١ - هرآن فالى كه أزبازيچه برخاست　　　چوأ ختر ميگذ شت آن فال شد راست

٢ - فن التاريخ.

وخبرته في الأمور. فهو ممن صدق عليه هذان البيتان الفارسيان[1]:

ومعناهما: "المختار هو ما اخترته، فأنت قلب العقل وعين العقل، مثلك كمثل الصدفة، ساكتة هادئة، ولكنها مليئة بالنكات النفيسة، فظاهرها عظم، وباطنها مليء بالدر أو اللؤلؤ".

هكذا كانت مشورته للسلطان دائماً موضع إعجابه، وتقديره السامي أخذ بها في مواطن كثيرة أثناء غزوه لإيران. وفي الواقع انه كان ذا مال كثير وعقل نافذ، وفراسة نادرة، وليس له نظير في السياسة والكياسة، فمن جملة ذلك انه كان يرسل كل سنة من قطعانه الخاصة ثلاثة آلاف من التيوس، عمر الواحد منها ثلاث سنوات إلى حلب لبيعها بها، ومثلها من الماعز المعلق على رأس كل واحدة منها حدوة (نعل حديد) من حداوى الخيول والبغال، بحيث إذا جمعت يقرب وزنها لوزن أربعين حملاً من أحمال الجمال، وكان له زهاء عشرة آلاف من نتاج الغنم كل سنة، وقس على هذا عدد باقي المواشي من حيوانات الزراعة وبهائمها. وخلاصة القول أنه لم يكن في كردستان في ذلك العصر من يدانيه في كثرة الخدم والحشم، ووفرة المال واتساع الثروة، وقد شاد في پالو أبنية خيرية كثيرة كالقلاع والمدارس، وقد أجرى المياه من المسافات البعيدة إلى القلعة والقصبة. ثم بنى رباطاً كبيراً فسيح الأرجاء في محل يدعى (دمرقبو) يلجأ إليه شتاءً وصيفاً كثير من الغادين والرائحين من السابلة والمسافرين. ولقد عمر كثيراً وطالت أيامه حتى جاوزت المائة من السنين، ووصلت الحدّ الطبيعي، فأمضى منها ستين سنة في الحكم، والسلطان بالاستقلال في پالو، ولم يكتف بذلك بل حصل على مرسوم من السلطان سليمان الغازي بتأييد ملكيته للولاية لنفسه، ومن بعده لأولاده قرناً بعد قرن، وبطناً بعد بطن، مؤكداً بلعن من يخالف مضمون هذا المرسوم وأحكامه، وقد نصب في حال حياته ابنه حسينجان[2] بك، ثم ارتحل من دار العناء والمشقة إلى دار الهدوء والراحة[3] كما قيل.

---

١ - وهما: پسنديده آنكه پسند يدهء | خردرا دل وعقل را ديدهء
صدف وار خاموش وزنكته پر | بيرون استخوان ودرون پرزدر

٢- في النسختين الخطيتين حسينجان وهنا حسينخان.

٣- بهر چند روزى سراى دو در | بودخانهء كتخداى ديگر
ربا طيست اين دير ديرين بساط | نبندد خرد منددل در رباط
بود رسم اين عالم بيوفا | كه پيش آورد شهدوزهر آزقفا

معناه: "في كل بضعة أيام يكون هذا القصر ذو البابين منزل مالك آخر، فما هذا الدير ذو البساط القديم إلا رباط، والعاقل لا يربط قلبه بالرباط، ومن عادة هذا العالم غير الوفي، وديدنه أن يقدم الشهد أولاً، ثم يتبعه بالسم الزعاف".

وقد ترك جمشيد بك خمسة من الأولاد الذكور وهم: ١- حسينجان بك، ٢- حسن بك، ٣- حمزة، ٤- تيمورتاش، ٥- دولتشاه. فتوصل منهم حسينجان بك، وحسن بك، إلى منصب الحكم والإمارة حسبما يأتي ذكرهما فيما بعد. أما أحوال نجله الثالث (حمزة بك)، فإنه كان قد أسند إليه في بادئ الأمر منصب[1] في البلاط الملكي العثماني مع زعامة أربعين ألف آقچه، وأخيراً تبرأ والده منه ونفى نسبه عنه، لما صدر عنه من الموبقات. وقد خلف حمزة بك هذا ولداً يدعى رستم بك أسند إليه فيما بعد منصب حكومة بالو بواسطة السردار مصطفى باشا على شرط أن يكون في معية الوزير عثمان باشا في محافظة ولاية شيروان، فقتل بأيدي القزلباش في معركة شماخى التي نشبت مع أرس خان.

وكان ابن جمشيد بك الرابع (تيمورتاش) يتولى في حياة والده سنجق خربود[2] من أعمال دياربكر. ولما انتقل تيمورتاش هذا إلى الدار الآخرة كان له ولدان هما: أللّه ويردى، وآصيل. وأما (دولتشاه) الابن الخامس لجمشيد بك، فقد كان يتولى في حياة والده منصب المتفرقكى السلطاني بزعامة قدرها أربعون ألف آقچه، وقد توفي إلى رحمة الله وخلف ولدين هما: يوسف، وأحمد.

حسينجان بك بن جمشيد بك

سبق الذكر أن والده في حياته قد عهد إليه بحكومته، فصدر المرسوم السلطاني من ديوان السلطان سليمان خان بعد وفاة والده بتقرير حكومته، وقد صار حاكماً مستقلاً لإيالة پالو، فأسمع صوت (أنالا غيرى) للقاصي والداني بيد أن ذلك كان في حزم وعدل، أرضى بهما الصغير والكبير والغني والفقير من أهالي الإيالة، ورعاياها فانتشر صيت عدالته هذه وحبه للرعية في الآفاق، وقد اقتدى بوالده في صفات السخاء والكرم حتى صار علماً فرداً في التخلق بالخصال الحميدة في جميع كردستان. حتى في العراق والحجاز أيضاً. وهكذا دام عهده الزاهر وأيامه السعيدة

---

١ - المتفرقكى:

٢- أو خربوط. كما ينطق بها أهاليها الآن، وهي في المصادر القديمة "خرتبرت" المسماة بحصن زياد كما في المعجم لياقوت. المترجم

ردحاً من الزمن، حتى توفي بأجله الموعود تاركاً ولداً واحداً يدعى (محمود). ولما كان هذا الولد غير صالح لتولي الحكم، وقع اختيار رؤساء العشائر وأولياء الأمور في الإيالة على تولية أخيه حسن بك.

حسن بك بن جمشيد بك

تولى هذا الأمير منصب حكومة بالو بعد وفاة أخيه حسينجان بك، بموجب المرسوم السلطاني الصادر من ديوان السلطان مراد خان، وباتفاق آراء الرؤساء وأولياء الأمور في العشيرة. وقد أمضى أيام حكمه البالغة ثلاث سنوات بالعدل والإنصاف، واكتساب رضا طبقات الأهالي وصنوف الرعيّة. حتى إذا ما حلّت سنة (٩٨٦هـ=١٥٧٨م) أثناء عودة السردار (قره مصطفى باشا) من سفر شيروان وحربها، توفي عن ولدين هما: سليمان بك، ومظفر بك.

سليمان بك بن حسن بك

عهد السردار مصطفى باشا بمنصب حكومة (پالو) إلى سليمان بك بعد وفاة والده حسن بك، ولكن المرسوم السلطاني صدر بمعاونة وإشارة الوزير الأعظم محمد باشا من ديوان السلطان مراد خان بإسناد هذا المنصب بشروط عدة إلى (يوسف بك بن دولتشاه بن جمشيد بك)، الأمر الذي أفضى إلى نشوب القتال وإراقة الدماء الكثيرة بضع سنين بين سليمان بك، ويوسف بك من أجل الانفراد بهذه الحكومة. ولكن الأهالي كانوا دائماً في جانب سليمان بك، فلم يمكنوا يوسف بك قط من التدخل في شؤون الإيالة بالرغم من أن يوسف بك كان شاباً في غاية العقل والذكاء، والعلم والحياء، فكان في الشجاعة والبسالة مثل رستم، وفي السخاء والكرم كحاتم. ولكن الدهر أبو العجائب كما قال الشاعر[1]:

معناه: "يسلّم الدهر للجاهل زمام المراد والبغية، وأنت صاحب فضل وعلم، فهذا هو ذنبك الوحيد".

وأخيراً وبعد أن تعب في السعي للحكومة لدى الأنذال العاطلين عن كل صفات طيبة، وملازمة اللئام فاقدي المروءة والمنافقين الظالمين، ترك هذه الدنيا الفانية متحسراً ومتلهفاً على أعراضها الزائلة، وارتحل إلى دار البقاء والقرار. وقد أسندوا

---

١ - فلك بمردم نادان دهد زمام مرالد   تو أهل دانش وفضلى همين گناهت بس

بعده منصب الحكومة بنفس الشروط التي كانت مفروضة عليه إلى أخيه (أحمد بك) الذي أمضى أيامه في منازعة (سليمان بك)، ومخاصمته في الاستيلاء على الحكم بما أدى إلى موت كثير من أنصار الطرفين من رجال العشائر والأهالي في تلك الولاية. ولقد ذهب سدى جميع ما بذله من الجهود، والمساعي العظيمة في سبيل أمنيته الغالية حيث لم يسعده الحظ، ولم يحالفه قط، فاضطر أخيراً إلى السفر إلى الآستانة العلية والإقامة بها سنة (١٠٠١هـ=١٥٩٣م) إجابة لطلب السلطان وعطفه الشاهاني عليه. وهنالك أصابه الطاعون فتوفي إلى رحمة الله، فبقيت حكومة (پالو) في يد (سليمان بك).

الشعبة الثالثة

في ذكر أمراء جرموك

سبق أن ذكرنا أن الأمير محمد عهد بقلعة (باغن) إلى ابنه الأمير تيمورتاش، وبقلعة (بردنج) إلى الأمير حسين، الذي هو في رواية من أبناء عمومته، وفي أخرى انه ابنه أيضاً. وعلى كل فإن الأمير حسين نهض فترة من الزمن بمحافظة القلعة المذكورة حتى توفي عن ولد هو:

الأمير سيف الدين

وقام هذا الأمير مقام والده بعد وفاته، فأحسن الإدارة ونهض بشؤون الحكم، حتى إذا توفي إلى رحمة الله، خلّفه ابنه شاه يوسف.

شاه يوسف

قام بأعباء الحكم بعد والده، فأحسن الحكم وقام بالإدارة بكل جدارة واستحقاق، فلما مات خلفه ولده.

ولة بك

تولى هذا الأمير منصب والده، فقام بأعباء الحكم خير قيام،وجاء من بعده:

شاه علي بك

تولى رئاسة العشائر والأقوام، ولما توفي تولى هذا الأمر الخطير.

اسفنديار بك

وبعده انتقل الأمر إلى:

بليندور بك

وقد خلفه في الحكم:

محمد بك

لما تولى محمد بك منصب الحكومة بادر إلى نزع ناحية (چرموك) من أيدي طائفة القزلباش، وتصرف فيها حسبما كان آباؤه وأجداده يتصرفون فيها، ثم حصل على مرسوم ملكي من السلطان سليم خان أثناء فتحه دياربكر، بملكيته لهذه المقاطعة. وقد تأيد هذا المرسوم بمرسوم من السلطان سليمان خان أيضاً. فمن ذلك التاريخ لا تزال مقاطعة جرموك من ملحقات إيالتهم الموروثة. ولكن جزية نصارى تلك الجهة عائدة لديوان المال بدياربكر حيث يسلمونها كل سنة إلى خزينة آمد، فالإدارة والحكم لغاية الآن في يدي محمد بك.

الفصل الثالث

في ذكر حكام صاصون الذين اشتهروا أخيراً بحكام حزو[1]

يروي العارفون بالنكات التاريخية والعالمون بفنون الأدب والأساليب الكلامية أن نسب حكام (صاصون) ينتهي إلى الملوك الأكاسرة. والرواية الصحيحة في هذا الموضوع هي أنهم أبناء عم حكام بدليس الذين كانوا في الأصل أخوين يدعيان: عزالدين، وضياء الدين، قدما من أخلاط (خلاط) عاصمة إقليم أرمينية إلى بلدة بدليس، وتمكنا بعد مدة من انتزاع بلدة (صاصون) من شخص كرجي يدعى تاويت[2]، فتولى حكمها عزالدين كما سيأتي تفصيل هذا الإجمال في مبحث حكام بدليس. ولما كان الأكراد ينطقون لفظ عزالدين بلهجتهم الخاصة هكذا (عززين)، فاشتهر حكام هذه الجهة بلقب عززاني (العزيزية) وفي أثناء الاستيلاء على قلعة صاصون استوطن كثير من أفراد عشيرة الروزكي في تلك الجهات. وتنحصر أقوامها القديمة في أربع قبائل هي: ١- شيروى، ٢- بابوسى، ٣- سوسانى، ٤- طموقى. ولما تمكن هؤلاء الحكام من إلحاق ناحية (أرزن) بملكهم الموروث، فبطبيعة الحال تمكنوا من ضم عدة قبائل من الخالدي، والدير مغارى، وعزيزان من طوائف حسنكيف القاطنة في تلك الجهات.

هذا وإن حكام صاصون من بين حكام كردستان لمشهورون بالشجاعة والسخاء والبطولة والشهامة، فهم يمتازون على أقرانهم دائماً في ميادين الحرب والقتال وفي اقتحام المهالك والمعارك، سالكين طريق المداراة والسياسة مع الملوك الكرام والسلاطين العظام. فمن ذلك أنهم تمكنوا مراراً من إنقاذ بلادهم من التعرض للويلات بتمسكهم بهذه السياسة الحكيمة وتعلقهم بأهداب المداراة المعقولة أثناء تعرض الدول التي تعاقبت على حكم كردستان كالآق قوينلية، والقزلباشية (الصفوية)، والعثمانية، بل ونالوا ثقة هذه الدول وعطفها عليهم.

وأول من اشتهر اسمه وذاع صيته من هؤلاء الحكام بين الناس هو (مير

١- حظو (المترجم)

٢- لعله محرف من (داويد = داود) أي داود ملك الكرج الذين كانوا مستولين على القسم الشمالي من كردستان الحالي المسمى حينئذ من وجهة التقسيمات الإدارية إقليم (أرمينية)، المترجم.

أبوبكر) الذي خلف ولدين نابهين هما: خضر بك، وعلي بك.

خضربك بن مير أبي بكر

تولى منصب والده بعد وفاته، ولم يمض على ذلك وقت كبير إلا ووافاه القدر المحتوم، فارتحل إلى دار الآخرة تاركاً مقامه العظيم لأخيه، لعدم وجود ذرية له.

علي بك بن مير أبي بكر

تولى الأمر بعد وفاة أخيه باستصواب رؤساء العشائر والقبائل، واتفاق آرائهم بيد أنه استرسل في الشهوات، وانغمس في معاشرة الغلمان، ومعاقرة بنت الحان، وأمعن في اللهو واللعب والطرب، ودام حاله على هذا الحال إلى أن لمع نجم اسماعيل الصفوي في إيران، وشاع صيته في الآفاق، فهرع أمراء وحكام كردستان إلى بلاطه الشاهاني، وقد صدر أمر الشاه المشار إليه باعتقال أكثر هؤلاء الأمراء وإلحاق ولاياتهم الموروثة إلى أملاكه. فكان من حظ علي بك هذا أن سلك مسلك المداراة والسياسة مع الشاه الذي أعجب به أيما إعجاب؛ لما جبل عليه من دماثة الخلق والميل إلى المرح والفرح. فصار من ندمائه الخاصين وأصبح جليسه ليل نهار، وكان قد عمد إلى توثيق أواصر الصداقة بينه وبين (شرف بك) حاكم بدليس، فزوج أخته منه وسلك معه مسلك الابن مع الوالد مما وطّد الصداقة والودّ الخالص بينهما حتى توفي علي بك بأجله الموعود مخلفاً ثلاثة أولاد ذكور هم: محمد بك، وخضر بك، وشاه ولي بك.

خضر بك بن علي بك

لما توفي (علي بك) كما سبق في تبريز، وهو في بلاط الشاه اسماعيل، ومعه ابنه أبو بكر محمد بك، وقع اختيار رؤساء العشائر، وزعماء القبائل على تنصيب ابنه الآخر خضر بك، في حين أن الشاه اسماعيل أسند منصب إمارة (صاصون) إلى محمد بك، وأصدر منشوراً بذلك. وسنذكر فيما بعد ما جرى بين الأخوين من الوقائع والحوادث. أما الأخ الثالث وهو (شاه علي بك) فقد توفي إلى رحمة الله في عهد والده في ريعان شبابه عن ابنه ميرديادين (زيادين=ضياء الدين) الذي لا يزال على قيد الحياة.

محمد بك بن علي بن صاصوني

ولما تولى أخوه خضر بك الإمارة بعد وفاة أبيه باختيار رؤساء العشيرة له، اضطر محمد بك هذا للالتجاء إلى بلاط السلطان سليم مع لفيف من رجاله، وحدث أن كان السلطان متوجهاً نحو مصر لفتحها وانتزاعها من أيدي الشراكسة، وكان النصر والظفر حليفي السلطان سليم في المعارك التي دارت رحاها مع الشراكسة، ولقد أبدى محمد بك في هذه المعارك من ضروب الشجاعة والبطولة ما جعله يقتحم المهالك، ويشق الصفوف حتى جرح جرحاً بليغاً يوم انكسار الشراكسة واندحارهم نهائياً، وقد لبث يومين بين القتلى حيث عثر عليه مغمى عليه، فرفع أعيان الدولة ووزراؤها أمره إلى السلطان، فصدرت الأوامر بالمبادرة إلى مداواته ومعالجته على أيدي أطباء وجراحي البلاط على نفقة الجيب السلطاني، فاعتنى به الوزراء ثم سألوا عما يريده لنفسه من الطلبات؛ ليرفعوها إلى السلطان ويعملوا على إجابتها، فالتمس هو إسناد منصب إيالة (صاصون) إليه مع إلحاق ناحية (أرزن) التي كانت مثار النزاع دائماً بين حكام صاصون وبين حكام حسنكيف، وصدر الفرمان بإجابة ملتمسه حالاً. وما كان من خضر بك إزاء ذلك إلا أن يتنازل عن الحكم برضائه واكتفى بوظيفة من وظائف ولاية (حزو)، فلبث فيها فترة من الزمن وتوفي عن أربعة أبناء هم: سلطان محمود، واحمد، ويعقوب، ومحمد. فمات سلطان محمود بأجله الموعود. وأما يعقوب بك فقتل في مضيق (طومانس) لدى عودة محمد باشا ميرميران آمد في سنة (٩٩٢هـ=١٥٨٤م) من سفر كرجستان بعد انكسار جيشه أمام جيش القزلباش، وسماعون الكرج في موضع يقال له (كليساى موخران) من أعمال تفليس. وتفاصيل أحوال كل من الأخوين: أحمد بك، ومحمد بك، سيأتي ذكرها في القضايا الآتية.

وخلاصة القول أن محمد بك قد صار حاكم صاصون الأوحد بلا منازع، ولكن خليل بك، حاكم حسنكيف، (حصن كيفا)، قد تهاون في تسليم قلعة أرزن إليه، بل وشحنها برجاله وبالعتاد وبالغ في المحافظة عليها بعد أن كان جددها وعمرها، وأخيراً تمكن محمد بك بتعضيد من شرف خان، حاكم بدليس، وشاه علي بك، والي الجزيرة من الزحف إلى قلعة أرزن، وتدميرها ونزعها من أيدي عمال الملك خليل. ثم توفي محمد بك بعد أن حكم سبعة عشر عاماً عن ستة أولاد ذكور هم: ١- سليمان بك، ٢- بهاء الدين بك، ٣- صاروخان بك، ٤- خان بوداق بك، ٥- حسين بك، ٦- علي بك، ٧- وتعاقب الثلاثة الأول من أنجاله على

الحكم بعده بالترتيب وكان حسين بك قد خلف ولداً يدعى حسن بك نازع أخيراً ابن عمه محمد بك بن صاروخان الذي تولى الأمر بعد مقتل أبيه، وأفضى الخصام بينهما إلى امتشاق الحسام، ولكن السردار فرهاد باشا مدّ يد المعونة لمحمد بك. فألقى القبض على حسن بك مع ثلاثة من أولاده. وقد سلموا إلى محمد بك فأمر بقتلهم جميعاً. وأما مراد بك الذي خلفه بوداق بك فقد فُقد في حرب كرجستان، ولم يظهر له أثر إلا أن له ولدين الآن هما: بهاء الدين، وبوداق. ومات ابنه السادس علي بك في حياة والده من غير عقب.

سليمان بك بن محمد بك بن علي بك

تولى هذا الأمير منصب إمارة (صاصون) بعد وفاة والده بموجب مرسوم السلطان سليمان الصادر في سنة (٩٢٧ هـ=١٥٣٠ و١٥٣١) وقد أعطيت ناحية أرزن بطريق الزعامة لأخيه (بهاء الدين). وكان سليمان بك هذا دمث الأخلاق حميد الخصال عالي الهمة ذا وقار، وشجاعة ومتحلياً بالسخاء والشهامة. وحدث حين مر السلطان سليمان بمضيق كيغندور بعد فتحه بغداد، وبدليس، أن أقام معسكره المهيب بجيوشه الجرارة في سهل أرزن، فاهتزت الأرض والسماء من هول تلك العظمة والجبروت والدبدبة. ولكن سليمان بك لم يتزعزع قط واحتفظ بوقاره ورباطة جأشه، فلم يغادر صاصون ولبث يرسل منها إلى بلاط السلطان سليمان ما ينبغي من الأرزاق والمؤونة من غير أن يكلف نفسه الحضور إلى البلاط، بل انه حال دون ذهاب شمس الدين بك (حاكم بدليس المهضوم الحق) إلى ملاطية حسبما قضى به السلطان. وقد كان هذا الأمير مسرفاً في الملذات ومنهمكاً في الشهوات لا يفيق ليل نهار من شرب المدام، وسماع الموسيقى ومقاماتها الشجية والأنغام إلى أن توفي إلى رحمة الله وغفرانه مصاباً بداء الحصبة الإفرنجية، من غير أعقاب ذكور. قال الشاعر[1]: معناه "أين ذهب طاسه وكاسه! إلى ماذا صار حاله ومآله؟ لم ير أحد حياة أبدية قط لأن البقاء والأبدية لرب العالمين فقط".

١- كجارفت آياجم وجام أو   چه شد حال آغار وانجام أو
نديده كسى تا أبد زندگى   خداى جهان راست پايندگى.

بهاء الدين بك بن محمد بك بن علي بك

أسند منصب حكومة صاصون إليه بعد وفاة أخيه سليمان بك، بموجب مرسوم السلطان سليمان خان. وفي عهد هذا الأمير كتب اسم الحكومة وسائر الألقاب في الفرمانات والمراسيم مع وصف الحكام بحكام حزو. وكان يغلب على بهاء الدين بك سمة التصوف وعلائم الجذبة الإلهية. ولم يكن له نظير في الشجاعة والسخاء بين حكام كردستان، وكم ظهرت منه أعمال خارقة للعادة عند اضطلاعه بخدمات سلطانية هامة. وفي عهد حكومة أخيه سليمان بك لم يكن في الإمكان أخذ شيء من زعامة ناحية (أرزن)، وكان يعوض عنها بمبلغ مائة ألف آقچه عثمانية من واردات محال أخرى في إيالة حزو؛ الأمر الذي حمله على أن يهجر الأهل والوطن، فيلازم الركاب السلطاني مدى خمسة عشر عاماً قضاها في الصيد في استانبول وأدرنه في ركاب السلطان. وكان السلطان سليمان خان قد سماه بدلو بهاء الدين (بهاء الدين المجنون)، ولكنه كان يشمله دائماً بعطفه، فأسند إليه منصب أمير لواء، وجعله متصرفاً في سنجق سيورك[1]، وفي غيره من السناجق العثمانية. وأما سخاؤه فقد كان مفرطاً للغاية بحيث إذا جاء له أحد بنملة أعطاه فيلاً، وإذا جاءه بقطة (سنور) كافأه بجملٍ، فلذا اجتمع عليه حجم غفير من المستغلين والطامعين من كل فج، وازدحموا على بابه، فكان ينفق عليهم جميع إيراد ولاية (حزو) الذي كان يبلغ زهاء ستين أو سبعين ألف فلوري ذهب. وكان يقترض فوق ذلك عشرين ألف فلوري أيضاً. ومع ذلك كان سعيد الحظ ومسروراً جداً من عمله هذا. ولما توفي ترك مبلغ ثلاثين ألف فلوري ديناً على ورثته من غير أن يعرف سبب الاستدانة. وقد ترك خمسة أبناء لم يتمكنوا من الوصول إلى الحكم؛ لفقرهم ولعدم صلاحيتهم الذاتية للحكم، فبقيت حكومة (حزو) مدة من الزمن شاغرة ومعلقة ليتولاها ابنه (سليمان بك)، وأخيراً تولاها أخوه (صاروخان بك). هذا وقد تجاوزت مدة حكمه ثلاثين سنة. ولم يعقب أولاده هؤلاء من الذكور أحداً.

١- في نسخة (سورك) وهذا أصح، لأنه موافق لتلفظ السكان المحليين من الكرد، ومعناه الحمراء لاحمرار أرضها حمرة تضرب إلى السواد وهي بلدة بين الرها وآمد، كانت تسمى السويداء في أوائل العهد الإسلامي وأواسطه. (المترجم)

صاروخان بك بن محمد بك

كان هذا الأمير في أيام حكم بهاء الدين بك تاركاً وطنه (حزو)، فيمضي أيامه في ديار الغربة في حالة يرثى لها من الضيق وتشتت الأفكار والأحوال. فأحياناً كان الديوان السلطاني يسند إليه منصب سنجق (باركيري)، و(كسان)، و(شيروى)، و(موش)، و(سيورك)، وتارة يعتزل المناصب فيهيم على وجهه في البلاد. وأمضى مدة ثمان عشرة سنة على هذه الوتيرة، حتى إذا بلغه نبأ وفاة بهاء الدين بك، خف إلى استانبول ملتمساً من بلاط السلطان سليم الثاني إسناد حكومة حزو إليه. وكان من حسن حظ صاروخان بك أن كان الصدر الأعظم حينذاك (محمد باشا) الذي كان عادلاً حسن التدبير يأخذ بناصر البيوتات القديمة فيقيل عثارهم، وكان قد سمع من أفواه ثقات الناس مراراً أنهم سمعوا بهاء الدين بك يقول في حياته دائماً: إن أنجالي لا يستحقون الإمارة ومعالجة شؤون الحكم قط؛ فلذا بادر الباشا إلى إسناد منصب حكومة حزو إلى (صاروخان بك) بالرغم من التماس نجله المرحوم حسن باشا ميرميران دياربكر من والده إسناد المنصب إلى سليمان بك الابن الأكبر لبهاء الدين بك. وهكذا جعل الباشا الكبير صاروخان بك متمتعاً بثقة السلطان، ومشمولاً برعايته الخسروانية، ولقد خف صاروخان بك إلى (حزو)، وأخذ يحكم البلاد بالعدل والإنصاف منسجماً مع أعيانها وأشرافها. وبعد بضع سنين من حكمه ظهرت عليه أعراض أمراض مزمنة مستعصية لإدمانه الأفيون. وحدث أن كان الجيش العثماني بسردارية مصطفى باشا مكلفاً بفتح كرجستان وشيروان، فاتخذ السردار (صاروخان بك) رئيساً لطلائع الجيش الإسلامي، وكانت مؤلفة من جيشي دياربكر وكردستان، ومعسكرة في جلدر من أعمال كرجستان؛ فإذا بحشد من القزلباشية يباغتها، ويهاجم صاروخان بك لذي لقي مصرعه في هذه المعركة الدامية. ونجا ابنه محمد بك بمشقة وأعجوبة. وبعد أداء واجب التعزية وأخذ البيعة له، تولى الحكم عوضاً عن والده، وأما ابنه الآخر (علي بك) فقد توفي وهو لا يزال شاباً مراهقاً.

محمد بك بن صاروخان بك

تولى المنصب هذا الأمير بعد مقتل والده سنة (٩٨٦هـ=١٥٧٨م)، وهو لا يزال في الثامنة عشرة من عمره، بتعضيد السردار مصطفى باشا ومعاونته حيث عهد إليه بحفظ وحراسة الجيش، والقيام بوظيفة الضبط والربط في

المعسكر. وفي الواقع كان هذا الأمير الشاب حميد الخصال بهي الطلعة ذا أعمال مشكورة وفعال مجيدة. اتبع على خلاف عادات جدوده طريقة رجال الروم[1] في المأكل والملبس والمشرب، ومال إلى القراءة والكتابة في كبره، فتعلم الفارسية وأتقن خط شكسته حتى اشتهر به، وكان يقلد خطوط مشاهير الخطاطين، ومقطعاتهم بقصّ الأوراق على شاكلتها في غاية من الحسن والصنعة البديعة. وهكذا تفنَّن في نواحٍ كثيرة من الفنون والعلوم، وقد بز الروم في التفنن في اللبس والمأكل والمشرب. ولقد اعتزم الحج إلى بيت الله الحرام، وزيارة مرقد النبي عليه السلام، فتوجه إلى الحجاز (سنة ١٠٠١هـ = ١٥٩٣م) قاطعاً الجبال والوهاد، ومارًا بالقرى والدساكر وسائر البلاد، حتى وصل مكة المكرمة وطاف بالكعبة المعظمة، وهي محط رحال "رجالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّه"، ولبس إحرام "فولِّ وجهكَ شطرَ المَسجد الحَرَامَ" وانخرط في سلك "وَمَنْ دَخَلَهُ كانَ آمناً"، وربط فاتحة "ولله عَلَى الناس حجُّ البيت مَن استطاعَ إليه سبيلاً" بخاتمة "فَإذا قَضيتمْ مناسكَكُم فاذكروا اَللّهَ" مستغرقاً في بحر "كلٌّ إلينا راجعون" الجامع للكل من الكبير والصغير. وذلك هو الفضل الكبير.

بيد أنه كان متراخياً في تنفيذ أوامر الحكومة وشئونها، ومتساهلاً في تطبيق قوانين السلطنة والرئاسة تاركاً زمام الأمور، وأمر الحلّ والعقد في ولاية حزو، في يد (شمس الدين بن فريدون آغا) الذي استبدّ بالأمر وانفرد بالحكم حتى إن الأمير لم يكن يتصرف في دينار واحد إلاّ بإذنه، ولا يخالط أحداً إلاّ بموافقته، وقد بادر إلى إخراج جميع الذين حدثتهم أنفسهم من بني عمومته ورجال عشيرته، وقومه أن ينازعوا شمس الدين، فطردهم من ولايته بل وحاول قتلهم. وعندما قتل من بني أعمامه حسن خان وابنه خان غازان، بادر إلى تزويج كل من بنت حسن خان ومن أخته التي كانت زوجة خان غازان، لشمس الدين. وقد وصل به الغرور والجنون إلى حدّ أن أخذ يتحدى الحكام العظام، فساق حملة عسكرية على الجزيرة؛ ليعزل حاكمها الأمير شرف، ويولي بدله أخاه مير محمد بك، وهكذا كان دائماً في خصام ونضال مع مجاوريه من عشائر الروژكي، والزرقي، والسليماني، حتى توفي سنة (١٠٠٤هـ = ١٥٩٥- ١٥٩٦م)، ولم يعقب ولداً. وبلغت أيامه ثمان عشرة سنة.

---

١ - أتراك الأناضول. (المترجم)

احمد بك بن خضر بك وأخوه محمد بك

لما توفي (محمد بك بن صاروخان بك) بادر شمس الدين كتخدا الذي كان ركناً ركيناً لهذه الأسرة وعضداً كبيراً لها، إلى نصب احمد بك هذا رئيساً لحكومة (حزو) وخضعت جميع رجال العشائر وزعماء القبائل لهذا الأمر، واتفق الكل من صميم قلوبهم على أن يعرضوا حقيقة الأمر بواسطة مراد باشا ميرميران دياربكر على مقام الخلافة.

هذا ولما وصل خبر وفاة محمد بك بن صاروخان بك، وقيام حكومة أحمد بك بن خضر بك إلى أخيه (محمد بك بن خضر بك) الذي كان حينئذ مقيماً باسعرد، وكان قد ترك ولاية حزو من يوم أن تولى محمد بك بن صاروخان، وتغلّب عليه شمس الدين وذهب إلى ولاية بختى، ولازم أمراء البختية وأقام بها، بادر محمد بك بن خضر بك هذا إلى الاتفاق مع (بهاء الدين بك ولد مراد خان) الذي كان هو أيضاً قد ترك حزو مع بعض من الزعماء مثل شاهمراد، وحسين آغا سوساني وبهرام آغا، فارين من جور شمس الدين وظلمه الفادح منذ نحو سنتين، وكانوا يمضون أوقاتهم في بدليس، وشيروان، والذهاب معاً إلى حزو، فتوجس شمس الدين خيفة من اتفاق هؤلاء، فحرك أحمد بك على أخيه محمد بك ليقتله، ولكن محمد بك علم بمكر شمس الدين وكيده له، فعمل بالقول المأثور "العود أحمد" ولاذ بالفرار مع الزعماء السوسانية إلى قلعة صاصون التي كان أعيانها ورؤساؤها يعرفون ما يعمله شمس الدين من الأعمال المنكرة، وكانوا ينكرونها أشد الإنكار، فصادف قدوم هؤلاء هوى في النفس، وقد استقبلوهم بحفاوة بالغة وأدخلوهم القلعة، وكانت القلعة في الواقع حصينة وعالية جداً يصعب على الطائر أن يمر من فوقها وتعجز الرياح عن أن تتخلّل قممها الشامخة. وما كادت أنباء هذه القضايا تصل إلى سمع ذلك المخذول شمس الدين حتى اشتد غضبه وثارت ثائرته، فبادر حالاً إلى عزل أحمد بك من الحكومة واعتقاله ووضع الحديد في يديه ورجليه، ثم إلقائه في غياهب السجن، ثم نصب بدله بهاء الدين بك وحشد جيشاً قوامه عدة ألوف من مشاة، وخيالة، من الطوائف البختية، والشيروئية والزرقية، وزحف به مسرعاً نحو قلعة صاصون بقصد إلقاء القبض على محمد بك وأنصاره، فبلغها بسرعة، وأقام معسكره في غرب القلعة، وشرع في النزال والقتال. واضطرب محمد بك وأهالي القلعة إذ ساورهم القلق على أنفسهم، فأرسل محمد بك رسولاً من قبله في ١٤ شعبان سنة (١٠٠٤هـ=١٥٩٦م) إلى حاكم بدليس يستنجد به. فلبى الحاكم طلبه

وأرسل إليه نجدة قوامها بضعة آلاف من المشاة والخيالة من عشيرة الروزكية. فلما سمع شمس الدين نبأ وصول هذه النجدة أسقط في يده، ولاذ بالفرار في نصف الليل متوجهاً نحو قلعة حزو، ولكن محمد بك، ومعه زعماء العشيرة الروزكية، أمثال علاء الدين آغا البلباسي، وألوند آغا القواليسي، والعشيرتان الموذكية، والزيدانية، لم يتركوه يمر بسلام وطاردوه. وعندما وصل شمس الدين قلعة حزو "والخائف خائف" انفضّ من حوله أنصاره وأتباعه. فاضطر إلى أن يصطحب أولاده وعياله ويتوجه مع الأمير شاه محمد الشيرويي إلى ساحة زينل بك الشيروي حمى ابنه، وأن يرسل ابنه حسين آغا إلى داخل القلعة؛ ليقتل فيها أحمد بك المعتقل في غياهب السجن، وأن يصطحب بهاء الدين بك ويأتي به إليه. وما وصل حسين آغا القلعة وشاع الخبر فيها بأن محمد بك زاحف بجيش لجب من الروزّكية من صاصون، وأن شمس الدين لاذ بالفرار إلى شيروان حتى بادر بهاء الدين بك إلى إطلاق سراح أحمد بك من السجن، وقد اتفقا سوياً وعمدا إلى القبض على حسين بك فألقياه في غيابة السجن بدل أحمد بك، ووصلت أخبار هذه الحوادث لشمس الدين اللائذ بالفرار، فاشتد فزعه وواصل هربه. وأما أحمد بك، وبهاء الدين بك، فقد خفا إلى استقبال محمد بك الزاحف على القلعة، وقدما له الطاعة وسلما القلعة له، ونصبوه لحكومة حزو، وأعطوه ما هو مخصص للأمراء من الوظائف حسب القواعد والأحوال الموروثة. وعند ذلك رفع محمد بك أمره، باستصواب أعيان القوم وحكام كردستان وأمرائه العظام إلى دار الخلافة لساحة السلطان الأعظم والخاقان المكرم (محمد خان) الثالث الذي تعطف عليه بشفاعة من الوزير إبراهيم باشا؛ فأسند إليه فرمان منصب حكومة حزو، وبالإنعام عليه بخلع سلطانية سنية.

وما مضت على ذلك ثلاثة شهور إلا وحمل الحقد والغل شمس الدين الموتور المفسد على الالتجاء إلى الأمير شرف حاكم الجزيرة، وأخذ يدس الدسائس لغريمه محمد بك ويوغر صدره عليه. فاقترح عليه أولاً أن يبعث الأمير شرف رسولاً من قبله إلى محمد بك؛ ليطلق سبيل حسين آغا المعتقل، ففعل. ولكن قبل وصول الرسول قتل المسجون في معتقله، مما أدى إلى غضب الأمير شرف على محمد بك، وادّعى شمس الدين ثانياً أنه يتلقى كل يوم أخباراً ورسلاً من عشائر حزو تقول: إنهم غير راضين عن حكم محمد بك، ويقولون: إنهم يرضخون بلا منازعة لمن يختاره شمس الدين كتخدا من أولاد أمراء حزو حاكماً لهم. فصدق الأمير شرف هذه الأقوال الملفقة، وغفل عما يرمي إليه شمس الدين من المكر والخداع والتحريض على القتال، وبادر إلى حشد خمسة

آلاف من الجنود المدربين من عشائر: البختي، والشيرويي، والزرقي، وغيرها من طوائف الأكراد، وزحف بهم على قلعة حزو، وقبل أن يصل إلى سعرد عمد أمراء حزو إلى تقديم الطاعة مع رؤساء عشائرهم إلى الأمير شرف، وقد استقبلوه بحفاوة بالغة قائلين له: إنا مستعدون لتنفيذ كل ما تأمرون به، ولكن جماعة عزران[1] شمرت عن ساعد الجد، والتزمت جانب الاستقامة والطاعة لحكومة محمد بك، فاتحدت معه قلباً وقالباً للدفاع عن البلاد إلى النهاية. وهكذا استعدوا للقتال وخوض غمار الحرب مهما كان الأمر. عند ذلك توسط بين الطرفين بعض الأمراء والحكام، ومنعوا الأمير شرف من مواصلة سيره نحو حزو فعطف الأمير شرف عنان عزيمته من أسعرد نحو (بدليس). وهناك أراد أن يبعث بشمس الدين مع بعض أعيان (حزو) إلى محمد بك ليتولى منصب وكالته وبذلك ينتهي الإشكال ويحسم النزاع. وبعد المداولة والمناقشة الكثيرة حول هذا الموضوع تقرر أن يصطحب شمس الدين كل من (خان أبدال) أخي الأمير شرف و(خلف بك) أخي كاتب هذه السطور، ومعهما بعض من أعيان البختية والروژكية وأن يذهبوا جميعاً إلى حزو. وبعد وصول شمس الدين كتخدا هذا مع البعثة إلى (حزو) ورجوع البختية والبعثة بعد بضعة أيام إلى حيث أتوا، أراد شمس الدين أن يعاوده نفوذه وسلطانه السابق، فشرع يعامل أعيان حزو مثل ما كان يعاملهم سابقاً. وقد غضب الكل، المسلمون منهم والنصارى، وثاروا ضده وهاجموه ليقتلوه حتى يتخلصوا منه فنجا من القتل بكل صعوبة بل وبأعجوبة! بفضل إمداد خلف بك ومساعدة بعض الأعيان والرؤساء له. ولما وصلت أنباء هذه الحوادث إلى مسامع الأمير شرف تأثر من ذلك جداً، وعاد إلى الجزيرة يائساً في ٢٠ ذي القعدة سنة (١٠٠٤هـ = ١٥٩٦م). وهدأت الحالة من ذلك اليوم، ولبث على ذلك إلى أن أثارها (علي باشا) من جديد. وعلي باشا هذا كان ميرميران الموصل، وكان له صلة قديمة بالوزير إبراهيم باشا. وحدث أن كان في استانبول حينما عرضت قضية حكومة حزو، على السلطان، بواسطة الوزير إبراهيم باشا كما سبق ذكره، والتمس إسنادها إلى محمد بك، فساهم علي باشا هذا أيضاً في مساعدة محمد بك وتزكيته طمعاً في ماله وهداياه العظيمة. ولما عاد الباشا من الآستانة مر بحزو ونزل ضيفاً على محمد بك، فأكرم وفادته

١- الظاهر أن الكلمة مصحفة من كلمة (غرزان) التي هي (أرزن) التاريخية أي أرزن أرمينية، لا (أرزن الروم). وكانت مدينة عظيمة قبل ميافارقين ثم خربت. وانظر التعليقات على النص الفارسي من الشرفنامه صفحة ٢٦٦. (المترجم)

واحتفى به احتفاءً عظيماً مقدماً له كل مرتخص وغال. ولكن طمع الباشا لم يكن له آخر ولا نهاية، فغادر حزو إلى الموصل متأثراً وغاضباً وما مضت عليه ستة شهور في ولاية الموصل إلا وعزل عنها. فرحل إلى الجزيرة وأقام بها يحيك الدسائس لمحمد بك، مع شمس الدين الذي قربه إليه وأخذ يتداول معه في شأن حزو، حتى استقر رأيهما على تزوير براءة سلطانية بإسناد حكومة حزو إلى (أحمد بك) وإرسال صورة منها إلى حزو؛ ليخدعوا بها أحمد بك ويأتوا به إلى الجزيرة. وهكذا تمكنوا من خداع أحمد بك الطيب القلب الساذج! إذ انخدع بالبراءة المزورة هذه وفر هارباً من حزو مع عدة من رجاله، وجاء إلى الجزيرة حيث قابله شمس الدين كتخدا وعلي باشا بحفاوة بالغة وإكرام زائد؛ وذهبا به إلى الأمير شرف وأظهرا له براءة سلطانية أخرى موجهة إلى كل من علي باشا والأمير شرف تتضمن الأمر بإمداد ومساعدة أحمد بك؛ ليتولى حكومة حزو حسب البراءة السلطانية التي بيده. فانخدع الأمير شرف أيضاً بهذه الألاعيب وحشد جمعاً كثيراً من الجنود والعساكر، ووجههم مع علي باشا وأحمد بك وشمس الدين وأخاه شاه علي بك، وأرسلهم كلهم إلى حزو في أواخر سنة (١٠٠٤هـ=١٥٩٦م). ولما وصل نبأ هذا الزحف إلى حزو، قال البعض من طائفتي السوساني، والخالدي، وغيرهما، إذا عزل محمد بك عن رئاسة الحكومة، وولي بدله أحمد بك بفضل مساعدة الأجنبي وتعضيده، فما علينا إلا أن نبادر نحن ونولي من نريده علينا من بيننا حتى لا نمكن البختيين من التحكم فينا، وربما أفضى عملنا هذا إلى نكوص أحمد بك وشمس الدين على أعقابهما يائسين، فيغضّا النظر عما أقدما عليه. وبناء على هذا التفكير أقدمت هذه الجماعة المتطرفة على تنصيب (بهاء الدين بن مراد خان) حاكماً، وقصدوا قتل محمد بك. وفعلاً توجهت الغوغاء والدهماء مسلحين بآلات الحرب والطعان صوب محمد بك يريدون قتله. ولكن محمد بك عمد إلى السياسة الحكيمة ففعل بمقتضى "الضرورات تبيح المحظورات" إذ صارحهم بالتنازل عن منصب الإمارة بالطوع والرضا قائلاً: حيث إن الشعب والزعماء من قومي وعشائري غير راضين عن سلوكي، فإني أضع جميع الأحكام والفرمانات السلطانية أمام بهاء الدين وأبايعه على الحكم الآن. ولما وصلت أنباء هذه الحوادث إلى شمس الدين أرسل خطاباً مليئاً بالوعد والوعيد إلى بهاء الدين يقول له: إن محمد بك هو قاتل ابني فإذا قبضت عليه واحتفظت به إلى أن أحضر، فإن حكومة (حزو) سوف تسند إليك. ولما بلغ مضمون الخطاب إلى مسامع محمد بك أرسل إلى بهاء الدين يقول له: ليس من اللائق بك ولا مما يتفق وشرفك أن تغدر بي،

وتسلمني إلى شمس الدين عوضاً عن ابنه. فإذا كنت مستحقاً للقتل والحقارة، فاعمل أنت بيدك لأني ابن عمك وشرفي هو شرف حكومتك. وهكذا تمكن محمد بك من تخليص نفسه من يدي ذلك الجاهل المنحوس بأنواع من الحيل والدهاء، حتى تمكن من الارتماء بنفسه في أحضان عشيرة الخالدي. وبمساعدة محمد آغا الخالدي الآبكي توجه منها إلى ناحية قلعة (صاصون) بنفسه حيث ساعده الأهالي على دخول القلعة. وفي هذه الأثناء أعلن شمس الدين بالاتفاق مع علي باشا وأعيان البختية وزعمائها حكومة أحمد بك، فتوجه هذا إلى مقر منصبه بكل عظمة وشوكة. وما وسع بهاء الدين بك حينئذ إلا أن يستعد هو وأنصاره البالغون زهاء ألف من الجنود المشاة والخيالة للحرب والقتال في حزو، فأرسل طائفة من الخالدي كطليعة للاستكشاف، وترقب حركة العدو في شاطئ نهر حزو حيث كان يعتقد أن النهر سيطغى، ويمنع عبور العدو بسهولة، ولاسيما أنه محتل مع بقية جيشه رأس الجسر. ولكن الأعداء اقتحموا النهر بخيولهم صباحاً واجتازوه سباحة إلى الجانب الآخر، فانقضوا على طليعة بهاء الدين وقتلوا منهم بضعة رجال وفر الباقون منهم، وأخبروه بما حدث. فما وسع بهاء الدين إلا الهرب والارتماء في أحضان عشيرة السوساني بحيث ترك عائلته فيما بينهم، وتوجه هو نحو قلعة صاصون بقصد دخولها. فلما بلغ باب القلعة علم أن محمد بك قد سبقه إلى دخولها وأن حاميتها وأهاليها جميعاً اتحدت معه، وقد أغلقت الأبواب دونه منذ يومين لأن الكل أعلن عن طاعته لمحمد بك. فاضطر هو مع (شاه مراد آغا) السوساني، وبضعة من الرجال إلى الرحيل إلى بدليس، فبلغوها في اليوم الخامس والعشرين من رمضان سنة (١٠٠٤هـ = ١٥٩٦م) وبعد أن أمضوا بها مدة أحد عشر يوماً وإذا بخبر ملفق ينمى إليهم في اليوم الثاني عشر بأن أقوام حزو بتعضيد ومساعدة من محمد بك الزرقي، قد طردت أحمد بك وشمس الدين من حزو، وتريد الآن نصب (بهاء الدين) حاكماً عليها؛ فما كان من بهاء الدين إلا أن غادر بدليس في اليوم الثاني عشر من تاريخ بلوغه إياها من غير رضاء المخلصين والأصدقاء، وتوجه نحو حزو وما كاد يصل إلى رأس (جسر الخاتون) إلا وقد وصل ساع مسرع من (صاصون) يقول: إنه في ليلة الجمعة الموافق للسادس من شوال السنة المذكورة، قد قتل شمس الدين بيد محمد آغا الآبكي في القلعة، وأن أحمد بك قد خلع من حكومة حزو وأن العشائر والأقوام ذهبت إلى صاصون تطلب محمد بك، وأن أهالي حزو نهبت جميع رجال (علي باشا) وأغارت عليهم، وأن الباشا نفسه مع رجاله متحصنون ببيوت ومنازل شمس الدين منهوبين ومسلوبين وعرايا، وأن محمد بك قد وصل إلى

حزو، وأخذ زمام الأمور في يده. فوقعت هذه الأخبار وقع الصاعقة على رأس بهاء الدين، وتولاه اليأس الشديد. وبعد أن أمضى عدة أيام في ضيافة محمد بك الزرقي في (درزيني) رحل معه إلى ساحة الأمير شرف لاجئاً إليه بالجزيرة حيث قرر له راتباً من غلة سنجق أسعرد الذي كان في عهدة الأمير محمد بك بن الأمير شرف. ثم قتل أحمد بك في حزو وخلا الجو لمحمد بك، فحكم حزو حكماً مستقلاً ولا يزال يحكم حتى الآن.

الفصل الرابع

في ذكر حكام خيزان

يشتمل هذا الفصل على ثلاث شعب؛ حيث يقول الرواة إن منشأ حكام خيزان من ناحية (بليجان) من أعمال (خنس). والظاهر أن جدودهم الأوائل حينما وردوا بليجان كانوا أعياناً وسراة، فتمكنوا من الاستيلاء على قلعة بليجان. وأخيراً ظهر منهم ثلاثة أخوة نبهاء يدعون (١- دل، ٢- بل، ٣- بليج) قدموا إلى جهة خيزان، واستولوا على هذه الولاية بحدّ السيف، وقسموها ثلاثة أقسام. فأخذ الأخ الكبير (خيزان) والأوسط ناحية (مكُس) والصغير ناحية (إسبايرد). وسنذكر فيما يأتي أحوال أولاد هذه الأخوة الثلاثة، وسيرة أحفادهم حسبما هو شائع في الأفواه والألسنة، وذلك بالترتيب المقرر في الشعب الثلاث بعون الله الملك الوهاب.

الشعبة الأولى

في ذكر حكام (خيزان) ووجه تسميتهم بذلك

يحكى أن اسم (خيزان)، كما هو المشهور في الألسنة والأفواه، كان في الأوائل عبارة عن (سحر خيزان) أي القائمين في الأسحار؛ لأن أهالي تلك البلاد من بين بلاد كردستان كانوا مشهورين بقيام الليل والأسحار والتقوى والصلاح والأمانة والتمسك بالدين حيث لم تكن الصلوات الخمس تفوت الصغير والكبير منهم. وأخيراً وحسب عادة الأكراد الذين يميلون إلى تخفيف الأسماء وترخيمها مثل شمس الدين (شمو) وعز الدين (عزو) وجمشيد (جمو) وأبدال (أبدو) خففوا هذا الاسم أيضاً فقالوا (خيزان) بإسقاط لفظ (سحر). وهناك وجه آخر

في التسمية، هو أن الاسم كان سحر خيزان. ولما توجه باني القلعة إلى حج بيت الله أغلق المحافظون الأبواب دونه حين عاد مانعين دخوله القلعة، فتأثر هو من هذا الصنيع، وخاطبهم بلغة فارسية بقوله: (خيزان بی اعتبار = انذال قوادون)، وعاد أدراجه من غير توقف. والواقع أن أكثر حكام هذه الجهة موصوفون بهذه الصفة الآن[1]. ومدينة (خيزان) من المدن والبلاد المستجدة في الإسلام، والمشهور على ألسنة أهالي تلك الجهة أن بانيها صاحب مراغة تبريز. ومسود الأوراق قد تحرى كثيراً في المظان والمصادر عن باني هذه المدينة، ولكنه لم يعثر على اسم من يكون قد بناها من السلاطين والملوك. ولا يمنع هذا أن يكون قد بناها أحد الوزراء أو الأمراء. ويحتمل أن خواجه نصير الدين الذي كان المشير المؤتمن لهولاكو خان – وهو مجدد بناء مراغة؛ ليتخذها هولاكو خان عاصمة لملكه – قد بنى هذه القلعة والمدينة أيضاً حينذاك. أو أن أحد الأمراء المسلمين غيره يكون قد بناها في ذلك الوقت. ولا شك في أن المسجد الجامع الذي في المدينة والذي يعدّ من آثار باني القلعة، فيه من الأساطين الخشبية العديدة التي لا يعرف أهالي تلك الجهات من أية أشجار هي. على أن البعض يقول إنها من أشجار يطلق الترك عليها اسم: (ايت بورني = بوز الكلب). وهو ما يسميه الأكراد (شيلان)، ويعتقد أهالي هذه البلدة أن لكثير من أولياء الله صلة بهذه الجهة، وأنها من الأمكنة التي تستجاب فيها الدعوة. والعمارات التي في داخل القلعة مبنية على طراز الرصد[2] من الآجر والطين. وتوجد في هذه البلدة جنات وحدائق غناء وأنواع كثيرة من الفواكه التي توجد عادة في بلاد إيران، ولاسيما نواحي تبريز مثل العنب والمشمش. فإذا كان من هذه الجهة ينسب بناؤها إلى الخواجه نصير الدين محمد الطوسي، فليس ببعيد ذلك، وعلى كل حال فالعلم عند الله. وأما هواء هذه الولاية ومناخها ففي غاية الضعف والسوء والوخامة ويصاب أكثر أهليها بحمى النوبة (الملاريا) في فصل الخريف. هذا وأغلب بساتين الولاية مكسوة بأشجار البندق، واشتهرت عشائر وأهالي هذه الولاية باسم نميران[3]. والسبب في تسميتهم بهذا هو أن كل واحد من أفراد العشائر،

١- القيام ليلاً.

٢- لعله يريد مثل بناء المرصد المشهور الذي أقامه الفلكي الطوسي للمغول في مراغه. (المترجم)

٣- هكذا. ولاشك أن هذه أسطورة القرون الوسطى أملتها هي وأمثالها الثقافة الأجنبية. والظاهر أنهم أحفاد النمريين شعوب كردستان القدماء الذين كان لهم شأن قبل الميلاد في التاريخ السياسي لبلاد الشرق الأدنى. (المترجم)

والقبائل، إذا مات وله علوفة أو وظيفة أجراها الحاكم بلا نقص على ذريته؛ صغاراً كانوا أم كباراً وهكذا لا يتغير حالهم بالزيادة والنقص، وكأن عائلهم لم يمت. فسموا نميران بمعنى الذين لم يموتوا. وحكام هذه الطائفة يسلكون طريق المداراة والسياسة مع السلاطين العظام والملوك الكرام، مما يجعلهم دائماً موضع ثقتهم وعطفهم والتغاضي عنهم عند الملمات التي تنزل بكردستان بين آونة وأخرى، ففي بضع المرات التي اجتاح فيها الفاتحون كردستان من أقصاه إلى أقصاه، ونزعت أغلب إماراته القائمة من أيدي أصحابها، بقيت إمارة هذه الطائفة بأيدي حكامها بفضل هذه السياسة الحكيمة، والخطة الحميدة التي درجوا عليها. فمن ذلك أن مولانا عبد الرزاق السمرقندي يذكر في تاريخه: (مطلع السعدين) أنه في سنة (٨٢٤هـ=١٤٢١م) حينما جاء ميرزا شاهرخ بن الأمير تيمور گورگان إلى حدود آذربيجان لردّ عادية أولاد (قره يوسف) التركماني، خف إلى استقباله نجل الأمير سليمان الخيزاني بالاتفاق مع الأمير شمس الدين البدليسي، فغمرهما شاهرخ بعطفه السامي وخلع عليهما.

هذا والشائع في الألسنة والأفواه، أن الذي تولى منهم الحكم ردحاً من الزمن بعد الأمير سليمان وابنه، هو الأمير مَلَكْ الذي توفي بأجله الموعود.

الأمير داود بن الأمير مَلَكْ

قام بأعباء الحكم في (خيزان) مدة تسع وثلاثين سنة باستقلال تام لا ينازعه، ولا يعكّر صفو هنائه أحد. فكان مكباً على الشراب ومصاحبة الغلمان. ومع ذلك فقد كان ميالاً إلى الخير والعطف على العلماء والفضلاء، فبنى لهم المدرسة الداودية في خيزان، وأتم بناءها. وهي الآن عامرة بالعلماء والطلبة يفيدون ويستفيدون، وكان له ثلاثة أولاد ذكور هم: سلطان أحمد، ومير سليمان بك، وحسن بك.

سلطان أحمد بن مير داود

تولى منصب حكومة (خيزان) بعد وفاة والده، فأحسن الإدارة حتى رضي عنه الشعب والجند من أهالي تلك الولاية من عشيرة النميران وغيرها من الرعايا والمواطنين. ولقد أبدى هذا الأمير دون أمراء وحكام كردستان الذين كانوا في موكب السلطان سليمان القانوني حين فتحه بغداد دار السلام من آيات

الشجاعة، والخدمات الجليلة ما حمل السلطان على الالتفات إليه، فمنحه تمليكاً سلطانياً بإيالة خيزان مشروطاً ببعض شروط ومؤكداً بالإيمان. فمن ذلك التاريخ أصبح يكتب في فرمانات وأحكام أمراء هذه الأسرة لفظ (جناب) ويطلق عليهم لقب (حاكم)، فاشتهروا بحكام خيزان.

أما علاقة هذا الأمير بشرف خان أمير بدليس، فقد كانت طيبة في بادئ الأمر وفقاً للصداقة الموروثة بين الأسرتين من قديم الزمان، بيد أن قدوم (أولمه) إلى الروم[1] وحدوث بعض أمور سيئة سنذكر تفاصيلها في أحوال (شرف خان) فيما بعد، أفضى إلى تبدل هذه الصداقة التقليدية بالخصومة؛ إذ اتحد سلطان أحمد بك مع (أولمه) في فكرة القضاء على أسرة شرف خان بالدّس ضده لدى السلطان، مما اضطر شرف خان أخيراً إلى الزحف إلى خيزان للاستيلاء عليها، وإلقاء القبض على سلطان أحمد بك حاكمها، وقد نشب القتال فعلاً بين الطرفين وأُريقت دماء كثيرة حتى إذا ما توسط المصلحون بينهما، وتوقف القتال، عاد شرف خان إلى مقره. انتهز سلطان أحمد بك الفرصة وبعث رسولاً إلى دياربكر يحرض (أولمه) على قتال شرف خان. فبادر أولمه إلى حشد جيش دياربكر، وتوجه به إلى خيزان حيث اتخذ (سلطان أحمد بك) دليلاً له وطليعة لجيشه. ومن هناك توجهوا جميعاً عن طريق ناحية (تانيك) إلى ولاية (بدليس)، فنشب القتال بين الطرفين، وقتل شرف خان في المعركة.

وبعد مدة قليلة ودع (سلطان احمد بك) أيضاً هذا العالم الفاني تاركاً وراءه خمسة من الأولاد الذكور وهم: ١- أمير محمد، ٢- يوسف بك، ٣- ملك خليل، ٤- ملك خان، ٥- خان محمود.

مير محمد بن سلطان أحمد

صدر فرمان السلطان سليمان خان بتقسيم ولاية خيزان بعد وفاة سلطان أحمد بك إلى قسمين: أسند قسم منهما إلى مير محمد، والقسم الآخر إلى أخيه ملك خليل. وبعد مضي عام على ذلك مات مير محمد فجأة تاركاً ثلاثة أولاد ذكور هم: سلطان مصطفى، وداود بك، وزينل بك. وأما ملك خليل فقد بادر بعد

١- يقصد بلاد الأناضول خاصة، والبلاد العثمانية عامة. (المترجم)

وفاة أخيه إلى توحيد الولاية كما كانت، مستصدراً براءة سلطانية بذلك من ديوان السلطان سليمان. بيد أن سلطان مصطفى بتعضيد من خاله بهاء الدين بك حاكم حزو، توجه إلى الآستانة وتمكن من الحصول على حصة والده. وبعد أن حكم بلاده ست سنوات على هذا المنوال وجد ذات يوم بين الأحراش والغابات مقتولاً، حيث كان قد خرج للصيد والطراد، ولم يعرف القاتل ولا سبب القتل بالرغم عما أجري من التحقيق، وولي بدله أخوه (داود بك) فحكم سنة واحدة، ثم توفي. هذا وبعد وفاة داود بك توجه أخوه (زينل بك) إلى بلاط السلطان سليم خان (الثاني) وتمكن من توحيد حصتي الإيالة حسب الدستور السابق وتولى أمرها كلها. بيد أن الأجل المحتوم لحقه فسقاه شراب الموت قبل أن يجني ثمرة مسعاه، وتوفي إلى رحمة الله في الطريق لدى عودته من استانبول.

ملك خليل بن سلطان أحمد

سبق ذكر شيء من أحواله فيما تقدم (ونقول الآن)، إنه كان في حياة أخيه وأبناء أخيه يتولى تارة حكومة نصف ولاية خيزان، وتارة أخرى يتولاها جميعاً إلى أن توفي أبناء أخيه، فتمكن في عهد السلطان سليم خان بتعضيد ومساعدة المشير المفخم والوزير الأعظم محمد باشا من تقرير وإسناد حصتي خيزان إلى نفسه، وتسنى له حكم البلاد مستقلاً من غير منازع مدة اثنتين وعشرين سنة. بيد أنه كان مهملاً في شئون الإدارة تاركاً زمام الأمور في يدي شخص من عشيرة بليلان، يدعى أبدال آغا، مكتفياً هو من الحكومة باسمها وبالكفاف منها. وبما أن التوفيق من الله يهبه لمن يشاء، فقد كان في أكثر أعماله موفقاً وناجحاً. ولقد توفاه الله إلى رحمته في سنة (٩٩١هـ=١٥٨٣م) متأثراً بمرض الصرع الذي كان مبتلى به من زمن بعيد، تاركاً ولداً صغيراً يدعى (حسن بك).

مير محمود بن سلطان أحمد بك

تولى هذا الأمير منصب إمارة (خيزان) بعد وفاة أخيه (ملك خليل) باتفاق رجال العشائر والقبائل النميرية، وبموجب فرمان السلطان مراد خان. وكان هذا الأمير في الواقع في غاية الحزم والعزم في ضبط شئون الإمارة، والمحافظة على الأمن بين العشائر والقبائل، فأتقن فن الإدارة والحكم أيما إتقان. هذا وفي شهور سنة (٩٩٢هـ = ١٥٨٤م) حينما كان الأمير محمود مرافقاً الوزير عثمان

باشا والعساكر السلطانية المكلفين بفتح تبريز، والاستيلاء عليها، فاستشهد مع جمع من أعيان خيزان في اليوم الذي قامت معركة حامية بين الوزير سنان باشا، وبين بعض القواد والأمراء القزلباشية في (سعد آباد تبريز) من جراء تخلي رفقائه عنه وفرارهم من المعركة حين اشتداد المعمعة، وقد ترك ولدين هما: سلطان أحمد، ومير محمود الذي توفي صغيراً.

الأمير حسن بن ملك خليل

وقع اختيار رجال القبائل والعشائر على تنصيب هذا الأمير بعد وفاة عمه مير محمود، وذلك بالرغم من صغر سنه، فصار حاكم (خيزان) بموجب فرمان السلطان مراد خان. وفي خلال هذه المدة توجه عمه (يوسف بك بن سلطان احمد) إلى استانبول يلتمس إسناد منصب إمارة خيزان إليه. فصدر فرمان من السلطان مراد خان بذلك. ولما عاد يوسف بك إلى خيزان لم تلتفت إليه القبائل والعشائر النميرية، ولم تعترف به أمير قط، الأمر الذي اضطره إلى الرحيل إلى تبريز[1] والاستنجاد بجعفر باشا هنالك، وما كان من جعفر باشا إلا أن مد إليه يد المساعدة، وبعث معه مندوباً من قبله ليساعده على ضبط خيزان له، ومع هذا فإن الأهالي لم يلتفتوا إليه ولا أطاعوه، ولما تكررت هذه الحال عدة مرات، توسط المصلحون فيما بينهم وتوصلوا إلى تقرير الأمور بإعطائه ناحية (نميران) يتصرف فيها بطريق السنجق، على أن تبقى ولاية خيزان مع توابعها في عهدة الأمير حسن. ودام الحال على هذا المنوال فترة وجيزة حتى تاقت نفس يوسف بك بإغواء المفسدين له مرة أخرى إلى طلب إيالة خيزان كلها لنفسه، فأضطر الأمير حسن إلى حشد أتباعه وأنصاره، ومعه نجدات من طائفة الشيروان، وزحف إلى يوسف بك الذي تحصن في قلعة (آز) من أعمال نميران مستعداً للحرب والقتال. ولما التقى الجمعان لحقت الهزيمة بيوسف بك، واختفى في بئر المرحاض حتى مات أشنع موت في الوسخ ولم يظهر قاتله. ولقد عانى الأمير حسن من روائح هذه التهمة الكريهة كثيراً من العذاب والمضايقات، إذ أضطر بعد ذلك إلى بيع كثير من ممتلكاته من قرى خيزان الغنية، ومقتنياته الموروثة لرشوة رجال الدولة والأعيان العثمانيين؛ ليخلصوه من وصمة هذه التهمة التي

١- كانت خاضعة حينئذ للعثمانين. (المترجم)

أغرقته في لجة من الديون المتراكمة، ومع ذلك لم يخلص منها. ولقد نازعه على ناحية (نميران) ردحاً من الزمن ابن عمه المدعو (حاجي بك) الذي كانت أمه بنت حسن بك المحمودي، فكانت تعضده طائفة المحمودية، إلى أن أفضت هذه الخصومة والنزاع إلى تعيين إيراد ناحية (مروانان) معاشاً لحاجي بك على أن يلازم خدمة حسن بك في إدارة البلاد وتنظيم ماليتها. وفعلاً ساد الوئام والاتحاد بينهما. وتسير أمور خيزان الآن على أحسن وجه وأكمل حالة.

الشعبة الثانية

في ذكر أمراء (مكس)

يؤخذ مما سبق إن (آباء) حكام خيزان، ومكس، واسبايرد، كانت ثلاثة أخوة قدموا من ناحية بليجان إلى هذه الولاية وقسموها فيما بينهم. وفي رواية أخرى إنهم كانوا أبناء عم أخذوا هذه الولاية على طريق الاشتراك من سلاطين السلاجقة. ومهما يكن فإن المشهور إن أول أمير من أمراء مكس هو الأمير (أبدال) الذي كان له ولدان هما: أحمد بك، وحسن بك.

احمد بك

تولى الإمارة بعد وفاة والده ونهض بالأمر خير نهوض في هذه الولاية؛ بيد أن (زينل بك) حاكم حكاري الذي كان على خلاف مع أحمد بك، ويكن له كراهية شديدة، عمد إلى أخيه (حسن بك) واصطحبه إلى استانبول، وعرض أمره على السلطان سليمان خان، فاستصدر فرماناً بفرز ناحية (كاركار) وقلعتها من إيالة أحمد بك وبإسنادها على طريق السنجق إلى أخيه حسن بك. وهكذا أقضى الأخوان مدة حياتهما في الحكومة شريكين. ولما انقضت ثلاثون سنة على أيامهما مات أحمد بك تاركاً ولدين هما: أبدال بك، ومير عماد الدين.

أبدال بك بن الأمير احمد

صدر الفرمان السلطاني من ديوان السلطان سليمان خان بتفويض إمارة (مكس). إليه بعد وفاة والده. وفي هذه الأثناء توفي عمه حسن بك، فبادر أبدال

بك إلى عقد زواجه على بنت زينل بك، حاكم حكاري. وبتعضيد منه تمكن من إلحاق سنجق (كاركار) إلى إمارته حسب الأصول السابقة التي ورثها من آبائه وأجداده، وصدر به فرمان من السلطان سليم خان (الثاني). ولكن (رستم بك بن حسن بك) تمكن أخيراً من فصل ناحية كاركار هذه من الإمارة مرة أخرى بمساعدة وتعضيد طائفة المحمودية له، مما أفضى إلى كثير من النضال والجدال بين أبناء العمومة. وفي أوائل سنة (١٠٠٥هـ =١٥٩٦ م)، وفي ليلة من الليالي بين العشائين عمد أبدال بك إلى تجديد وضوئه، فجاء إلى حافة برج القلعة فزلت قدمه من الكر[1] وهوى إلى الأرض مسلماً روحه لباريها. وقد خلّف ولدين هما: محمد، ومير أحمد، وهو الذي قام مقام أبيه عن جدارة، وباختيار من القبائل والأقوام.

رستم بك بن حسن بك

ذكرنا أن رستم بك الذي عقد زواجه على بنت حسن بك المحمودي على الرغم من بني عمومته، قد تمكن بمساعدة عشيرة المحمودية، وعطف السردار مصطفى باشا عليه من الحصول على ناحية (كاركار). وبعد إن أمضى مدة في حكومة هذه الناحية توفي، وتولى ابنه (حسن بك) مكانه. وبوفاة أبدال بك بادر حسن بك بمساعدة (سينان باشا) ميرميران (وان) له، وأصحابه نحو ثلاثمائة من الخيالة والمشاة إلى الزحف إلى (مكس)؛ للاستيلاء عليها. وكان مير احمد باتفاق من القبائل والعشائر معه مستعداً للحرب والنضال في خارج القلعة، فنشب القتال بينهما وقتل حسن بك في المعركة وخلا الجو للأمير أحمد حيث صار مستقلاً تمام الاستقلال، وهو يحكم الآن مكس بلا منازع.

الشعبة الثالثة

في ذكر أمراء (اسبايرد)

ورجال هذه الأسرة أيضاً أبناء عمومة مع حكام خيزان، حسب ما ذكرنا، سابقاً. ففي أثناء خضوع أمراء وملوك كردستان لسلطان الدولة العثمانية، كان

---

١ - في نسختين خطيتين: (بيكر) وفي الأخرى (سنكر) بدل سكر. (المترجم)

والي اسبايرد (محمد بك). وقد توفي عن ولدين هما : سلطان إبراهيم، ومير شرف.

سلطان إبراهيم بن محمد بك

تسلم هذا الأمير عرش الإمارة بعد وفاة والده بموجب فرمان السلطان سليم خان (الأول) وحكم البلاد فترة من الزمن حتى إذا ما غزا القزلباش ولاية (وان) وهاجموا قلعتها قتل الأمير في المعركة حيث كان في معية الميرميران (فرهاد باشا) في الدفاع عنها. وكان له ولدان هما : حسن بك، ومحمد بك، وهو الذي قام بعده.

محمد بك بن سلطان إبراهيم

تولى إمارة (اسبايرد) بعد وفاة والده بموجب الفرمان السلطاني. ومات عن أربعة أولاد ذكور هم: أيوب بك، وخالد بك، وأويس بك، وسلطان إبراهيم بك. تولى الإمارة بعده ابنه (أيوب بك) حسب وصيته وفقاً للاستحقاق الشرعي. والآن في سنة (١٠٠٥هـ = ١٥٩٦م) أمضى عشرين سنة يحكم فيها البلاد بكل رفاهية وإقبال مما جعله محسود الأقران والأمثال.

مير شرف بن محمد بك

لما تولى أخوه (سلطان إبراهيم) مقام أبيه، كان هو قد بادر إلى بلاط السلطان سليمان، وتمكن من استصدار فرمان بتقسيم ناحية (آغا كيس) وفصلها عن إمارة أخيه وإسنادها لنفسه على طريق السنجق. وبعد أن تصرف في هذا السنجق فترة من الزمن انتقل من هذه الدار الفانية إلى عالم البقاء والخلود؛ تاركاً ولدين هما : بهاء الدين بك، واوركمز بك. ولما كانا صغيرين لا يصلحان لتولي أمور السنجق أعطيت (آغاكيس) من ديوان (وان) إلى أحد الحكام العثمانيين. ولما بلغ اوركمز بك سن الرشد أصيب بمرض الصرع والجنون. وأما بهاء الدين، فقد ترك الديار، وغادر الوطن إلى البلاد العربية حيث خدم الدولة في البصرة والحسا.

الفصل الخامس

في ذكر حكام (كليس)

لا يخفى على المطلعين نسب الأسرة الهاشمية، وعلى المتخصصين في أحوال البيوتات القرشية؛ أن نسب حكام (كليس) على زعمهم يرجع إلى أحد أولاد سيدنا عباس رضي الله تعالى عنه. ويقولون إنهم بحسب الرواية الصحيحة أبناء عم حكام (حكاري) و(العمادية)، إذ كان هناك ثلاثة أخوة يدعون (شمس الدين، وبهاء الدين، ومنتشا). فحكام حكاري من نسل شمس الدين الذين يقال لهم (شمو) في الاصطلاح الكردي، وحكام العمادية الذين هم من نسل بهاء الدين ويطلق عليهم (بهدين). وأما حكام كليس الذين هم من نسل منتشا فيطلق عليهم (مند).

ومهما يكن (من اختلاف الروايات) فأن (مند) قد تمكن في بادئ الأمر من جمع طائفة من الأكراد حوله، ورحل بهم إلى الشام ومصر، والتحق هنالك بخدمة ملوك بني أيوب الذين أقطعوه ناحية (قصير) على مقربة من ولاية أنطاكية، حيث توطن بها مند وأتباعه في الشتاء. ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل أن جمعاً من الأكراد اليزيدية، الذين كانوا قاطنين في تلك الديار، من قبل، قد التفوا حول (مند) أيضاً؛ مما أفضى إلى علو شأنه وازدياد نفوذه يوماً فيوماً، وهرع إليه الأكراد من كل الجهات، وانضم إليه كذلك الأكراد القاطنون في جهتي (جوم)، و(كليس). وقد عطف ملوك آل أيوب العظام على (مند) هذا، فعينوه في منصب أمير الأمراء على جميع أكراد محروستي الشام، وحلب، وأطلقوا يده في حكم هؤلاء الجماعة رتقاً وفتقاً، وقبضاً وبسطاً. وهكذا رفعوا مرتبته إلى أعلى المراتب الإدارية والعسكرية، وحدث في بادئ الأمر أن نازعه في هذا المقام السامي شيوخ (الأكراد) من اليزيدية المنتشرين بين حماة، ومرعش فأفضى ذلك إلى امتشاق الحسام والمقاتلة أحياناً، بيد أن مند تغلب عليهم إذ جعلهم ينقادون له بالعنف واللطف، والقهر والإحسان حتى تم له ما أراد من خضوع عموم أكراد تلك الديار لحكومته المطلقة. ولما مات مند قام مقامه ابنه عرب بك، وبعده تولى ابنه الأمير جمال، ثم خلّف هذا بعد وفاته ابنه أحمد بك. وفي عهد هذا الأمير انقضت أيام دولة بني أيوب، وانتقلت دولتهم العظيمة الشأن إلى المماليك الجراكسة. ولم يخضع أحمد بك لدولة الجراكسة، وقضى أيامه حاكماً مستقلاً إلى أن توفي عن ولدين هما: حبيب بك؛ وقاسم بك.

حبيب بك

تولى حكومة الأكراد مكان أبيه، وقد خدعه السلاطين الجراكسة واستمالوه حتى استقدموه إلى حلب، وقتلوه هنالك غيلة.

قاسم بك

لكن تمكن هذا كوريث وبالقوة القاهرة من الحلول مكان أخيه، ومن الاستيلاء على حكومة الأكراد، والسيطرة على الموقف. غير أن السلاطين الجراكسة عمدوا إلى إسناد حكومة الأكراد إلى (شيخ عزالدين) من أحفاد وسلائل الشيوخ الزيدية، وقد التف حوله جمع من الأكراد الردة الزيدية، ثم بادر إلى تأليف قوة عسكرية من جنود حلب بقيادة (شهريار بك رمضانلو)، وأرسلوها لمحاربة قاسم بك الذي أسرع إلى التحصن بجبل صهيون مع عشائره وأتباعه. ومن جهة أخرى أرسل السلطان الغوري أبن أخته على رأس جيش عرمرم من جيوش حلب مع الشيخ عز الدين عن طريق آخر لقتال قاسم بك، فنشب القتال بين الطرفين، ودارت رحى معارك دامية مراراً؛ وكانت الهزيمة تصيب جيوش الجراكسة في كل مرة، وكان قاسم بك يخرج من القتال ظافراً. ولما توجه عنان السلطان سليم العثماني نحو هذه الديار بقصد احتلال البلاد العربية كالشام ومصر، ونزعها من الجراكسة، بادر قاسم بك بالاتفاق مع خيري بك الجركسي على التقدم للسلطان والالتحاق بالمعية. وفي عودة السلطان إلى استانبول بعد اتمام فتح مصر، والشام، وحلب، كان قاسم بك في ركابه مع نجله جنبلاط (جان پولات) البالغ من العمر الثانية عشرة. وأما الشيخ عز الدين اليزيدي، فقد بادر إلى خدمة ميرميران حلب (قراجه باشا)، وتمكن بواسطة بعض الدساسين من التأثير على الباشا المشار إليه إذ خدعه بأقوال مغرضة ومفتريات عديدة حتى حملوه على أن يرفع تقريراً إلى السلطان يقول فيه: إن قاسم بك إذ سمح له بالعودة إلى حلب فإن اضطراباً شديداً، وفتنة هوجاء تقوم في هذه الأنحاء. فما كان من السلطان إلا أن أصغى إلى الوشايات، وأصدر الأمر بقتل قاسم بك وإدخال ابنه جان بولاد في السراي لينخرط في سلك غلمان الخزينة العامرة والعناية به عناية فائقة. وصدر الفرمان نتيجة لالتماس قراجه باشا، فأسند السلطان سليم إمارة الأكراد بتلك الجهات إلى الشيخ عز الدين.

جان پولاد بك بن قاسم بك بن أحمد بك

سبق القول بأن جان پولاد – جان فولاد – دخل بعد قتل أبيه إلى السراي وربي بها حين أسند منصب إمارة الأكراد إلى الشيخ عز الدين. فلما توفي هذا من غير عقب، ولم يكن من بين أقربائه من يصلح لولاية حكومة الأكراد، رأى رجال الدولة وجوب ضم ممتلكاته الخاصة إلى الأملاك السلطانية الكائنة في جهة أنطاكية، وأن يعهد بحكومة الأكراد إلى الملك محمد من نسل حكام حصنكيف. وفي عهد السلطان سليم خان أخرج جان پولاد بك من السراي، وألحق بجيش المتفرقة التابع للبلاط، واشترك في حروب السلطان كغزو بلغراد، وفتح جزيرة رودس، وسفر بغدان[1]، فظل في معية السلطان في هذه الحروب وبدت خدماته الفائقة وبطولته مما أثار إعجاب السلطان به؛ ولذلك بادر بالتماس إعادة منصب آبائه وأجداده إليه. ولكن السلطان رأى أن يسند إليه سنجقاً آخر من توابع حلب، وذلك تجنباً لما قد يحدث من الفتنة في تلك الربوع الشيطانية إذا عاد إليها جان پولاد بك. ولكن هذا أبى قبول المنصب الذي عرض عليه. وحينئذ صدر فرمان بإسناد إمارة الكرد إلى حسين باشا الخادم، وكلف بدراسة أحوال الأكراد، وبتفويض إيالة كليس وحكومتها المتوارثة إلى جان بولاد بك. ورفع حسين باشا تقريره إلى السلطان قائلاً بوجوب إسناد حكومة الأكراد إلى جان پولاد بك الذي لا يستطيع سواه ضبط هؤلاء الأكراد الميالين إلى الشر والفساد، وإلا اضطرب الأمن وعم الشر جميع أهالي حلب، والوافدين إليها من بلاد العرب. وكانت نتيجة ذلك إن شمل السلطان جان بولاد بك بعطفه، وصدر فرمان بإسناد إيالة كليس بملحقاتها إليه. وهكذا عاد چان بولاد بك إلى كليس مقضي المرام هانئ البال. فتفرغ لضبط الولاية ضبطاً لم يكن يتصوره أحد.

ويقال إن السلطان سليمان خان حين عزم على غزو إيران عرج في طريقه على حلب، وقضى بها الشتاء. فحدث أثناء ذلك أن دخل لص خيمته التي لم يكن الطائر يستطيع التحليق فوقها، ولم يكن أحد يقدر على الاقتراب منها، وسرق سيفاً مرصعاً بالجواهر من مخدع السلطان من غير أن يشعر به أحد من الخدم الخاص ولا من الحرس. ولما أصبح الصباح وشاع الخبر وبلغ إلى مسامع رستم

١- في بعض النسخ بغداد، وقال المترجم إنها بلاد رومانيا الحالية، ولاسيما القسم الشمالي منها.

باشا الصدر الأعظم الذي انتهز فرصة هذا الحادث الفذ ودس لجان بولاد بك لدى السلطان، لما كان يكن له من الكراهية، فأبلغه إن هذا العمل لم يقم به من أحداً سوى الأكراد التابعين لجان پولاد بك، إذ لا يقدم على هذا الجرم الخطير غير هؤلاء العتاة. فثارت ثائرة السلطان وغضب على جان پولاد بك غضباً شديداً وأراد البطش به حالاً، فاستمهله جان بولاد بك خمسة أيام قائلاً: إذ لم أتمكن من إحضار اللصوص في مدى هذه الأيام القصيرة، فإني مستحق لجميع العقوبات التي يشير بها السلطان. وفي اليوم الرابع أحضر جان بولاد بك اللصوص والسيف المرصع المسروق إلى ديوان السلطان سليمان، فأصدر حكم الإعدام في اللصوص، وتعطف فشمل جان پولاد بك بالمراحم السلطانية، والعفو الشاهاني، ثم عامله بالإعجاب والتقدير طول عمره الذي تجاوز التسعين عاماً، وأشرف على المائة. ويقال إنه رأى من أولاده الذكور سبعين ولداً بلغوا سن الرشد، وقد تجاوزوه. فمن هؤلاء: (حبيب بك، وعمر بك، وأحمد بك، وعبد الله بك، وحسين بك، وجعفر بك، وغضنفر بك، وزينل بك، وحيدر بك، وخضر بك). وكان هؤلاء العشرة على قيد الحياة حين وفاة والدهم. فأما (حبيب بك) النجل الأكبر فقد كان والده قد تبرئ منه ونفى نسبه عنه؛ لما صدر منه في حق أبيه في شبابه من الأفعال الطائشة، والأعمال الضارة الفاسدة كما هي عادة الشباب الجاهل بعكس الشيوخ المحنكين. وكان قد تفرغ لتربية ابنه الخامس (حسين بك)، وصرف جهده في حسن تنشئته حتى إذا ما ظهرت آيات النبوغ، والقابلية على جبين ابنه هذا، أراد أن يعينه ولياً لعهده. فاتفق إن كان السلطان في أثناء ذلك يعتزم السفر إلى فتح (سكنوار) فأرسل جان بولاد بك، نظراً لضعفه، وتقدمه في السن، نجله حسين بك، نيابة عنه، في ركاب السلطان سليمان، إلى تلك الغزوة المباركة، فأظهر حسين بك فيها من آيات البسالة وضروب الشجاعة ما لفت نظر السلطان إليه، فوعده بإسناد السنجق إليه. ولما عاد الموكب السلطاني من تلك الغزوة منتصراً في سنة (٩٧٢هـ=١٥٦٤م) كان الضعف والهزال قد استوليا على جان فولاد بك، وبدت عليه علامات الوداع لهذه الدنيا الفانية، وكان قد بادر إلى تعيين ابنه (جعفر بك) ولياً للعهد، وجعل ابنه (حسين بك) قيماً على الأملاك والأموال والأوقاف ووصياً على الأولاد، وأوصى بان يحرم (حبيب بك) من الآن فصاعداً من حق الحكم والاستحقاق للمال. وكتب بذلك محضر وقع عليه القضاة والسادات والأهالي ووضع في كيس ختم عليه وأرسل إلى محافظ قلعة حلب ليحفظ بها، ثم توفي إلى رحمة الله تعالى.

جعفر بك بن جان پولاد بك

وهكذا أصبح (جعفر بك) بموجب وصية والده وبفرمان السلطان مراد خان حاكم (كليس) وبعد أربع سنوات من حكمه توجه السردار (مصطفى باشا لالا)، بالجيش العثماني لفتح (شيروان)، واعتزم جعفر بك السفر إلى دياربكر عقب الجيش فلما وصل إلى جهة قراجه طاق[1] سقط عن جواده وأسلم روحه إلى بارئها.

حبيب بك بن جان فولاد بك

لقد ناله شيء كثير من الإهانات والحقارة بعد وفاة والده من قبل حسين بك وأخوته، غير أنه لم يبال بهم، ولم يهبهم، بل صمم على الانتقام منهم، فتوجه إلى كليس واستولى على بعض أموال والده، ثم أطلق سراح كثير من المسجونين الذين كانوا في سجن والده وفي ذممهم حقوق المسلمين فتقّوى بهم. ولم يكتف بذلك بل أرسل إلى الديوان السلطاني الشكوى تلو الشكوى بأن أخوته قد غدروا به وظلموه، والتمس إنصافه من العتبات السامية. بيد أن المشير المفخم نظام أمور العالم الوزير الأعظم محمد باشا، وقف له بالمرصاد وناصبه العداء قائلاً: إن حبيب بك قد حرمه والده في حياته من منصب الحكم وحق الميراث، فليس له حق فيما يطلب، ولكنه حسماً للنزاع أقطعه سنجق (ناباس) من أعمال الشام. فلم يرض بذلك حبيب بك. بل طلب سنجق (باليس) من أعمال حلب الذي كان تحت تصرف أخيه حسين بك. فأجيب إلى طلبه من الديوان السلطاني. ولما وصل خبر هذا إلى مسامع حسين بك أرسل مندوباً إلى الآستانة، فسعى لدى الجهات العليا حتى أعاد السنجق إليه، وعزل حبيب بك عنه. وفي هذه الأثناء أيضاً كان موت أخيه (جعفر بك) وتفويض أمر حكومة (كليس) إلى حسين بك من قبل السردار مصطفى باشا. فوقع هذا النبأ على حبيب بك وقوع الصاعقة؛ ولذلك بادر بالشخوص إلى عتبات السلطان مراد على جناح السرعة حاملاً معه من الهدايا والأموال ما يساوي خمسة آلاف فلوري إلى شيخ السلطان، وكان السلطان يعتقد في هذا الشيخ الجاهل كثيراً، وطلب منه بأن يلتمس من الوزير والسلطان إسناد منصب حكومة كليس إليه. ونتيجة لشفاعة الشيخ التي كان لها أثر فعال أقطع حبيب بك سنجق (سليمية)، ولكنه لم يرض بهذا، وأصر على طلب سنجقه الموروث. فما كان من الشيخ إلا أن ضاعف السعي حتى حمل

١- هو جبل قره جه داغ الحالي الواقع بين دياربكر وسوره ك. (المترجم)

الديوان على إسناد حكومة كليس إلى حبيب بك، وسنجق سليمية إلى حسين بك، وإن كان هذا العمل من الشيخ لم يكن موافقاً لحكم الشريعة الغراء. وفي أثناء قيام السردار مصطفى باشا بتجديد عمارة قلعة (قارص) قصر حبيب بك في الخدمة وتهاون في بادئ الأمر. وأخيراً لما حضر مع عدد من رجاله إلى الخدمة قابله السردار بالنفور، وأظهر امتعاضه منه، فنزع حكومة كليس منه وأعطاها مرة أخرى لحسين بك، وأعطى حبيب بك سنجق سليمية، فأبى حبيب بك أيضاً قبول هذا الأمر، وخف إلى استانبول شاكياً، فتصادف إن كان مصطفى باشا قد عزل عن منصب السردار حينذاك وتعين سينان باشا بدله. وكان حبيب بك في الواقع رجلاً لسناً قوي الحجة ذا دهاء ومكر عظيم، فأثر تمام التأثير في نفس سينان باشا بحيث اعتقد أنه سيتمكن بواسطة حبيب بك من فتح نصف بلاد إيران على الأقل. فلذا لم يتورع عن إسناد حكومة كليس إلى حبيب بك، فقام هذا بأعبائها ثلاث سنوات. وبعدها تمكن حسين بك من استردادها لنفسه؛ لعزل سينان باشا من منصب السردار والوزارة العظمى. وهكذا أبعد حبيب بك وهام على وجهه مدة أخرى معزولاً ومحروماً عن المناصب حتى توفي إلى رحمة الله. فلم يقطع النزاع بين الأخوين حول الحكم سوى سيف الأجل والقدر المحتوم كما قيل[1]:

معناه: "جعلنا الدنيا حصتين حتى يستريح الخلق، فأنا أخذت وجه الأرض وهو بطنها".

حسين بك بن جان فولاد بك

كان هذا الأمير حائزاً ثقة السلطان سليمان خان وعطفه السامي، ومتمتعاً ببركة دعاء والده، فلذا نال منصب الولاية المتوارثة بعد وفاة أخيه جعفر بك مع كونه النجل الخامس، وذلك بالرغم من أن أخاه حبيب بك قد نازعه مراراً، فنسب إليه تهمة قتل أخيه (جعفر بك)، وصرف في سبيل ذلك مبلغ ستين ألف فلوري حتى تمكن من نزع حكومة كليس من يده فترة من الزمن بمساعدة الوزير سينان باشا. ولكن الحق عاد أخيراً إلى صاحبه، واستقر نهائياً أمر الحكومة الموروثة في حسين بك. يقول الشاعر[2]:

١- كرديم دو حصه تابيآسايد خلق ... من روى زمين گرفتم أو زير زمين

٢- هركه را كوشش أزبراى خداست ... همه كارش زا يزد آيد راست

كارها جز خداى نگشايد ... بخداكر زبنده هيج آيد

معناه: "كل من كان عمله لله، وفقه الله في كل عمله، وسهل له الأمور، فالعمل الذي لا يتم إلا بالله لا يمكن أن يصدر من العبد".

وصفوة القول إن حسين بك قام بأعباء حكومة كليس خير قيام ردحاً من الزمن بلا منازع إلى أن حدثته نفسه أن يرتقي إلى منصب البكلريكية (أمير الأمراء) في الدولة العثمانية، فتعهد للديوان السلطاني في استانبول بدفع مبلغ خطير عن الأملاك الخاصة السلطانية بإيالة طرابلس الشام، نظير إسناد بكلريكية الإيالة المذكورة إليه على أن تلحق حكومة كليس أيضاً بتلك الإيالة، وتبقى معه حتى إذا ما عزل عن المنصب العثماني لم تخرج حكومة كليس من يده، وغير ذلك من شروط. ولما عرض التماسه هذا على العتبات السامية نال القبول لديها، وصدر المرسوم السلطاني في شهور سنة (١٠٠١هـ = ١٥٩٢ و١٥٩٣م)، بإسناد المنصب المذكور إليه، وتلقيبه بحسين باشا. واتفق أن أحد أعيان تلك الولاية من العرب ويدعى (قميزه)، وكان ملتزماً لإيالة طرابلس ببعض شروط يعمل بموجبها، وكان (قميزه) منسوباً لقدوة المحققين وعمدة المدققين مولانا سعد الملة والدين خواجه أفندي ومحسوباً من أتباعه، وكانت بينهما صلات قوية جداً حتى إنه كان قد اقترض منه مبلغ عشرة آلاف فلوري من الذهب الأحمر، فوقع نبأ حصول حسين باشا على المنصب المذكور بالكيفية المتقدم ذكرها، على قميزه وقوع الصاعقة، فهرع إلى استانبول حاملاً مبلغ عشرة آلاف فلوري من الذهب الأحمر الذي كان قد استدانه من حضرة الشيخ خواجه أفندي في الوقت الذي غادر حسين باشا الآستانة قاصداً طرابلس الشام. وحدث في خلال ذلك إن فقد قميزه في الطريق ولم يظهر له أثر. وأخيراً وجدوه مع بعض رفقائه مقتولين في خان خرب. فنسبوا مقتله إلى حسين باشا ورجاله، مما حمل (خواجه أفندي) على الاستياء من حسين باشا ومعاداته؛ لما كان بينه وبين قميزه من الود والصداقة. فأفضى هذا إلى عزل حسين باشا عن طرابلس، وتعيين حسن آغا الحائز لرتبة القپوچي باشية والمشهور بيمشجي حسن آغا؛ للقيام بمهمة إلقاء القبض على حسين باشا، وحبسه في قلعة حلب ومحاكمته على التهمة المنسوبة إليه من مقتل قميزه ورجاله وإخراج المال الأميري الذي كان معه فنفذ حسن آغا الأمر السلطاني فحبس حسين باشا في قلعة حلب. ولكن مطالبته بدم المقتولين لم تثبت عليه حسب أحكام الشريعة. والآن والتاريخ الهجري سنة (١٠٠٥هـ = ١٥٩٦م) لا يزال الباشا على قيد الحياة يمضي الأوقات في البلاد العثمانية معزولاً عن المنصب، والأمل وطيد في أن يبتسم له الدهر ويحالفه الحظ مرة أخرى؛ لأنه في الواقع شاب في غاية من الوقار والذكاء، والشهامة والدهاء.

الفصل السادس
في ذكر أمراء (شيروان)

يشتمل هذا الفصل على حكومة وزعامتين. يقول الرواة، ونقلة الأخبار عن نسب أمراء (شيروان): إن آباء وأجداد هؤلاء كانوا أولاً من وزراء ملوك بني أيوب. ولما انقرضت دولة بني أيوب في مصر، والشام، في شهور سنة (٦٦٢هـ = ١٢٦٤م) اتفق أن قدم أحد أولادهم، وهو في الوقت نفسه جد ملوك حسنكيف إلى هذه الديار، وساد فيها. وفي رواية أخرى، إن نسب هؤلاء الأمراء يرتقي إلى ملوك شيروان[١]. ومهما يكن من شيء فإن الثابت هو أنهم كانوا ثلاثة أخوة، هم: عز الدين، وبدر الدين، وعماد الدين، قدموا إلى ولاية (كفرا) واستوطنوها إلى أن انتقلت إليهم حكومة تلك البلاد، بفضل عطف السلاطين الماضين عليهم. والشائع إن أول من ولى الإمارة منهم في كفرا هو الأمير حسن بن إبراهيم الذي كان له خمسة أولاد ذكور هم: الأمير محمد كور، ومير شاه محمد، وميرزا، والأمير شمس الدين، والأمير مجد الدين.

فلما قاربت مدة حكم حسن بك النهاية بادر إلى قسمة ولايته الموروثة بين أولاده، وترك لهم وصية مكتوبة مؤكدة باللعن، والإيمان المغلظة بأن يكتفي كل واحد منهم بحصته، ولا يتعرض لما في حوزة أخوته. فأعطى قلعة (شبستان) مع توابعها، لمير محمد كور، وقلعة (كفرا = كفرى) مع الملحقات لميرزا، وقلعة (إيرون)[٢] مع ملحقاتها لمير شمس الدين، وقلعة (آويل) مع توابعها لمير مجد الدين. وعين مير شاه محمد وكيلاً له (قائم مقام).

مير شاه محمد بن مير حسن

ولما توفي والده قام بأعباء حكومة (كفرا). وحدث أن ارتحل في تلك الأثناء أيضاً إلى رحمة الله أخوه الصغير مجد الدين، من غير عقب ذكر. فبادر أن ضم قلعة (آويل) إلى (كفرا)، واستقل بالحكومة استقلالاً تاماً. ولما توفي إلى رحمة

١- أي شيروان الكبرى التي هي إحدى ولايات جنوبي جبال القفقاس. (المترجم)

٢- لعلها قلعة (أيروه) الواقعة في شرق سعرد كما في الأطالس العثمانية. وما ورد في نسخة خطية أخرى (إيروان) تصحيف. (المترجم)

الله كان له أربعة أولاد ذكور هم: مير محمد، ومير أبدال، ومير علي، ومير عز الدين. قام مير أبدال مقام أبيه.

الأمير أبدال بن مير شاه محمد

قام بأعباء الحكومة بعد وفاة والده، وحكم البلاد بضع سنين حتى توفي إلى رحمة الله حيث خلفه ابنه الأرشد.

أمير شاه محمد بن مير أبدال

تولى منصب والده. وفي عهد حكومته قصد الشاه اسماعيل الاستيلاء على كردستان. وقد رأى الأمراء والحكام الأكراد؛ لما كانوا عليه من فرقة أن يذهبوا جميعاً إلى بلاط الشاه اسماعيل، ويقدموا له طاعتهم. ولكن الشاه اسماعيل اعتقل، كما ذكرت كل هؤلاء الأمراء الأكراد، الذين قدموا له الطاعة، وزجهم في السجن، ما عدا مير شاه محمد هذا، وعلي بك صاصوني، هذا ولما كان مير شاه محمد قد لبس زي القزلباش، فقد تسنى له دخول المجلس الخاص الشاهاني والاندماج في الأوساط القزلباشية بحيث لم يكن يفارقهم، مما حملهم على أن يطمئنوا إليه وأن يعيدوا له ولاية "كفرا" بطريق التمليك؛ فطالت مدة حكمه وعمر كثيراً في عز وإقبال، وخلّف أربعة أولاد ذكور هم: محمد بك، وأبدال بك، وعلي بك، وعز الدين. واعتزل الحكم عن طيب خاطر لابنه الأكبر محمد بك. وعاش عشر سنوات أخرى، في عزلة حتى ارتحل إلى دار الآخرة.

محمد بك بن مير شاه محمد

تولى حكومة كفرا مع ملحقاتها بموجب وصية والده. وبعد أن مضت على حكمه ثلاثون سنة شق أخوه أبدال بك عصا الطاعة عليه، ونازعه حكومة كفرا ورأى محمد بك من السياسة أن يتفادى تفويض السلطان سليمان خان حكومة كفرا إلى أخيه نهائياً ورسمياً، فأقدم على تولي وحراسة قلعة (باركيري) الواقعة في حدود القزلباش بنفسه سنة كاملة من دون انقطاع، وقد وكل محافظة قلعة الإيالة في هذه المدة إلى أخيه المذكور، وبادر هو إلى حراسة تلك القلعة. واتفق أن زحف الشاه اسماعيل في هذه الأثناء على قلاع (عدلجواز) و(أرجيش) و(باركيري) ليستولي عليها، وكان البرد شديداً والثلج يغطي الأرض كلها، فلا

يمكن أن يطير طائر في السماء ولا أن تسبح سمكة في الماء، كما قال الشاعر[1].

معناه: "ينبغي أكل الصخر بدل الماء لأن الماء المتجمد مثل حجر الرخام، وارتداء الأجسام المتشققة الدروع، هو صيد لأرواح بني آدم".

فنزل السلطان على قلعة بارگيري كبلاء السماء، وحاصرها حصاراً امتد ثلاثة أشهر، اشتد خلالها الحال بالمحصورين، ونفذت الأرزاق والأغذية، وخارت قوى المدافعين، وزاد الطين بلة أن بلغ مسامع محمد بك أن إمارة كفرا قد أعطيت من ديوان السلطان سليمان إلى أخيه (أبدال بك)، فحز هذا في نفسه وتملكه اليأس، وأقدم على تسليم القلعة إلى رجال الشاه اسماعيل، ومن بينهم معصوم بك الصفوي، أمير (ديوانه). ثم بادر إلى الرحيل إلى استانبول ليعرض جلية الأمر كما حدث على عتبات السلطان سليمان. ولكن المفسدين من الوشاة كانوا قد أبلغوا السلطان في غيبته بأن قلعة (بارگيري) كان بها كثير من المؤن والذخيرة، ولكن محمد بك تعمد التسليم بنذالة، فصدرت الأوامر العالية بصلب ذلك المسكين، فصلبوه.

أبدال بك بن مير شاه محمد بك

تولى الأمر أبدال بك، بعد مقتل أخيه محمد بك، في (كفرا)، وصار حاكمها المستقل بلا منازع، وبعد أن مضت على ولايته ثلاث عشرة سنة دب الخلاف بين المير محمد، وملك خليل، وأخوته، وحكام خيزان[2]. فاستنجد ملك خليل بأبدال بك الذي حملته العصبية الكردية والغيرة العشائرية على الزحف بحشد من العشائر الشيروئية[3] إلى خيزان، وشرع بالاتفاق مع ملك خليل بضرب نطاق الحصار على قلعتها فما كان من الأمير إزاء هذا إلا أن نهض للدفاع عن قلعة خيزان للانفراد بها، وذلك بالاتفاق مع عشيرة نميران، فخرج مع حلفائه مستعدين للقتال والنضال، ودارت رحى قتال شديد بينهم، وبين المهاجمين، أسفر عن انهزام الخيزانيين، وقتل زهاء مائة رجل، وخربت قراهم ونهبت

---

١ - بجاى آب بايد سنك خوردان — كه آب بسته چون سنك رخام است

زره برفامت خنجر كذاران — زبهر صيد مرغ روح دام است

٢- أنظر بحث حكام (خيزان) فيظهر منه أن العبارة هكذا (وهم حكام خيزان...).

٣- نسبة إلى شيروي وجمعه (شيرويان) بالكردي. فتحرف أخيراً وصار (شيروان) الذي هو اسم آخر (لكفرا). (المترجم)

مزارعهم التي كانت في طريق المحاربين مما حملهم على الالتجاء إلى عتبات السلطان سليمان خان الذي أصدر أمره الكريم إلى إسكندر باشا، ميرميران (وان) بالنظر في قضية الخيزانيين، وبأن يحضر أبدال بك إلى ديوان (وان)، ويحقق معه فيما نسب إليه. ولما حضر أهالي الطرفين في الديوان ثبت أن أبدال بك ورجال شيروان[1] هم الذين اعتدوا على أهالي خيزان وأعيانها. فبادر ميرميران (وان) بإلقاء القبض عليه وزجه في سجن القلعة، وعرض أمره على مقام الخلافة، فصدر الأمر بقتله وتنفيذ حكم الإعدام فيه. وهكذا قتل أبدال بك في (وان) تاركاً ستة من الأولاد الذكور الصغار وهم: ١- محمود بك، ٢- زينل بك، ٣- مير شاه محمد، ٤- حاجي، ٥- مير محمد، ٦- ذوالفقار. ثم جعلوا حكومة كفرا[2] قسمين، أعطوا قسماً منها إلى صاروخان الحزوئي، والآخر إلى حسن بك الكرني[3].

محمود بك بن أبدال بك

بقيت حكومة كفرا بعد مقتل أبيه بضع سنين في أيدي الأجانب عنها، كما سبق، ولما بلغ محمود بك سن الرشد خف إلى عتبات السلطان سليم خان عارضاً عليه أمره وإسناد حكومته الموروثة إليه. فعطف عليه السلطان العادل الكريم، ورد له منصب آباءه وأجداده على نفس القاعدة والأصول المتبعة السابقة، فعاد محمود بك إلى ولايته الأصلية مقضي المرام يحمل المرسوم السلطاني السامي المكان، وتسلم عرش الإمارة وقد حكم بالعدل والمساواة بين الخاص والعام من أهالي بلاد شيروان، وأغدق نعمه وأفضاله على الرعايا والبرايا من العشائر والسكان في تلك الديار، وعكف هو على شراب المدام، ومعاشرة الأقمار والشموس من الغلمان والخلان، وما كانت كأس الخمر، كأنها الشقائق والنرجس، تقع من يده لحظة، بل أنه ما كان ليدع الربيع يرحل من غير أن يشيعه برنين الكؤوس، وأنغام الموسيقى الشجية فينطبق عليه قول الشاعر[4]:

معناه: "إن جرعة من الكميت أعز عليه من دم مائة من الأخوة، وهو يهب

١- الظاهر (شيرويان) أعني الشيروئية، أو (شيروان) محرفاً من شيرويان.

٢- الآن تسمى (كفرى).

٣- كذا في الأصل ولعله محرف من كرتى من الأسماء القديمة للشعب الكردي. (المترجم)

٤- برو يكجرعهء مى همرنك آزر   كرامى ترز خون صد برادر

ببخشد كشورى بربانك رودى   زملكى دوست تردارد سرودى

مملكته في سبيل صوت من أصوات الموسيقى؛ لأن أغنية من الأغاني أحب إليه من إقليم من الأقاليم".

ولما مضت ثلاث سنوات من عهده على هذا المنوال وجدوه ليلة من الليالي مقتولاً في مخدعه بضربة سيف في فخده. فأُعطيت ولاية (كفرا) من قبل ديوان السلطان سليم خان بطريق السنجق إلى مير حسن الكرني[1]، الذي كان من نسل مير محمد كور[2]. فبقيت هذه الولاية في تصرف هذا الأمير بضع سنين.

زينل بك بن أبدال بك

سبق القول إن أخاه (محمود بك) وجد في مخدعه قتيلاً، وكان أخوته حينئذ صغاراً فلم يعرفوا القاتل ولم يستطيعوا اتهام أحد، وأن حسن بك الكرني صار حاكم شيروان فترة من الزمن. هذا ولما بلغ زينل بك سن الرشد، شخص إلى استانبول يقصد عرض التماسه على العتبات السلطانية، بإسناد حكومة (كفرا) إليه، فاتفق إن كان (سنان باشا) وزير المالية، والقبودان (علي باشا)، في أثناء ذلك على أهبة السفر والرحيل إلى فتح قلعة (عقلبند) بجيوش جرارة وسفن حربية كثيرة. ورأى زينل بك مع بعض من الأمراء الأكراد المعزولين أن يرافقوا الوزير في هذه الغزوة البحرية مع العساكر المنصورة. فلما رجع الجيش العثماني بعد فتح قلعة (عقلبند) ظافراً مقضي المرام، بادر (سنان باشا) إلى رفع حقيقة قضية (زينل بك) إلى مقام الخلافة، فصدر المرسوم بإسناد إمارة وحكومة كفرا إليه، بعد إن كانت قد أسندت إلى أخيه محمود بك، فعاد زينل بك إلى موطنه المعروف ومسكنه المألوف، مقضي المرام هانئ البال، وجلس مكان آباءه وأجداده، وعالج شئون الإدارة والحكم بكل حزم ودقة، ولطف وإحسان، مع الرعايا والبرايا والأمراء والحكام المجاورين بحيث نال رضائهم جميعاً، وقد بسط حمايته على العلماء والفضلاء والفقراء والمساكين، وطال عهده فبلغ ثلاثين سنة، وتعلم في كبره القراءة والكتابة، حتى أتقنهما، بعد جد وجهد. ثم أُصيب بمرض عضال استمر معه ستة شهور قاسى فيها الآلام والعذاب الكثير حتى توفي إلى رحمة الله في أوائل ذي الحجة الحرام سنة (١٠٠٥هـ = ١٥٩٧م) تاركاً من بعده خمسة أولاد ذكور هم: ١- أبدال بك، ٢- ملك خليل، ٣- مير محمود، ٤- مير محمد، ٥- مير سليمان.

---

١ - هو ابن ملك سليمان كما سبق.

٢ - هو ابن مير حسن بن إبراهيم وصاحب قلعة شبستان، كما سبق.

أبدال بك بن زينل بك

وهو شاب جميل الطلعة، حسن السيرة. تولى منصب الإمارة بعد وفاة والده بوصية منه، وهو الآن قائم بأعباء الحكم في شيروان بموجب مرسوم السلطان محمد خان (الثالث) والأمل معقود على توفيقه ونجاحه.

الشعبة الأولى[1]

في ذكر أمراء (كرني)

هؤلاء الأمراء هم من أولاد وأحفاد الأمير محمد كور، ولد الأمير حسن. وكان والد الأمير حسن هذا، حينما قسم ولايته الموروثة بين أولاده: أعطى قلعة (شبستان) لابنه الأمير محمد كور. واليوم يتولى (زينل بك بن سليمان بك) شؤون قلعة شبستان، ومضافاتها، بطريق الزعامة من قبل الديوان السلطاني. ويقوم أحياناً المير حسن بن ملك سليمان، من أبناء عمومته، بأعباء إمارة كفرى، كما سبق ذكره في قضية قتل أبدال بك، والحقيقة أن زينل بك هذا شاب في غاية الذكاء وكمال العقل، ومنتهى الرشد والسداد، وحسن التدبير، وقد سجل زعامته باسم ابنه، كما أنه استصدر مرسوماً من ديوان السلطان محمد خان بإسناد سنجق (آغا كيس) لنفسه. وله أخ يدعى مير أبدال.

الشعبة الثانية

في ذكر أمراء (ايرون)

أمير هذه القلعة الآن بطريق الزعامة، هو مير ملك بن مير حسن من أولاد مير شمس الدين بن مير حسن[2]، الذي أعطى قلعة إيرون هذه لابنه شمس الدين حينما قسم ولايته الموروثة. وهو شاب معروف بين أمراء كردستان، وحكامها، بفرط الشجاعة، والسخاء، ومتصف بالتدين والتمسك بشعائر الإسلام.

١- كذا في الأصل. وهذا يخالف ما ذكره المؤلف في مقدمته من أن الفصل السادس يشتمل على ثلاث شعب. الأولى في ذكر أمراء (كفرا) والثانية في ذكر أمراء (ايرون) والثالثة في ذكر امراء (كرني). (المترجم)

٢- ابن إبراهيم كما سبق. (المترجم)

الفصل السابع

في ذكر أمراء (زرقي) وهو مشتمل على أربع شعب

لا يخفى على فرسان ميدان البلاغة وأبطال الفصاحة والبيان من المؤرخين أن نسب أمراء (زرقي) يرجع إلى عرب الشام، حيث يقال إن شخصاً يدعى (الشيخ حسن بن السيد عبد الرحمن) قضت عليه صروف الزمان بالجلاء عن الوطن، والقدوم إلى ولاية (ماردين) والإقامة بها عاكفاً على العبادة والزهد وأنواع الرياضة، فكان دائماً يكتسي الثياب الملونة بالأزرق، فاشتهر بين الناس بالشيخ الأزرقي. ويحتمل أنه سمي بذلك لزرقة عينيه. وعلى كل فأن الهمزة في كلمة (أزرق) سقطت من كثرة الاستعمال، فصار في لسان العامة (زرقي) ولقد التف حول الشيخ حسن هذا جمع كبير من أعيان ولاية (ماردين) لما كان له من التقوى العظيمة والورع الوافر؛ مما حدا بسلطان العصر أن يوجس منه الخيفة ويخشاه، فاعتقله في قلعة (ماردين)؛ بيد أن كرامات الشيخ ظهرت ظهوراً جلياً، واضطر السلطان بشعور داخلي قوي بأن ينخرط في سلك المريدين، والمعتقدين المخلصين للشيخ، فأطلق سراحه فوراً واعتذر له وقدم له ضروب التجلة والإكرام وزوج كريمته منه، مما زاد قدر الشيخ حسن أزرقي، وأعلى من شأنه لدى الناس في تلك الجهة. وما أن أدركت السلطان المنية حتى حل الشيخ محله في الهيمنة على شؤون البلاد والسيطرة عليها حيث وزع أولاده حكاماً وأمراء على كل ناحية من النواحي بأنحاء تلك الولاية.

الشعبة الأولى

في ذكر أمراء (درزيني)

هذا والشخص الذي جاء من أولاد الشيخ حسن زرقي إلى (درزيني) كان يدعى (هابل) وله ولد يدعى (قابل). ودرزيني هذه قلعة في داخلها كنيسة عظيمة. وحينما كانت القلعة في يد الكفار الفجار كانوا يطلقون عليها دير زير[1]، وأخيراً لما استولى عليها هابيل وقابيل، صار اسمها من كثرة الاستعمال (درزيني). وهاك بالترتيب أسماء أمرائهم الذين عرفنا حالهم.

١- في نسخة خطية (درديز)، وفي أخرى (ديرزيز) ولعل الكلمة محرفة عن (ديرزيني) بمعنى دير الزين، أو دير زينب. (المترجم)

الأمير حمزة بن الأمير خليل بن الأمير غازي

كان (مير حمزة) هذا ردحاً من الزمن قائماً بإمارة (درزيني) من قبل الشاه إسماعيل الصفوي[1]. وبعد وفاة الأمير قدم ابنه (محمد بك) الطاعة مع من قدم من حكام كردستان وأمرائها إلى عتبات السلطان سليم خان الذي شمله بعطفه وأولاه ثقته وأقطعه إمارة (درزيني)، فقام بالحكم خير قيام حتى مات. وقد خلّف أربعة من الأولاد الذكور هم: علي بك، وشاه قلي بك، ويعقوب بك، وجهانشاه بك.

علي بك بن محمد بك

نازعه أخوته الحكم والانفراد بالأمر، وقد أفضى الأمر إلى امتشاق الحسام واستعمال القوة. وأخيراً تغلب عليهم ونزع الولاية منهم جميعاً، وحكمها باستقلال كامل سبع سنوات، وتولى الحكم بعد وفاته أخوه.

شاهقلي بك بن محمد بك

تولي أريكة الإمارة مكان أخيه في سنة (٩٤١هـ=١٥٣٤م) بمرسوم صادر من السلطان سليمان خان. وبعد أن حكم البلاد ثماني سنوات قتل مع عدة من رجاله لدى عودته من بلاط السلطان سليمان خان في مدينة (بولي) على يد ناصر بك زرقي كردكاني؛ لعداوة سابقة بينهما.

يعقوب بك بن محمد بك

تولى هذا الأمير حكم جميع ديوان الزرقي من قبل السلطان سليمان، بعد مقتل أخيه شاهقلي بك. وكان رجلاً رشيداً حميد الخصال صوفي المشرب، ميالاً إلى كلام أهل الله، وكان مولعاً بالشعر والنظم، وله قريحة وقادة في ذلك. فخلف أشعاراً تنطوي على الحقائق ومعاني الوحدة المطلقة. وأغلب أشعاره باللغة الكردية، وقد يكون له فيها (ديوان مجموع). وكان فريد عصره، ونسيج وحده في حسن الآداب في الاجتماع والإدارة. فبعد أن حكم خمسة وعشرين سنة على هذا المنوال خلع نفسه طوعاً، ونصب ابنه (دومان بك) بدله في الإمارة الزرقية. ولقد قُتل (دومان بك) هذا بعد سنتين من حكمه، مع من قُتل من أمراء

---

[1] - في سنة (٩٠٠هـ = ١٤٩٤- ١٤٩٥م).

كردستان على أيدي رجال القزلباش في مكان يقال له (چلدر) أثناء حرب (شيروان)، وتوفي يعقوب بك بعد مقتل ولده (دومان بك) بعام واحد. وقد ترك (دومان بك) ولدين هما: محمد بك، وعلي بك.

محمد بك بن دومان بك

لما استشهد والد محمد بك في سنة (٩٨٦هـ = ١٥٧٨م) تولى منصب والده بفضل جده وعنايته البالغة في الخامسة عشرة، هذا وبالرغم من صغر سنه، فقد قام بأعباء الرئاسة وأمور الإمارة خير قيام مما جعله مغبوطاً ومحسوداً بين أقرانه، فزاد قدره وعلا شأنه أكثر من آبائه وأجداده، ونازعه محمد بك الكردوكي (كردكي)؛ لعداوة قديمة بينهما، وبتحريض من شمس الدين كتخدا (حزو)، وكان بينهما صلة قرابة فعاضده في ذلك. وقد أخذا يغيران على بعض القرى والبلاد في الإمارة الدرزينية فأحرقاه وأعملا فيها يد النهب والسلب إجابة لما أوحى إليهما الشيطان، وسولت لهما نفسيهما من الأعمال الانتقامية الشريرة، وما كان من محمد بك إزاء هذا الاعتداء إلا أن أرسل جمعاً من أنصاره وبني أعمامه إلى الحدود؛ لصد المغيرين. فحدث ذات يوم أن محمد بك (الكردكي) اقتحم الحدود كعادته واشتبك في القتال مع من كان بها فاستعر القتال بين الطرفين حتى أسفر عن إصابة محمد بك (الكردكي) الذي حملوه بين الحياة والموت إلى قلعة (كردكان)[1]، فمات بها بعد يوم واحد، وعند ذلك عمد محمد بك بن دومان بك إلى بعض أعيان رجاله الذين كانوا سبباً في إيقاد نار الفتنة، وقضى عليهم وصادر أموالهم. وهكذا تم له الأمر وصار يحكم البلاد مستقلاً لا ينازعه فيها أحد. وهو يقوم اليوم سنة (١٠٠٥هـ = ١٥٩٦- ١٥٩٧م) بأعباء الإمارة خير قيام، وقد أراد في هذه الأيام استناداً لقرابته بأسرة حكام حزو، أن يعزل (محمد بك ولد خضر بك) من حكومة حزو، ويولي بدله (بهاء الدين بك ولد مراد خان)، وذلك بتعضيد من الأمير شرف حاكم الجزيرة له، ولكن تحقيق هذا الأمر الخطير لم يكن ممكناً، وأدى ذلك إلى خذلانه مما أثر في منزلته لدى الأقران، ولكن لا يزال في شرخ الشباب، والأمل كبير في أن يهديه الله تعالى إلى طريق الرشاد والسداد، فيتجمل بالصدق والوفا. إنه سميع مجيب الدعاء.

١- في الهدية الحميدية (قاموس اللغة الكردية بالعربي- طبع في استانبول سنة ١٣١٣هـ). (گردكان)، هي الآن قرية في ناحية (هيزان) بلواء سعرداه – يعني بولاية سعرد تركيا الحالية. (المترجم)

كما قال الشاعر[1]:

معناه: "أيها القلب لا تبحث بين أبناء الدهر عن الوفاء، لأن المروءة ليست في جبلة هؤلاء الرفقاء".

الشعبة الثانية

في ذكر أمراء (كِردكان)

سبق القول إن من يدعى (هابيل) من أولاد الشيخ حسن الأزرقي افتتح (دير زير): وان ابنه (قابيل) عاشر بنت (كابلي)[2]، فولد له منها ولداً، فخوفاً من والده وحياء منه أرسله قابيل إلى قلعة (گردكان). فأمراء گردكان من نسل هذا الولد. وعلى هذا أنهم أبناء عمومة مع حكام (درزيني).

هذا وكان مير ناصر الكردكاني في خلاف دائم، ونزاع مستمر مع الأمراء الدرزينيين على قرية (منار) الواقعة بين ولايتي (درزيني) و(گردكان)، يستولي عليها من هاتين الطائفتين من يكون أقوى. ودام الحال على هذا المنوال حتى سافر (شاه قولي بك) الدرزيني إلى بلاط السلطان سليمان، فاستصدر منه مرسوماً يقضي بجعل قرية منار ضمن ولاية درزيني. وما كاد يصل هذا الخبر إلى مسامع ناصر بك حتى ثارت ثائرته واشتد غضبه، فاصطحب عدة من رجاله وهرع إلى طريق استانبول بقصد الاجتماع بشاه قولي بك، والقضاء عليه أينما كان.

وحدث أن اجتمع بشاه قولي بك الذي كان قد أتم مهمته في الآستانة، ووصل مدينة (بولي) فدار القتال بينهما بشدة، وقتل (شاه قولي بك) ومن كان معه من الخدم والأتباع في تلك المعركة الدامية الغادرة. ولما وصل نبأ هذا القتال إلى مسامع مير لواء (بولي) بادر إلى حشد الأعيان والأهالي وهجم بهم على (ناصر بك) فألقوا القبض عليه وعلى ثلاثين نفراً من أتباعه وعرضوا أمرهم على مقام الخلافة العظمى، فصدر الأمر السلطاني بالقصاص منهم قصاصاً عادلاً، ونفذ فيه وفي رفقائه الثلاثين حكم الإعدام بتعليقهم على صفوف الأشجار التي في الطريق العام ليكونوا عبرة للمعتبرين وقد قال الشاعر[3]:

---

[1] - دلا مجوى زأبناى دهر چشم ونا   كه درجبلت اين همرهان مروّت نيست

[2] - كذا في الأصل. وفي نسخة خطية (دختر هابيل=بنت هابيل). فليحرر (المترجم)

[3] - تانكوشى بمعدلت نشوى   هركز أز ملك وسلطنت شادان
راهمارا أزدزد أيمن ساز   گرتؤ خواهى ممالك آبادان

معناه: "إن لم تسع لإقرار العدل، لا تتمتع بالدولة والإقبال قط. وإذا كنت تريد أن تكون البلاد عامرة اجعل الأمن يسودها بتأمين الطرق من المعتدين".

محمد بك بن ناصر بك

أسند منصب إمارة الكردكي إلى هذا الأمير بعد مقتل أبيه، فالتزم جانب (شمس الدين) كتخدا حزو، وزينل بك الشيروئي، وأظهر عداءً لمحمد بك الدرزيني، ولد دومان بك، وهكذا تحقق مضمون الحديث النبوي الشريف (الحب يتوارثونه، والبغض يتوارثونه)، فقتل في أيدي رجال (محمد بك بن دومان بك) حسبما سبق ذكره

ناصر بك بن محمد بك

تولى ناصر بك الإمارة، وهو لا يزال طفلاً، بعد مقتل أبيه، بمساعدة شمس الدين كتخدا حزو، ولم يقتصر مساعدة شمس الدين كتخدا على هذا، بل أنه تمكن من أن يأخذ له قرية (منار) من محمد بك الدرزيني مع مبلغ من المال والأرزاق كدية لدماء والده وخدمه، مما كان مثار النزاع منذ مدة طويلة، وقد أصلح بينهما بواسطة حاكم حزو، وزينل بك الشيروئي. ثم قر قرارهم على أن يبعد محمد بك الدرزيني من خدمته كتخداه (محمود الزرقي) الذي كان سبب مقتل محمد بك الكردكي، ففعل ذلك حسب اتفاق الأمراء. ولما وصل محمود المذكور إلى (بدليس) عمد شمس الدين (كتخدا حزو) إلى خداع رجاله وخدمه محرضاً إياهم على قتله، ففعلوا ذلك بعد بضعة أيام ولاذوا بالفرار إلى حزو. فمن هنا ابتدأ (ناصر بك) يخفف من غلوائه وغضبه، ويرتاح إلى الصلح. ولما كان ناصر بك طفلاً صغير السن، مال إلى اللهو واللعب يمضي الأوقات بأسباب الفرح والطرب. وكان له خادم يدعى حسن ويلقب (چنبر) يقوم بأعمال المهرجين والمضحكين، فيتسلى به الأمير. فحدث ذات يوم إن كان هذا المهرج مخدراً، فخيل له السكر أن يطعن الأمير ناصر فرماه بخنجر أصابه في صدره وخرج من ظهره، فأسلم الروح فوراً إلى بارئها، وقد هجم الذين كانوا معهما من رجال العشائر والأقوام في الصيد على (جنبر) وقتلوه شر قتلة بضرب الطبنجات واللكمات. وقد قتلوا في ذلك اليوم ظلماً وعدواناً (مير خليل) ناسبين إليه فعلة (جنبر) الشنعاء هذه وهو الذي كان قد عينه ديوان السلطان سليمان بعد مقتل ناصر بك في (بولي) حاكماً لإمارة (گردكان)، ثم اعتزل الحكم بعد تعيين محمد

بك بن ناصر بك للإمارة المذكورة، فقد كان ترك البلاد واختار خدمة بعض الأمراء الأكراد فترة من الزمن، وكان قد عاد إلى وطنه المألوف وأقام لدى ناصر بك يمضي أوقاته معه لضعفه وشيخوخته. وخلف الأمير ناصر ولدين صغيرين هما: مير محمد، ومير أبو بكر. واليوم، بموجب المرسوم السلطاني، يقوم مير محمد بأعباء إمارة گردكان مكان أبيه.

الشعبة الثالثة

في ذكر أمراء (عتاق)[1]

إن من مشاهير كردستان أسرة (أحمد بك بن مير محمد الزرقي). وقد كان معاصراً للشاه إسماعيل الصفوي. ولما استولى هذا الشاه على (ديار بكر وكردستان) نزع (عتاق) من يد أحمد بك هذا، وأعطاها لطائفة القاجار. فاضطرت عشيرة الزرقي للجلاء عن الوطن وترك الدار والأهل والتشتت هنا وهناك. ودام الحال على هذه الوتيرة حتى حدثت معركة (جالديران) وانهزم الشاه إسماعيل، وقتل (خان محمد استاجلو)، فبادر طوائف الأكراد مع أمرائهم إلى العمل على استرداد أملاكهم الموروثة وحكوماتهم المفقودة، وأسرعت أيضاً أكراد عتاق إلى العمل، فأمضت الشتاء في قلعة خربة مشهورة باسم قلعة (ملخ) منتهزة الفرصة السانحة؛ بيد أن طائفة القاجار التي كانت في قلعة عتاق اعترضت على ذلك متسائلة عن السبب الداعي لإقامة هؤلاء الناس في هذه القلعة الخربة في صميم الشتاء. فأجابهم هؤلاء معتذرين بقولهم إن بيننا وبين عشيرة المرداسي خصومة قديمة وعداءً مستحكماً، ولا يستبعد أن يغير علينا هؤلاء الناس في الشتاء وصميم البرد والثلج، فيأسروا أولادنا وعيالنا. فلذا نسترحمكم ونطلب السماح لنا بالبقاء في هذه القلعة الخربة حتى فصل الربيع حيث يخف البرد ويذوب الثلج. فرق لهم قلب حاكم عتاق وسمح لهم بالبقاء. ولما اطمئن بال الزرقية (أكراد عتاق) من جهة القزلباش (القاجار) أخذوا يفكرون في كيفية فتح قلعة عتاق، فاعدوا لذلك سلماً من الأعواد والحبال للتسلق به ليلاً في إحدى ليالي الشتاء الظلماء ليستولوا على القلعة بالحيلة والخدعة. ففي ذات ليلة أقدم أبطال من الأكراد المهرة على تسلق أسوار القلعة وتركيب الحبال في

١- هي قلعة (الهتاخ) الشهير كما في الصادرات العربية الإسلامية القديمة. والآن تدعى (ليجه) في ولاية ديار بكر بتركيا الحالية. (المترجم)

الأبراج والحصون والتمكن من نصب السلالم، فصعد شجعان الزرقية إلى أعلى القلعة فاقتحموها على الفور، وقد أبادوا حاميتها من القزلباشية بالسيوف البتارة وعلقوا رؤوسهم فجعلوهم عبرة للمعتبرين، ثم أخرجوا نسائهم وعيالهم من القلعة، وأرسلوا إلى (أحمد بك) وأحضروه إليهم ونصبوه والياً عليهم، فقام هذا بأعباء الحكم في ملكه الموروث فترة من الزمن بموجب مرسوم السلطان سليم خان. ولما أدركته المنية كان له ثلاثة من الأولاد الذكور هم: شاهم بك، ويوسف بك، ومحمود بك، بيد أن هؤلاء الأخوة لم يرتضوا الإمارة لواحد منهم، فاختلفوا وتخاصموا خصاماً شديداً. وأخيراً اتفقوا على أن يذهبوا إلى عتبات السلطان سليم خان، فتوجهوا إلى استانبول. وهناك تقرر إرسال محرر من قبل الديوان السلطاني لقسمة الولاية بين الأخوة، وإسناد إدارة بعضها إلى الأملاك الخاصة السلطانية.

شاهم بك بن أحمد بك

استصدر الأخوة حكماً همايونياً باسم ميرميران (ديار بكر) بتعيين خبير يقوم بتحرير إيراد ولاية عتاق ولقد تقرر بموجب ذلك مبلغ ستين ألف آقچه عثمانية من حاصلات بعض القرى والمزارع بطريق الزعامة لمحمود بك، ومبلغ مائة وعشرة آلاف آقچه عثمانية بطريق الزعامة ليوسف بك، وإلحاق وضم ناحية (ربط) و(ميافارقين) وقرية (جقه) وأموال جزية الكفرة بالأملاك الخاصة الهمايونية؛ كما تقرر مبلغ مائتي ألف آقچه عثمانية بطريق السنجق لشاهم بك. هذا وبعد وفاة محمود بك أُعطيت زعامته لقباد بك رمضانلو على وجه الآرپه لق[1]. وفي عهد وزارة (رستم باشا) أسندوا إلى شاهم بك تهمة الخيانات والاختلاسات، ونفذوا فيه حكم القتل حسب الفرمان السليماني. ولبثت ولاية (عتاق) مدة عشرين سنة في أيدي العمال العثمانيين، بعيدة وخارجة عن حكم الأمراء الزرقيين.

يوسف بك بن أحمد بك

في أثناء الانقلابات والحروب التي حدثت من جراء (القاص ميرزا) والتي توجه لأجلها السلطان سليمان خان بنفسه إلى آذربيجان، أعطى سنجق عتاق

١- نوع من الاقطاعات التركية.

بشرط هدم القلعة إلى (يوسف بك) على أن يلحق زعامته بالسنجق. فقام يوسف بك بإدارة السنجق على هذا المنوال فترة من الزمن مستقلاً تمام الاستقلال لا ينازعه فيه أحد. وبعد وفاته أعطى السنجق حسب المنوال السابق لرجل عثماني يدعى (أحمد بك بن حاجي حسين). وقد خلّف يوسف بك ولداً يدعى حسن بك.

حسن بك بن يوسف بك

تقدم إنه بعد وفاة هذا الأمير كان سنجق عتاق قد أعطي لرجل أجنبي، وقد بقي سنتين في حكمه. ولما تولى عرش آل عثمان السلطان سليم خان (الثاني) بادر حسن بك إلى الشخوص إلى استانبول بقصد الحصول على ملكه الموروث. وقد استصدر مرسوماً بسنجق عتاق على طريق الأوجاق من السلطان سليم بفضل تعضيد الوزير الأعظم محمد باشا له. وهكذا حكم يوسف بك إمارة عتاق مدة عشرين سنة بالحزم والعزم. وكان رحمه الله حريصاً على الدنيا محباً للمال منصرفاً لدنياه. ولما أدركه الموت كان له ولدان هما: يوسف، وولي. فانعم بمنصبه بموجب مرسوم السلطان مراد إلى ابنه (يوسف بك) الذي توفي بعد زمن قليل إذ كانت أيامه مثل أيام الربيع والزهور قصيرة لا تلبث حتى تولى. وتولي أخوه (ولي بك) منصب الإمارة حسب الإرث والاستحقاق. بيد أن رجلاً يدعى (جهانشاه بك بن سُهراب بك) من أولاد عمومته نازعه في الأمر، وعمل على نزع الإمارة منه فعرض على الديوان السلطاني استصدار مرسوم سلطاني بإسناد سنجق عتاق إليه بشرط أن يدفع سنوياً مبلغ عشرين ألف فلوري إلى خزينة (ديار بكر). ولما سمع (ولي بك) هذا المسعى تعهد بدفع المبلغ، ولم يمكن (جهانشاه) المذكور من التدخل في شؤون الإمارة. هذا ولما رفع إبراهيم باشا الشهير بإبراهيم باشا الظالم راية العصيان عالية ضد الدولة في ولايات (ربيعة) و(ديار بكر) و(كردستان)، أقطع سنجق عتاق لذي الفقار بك بن شاهم بك مقابل توريده لخزينة ديار بكر أربعين ألف فلوري. ودام الحال على هذا المنوال إلى أن عزل إبراهيم باشا المذكور عن ولاية (ديار بكر)، وقبض عليه وسجن في قلاع (يدي قله) في استانبول. حتى إذا ما جلس على عرش آل عثمان السلطان محمد خان أمر بقتل ذلك الحجاج الثاني، وصلبه في ميدان استانبول، فانطبق عليه قول الشاعر[1]:

١- بدأنديش مردم سر أفگنده به درخت بد أزبيخ بركنده به

معناه: "الرجل السيئ الفعال يجب قطع رأسه؛ كما أن الشجرة السيئة تستأصل جذورها". فتمكن (ولي بك) في هذه الفترة من الحصول على مرسوم من السلطان محمد بإسناد منصب إمارة عتاق إليه حسب الأصول السابقة من غير شروط تفرض عليه ولا منازعة تثار ضده؛ فصار والي الولاية عن جدارة. وهو قائم فعلاً بأعباء الإمارة الآن.

الشعبة الرابعة

في ذكر أمراء (ترجيل)

نشأت الزرقية في الأصل في (ترجيل) و(عتاق). وترجيل منطقة قريبة من آمد ولها قلعتان: قلعة ترجيل، وقلعة دار عين[1]. وأما (درزيني)، و(كردكان) فهما فروعهما. وينتهي نسب أول حاكم من حكام الزرقية إلى السيد حسن بن السيد عبد الرحمن بن السيد احمد بن سفيل بن السيد قاسم بن السيد علي بن السيد طاهر ابن السيد جعفر القتيل بن السيد يحيى الأفنع بن السيد اسماعيل الأكبر بن السيد جعفر بن الإمام محمد الباقر بن الإمام زين العابدين بن الإمام حسين بن الإمام المرتضى علي رضي الله تعالى عنه. ولما وفد السيد حسين من البلاد الشامية إلى ولاية (ماردين) سكن ناحية عتاق واشتغل بالعبادة والتقوى والزهد، مما جعل أهالي تلك البلاد يلتفون حوله ويخلصون فيه الاعتقاد. ففي رواية أنه كان أزرق العينين، وفي أخرى كان يلبس دائماً الثوب الأزرق؛ فلذا سمي بالشيخ حسن الأزرقي. وكان ذلك في عهد نيابة الأمير آرتق بن أكسب من أعظم أمراء السلاجقة لحكومة (آمد، وماردين وخربوت، ومجنكرد، وحسنكيف) نيابة عن السلطان السلجوقي. فاتفق إن كان لهذا الأمير بنت جميلة في غاية الذكاء غلبتها السوداء حتى أفضت بها إلى الجنون، وعجز عن معالجتها نطس الأطباء ومهرة الحكماء، وكانت هذه الحالة تشتد يوماً فيوماً؛ وما كان من الأمير آرتق إزاء هذا إلا أن دعا الشيخ الأزرقي هذا وطلب منه الدعاء لابنته حتى يشفيها الله. وأخذ الشيخ يقرأ بعض الأدعية على الماء، ثم صب هذا الماء على رأس البنت المصابة، فشفاها الله تعالى فوراً ببركة هذا الشيخ الطاهر. وعند ذلك أراد الأمير أن يعقد خطبة بنته هذه على الشيخ. ولما أبى الشيخ ذلك عقد الخطبة على ابنه السيد حسن. ثم سند إليه حكومة ترجيل؛ كما سبق تفصيل

١- دار آجن.

ذلك في مقدمة مبحث أمراء درزيني من أن السيد حسن وأولاده: أحمد بن السيد حسن وسليمان بن قاسم، ويوسف، وحسين، كانوا قائمين مدة بالحكم في ترجيل، وعتاق.

عمر بك بن حسن بك

قام هذا الأمير مقام السيد حسين، وكان معاصراً لحسن الطويل البايندوري[1]، الذي كان يجله ويحترمه كثيراً، وقد تزوج من كريمته، وأقطعه ناحية مهراني، ونوشاد، علاوة على ترجيل، وعتاق. ولما ولد لحسن بك هذا ابن من هذه الزيجة، وكبر وترعرع نصبه والده أميراً على ترجيل وعتاق حينما استولى على بعض البلاد من كردستان كما أنه أسند إليه عمر بك هذا إدارة ولاية بدليس.

بوداق بك بن عمر بك

وبعد وفاة والد بوداق بك هذا أسندت إمارة بدليس إليه من قبل حسن الطويل. ولما تولي يعقوب بك بن حسن بك عرش إيران أسند ولاية ترجيل، وعتاق حسب المنوال السابق إلى (بوداق بك) سنة (٨٨٨هـ=١٤٨٣م). وبعد أن حكمها ردحاً من الزمن مات إلى رحمة الله. (سنة ٩١١هـ=١٥٠٥م تقريباً).

أحمد بك بن بوداق بك

قام مقام أبيه بعد وفاته. ثم استشهد على أيدي القزلباش في المعركة التي أثارها الشاه إسماعيل واستولى فيها على ديار بكر في سنة (٩١٣هـ=١٥٠٧م). وكان ذلك بعد سنتين من توليه حكم الإمارة.

علي بك بن بوداق بك

تسلم عرش الإمارة بعد وفاة أخيه. ودام حكمه اثنتين وعشرين سنة حتى توفي.

شمسي بك

حين سئم أمراء وحكام كردستان من أعمال القزلباش الجائرة، فامتعضوا

١- مؤسس الدولة الآق القوينلية في ديار بكر، وآذربيجان. (المترجم)

منها كل الامتعاض، وتوجهوا نحو البلاط العثماني، وقدموا طاعتهم للسلطان سليم، أسندت إمارة ترجيل هذه إلى شمسي بك. فلما صدر الأمر السلطاني بتحرير ولاية (ديار بكر) من حكم القزلباش تحررت أيضاً ولاية ترجيل من ذلك الحكم. وبعد وفاة هذا الأمير تولي مكانه ابنه.

حيدر بك بن شمسي بك

أسند منصب إمارة والده إليه بمرسوم السلطان سليمان خان، فقام بأعباء الحكم مدة طويلة. ثم قُتل في معركة (جلدر) على أيدي القزلباش مع جمع من أمراء كردستان، وحكامها. وكان ذلك أثناء سفر السردار مصطفى إلى فتح كرجستان وشيروان. فوجهت إمارته من قبل السردار (مصطفى باشا لالا) إلى ابنه.

بوداق بك بن حيدر بك

قام هذا الأمير مقام أبيه في حكم الإمارة مدة خمس عشرة سنة. وتوفي تاركاً الحكم بعد ذلك لابنه.

حسين بك

الذي حكم الإمارة مكان أبيه ثمانية شهور. وتوفي وتركها لأخيه.

اسماعيل بك

قام مقام أخيه في حكم البلاد، فدامت أيامه أربع سنوات. ثم مات وانتقل الحكم إلى أخيه.

عمر بك بن حيدر بك

أُسندت إليه إمارة (ترجيل) بمرسوم السلطان مراد خان. وهو شاب يتصف بالشهامة وحميد الخصال، ومختلط بطائفة الروم (الترك) كل الاختلاط حيث يقوم دائماً بخدمة ميرميران ديار بكر، فيُرجع إليه في ديوان آمد في أمور وقضايا الأمراء الأكراد الذين يتبعون ديار بكر.

الفصل الثامن

في ذكر أمراء (السويدي)

بلغ كاتب هذه السطور المتواضعة من نقلة الأخبار الماضية ورواة الحكايات والحوادث الطريفة أن نسب أمراء السويدي ينتهي إلى بني برمك، كما أن أنساب عشائرهم ترجع إلى شخص يدعى (أسود)[1] من غلمان صحابة الرسول عليه السلام. وفي رواية أخرى أن مسقط رأس طائفة السويدي هي قرية (سويد) التي تقع على منزلين من المدينة المنورة من ناحية الشام، والله أعلم بالحقيقة. وأما (آل برمك) فإنهم يصلون بنسبهم إلى ملوك الفرس حيث يقولون: إنهم كانوا قديماً في ولاية (بلخ) يعبدون النار. ثم هداهم الله تعالى بغتةً إلى نور الإسلام. قال الشاعر[2]:

ومعناه: "يا لها من عين طيبة باكية لأجلك، ويا له من قلب ملكي سعيد محترق لأجلك". فهاجر جعفر والد خالد يحمل أمواله الكثيرة وخدمه وحشمه في عهد عبد الملك بن مروان. وفي رواية في عهد سليمان بن عبد الملك إلى دار الملك دمشق الشام. ولما بلغ نبأ هذا الثري، القادم، إلى مسامع الخليفة أمر بإحضاره إلى مجلسه، فأحضروه في مجلس (سليمان) فتغير مزاجه حين حضوره كل التغير، فأمر بإخراجه من المجلس حالاً وسأل الحاضرون الملك عن سر ذلك فقال: إن القادم كان يحمل سماً معه، وأن دخوله على هذا النحو أزعجني وغير مزاجي، فأخرجته لذلك من المجلس، فإن في ذراعي خرزتين تتأثران، وتتحركان، كلما ظهر شيء من السموم في مجلسي. ولما سألوا جعفر عن سر حمله للسم أجاب بقوله: إني وضعت السم تحت فص خاتمي حتى إذا ما وقعت في مأزق بادرت إلى مص الخاتم لأخلص من الشدة. فلذا سماه الناس (برمكي)[3]. وهذا الكلام الذي يدل على الغيرة والأنفة صادف القبول والإعجاب

١- فالأقرب إلى الصحة والعقل هو أن هذه الطائفة الكردية القديمة نزحت من ملجأها ومعتصمها قلعة (السويداء) أي سوره ك=سيوه رك الحالية الواقعة بين آمد والرها، حين استيلاء الروم والأرمن عليها أيام حكم الصليبيين لسواحل الشام وجزء من الجزيرة. فلا علاقة لها بقرية السويد التي بجوار المدينة المنورة، ولا بغيرها من البلاد والأقاليم. (المترجم)

٢- البيت: أى خوشا چشمى كه آن كريان تست   وى همايون دل كه آن بريان تست

٣- نسبة إلى المشتق من برمكيدن: بمعنى المص حيث قال بالفارسية (برمكم) أي أمص. وهذه الرواية وردت في سياستنامه، لنظام الملك. (المترجم)

لدى (سليمان)، فأولاه ثقته وعطف عليه عطفاً كبيراً حتى أسند إليه منصب وزارته العظمى. قال الشاعر[1] :

معناه: "ما هو السر في أن يكون دس السم خفية في القدح عملاً لا ضير فيه ؟ فشطر من الدنيا لجني ملاذها، وشطرها الآخر للذكرى الحسنة".

وبعد ذلك بمدة من الزمن قام ابنه خالد، وابن خالد جعفر[2] ؟ بوزارة أبي العباس السفاح، وأخيه أبي جعفر الدوانيقي. وفي عهد هارون الرشيد كان الوزير يحيى ابن جعفر[3] هذا على جانب عظيم من السلطان والنفوذ؛ حيث وصل إلى رتبة الوزارة العظمى والوكالة الكبرى التي هي أعلى الرتب. ولا يتصور بعدها رتبة قط. ولم يكن الأمر قاصراً عليه فقط بل أن أولاده[4] الفضل، وجعفر، وموسى، أيضاً، وصلوا إلى رتب عالية ومناصب وزارية سامية. لم يسبق لها مثيل في الدول الإسلامية، الأمر الذي حمل الوشاة والساعين في الشر على إيغار صدر (هارون الرشيد) على وزيره يحيى فقتل ابنه جعفراً، وألقى يحيى، والفضل مدى الحياة، في غياهب السجن حتى قضيا فيها نحبهما، كما قال الشاعر[5] :

معناه: "هكذا حكم الخليفة لكل بداية نهاية". وقد صودرت أموالهما وثرواتهما العظيمة التي كانوا جمعوها في أيام عزهم وسؤددهم. فعلى من يريد الاطلاع على تفاصيل ما حل بهذه الأسرة النبيلة وأتباعها الكثيرة أن يراجع الكتب التاريخية المطولة، فإن كتابنا هذا الصغير لا يحتمل ذلك، وليس للإطناب

١- چه بايد زهرد رجامى نهادن   زشيرينى براونامى نهادن
جهان نيمى زبهر شاد كاميست   دكرنيمى زبهرينكا ميست

٢- هكذا في الأصل. والصحيح كما في ابن خلكان وغيره من المصادر العربية القديمة: ابن خالد هو يحيى، وأما جعفر فحفيده.

٣- الظاهر يحيى بن خالد، لا جعفر الذي هو ابنه. (المترجم)

٤- ورد في ترجمة يحيى في الجزء الثالث من ابن خلكان الطبعة المنفردة بمصر أن أولاد يحيى أربعة هم: الفضل، وجعفر، ومحمد، وموسى، ورد فيهم قول الشاعر:

أولاد يحيى أربعة ❖ كأربع الطبائع ❖ فهم إذا أختبرتهم ❖ طبائع الصنائع.

وقال المأمون فيهم: لم يكن كيحيى وكولده في الكفاية والبلاغة والجودة والشجاعة، ولما سأل المأمون في من تكون الشجاعة، قال: في موسى بن يحيى وقد رأيت أن أوليه ثغر السند. اهـ. معنى هذه أن الكفاية في الفضل والبلاغة في جعفر، والجودة في محمد، والشجاعة في موسى. (المترجم)

٥- چنين است آفرنيش راولايت   كه باشد هربدايت رانهايت

فيه مجال. ولقد بحثت عن مصير (موسى) ومآله في كتب التاريخ فلم أجد له أثراً. فمن المحتمل جداً أن يكون موسى قد تمكن من الإفلات من الورطة التي وقع فيها والده وأخواه، واعتصم بجبال كردستان العاتية وتوطن فيها. حيث المشهور في الحكايات والقصص والشائع الذائع في ألسنة الناس وأفواهها أن ثلاثة من أولاد آل برمك في عهد خلافة بني عباس غادروا بغداد إلى كردستان، وسكنوا موضعاً يقال له (خان چوك) بجبل شفتالو من أعمال كنج. وقد اشتهر أخوهم الكبير هنالك بالتقوى والزهد حتى أصبح مستجاب الدعوى ووليأ من أولياء الله. وحدث ذات يوم أن ذهب أخوهم الصغير إلى قضاء أمر هام، وأحضر أهل تلك الجهة حسب العادة الطعام اليومي إلى الشيخ ورفقائه، فابتدأ الشيخ وأخوه الأوسط مع مريديه بأكل الطعام تاركاً حصة الأخ الصغير لحين رجوعه. بيد أن الأخ الصغير حينما رجع وسأل عن طعامه قال الأخ الأوسط إنك لما تأخرت عن العودة قيل لي أنك أكلت ولم تعد بك حاجة إلى الأكل، فأكلت أنا حصتك أيضاً. ولما سمع الأخ الكبير هذا العمل غضب أشد الغضب من قلة مروءة أخيه، ودعا عليه بقوله: قطع الله بطنك حيث لم تقنع بحصتك. فسقط المدعو عليه فوراً إلى الأرض مسلماً روحه إلى بارئها. وهكذا زاد اعتقاد الناس بالشيخ بعد هذه الحادثة زيادة كبيرة جداً. ثم بادر الشيخ مع أخيه الصغير الذي كان يدعى (مير شهاب) إلى ترك (خان چوك) والذهاب إلى عشائر وأقوام السويدية حسب التماسهم، وأخذ في التصرف في شؤونها وتنظيم أمورها. فبنى قلعة حصينة بين ظهرانيها وقام بأعباء الرئاسة والإرشاد بينهم ردحاً من الزمن. هذا ولما توفي الشيخ إلى رحمة الله من غير عقب ذكر، تصدى أخوه (مير شهاب) لأمر الرئاسة بدل أخيه، وها نحن نشرع في ذكر من تولوا من نسله الحكومة في هذه الولاية.

الأمير جلال بن الأمير شهاب

تولى الإمارة بعد وفاة والده. فقام بأعباء الحكم خير قيام. وتوفي إلى رحمة الله حيث خلفه ابنه.

الأمير محمد

حل محل والده، فحكم البلاد ردحاً من الزمن حتى إذا ما وافته المنية، خلفه ابنه.

الأمير فخر الدين

تولى منصب الإمارة، ونهض بالبلاد نهضة عظيمة؛ إذ نشر ألوية العدل وأسباب العمران فترة من الزمن. وتوفي إلى رحمة الله. وقد خلفه ابنه.

الأمير حسن

استولى هذا الأمير على مقاليد الأمور بعد والده. وكان سفاكاً للدماء جباراً فتاكاً. ففقد بصره في آخر حياته. وقد انتقل زمام الأمور إلى نجله الأكبر (الأمير فخر الدين). وأما نجله الآخر (المير محمد) الذي كان آية في جمال الخلق وحسن الخلق وكرم النفس وشجاعة القلب ورباطة الجأش؛ فقد اضطر إلى ترك الدار والجلاء عن الوطن والتوجه إلى بلاط أوزون حسن في ديار بكر. فشمله هذا السلطان العظيم بعطفه الخسرواني الكريم، فأقطعه إمارة خان چوك، وچبقچور، وأرسله إلى ولايته الموروثة مقضي المرام موفور الكرامة. وما وصل لولايته حتى قام النزاع بين الأخوين فامتشقا الحسام وجرت بينهما معارك دامية أسفرت في النهاية عن مقتل (مير محمد) وخلا الجو للأمير فخر الدين. فصار حاكم البلاد بلا منازع إلى أن توفي. فخلفه ابن أخيه لعدم بلوغ أولاده سن الرشد.

أبدال بك بن الأمير محمد بك

قام هذا الأمير مقام عمه بعد وفاته، وصار حاكم الإمارة المستقل. وفي عهده زحف عليه القزلباش في (خان جوك) بقيادة (ايقوت أوغلي) حاكم (چبقچور) قاصداً الاستيلاء على خان چوك، فدارت بينهما رحى معارك حامية سبعة أيام بلياليها ذهب ضحيتها خلق كثير من الطرفين. وفي النهاية هب ريح النصر والظفر لجانب (أبدال بك) فلازمه النصر والتوفيق في الغلبة على خصمه (ايقوت أوغلي) الذي لحقته هزيمة منكرة، فتشتت شمله وتفرق جنده، ونهب الناس أمواله ومتاعه وخيمه وخيله وبغاله. وبعد هذه الحادثة حكم (أبدال بك) البلاد بضع سنين أخرى. وتوفي إلى رحمة الله عن ولدين هما: سبحان بك، وسلطان أحمد بك.

سبحان بك بن أبدال بك

استولى على زمام الأمور بعد وفاة والده. وقد أدار دفة الحكومة في مهارة

ولباقة باتفاق تام مع أخيه، وقد حكم البلاد بالحزم والعزم. وقديماً قالوا[1] :

معناه:" لا تقوم الدولة إلا على دعائم الاتفاق، ولا ينشأ الخذلان والحرمان إلا من الشقاق والتخاذل" . ومن يُمن هذا الاتفاق بين الأخوين وبركات توفيق الله تعالى لهما إن تكاثرت الفتوح وأقبلتَ الدنيا عليهما . وذلك أنه بعد وفاة خالد بك البازوكي تمكن من نزع ناحية كيخ (الأصح كنج، المترجم)، من أتباع خالد بك المذكور وضمها إلى ولايته. كما انه بعد استيلاء السلطان سليم على (ديار بكر) عقب معركة (جالدران)، انتزع بقوته القاهرة جبقجور من يد (أيقوت أوغلي)، وأغجه قلعة من يد (منصور بك البازوكي) الذي كان يقوم على حكمها من قبل الشاه إسماعيل، وكذا استولى على ناحيتي (ذاك) و(منشكورت) من يد قادر بك القزلباش. ثم بادر الأخوان بعد ذلك كله إلى قسمة الولاية بينهما ، فأصبحت (چبقچور) بتوابعها من حصة سبحان بك، وصار غيرها من القلاع في الولاية من نصيب سلطان أحمد بك. ودام الحال على هذا المنوال بضع سنين. إلى أن دبت عقرب الفساد والفتنة بين الأخوين فتبدلت الصداقة والصفاء بالخصومة والعداء، فصدر الأمر من ديوان السلطان سليمان خان بقتل (سبحان بك) بسعاية من أخيه ووشايته وأُعطيت قلعة (چبقچور) إلى أحد عمال العثمانيين وقد خلف ولداً ذكراً واحداً هو مقصود بك.

سلطان أحمد بك بن أبدال بك

حكم البلاد بعد مقتل أخيه سبحان بك ردحاً من الزمن، وطالت أيام حكمه حتى جاوزت الخمسين سنة حيث توفي بعدها إلى رحمة الله كما قال الشاعر[2] :

معناه:"هذه الدنيا أرى فيها قليلاً من الثبات وأرى في جميع أرجائها كثيراً من الأكدار والهموم. فهي كرباط قديم تتفرع من جوانبه طرق مختلفة إلى صحراء العدم" . وقد خلف ولدين هما : مراد بك، ومحمد بك.

مقصود بك بن سبحان بك

كان هذا الأمير بعد مقتل أبيه في ركاب السلطان سليمان خان ومعيته في

١- دولت همه زاتفاق خيزد بيدولتى أزنفاق خيزد

٢- دنيا كه دروثبات كم مى بينم درهر طرفش هزارغم مى بينم
چون كهنه رباطيست كه ازهرطرفش راهى به بيابان عدم مى بينم

سفر نخجوان وحربها . وقد خاض غمار معركة حامية حينما كان في الحراسة مع طائفة من الجند العثماني فدهمهم جيش لجب من القزلباش في موضع يقال له (آربه جاي) من ملحقات (نخجوان)، فأبدى فيها من ضروب الشجاعة والبسالة ما لفت أنظار جلالة السلطان إليه، وأثار إعجابه وتقديره له. وقد صدر مرسومه بإسناد سنجق چبقچور إليه حسب الدستور الذي كان في تصرف والده وجعله وراثياً في أسرته. وفي أيام ميرميرانية إسكندر باشا الجركسي بديار بكر التي هي موطن طوائف الأكراد المتمردة، اغتر مقصود بك بما سبق له من الأيادي البيضاء والخدمات الجلى في سبيل الحضرة السلطانية والدولة، فلم يسلك مع إسكندر باشا طريق المداراة والسياسة الحكيمة؛ مما حدا بإسكندر باشا أن يجد الفرصة لأن ينزع ناحية (جبقجور) من حكم الأمير وإسنادها إلى أحد العمال العثمانيين، فاضطر مقصود بك إلى الرحيل إلى استانبول بقصد رفع مظلمته وعداء إسكندر باشا إلى العتبات السلطانية السامية، فأمضى فيها سبع سنوات لم يتمكن خلالها من إيصال صوته إلى مسامع السلطان؛ لامتناع الوزراء ورجال الدولة عن مساعدته مراعاةً لخاطر إسكندر باشا . وأخيراً أدركته المنية هناك، وتوفي إلى رحمة الله.

مراد بك بن سلطان أحمد بك

قسم إسكندر باشا ميرميران (ديار بكر) ولاية سلطان أحمد بك بين أنجاله، فأعطى ناحية (خان چوك) و(آغجه قلعة) لمحمد بك، وأعطى مراد بك هذا، النواحي والبلاد الأخرى ما عدا چبقچور التي كانت تحت تصرف العمال العثمانيين، على أن يشرك أخوته في الحكم وألا ينازع بعضهم بعضاً . وقد دام الحال على هذا المنوال ستة عشر عاماً . تنازل بعدها مراد بك عن الحكم برضاه إلى ولده سليمان بك. ثم توفي إلى رحمة الله بعد ذلك ببضع سنوات، تاركاً من الذرية عدا (سليمان بك المذكور) ثلاثة أولاد ذكور هم، علي خان بك، وألو خان، ومصطفى بك، الذي لاقى مصرعه مع الأمراء الأكراد على أيدي القزلباش في سعد آباد تبريز حين الاستيلاء على (تبريز) ونزعها من القزلباش. أما علي خان بك فقد وقع أسيراً في نفس المعركة فاعتقله القزلباش في قلعة (قهقهة) وقد لبث فيها سنتين مع مراد باشا ميرميران (قرامان) ثم أفرج عنهما بعد ذلك، وجاءا إلى بلاد الروم (بلاد العثمانيين) فما كان من مراحم بيكلربكي ديار بكر بتعضيد ومساعدة مراد باشا، أيضاً، إلا أن استصدر

مرسوماً سلطانياً بإسناد سنجق (چبقچور) بطريق الإقطاع التمليكي إلى علي خان بك. ولا يزال أخوه (ألو خان بك) منتظماً في سلك عظماء الزعماء بديار بكر يقضي أوقاته من غير منصب. وأما (مير محمد) أمير لواء خان جوك، فقد كان متصرفاً في آغجه قلعة. وقد تساهل في أمور الضبط والربط متكاسلاً في وظيفة الحفظ والحراسة في أنحاء الولاية، مما حمل السردار (فرهاد باشا) على أن يُلحق سنجقه بسنجق (سليمان بك) ويحرمه من منصبه. فأفضى هذا إلى نشوء خلاف دائم ونزاع شديد بين محمد بك وسليمان بك داما بضع سنين إلى أن أدركت المنية محمد بك، فتوفي إلى رحمة الله ناجياً من تبعات النزاع والقيل والقال.

سليمان بك بن مراد بك

كان هذا الأمير من غير ريب أو مبالغة شاباً فريداً بين أقرانه موصوفاً بالشجاعة والبسالة والسخاء والشهامة النادرة. وقد لازم ميرميران آمد، وبغداد، في أوائل شبابه، ولاقى الأهوال، والمتاعب في البلاد العربية مغترباً وبعيداً عن الوطن وهو يتحمل المشاق والمحن. وقد امتاز بين أمراء كردستان بإتقانه فن الجندية والفروسية على طريقة الروم (الترك) كما كان ذهنه الوقاد منبعاً لمعاني الحقائق والسانحات، وعقله الوقاد مرآة لجمال المدققين العارفين بالنكات. فهو كما قال الشاعر[1] : معناه:"لم تر مثله الأيام منذ قرون في طيبة القلب ونوره والفطانة والفصاحة".

بيد انه من جراء شعوره بفضائله النفسية، وإضاعته المال والجاه لازمه شيء من الغرور والتفاخر بذلك السرور على حد قول الشاعر[2] :

معناه:"وما دام رمق قدر رأس الشعرة من الوجود باقياً فيك، تأكد ولا تغفل قط عن أن الوثنية باقية فيك. يقول رستم إني كسرت صنم الخيال والعجب. ولكن ذلك الصنم الذي كسرته في الخيال والتصور لباق في الحقيقة".

هذا وموطن آباء وأجداد هؤلاء الأمراء من قديم الأزمان، هو قلعة (كبخ)[3] التي هي من امنع الحصون، وامتنها تقع على سفح جبل مطل على نهر

١- چون اونديده ديده، أيام قرنها — روشن دلى دقيقه شناسى سخنورى

٢- تا يكسر موى درتو هستى باقيست — غافل منشين كه بت پرستى باقيست

كوئىبت پندار شكستم رستم — آن بت كه زپندار شكستى باقيست

٣- هكذا في الأصول المطبوعة والخطية. والصحيح أنها قلعة (كنج) بالنون والجيم. (المترجم)

الفرات مما تجعل لاجئيها من السكان، والمتوطنين في مأمن من حدثان الزمان ومصائب الدهور والأيام. ولكن همة سليمان بك القعساء لم ترض بتلك القلعة الضيقة المسالك المحدودة العمران والنمو، فعمد إلى بناء مدينة كبيرة في صحراء (منشكورد) الواسعة الأرجاء المترامية الأطراف، فأخذ ينشأ فيها مسجداً رفيع العماد لم يتم بنائه حتى الآن بالرغم من بذله الجهود الكبيرة في سبيل إتمامه.

هذا وقد أبدى (سليمان بك) بسالة نادرة وشجاعة فائقة في حروب شيروان، وفتح ديار العجم، وآذربيجان. ولاسيما في حادثة إغارة (نياز بك اليازوكي) على رأس بضعة ألوف من عسكر (چقر سعد) على منطقة (قرايازي) وإعماله النهب والسلب في عشائر (باولي)؛ حيث تصدى لهم سليمان بك برفقة أخوته وعدة من أعيان عشيرته، فطارد تلك الجماعة الكبيرة حتى لحقهم، واشتبك معهم في قتال شديد وهزمهم واسترد الأسلاب والغنائم التي كانوا أخذوها من العشائر وسكان القرى، ثم عاد إلى مقره سالماً وغانماً، مما جعل السردار مصطفى باشا يعجب به ويقدره حق قدره. فمنذ تنازل له والده في حياته عن منصب الإمارة، وهو قائم بأعباء الحكم بكل حزم وعزم حتى الآن حيث التاريخ غرة شهر ذي القعدة من سنة خمس وألف من الهجرة النبوية (١٥٩٦م) ومن المأمول أن يوفق كثيراً في أعماله الخاصة والعامة لما له من الخصال الحميدة والقابلية والاستعداد التام.

الفصل التاسع

في ذكر أمراء (السليماني) وهو في شعبتين

لا يخفى على ضمائر رافعي أعلام العلم والإنصاف، وعلى خواطر ناسخي آيات البدعة والاعتساف، أن نسب أمراء السليمانيين ينتهي إلى مروان الحمار آخر خلفاء بني أمية. ويقال إن سبب تسميته بالحمار هو أن الأعراب يطلقون على رأس كل مائة عام (عام الحمار). وقد مضت مائة سنة من يوم استيلاء معاوية بن أبي سفيان على الخلافة بدمشق، حتى يوم تولي مروان الخلافة. وفي رواية أخرى أن مروان جاء في يوم من أيام طفولته من المدرسة، وأخذ يلعب في حلقة من الحلق، فأدخل إصبعه فيها وضاقت عليه الحلقة حتى تورم إصبعه، ولم يكن إخراجه منها إلا بعد أن قطعوا الحلقة بالمبرد. وتكرر هذا الحادث معه مرة أخرى حتى غضب والده عليه ووبخه قائلا: يا مروان والله لأنت الحمار،

فيزعمون أن هذا سبب التسمية . ومهما يكن فإن نسب مروان يرجع إلى عبد مناف حسب الترتيب الآتي. مروان الحمار ابن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. والحكم هو الذي تشرف بهدى الإسلام ونوره يوم فتح مكة. وتولى مروان الحمار مقاليد الأمور في سلطنة الأمويين في أوائل سنة (١٢٧ هـ = ٧٤٤م)، ولما مضت من أيامه خمس سنوات ثار عليه أبو العباس السفاح. فهزمه وهرب إلى جانب مصر. ففي الثامن والعشرين من ذي الحجة سنة (١٣٢هـ = ٧٤م) قُتل في قرية (بوصير) من أعمال مصر على يد الصالح العباسي، و أبي العون، اللذين كانا يطاردانه بأمر من الخليفة السفاح. وقد خلف مروان ولدين ذكرين هما : عبد الله، وعبيد الله، فذهب الأول إلى الحبشة، وعاد الثاني إلى فلسطين وقام بها . وفي عهد خلافة الرشيد العباسي قبض شحنة فلسطين على عبيد الله هذا وأرسله إلى دار الخلافة، فبادر الخليفة إلى زجه في غياهب السجن، ولبث فيه طيلة خلافة الرشيد، ولم ينج من قيد الحبس والسجن إلا بعد أن صار شيخاً كفيفاً . ويحتمل أن يكون نسب أمراء السليمانيين هؤلاء ينتهي إلى عبيد الله هذا . بيد أن إطلاق لفظ السليماني قد يدل على أن نسبه يرجع إلى سليمان بن عبد الملك بن مروان من سلاطين بني مروان. والعلم عند الله.

هذا والثابت من آثار أقلام الثقات ورواة الأخبار عن هذه الطائفة (السليمانيين) أن المروانيين لما تشتت شملهم بسبب سطوة العباسيين وقوتهم القاهرة؛ تمكن ثلاثة من أولاد مروان الحمار، ومعهم جمع كبير من أتباعهم من مغادرة فلسطين والالتجاء إلى ولاية (قلب[1] = كليب)، وسكنوا بها في وادي يقال له (دره خوخ = وادي خوخ) من أعمال ناحية (غزالي) وعلى مدى الأيام التفت قبائل وعشائر تلك الجهات، وكانت أبرزها وعمدتها عشيرة (بانوكي) حول هؤلاء الوافدين، وبذلك علا شأنهم وقوي ظهرهم، فبادروا بفضل همة هؤلاء الأقوام والعشائر وجهادها إلى فتح قلاع قلب، وجسقه (حبقه)، وتاش، وحصولي، ومفارقين (ميافارقين) مع مضافاتها وملحقاتها حتى ساحل شط (ديار بكر)، وكذا قلاع بيديان حتى كاروكان (كاروكار)، ودلكوقيا، ورباط، وجريس، وايدنيك، وسليك، وكنج، ونزعها جميعاً من أيدي كفرة الكرج، والأرمن، وحكموها مستقلين. فهرع إليهم من أنصارهم وأتباعهم أكثر المروانيين المشتتين في مصر، والشام والتفوا حول هؤلاء الجماعة التي انقسمت أخيراً إلى ثماني فرق أساسية

١- في كردستان المركزي بولاية ديار بكر. (المترجم)

هم: بانوكي، وهويدى، ودل خيران، وبوجيان، وزيلان، وبسيان، وزكزيان، وبرازى. فبعض هذه الطوائف من أنصار أهل السنة والجماعة على مذهب سيدنا الإمام المعظم الشافعي رحمه الله، والبعض الآخر قد سلك الطريقة اليزيدية الضالة.

ولا يقصر أمراء هذه الطائفة في التمسك بشعائر الإسلام والعمل بالسنة النبوية ونصائح علماء الإسلام وإرشادهم قط، وأنجبوا كثيراً من الزهاد والعبّاد والعلماء والفضلاء. وهناك فرق كثيرة وفروع متعددة تبلغ المائة من هذه الطائفة منبثة في الهضاب والسهول يرعون المواشي ويقتنون الدواب ويرحلون كل سنة في أول الربيع إلى مراعي ولاية بدليس، وجبل شرف الدين، وآله طاغ، ويقيمون بها حتى فصل الخريف حيث يأخذون في العودة إلى مشتاهم في أول فروردين[1]، ورسم المراعي الذي يدفعونه لحكام بدليس هو بواقع واحد من ثلاثمائة رأس من الأغنام. وخلاصة القول إن مروان قام بفضل اجتماع طوائف السليمانيين، والتفافها حوله فترة من الزمن برئاسة هؤلاء الطوائف، وبحكومة القلاع التي افتتحها، وأدخلها تحت تصرفه. ولما ارتحل من هذه الدنيا الفانية إلى دار البقاء، قام مقامه ابنه (بهاء الدين) الذي مات بعده بمدة وجيزة عن ولدين هما: مير عز الدين، ومير جلال الدين. فاستولى (عز الدين) على مقاليد الحكم. ولما توفي هذا أيضاً إلى رحمة الله عن ولد صغير يدعى (الأمير إبراهيم) وكان عاجزاً عن القيام بمهمة الحكم والرئاسة بادر رؤساء القبائل وأعيان العشيرة إلى أخيه (الأمير جلال الدين) فنصبوه حاكماً عليهم. ولما توفي هذا وكان (إبراهيم بن عز الدين) قد بلغ سن الرشد، فصار أميراً على البلاد باستصواب العشائر والأقوام. وبعد أن حكم ردحاً من الزمن أدركته المنية، فارتحل إلى دار البقاء والخلود، تاركاً ولدين هما: مير ديادين، ومير شيخ أحمد. فقام الأمير ديادين مقام والده بوصية منه، فحكم البلاد بالسعادة والإقبال بالغاً من العمر المديد ثمانين عاماً. هذا ولما استولى الشاه إسماعيل الصفوي على ولاية ديار بكر، وقد ندب (خان محمد استاجلو) نيابة عنه لمحافظة تلك الولاية الكبيرة، سلك خان محمد هذا مسلك المداراة والسياسة الحكيمة مع الأمير ديادين، فتزوج من كريمته (بيكيسى خانم)[2]. وهكذا نال تعضيد ومساعدة طوائف السليمانيين، ومساعدتها ومصادقة الأمير ديادين له، في كليات الأمور وجزئياتها. فمن ذلك أنه حينما

١- هكذا في الأصل، وهذا غلط بيّن لأن (فروردين) أول الربيع، لا أول الخريف الذي أوله في الشهور الفارسية (مهر) أعني ٢١ سبتمبر. (المترجم)

٢- وفي نسخة خطية (بيكسى) والظاهر (بيكس خانم). (المترجم)

أرسل (علاء الدولة ذا القدر) والي (مرعش) ابن أخيه (صاروقيلان) لمحاربة (محمد خان) والاستيلاء على ديار بكر، وحدثت بين الفريقين ملحمة كبرى، وبلغ فيها صياح المحاربين عنان السماء[1]، أبدت طائفة السليمانية، بل العفاريت السليمانية في تلك المعركة الدامية من البطولة الخارقة والبسالة الفائقة ما جعل بطولة رستم وشجاعته في حروب (هفتخوان مازندران) أسطورة واهية وقصة (سام نريمان) حكاية خيالية. لأن أبطال الكرد بقوة ذراعهم القاهرة وحد سيوفهم المسمومة القاطعة شتتوا شمل جنود صاروقيلان الذي جندلوه أيضاً في ساحة الوغى قاطعين رأسه وتاركين جثته بها. ولا شك أن هذا أفضى إلى زيادة احترام خان محمد للأمير ديادين ومراعاة جانب طوائف السيلمانية. ولما توفي الأمير ديادين لم يكن له أولاد ذكور، فانتقل الحكم إلى أولاد أخيه، (الأمير شيخ أحمد) الذي كان له تسعة من الأولاد وهم: شاه ولد بك، بهلول بك، عمر شاه بك، سوسن، ولي خان، ألوند، خليل، أحمد، جهانگير.

الشعبة الأولى

في ذكر أمراء (قلب وبطمان)

لقد سمع جامع الأوراق هذه مراراً من ثقات الرواة أن الأمير (ديادين) حينما طعن في السن، ولم يكن له ابن ينوب عنه في معالجة شؤون الحكم، والإدارة، تصدى له أبناء أخيه متفقين يريدون القضاء عليه. فاضطر الأمير ديادين إزاء هذا للاستنجاد بمحمد خان استاجلو، فبادر هذا بإرسال نجدة قوية إليه، فقامت حرب ضروس بينه وبين أبناء أخيه دارت من جرائها رحى معارك دامية قتل فيها كل من عمر شاه بك، وسوسن، وجهانكير بك، وأما شاه ولد بك، الأخ الأكبر الذي كان سبب هذه الفتنة فقد نجا برأسه من تلك الورطة الدامية بأعجوبة، ولاذ بالفرار إلى جهة الشام ومصر لخدمة السلاطين الچراكسة. هذا ولما زالت دولة القزلباش في كردستان بعد معركة جالدران، وضعف سلطانه بادر شخص يدعى علي فيري من طائفة (بسيان) وكان من أعيان القوم والبارزين فيهم إلى قلعة ميافارقين، فاستولى عليها ونزعها من

١- حيث قال الشاعر في وصفها: كجاك برد هل فتنه أنكيز شد — زبانك دهل فتنه كرتيز شد
قطاس ستوران زرينه زين — همى كرد چاروب ميدان كين

أيدي القزلباش وأرسل إلى شاه ولد بك في الشام يخبره بجلية الأمر وما تم على يديه وما سمع شاه ولد بك هذا النبأ حتى بادر إلى الرحيل إلى ولايته الموروثة، وقد استولى على سرير الحكم بمساعدة علي فيري وتعضيد العشائر والأقوام له. هذا وفي عهد استيلاء العثمانيين على ولاية ديار بكر، وكردستان حدث أن حكام صاصون الذين كان العداء بينهم وبين الأمراء السليمانيين شديداً منذ زمان، أوعز إلى طائفة خالدي (خالتي) بأن يقتلوا بعض الجاويشية السلطانية القادمين على البريد في مهمة ضرورية إلى كردستان، في أراضي ميافارقين حتى يمكن أن ينسب الأعيان والأركان مقتل هؤلاء العثمانيين إلى شاه ولد بك؛ ليذهب هو وولايته ضحية هذه المكيدة، وفعلاً قامت الخلدية بهذا العمل الشنيع وأسندت تبعته إلى شاه ولد بك. ولما كان التدبير موافقاً للتقدير أظهر ميرميران ديار بكر العداء الشديد لشاه ولد بك، ورفع الأمر إلى العتبات السلطانية طالباً معاقبته. فصدر الأمر القاضي بقتل شاه ولد بك حالاً. وأخذ الميرميران يستعد لتنفيذ الأمر، فأرسل إلى شاه ولد بك وأحضره في الديوان ولكن شاه ولد بك علم بجلية الأمر في آخر لحظة، ولاذ بالفرار ونجا بأعجوبة من تلك المكيدة فما كان من العثمانيين إلا أن أدخلوا ولايته الموروثة في ضمن الأملاك الخاصة السلطانية، وبعثوا الأمناء والعمال لضبط الأمور ولجأ شاه ولد بك إلى قلعة قلب[1] ولبث فيها مكتفياً بإدارتها مع توابعها مدة ثلاث عشرة سنة. فتوفي بعدها إلى رحمة الله تاركاً على صفحة الوجود ستة من الأولاد هم: علي بك، مير ديادين، ولي خان، جهانگير، أمير يوسف، أمير سليمان.

علي بك بن شاه ولد بك

تولى إمارة قلب بعد وفاة والده، ودامت أيامه أربعين سنة[2]، قد أمضاها كلها في نشر ألوية العدل، وبث روح العمران مما جعله محبوباً لدى الخاص والعام، حتى إذا ما أدركته المنية توفي إلى رحمة الله عن ولدين هما: سلطان حسين بك، وولي خان بك.

١- نطقها المحلي أي بالكردي (كليب) بضم الكاف وإمالة اللام وسكون الباء. (المترجم)

٢- وإذا كان هذا الأمير حكم أربعين سنة وتوفي سنة ٩٨٠هـ بدليل ما يأتي فيكون أول حكمه في سنة ٩٤٠هـ وحيث أن والد شاه ولد بك حكم ثلاث عشرة سنة في قلب قانعاً بها فيكون فصل الولاية في سنة ٩٢٧هـ. (المترجم)

سلطان حسين بك بن علي بك

تولى منصب أبيه بعد وفاته، بمرسوم من السلطان سليم خان في شهور سنة (٩٨٠هـ = ١٥٧٢م)، وحين وجه السلطان مراد خان جيشاً عثمانياً بقيادة عثمان باشا الوزير الأعظم للاستيلاء على آذربيجان استشهد سلطان حسين بك في معركة سعد آباد تبريز على أيدي القزلباش في سنة (٩٩٣هـ = ١٥٨٥م) تاركاً ستة أولاد ذكور هم: قليج بك، سيد أحمد، زينل بك، زاهد بك، حيدر، قاسم.

أما ابنه (سيد أحمد بك) فقد وقع أسيراً في أيدي القزلباش أثناء مقتل والده، ولبث في سجنهم زهاء عامين في قلعة قهقهة نجا بعدهما بمساعدة بعض الزعماء له، وعاد إلى ولايته. فأعطيت الولاية الموروثة من ديوان السلطان مراد خان إلى ابنه الآخر (زينل بك). ومع أن (قليج بك) كان أكبر أولاده من جهة السن وأقلهم في العقل والإدراك، فقد سعى بمعاونة (محمد بك) حاكم حزو حتى حصل على منصب والده. وهكذا دخل في نضال مديد ونزاع شديد على إمارة (قلب) مع أخيه (زينل بك). وقد أمضى فترة من أيامه على هذا المنوال حتى قتل بأيدي رجال العشيرة؛ لما بدر منه نحوهم من الأعمال السيئة.

سيد أحمد بك بن سلطان حسين بك

لما أطلق سراحه من قيد القزلباش وأسرهم له، جاء إلى خدمة (فرهاد باشا) السردار في (أرضروم) وأثبت في الديوان العالي استحقاقه وجدارته للحكومة المحلية لما سبق له من الخدمات والأيادي البيضاء للدولة، فصدر المرسوم السلطاني بواسطة السردار الظافر بإسناد حكومة (قلب وبطمان) إليه. وفي هذه الأثناء قتل خاله (بهلول بك) بأيدي طائفة (بسيان). وهكذا تم له الأمر في أنحاء الإمارة وصار حاكم تلك الديار بلا منازع ولا مشارك. وقد مضى على ذلك بضع سنوات، حتى إذا ما تغير عليه ميرميران (ديار بكر) ونزع منه حكومة قلب وأعطاها لأحد العثمانيين بادر هو إلى شد الرحال إلى استانبول بقصد الشكوى والمطالبة بحقه في الحكومة، فتوفي هنالك إلى رحمة الله في شهور سنة (١٠٠٣هـ =١٥٩٤ - ١٥٩٥م)، فأعطيت حكومة قلب هذه حسب الدستور الأول إلى أخيه (زينل بك). وهو قائم بالحكم هنالك في هذا التاريخ الذي هو سنة خمس وألف من الهجرة النبوية (١٥٩٦- ١٥٩٧ م).

الشعبة الثانية

في ذكر أمراء (ميافارقين)

يرجع نسب أمراء ميافارقين أيضاً إلى الأمير (شيخ أحمد بن الأمير عز الدين) وهم أبناء عمومة مع أمراء قلب. وأول شخص قام من هذه الأسرة بمهام الإمارة هو (بهلول بك بن ألوند بك بن الأمير شيخ أحمد) الذي كان في حد ذاته رجلاً في غاية الشجاعة والسخاء، فكان في بادئ أمره يخدم بالاتفاق مع أخيه (شاه عمر بك)، (اسكندر باشا) ميرميران ديار بكر، ولما كلف إسكندر باشا من قبل الدولة بالاستيلاء على (جوازد)[1] ذهب إليها، وبنى هنالك قلعة سماها (إسكندرية) وعهد بمحافظتها إلى (بهلول بك) فأقطعها له على طريق السنجق. ولما ظهرت منه آثار خدمات جليلة للدولة وشعر بالعطف عليه بادر إلى طلب منحه حصة من الولاية الموروثة، من الديوان السلطاني، وتمهيداً لذلك أخذ عدة وثائق ومستندات من ميرميران ديار بكر، وأمراء كردستان، وشد الرحال إلى عتبات السلطان سليم خان (الثاني) عارضاً أمره عليها، فشمله السلطان بعطفه، وأصدر أمره الكريم بفصل ناحية ميافارقين بتوابعها وملحقاتها عن حكومة (قلب) وإعطائها له على طريق الإقطاع التمليكي. ثم صدر حكم همايوني بأن يتولى بهلول بك جباية المال السنوي المقطوع المطلوب من طوائف (بسيان وبوجيان وزيلان) والذي كان في زمان (شاه ولد بك) مقيداً ضمن الأملاك الخاصة الهمايونية، ويصدره كل سنة إلى خزينة ديار بكر. فمضت عدة سنين على هذا المنوال، وقد ظهرت الحروب مع الفرس متوالية فانتهز الحكام خلالها الفرصة فظلموا الأهالي واضطرت طوائف السليمانية إلى الجلاء عن الوطن، والرحيل إلى الولايات المفتوحة المنزوعة من القزلباش، بشرط أن يقيموا بها، ويقوموا بحفظها وصيانتها. وهكذا نال رجال تلك الطوائف كثيراً من المناصب الإقطاعية كالزعامة، وآلاي بكي، وسنجق بكي. ولكن هذه الحال أفضت إلى إفلات زمام الطوائف المذكورة من يد بهلول بك حيث ثارت العشائر والقبائل، وامتنعت عن دفع الرسوم والعوائد السنوية، حتى إن رجلاً من (بسيان) يدعى (شهسوار) أعلن نفسه أميراً للواء بايزيد من أعمال

١- لعلها (عادلجواز) التي هي في شمال بحيرة (وان) المسماة قديماً بحيرة (خلاط) ويؤيد هذا ما ورد في نسخة خطية أخرى (جواز) مما يدل أن الأصل في اسم المحل هو (جواز) فقط. (المترجم)

(ايروان)[1]، فالتف حوله زهاء ألف عائلة من طائفة (سليماني)[2] وسائر الطوائف الكردية، وتجرؤا على الامتناع عن دفع أموال الدولة. فتوجه بهلول بك بمقتضى الحكم والوظيفة لتلك الجهة لتحصيل أموال بيت المال، ثم العمل على إعادة تلك القبائل والعشائر النازحة، إلى ميافارقين، وقد اصطدم هنالك مع شهسوار بك واحتدم القتال بينهما، واستشهد بهلول بك في المعركة الدامية تاركاً خمسة من الأولاد الذكور هم: أمير خان، عمر بك، محمود بك، محمد، عثمان.

أمير خان بك بن بهلول بك

قام مقام أبيه بعد مصرعه، وحكم البلاد بضع سنين صدرت في أثنائها من قبائله وعشائره أعمال جائرة وأفعال شنيعة في أنحاء البلاد، الأمر الذي حمل الناس على أن يهرعوا إلى عتبات السلطان طالبين وضع حد لجور هؤلاء الأقوام والعشائر، فصدر الأمر القاضي بقتل (أمير خان) واستئصال طائفتي بسيان، وبوجيان، وسائر أهل الشناعة والجور، إلى محمد باشا ميرميران آمد فبادر هذا إلى إحضار (أمير خان بك) إلى ديوان آمد حيث نفذ حكم الإعدام فيه.

عمر بك بن بهلول بك

أسندت حكومة (ميافارقين) إليه بعد مقتل أخيه، فلم يحسن الإدارة وظهر عجزه في أمور الضبط والربط؛ وتأخر في جباية أموال الدولة والحقوق السلطانية السنوية التي كانت تبلغ أربعة أكياس من الذهب يجب توريدها لخزينة ديار بكر (آمد). فلذا فوض أمر طوائف الأكراد وحكومة ميافارقين من قبل السلطان محمد خان (الثالث) إلى (إبراهيم بك أقساق بن جهانگير بك) وذلك بناء على عرض ميرميران آمد، ودفتر دارها. هذا ولجأ عمر بك في بادئ الأمر إلى حاكم (بدليس) وأقام في ناحية (موش) وبذل الجهود في جباية الأموال المقطوعة من تلك الجهات ولما لم يحصل على شيء يحسن السكوت عليه بادر إلى جمع الأوباش والعاطلين حوله، وأخذ يغير بهم على الأطراف فيسلب رعايا موش، وخنس، وملازكرد. ثم استرسل في هذا الأمر حتى صار يقطع الطرق ويسطو على القوافل. فمن ذلك انه سطا عدة مرات على المترددين بين حزو،

١- هي مركز إحدى جمهوريات السوفيتية الحالية. (المترجم)

٢- وفي نسختين خطيتين (بسياني) بدل (سليماني). وهذا أوضح. (المترجم)

وبطمان، وذهب من المسلمين الأبرياء والقوافل ضحايا، مما اضطر (علي بك) مير لواء خنس و(محمد بك) حاكم حزو، إلى مهاجمته ومقاتلته حتى قتلا من رفقائه وأنصاره عدة رجال من بينهم ابن أخيه، وصادرا أموالهم وأملاكهم ونهبوهم نهباً كاملاً، ونجا هو وحده بأعجوبة. فهو وإن كان يحمل اسم الأمير إلا أن صفاته بصفات اللصوص وقطاع الطرق أشبه، فما كان يستقر في مكان ولا يهدئ له حال.

الفرقة الثانية وهي في اثنى عشر فصلاً[1]

الفصل الأول

(حكام سهران)

غير خاف على طباع المطالعين من القراء الكرام أن نسب حكام (سهران) يصل إلى رجل يدعى (كلوس)[2]، من أبناء كبار أعراب (بغداد). وكلوس هذا ألقت به المقادير وفترات الزمان إلى قرية (هوديان)[3] من توابع ناحية أوان[4] من أعمال (سهران). فاشتغل في بادئ الأمر راعياً لمواشي أهالي تلك القرية. ولفظ كلوس في اصطلاح هؤلاء القوم يطلق على من سقطت أسنانه الأمامية. وكان لكلوس ثلاثة أولاد ذكور هم: عيسى، وإبراهيم، وشيخ أويس. وكان ولده عيسى شهماً هماماً. كريم الطبع حلو الحديث. فكان يبذل كل ما عنده من المال، وكل ما يقع تحت يده من حرفة الرعي على فقراء ودراويش تلك القرية والعاطلين بها،

١- في نسختين خطيتين (ده) أي عشرة، إذ لم يوجد فيهما الفصلان (الحادي والثاني عشر). (المترجم)

٢- كه ولوس - في لغة أكراد شقلاوة حتى الآن بمعنى الذي سقطت رباعيته العليا. كما صرح لي صالح رشيد بك ميران من رؤساء عشيرة خوشناو الكردية الشهيرة بنواحي شقلاوة من أعمال أربل، ووافقه على ذلك القس جبريل ابن أخ المطران أدىشير الشهير. شقلاوة في ١٩٤٧/٩/٢٣.

٣- في نسختين خطيتين بهوديان. ولاشك انها تصحيف. فالأصح وديان = حفديان =حوتيان =حفتيان. (المترجم)

٤- "أوان" ليس في منطقة السوران الآن قلعة أو قرية بهذا الاسم غير قلعة (روان) أصل اسم (رواندز) الذي معناه بالكردية قلعة (روان). وعلى هذا أرجح أن يكون اسم (أوان) محرفاً من (روان)، ولاسيما أن ظهور اسم (رواندز) حديث العهد لا يرجع إلى ما قبل الألف الهجري. إلا إذا كان (رواندز) هذه محرفة من (راوند) المدينة القديمة التي بناها راوند الأكبر فيما تسمى إيالة الموصل كما ورد في معجم البلدان فعلى هذا يكون الاسم مركباً من (راونددز) بمعنى قلعة راوند. (المترجم)

فالتف حوله جمع كثير من الأجلاف والأوباش والجهلاء، فاستمال بذلك قلوبهم وجعلهم أسرى لطفه وكرمه، فبذلوا له طاعتهم العمياء، واتفق حينئذ أن حاكم تلك الديار قد ظهر له عدواً عظيم الخطر فتوجه بجميع قواه إلى قتاله، فبادر عيسى أيضاً معهم إلى محاربة ذلك العدو ومعه أنصاره وأتباعه من هؤلاء الأجلاف والأوباش متوجهين إلى (بالكان)[1] وقد أطلقوا عليه حينئذ، من باب الاستهزاء والسخرية، لقب الأمير. ولما رأى أهالي تلك الجهة ما عليه عيسى من الشهامة وحسن الاستعداد للقيام بأعمال هامة اتفقت كلمتهم على أن ينصبوه أميراً عليهم، فاجتمع عليه خلق كثير في مدة وجيزة واعتزموا فتح قلعة أوان وتوجهوا إليها. ولما كانت أطراف تلك القلعة صخوراً حمراء صلدة، بادر عيسى ورفقاؤه قبل كل أحد إلى تسلق تلك الصخور، وشرعوا في القتال والنضال حتى تملك الرعب والهلع قلوب حامية القلعة من جرأة هؤلاء، فسمتهم بما معناه باللغة الكردية (أصحاب الصخور الحمراء = سنك سرخي)،ثم حرف هذا اللفظ من كثرة الاستعمال لدى الأكراد الذين يقولون (سهر=سور) بدل (سرخ) الفارسي. وهكذا اشتهروا بلفظ الجمع (سهران). وخلاصة القول إن القلعة فتحت بعد قتال شديد ونضال مرير؛ فعلا نجم عيسى كنجم عيسى بن مريم، وصار طالعه أعلى من طالع الزحل، وازداد شأنه، ونفوذه يوماً بعد يوم، حتى طلعت شمس دولته ساطعة في جميع أنحاء إقليم سهران الذي استولى عليه بأكمله. وبعد أن حكم هذه الديار بالسعادة والإقبال توفي إلى رحمة الله، وولي بعده ابنه.

شاه علي بك

قام هذا الأمير مقام والده في منصب الحكم. وتوفي عن أربعة أولاد هم: عيسى، وبيربوداق[2]، ومير حسن، ومير سيدي. وكان شاه علي بك قسم في حياته ولايته الموروثة بين أولاده المذكورين حتى لا يتنازعوا على الملك، وأن يقنعوا بحصصهم. فمن ذلك إنه خص ابنه الكبير عيسى بناحية حرير التي كانت مقر دولته. فبعد أن أمضى عيسى ردحاً من الزمن في الحكم والإدارة قتل في المعركة التي جرت بينه وبين بيربوداق حاكم البابان.

١- اسم عشيرة ومنطقة بجهة (رواندز) الآن. (المترجم)

٢- في نسختين خطيتين (مير) بدل (بير). (المترجم)

پيربوداق بن شاه علي بك

تولى أمر الحكومة بعد وفاة والده، واستخلص أيضاً لنفسه ناحية (سوماقلق)[1] من أيدي طائفة (نيلخاص) من أتباع القزلباش. وبعد أن حكم البلاد فترة من الزمن أدركته المنية وتوفي إلى رحمة الله. وقد خلف ولدين من الذكور هما : الأمير سيف الدين، والأمير حسين.

مير سيف الدين

قام مقام أبيه، ولم تدم أيامه كثيراً وخلفه أخوه.

مير حسين

قام مقام أخيه، ولم تطل أيامه أيضاً، فلبى نداء ربه عن سبعة أولاد ذكور، وخلفه ابنه الكبير (الأمير سيف الدين) الذي استولى أيضاً على سنجق سوماقلق حسب الدستور السابق الذي كان بموجبه يتصرف فيه آباءه وأجداده.

مير سيدي بن شاه علي بك

هو الابن الصغير لشاه علي بك. وقد اشتهر بين حكام كردستان بالشجاعة والسخاء والكرم. سكن بعد وفاة والده الموضع المسمى شقاباد[2] .وأقدم على محاربة پيربوداق حاكم بابان طالباً دم أخيه (الأمير عيسى). فبعد أن تمكن من قتل پيربوداق هذا ضم بلاد أخيه إلى إمارته، ثم انثنى على القزلباش وحاربهم محاربة شديدة حتى أنقذ سناجق: الموصل، وكركوك، وأربل، من أيدي عمالهم، وضمها إلى بلاده، فحكم ردحاً من الزمن بلاد سهران، وملحقاتها حكماً استقلالياً. حتى إذا ما جاء القدر المحتوم توفي عن ثلاثة من الأولاد الذكور هم: الأمير سيف الدين، ومير عز الدين شير، وسليمان، وقد مات الأمير سيف الدين في عنفوان شبابه حين سقط عن جواده. وكان عز الدين شير حاكماً لأربل حتى

١- في نسختين خطيتين (سوماقلو). (المترجم)

٢- قال في المعجم (شقلاباذ) قرية كبيرة مليحة في لحف الجبل المطل على أربل ذات كروم كثيرة وبساتين وافرة ينقل عنبها إلى أربل العام بطوله، بينها وبين أربل ثمانية فراسخ، ولاشك إنها محرفة من شقلاوة الكردية. (المترجم)

قتل سنة (٩٤١هـ = ١٥٣٤م) الذي جاء فيها السلطان سليمان خان عائداً من فتح بغداد دار السلام، وقد شتى بتلك الجهات، فأمر بقتله لما بلغه من سوء أعماله مع خدمة البلاط السلطاني، واسند منصب حكومة أربل إلى حسين بك داسني الذي هو من أولاد أمراء الطائفة اليزيدية. وبعد مقتل عز الدين شير بأيام قلائل. توفي إلى رحمة الله أخوه (سليمان بك) أيضاً مخلفاً ثلاثة أولاد ذكور هم: قلي بك، وأمير عيسى، وأمير سيف الدين. فما كان من السلطان سليمان إلا أن ضم ولاية سهران كلها إلى سنجق أربل، وعهد بها إلى حسين بك داسني. وهكذا خرج ولاية سهران تماماً من أيدي ورثتها الشرعيين ودخلت في حكم الأجانب[1]

الأمير سيف الدين بن مير حسين بن پيربوداق

سبق القول إن الأمير سيف الدين قد استولى على سنجق (سوماقلق)، حسب الدستور والقواعد التي كان أجداده يتصرفون فيها. ولما عهد السلطان سليمان بجميع ولاية سهران إلى (حسين بك الداسني)، قامت عدة اشتباكات بينه وبين الأمير سيف الدين. وأخيراً لما لم يستطيع الأمير سيف الدين الصمود للطائفة اليزيدية ومقاومتهم، طلق عروس الملك والحكم ثلاثاً، والتجأ إلى بيكه بك حاكم أردلان. ولكن بيكه بك غض النظر عن مساعدة سيف الدين، وأهمله خوفاً من سطوة السلطان سليمان، فيئس منه مير سيف الدين وعاد خائباً إلى ولاية سهران، وأخذ يجمع حوله طائفة من المتوطنين والسكان استطاع بهم الزحف إلى أربيل والاستيلاء عليها. فمن حسن طالعه وحظه السعيد أن أفضى هذا القدر من الفتح والظفر إلى التفاف عشائر ولاية سهران وأقوامها جميعاً حوله. فقام الأمير سيف الدين ذات يوم بما قام به أبو مسلم للعباسيين من مباغتة المروانيين؛ حيث هاجم اليزيديين مهاجمة شديدة على غرة، ولما بلغ نبأ ذلك لمسامع حسين بك الداسني بادر إلى الزحف إلى أربيل لمحاربة الأمير سيف الدين وحده، فجرت بينهما معارك دامية أسفرت هذه المرة عن هزيمة منكرة

١- يقصد به المؤلف رحمه الله الأجانب عنهم مذهباً وعقيدة، وإلا فاليزيدية أكراد خلص. ولكن الذي يريد أن يقوله ويفصح عنه المؤلف هو كيف إن حامي حمى السنة والشريعة المحمدية سلطان المسلمين يولي على الأكراد المسلمين حكاماً وهو يعتقد فيهم أنهم غير مسلمين لأغراض في النفس.. (المترجم)

لحسين بك وطائفته اليزيدية، حيث قتل أكثر من خمسمائة نفر من أعيانهم وانتصر الحسينيون[1] وغنم الأمير سيف الدين وأنصاره الكثير من أموالهم وأسلابهم. وهكذا تمكن من إعادة ملكه الموروث إلى حوزة حكمه وصار حاكماً مستقلاً تمام الاستقلال. ولقد حاول حسين بك الداسني مراراً حشد جنود من اليزيدية والتوجه بهم إلى محاربة خصمه، إلا أن الحظ خانه دائماً، وصارت جميع حركاته كحركة المذبوح، لا تدل إلا على الانتهاء والموت. فهكذا تحققت آمال سيف الدين، وأصيب حسين بك بالخيبة والخذلان المبين. ولما وصلت أنباء هذه الهزيمة المنكرة إلى العتبات السامية في استانبول استدعي حسين بك إليها وصدر الأمر السلطاني القاضي بعقوبته عقوبة شديدة قاسية فنفذ الأمر. كما قال الشاعر[2]

معناه: "إن من أساء أحداً لا بد أن يلقى إساءة مثلها، ولقد رأيت بعيني في الطريق طائراً قطع الطريق على نملة فقضى عليها، وقبل أن يسحب منقاره عن فريسته انقض عليه طائر آخر وافترسه".

ثم كلف سلطان حسين بك حاكم العمادية وسائر أمراء كردستان من قبل السلطان سليمان بالزحف إلى الأمير سيف الدين وتسخير ولاية سهران. بيد أنهم لم يوفقوا في مهمتهم وعادوا منها بخفي حنين. وهكذا تم الأمر للأمير سيف الدين بلا منازع ولا مشارك. فاخذ يحكم البلاد تحف به السعادة والإقبال. وأخيراً استمع إلى كلام الغير من غير روية حيث أغواه (يوسف بك برادوستي) الشهير بغازي قران فشد الرحال إلى بلاط السلطان الغازي، على حد قول القائل (إذا جاء القضاء عمي البصر) وذلك بقصد أن يشمله السلطان بعفوه ويغض النظر عما صدر منه، فيمنحه ولايته الموروثة إليه. ولكن خاب أمله ووقع في حرج كان في غنى عنه. فلم يكد يصل إلى الآستانة حتى سلموه إلى الجلاد على الفور.

١- من عادة الأكراد أن يطلقوا على غلاة المروانيين لفظ (اليزيدية) وعلى ضدهم من سائر المسلمين (الحسينيين)، بخلاف المصادر العالمية التي تطلق لفظ (العدوية) على اليزيدية منذ القدم.

٢- الأبيات: كسى كوبا كسى بد سازكردد | بدوروزى همان بدباز كردد
بچشم خويش ديدم بر كذركاه | كه زد برجان مورى مرغكى راه
هنوز ازصيد منقارش نبر داخت | كه مرغى دكر آمد كاراو ساخت

قلي بك بن سليمان بك مير سيدي

لما استولت طائفة الطاسانية (الداسنية)[1] على ولاية سهران حاربهم (قلي بك) مراراً غير أنه كان ينهزم في كل المرات؛ فلذا اضطر إلى الجلاء عن الوطن والاغتراب، وتوجه إلى بلاط الشاه طهماسب لاجئاً إليه. وقد أخذت الداسنية حينئذ حسب العداوة القديمة المستمرة بين الحسينية واليزيدية، ونظير ما كان يعمله الكرد فيها سابقاً، تنتقم لنفسها أشد الانتقام من مسلمي سهران والمساكين منهم فكانوا يظلمونهم ظلماً أنساهم جور الحجاج بن يوسف، وإمعان سعد بن زياد في العسف والعدوان: الأمر الذي حمل جمعاً من سهران على توحيد الكلمة وإرسال رسول إلى بلاد العجم، فأحضروا (قلي بك) إليهم بعد إقناعه بوجاهة مشروعهم واستمالته إليهم ثم توجهوا به إلى السدة الملكية السليمانية ملتمسين إسناد الولاية الموروثة إلى (قلي بك). بيد أن السلطان لم يعتمد عليه في ذلك ولم يرتح، فأسند إليه فقط سنجق سماوات[2] من أعمال البصرة. هذا وبعد مقتل الأمير سيف الدين وحسين بك الداسني وحدوث ما جرى مما أشرنا إليه، احضر (قلي بك) من السماوة بواسطة (سلطان حسين بك) حاكم العمادية وحسن مسعاه، وأسندت إليه حكومة ناحية (حرير) من أراضي سهران. فقام بأعباء الحكم فيها زهاء عشرين سنة. ثم توفي إلى رحمة الله تعالى عن ولدين هما : بوداق بك، وسليمان بك.

بوداق بك بن قلي بك بن سليمان بك

نشر هذا الأمير راية الاستقلال والرئاسة في ناحية (شقاباد) بعد وفاة والده، ولكن الشقاق قد دب بين الأخوين بوشاية الواشين وسعاية المفسدين، فتبدلت الأخوة والمودة بينهما إلى عداء، وأفضى الأمر من الجدال والنقاش باللسان إلى الطعان بالسيف والسنان، فانهزم أخيراً (بوداق بك) من أخيه ولجأ إلى سلطان حسين بك حاكم العمادية منتظراً الفرص ليعود إلى ولايته بفضل مساعدة سلطان حسين بك بيد أن الدهر الخؤون والفلك الدوار لم يسمحا له

١- سكان جبل الداسن (طاسن) قال في المعجم: داسن، اسم جبل عظيم بشمالي الموصل من الشرق فيه خلق كثير من طوائف الأكراد يقال لهم الداسنية اهـ. كما ورد في نسخة خطية (واسني). المترجم)

٢- كذا في الأصل، وهي السماوة التي يقول ياقوت عنها إنها بالبادية. قال وبادية السماوة التي هي بين الكوفة والشام. (المترجم)

بذلك حيث وافاه الأجل المحتوم في بلدة العقرة من أعمال العمادية. فتوفي إلى رحمة الله.

سليمان بك بن قلي بك بن سليمان بك

كان هذا الأمير عادلاً محباً للرعية، ومهتماً بشؤونها، مشهوراً بين حكام كردستان بحسن التدبير والتصرف ووفرة العقل والذكاء. ولقد صار حاكماً مستقلاً لإمارة (سهران) بعد وفاة والده وأخيه. ونظراً لما كان بينه وبين عشيرة (زرزا) من العداء والجفاء، فقد حشر سليمان بك، على حد مضمون الآية "وحشر لسليمان جنوده" نحو ثلاثة عشر ألفاً من المشاة والخيالة من الأكراد العتاة، فهجم بهم على ولاية زرزا فأطلق فيها يد النهب والسلب، وقتل أمير لوائها مع ثلاثمائة وخمسين نفراً من الضباط والأعيان البارزين من عشيرة (زرزا) وأقوامها، وقد أسر أهليهم وعيالهم وأتى بهم مقيدين إلى ولاية سهران؛ الأمر الذي حمل بقية السيوف من (زرزا) إلى شد الرحال إلى استانبول متظلمين باكين وشاكين حالهم إلى السلطان مراد خان الذي همَّ بادئ الأمر بعقاب سليمان بك معاقبة شديدة حتى يكون عبرة للغير. واتفق أن سليمان بك كان قد أغار حينئذ على بعض بلاد القزلباش (العجم) فأسر منهم خلقاً كثيراً وغنم أموالاً جمة، وأرسل منهم جمعاً كبيراً مع مبلغ عظيم من المال والتحف الثمينة إلى البلاط السلطاني. فنالت القبول والرضا لديه فغض السلطان النظر عن المخالفات التي كانت قد صدرت من سليمان بك وشمله بعفوه الشاهاني.

هذا وقد كان من يدعى (قباد بك) وهو متصرف سنجق تَرَكْ ومن أبناء عمومة سليمان بك، يكن له العداء وينازعه في حكم ولاية سهران، وقد استمر منه ذلك حيناً حتى إذا ما حلت سنة (٩٩٤هـ = ١٥٨٥ - ١٥٨٦م) بادر سليمان بك إلى الزحف والإغارة على خصمه هذا، فبطش به وبأربعة عشر نفراً من أقربائه وأعوانه وقضى عليهم قضاءً مبرماً. فصار حاكماً مستقلاً يهابه الصغير والكبير ويخافه القريب والبعيد، وخضع له الأمراء المجاورين، ثم إن هذا الأمير القوي الحازم وإن كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب إلا أنه كان يعتقد في مشايخ الطرق المنبثين في تلك البلاد، فيخلص لهم الطاعة ويمضي أوقاته معهم في الصلاة والصيام، وسائر العبادات بعيداً عن الشهوات وسفاسف الأمور والترهات؛ حتى حان أجله وأدركته الوفاة فطارت روحه الطاهرة من قفص البدن في أجنحة الجذبات الإلهية إلى فضاء الساحات اللاهوتية.

علي بك بن سليمان بك

تسلم هذا الأمير أريكة سهران بعد وفاة والده سليمان بك، وذلك بموجب مرسوم السلطان المغفور له الراحل[1] وهو قائم الآن مستقلاً سنة (١٠٠٥هـ=١٥٩٦م)، بأعباء الحكم في ولايته الموروثة هذه.

الفصل الثاني

في ذكر أمراء (البابان)

غير خاف على الفصحاء من المؤرخين، والبلغاء من الرواة المدققين، أن حكام البابان مشهورون بين حكام كردستان بكثرة الخيل والحشم ووفرة الأنصار والخدم. بيد أن أيام حكومة هذه السلالة - كما سنذكرها - انتهت حينما وصلت إلى بيربوداق البئ الذي هو محرف من لفظ الباباني وإلى أخيه بانقطاع نسليهما . فانتقلت حكومة هذه الأسرة إلى خدامها وغلمانها؛ ولم يبق احد منهم يصلح لتولي أمر الحكومة وشؤون الرئاسة.

بيربوداق بن مير أبدال

كان هذا الأمير كحاتم في السخاء، وكرستم في الشجاعة والبطولة فائقاً أقرانه في البسالة والجلد حائزاً لقصب السبق فيما خاضه من المعارك والمهالك. فبلغ به الأمر أن تاقت نفسه إلى العروج وطمحت إلى المعالي والخروج، فنزع ولاية لارجان[2] من عشيرة زرزا، وسيوى، ومشياكرد من سهران، وأخذ من القزلباش ولاية سلدوز. وجدد بناء قلعة ماران، ونصب لها حاكماً من قبله بلقب أمير اللواء. وأخضع عشيرتي مكري، وبانه، باللطف والعنف، وانتزع ولاية شهربازار من حاكم أردلان، وضمها إلى ولايته. وأرسل عدة عمال وموظفين بلقب مير سنجق من قبله إلى الأطراف والجوانب، ومنحهم الطبل والعلم، فنشر بذلك ألوية العدل والإدارة الحازمة في تلك الأرجاء. ثم عمد إلى ناحية (كركوك) من أعمال بغداد فنزعها منها، وأسند إدارتها لأحد عماله الملازمين له. ولقد أبدع في فن الحكم والإدارة بعض القواعد والأصول التي لم يسبق إليها أحد من

١- يقصد السلطان مراد خان الثالث (٩٨٣ - ١٠٠٣هـ- ١٥٧٥- ١٥٩٤م).

٢- الظاهر أنها لاهيجان الحالية بين اشنو، وارمية في المملكة الإيرانية. (المترجم)

حكام كردستان. فمن ذلك أنه كان يخطب بنات الأمراء والأعيان من رجاله لنفسه في بادئ الأمر، ويشرع في إعداد الجهاز اللازم بما يليق لكرامة هؤلاء الأعيان والأمراء. وفي يوم العقد والاحتفال بالزفاف يبادر إلى تزويج العروس إلى أحد الأعيان من رجاله، فيزفها إليه بتلك الأموال واللوازم التي أعدت من غير أن يطلع أحد على جلية الأمر.

هذا وقد حدث أن أخاً له يدعى رستم سولت له نفسه بتدبير أمر اغتياله، فأبلغه سراً أحد رجاله، المخلصين، ما يبيته له أخوه، فعمد إليه وإلى من معه من المفسدين المتآمرين، فبطش بهم جميعاً أثناء قيامه بالإغارة على عشيرة زرزا.

هذا ولما زحف پيربوداق بجيش جرار على إمارة سهران بقصد الاستيلاء عليها لم يصمد له أميرها سيدي بن شاه علي، بل اضطر إلى إخلاء مقر حكومته والالتجاء إلى قمم الجبال وأحراشها مترقباً الفرصة السانحة. الأمر الذي أدخل في نفس (پيربوداق) العجب والغرور، فخرج ذات يوم مع بضعة من خاصة رجاله إلى الجبال للصيد والطراد، فوصل إلى محل يدعى طريق (حزوبيان) غافلاً عما يحوطه من الخطر والتهلكة، فحدث أن خصمه الأمير سيدي كان هنالك في الكمين، فظهر بغتة وانقض على (پيربوداق) وقتله ومن معه من الرجال. فلم يبق أحد منهم سالماً من تلك المصيبة الدامية. قال الشاعر[1]:

معناه: "لوكانت السعادة طوع يدك، وكنت ملكاً في الدنيا، واستوليت على أقاليمها مثل (فريدون)، وكنت كقارون في الثراء، وغدا العالم رهن إشارة تاجك وعرشك، فاعلم أن ذلك كله مصيره الفناء والزوال".

ولقد عمد شعراء الكرد حينذاك إلى سيرة هذا الأمير وصفاته من الشجاعة والبسالة والسخاء والكرم، فنظموها في سلك القوافي والقصص، وتتناقلها الألسن وينشدها المغنون والمطربون في المجالس والمحافل لدى الحكام والأمراء بأنغام ومقامات خاصة بالقوم.

١- كرفتم كه ازيمن إقبال وبخت — شدى درجهان صاحب تاج وتخت
بكشور كشاى فريدون شدى — بكنج وزر افزون زنارون شدى
چو خورشيد دراوج نيك اخترى — بر أفراختى رايت سرورى
سخن مختصر جمله عالم تراست — سليماني وأفرست عرش ساست
هم اين اعتبارت بي اعتبار — همسه نيست كردد سرا نجام كار

ولما لم يكن لپيربوداق عقب يخلفه من الذكور، فقد قام مقامه ابن أخيه (بوداق ابن رستم) فمضى على حكم هذا الأمير سنتان ظهر في أثنائهما عد م خضوع الخدم والمماليك وأعيان الجيش كما ينبغي له من الخضوع والطاعة؛ مما سبب له قلقاً وانزعاجاً أوديا بحياته. وبذلك انقرضت دولة هذه الأسرة، وانتقل الحكم إلى خدامها وغلمانها.

هذا وأول رجل تولى حكم البابان بعد انهدام صرح هذه الأسرة القديمة هو من يدعى (پيرنظر بن بيرام) وكان متصفاً بالشجاعة والسخاء ومحبوباً لدى الرعية والجند، لما كان عليه من الخلق الحسن وحب الخير للغير، ونشر ألوية العدل والسلام بين الجميع. ولقد تمكن بقدرته القاهرة من نزع ناحية كفري من أعمال دار السلام (بغداد) وضمها إلى ولاية البابان. وقد انقسمت ولاية البابان بعده إلى قسمين: حيث كان هناك رجلان يدعى أحدهما (سليمان)، والآخر (مير إبراهيم) ممن رباهم (پيربوداق) وعهد إلى كل منهما بمنصب (مير سنجق) في أيامه. فاقتسما الحكم في ولاية البابان بعد وفاة (پيرنظر بن بيرام)، وعالجا شئون الحكم فيها متفقين معاً فترة من الزمن. ثم دب بينهما دبيب الخلاف بإفساد المفسدين وإغواء الوشاة، فتبدلت الصداقة بالعداء والمودة بالنضال؛ حتى ظفر سليمان بخصمه إبراهيم وقتله، وضم ما يخصه من البلاد إلى ما في حوزته من ولاية البابان.

ثم توفي (سليمان) إلى رحمة الله بعد أن حكم البلاد إحدى عشرة سنة تاركاً أربعة من الأولاد الذكور هم: حسين، ورستم، ومحمد، وسليمان.

وأما إبراهيم فقد حكم تسع سنوات نصف ولاية البابان على سبيل الاشتراك، بعد وفاة بيرنظر كما تقدم. ولما قتل على يدي (سليمان) كان له ثلاثة أولاد ذكور هم: حاجي شيخ، وأميره، ومير سليمان. فترك (حاجي شيخ بن إبراهيم) وطنه وفارق أهله بعد مقتل والده، ولجأ إلى بلاط الشاه طهماسب بديار العجم، بيد أنه لم يظفر منه بالمعونة التي كان يرجوها فعاد إلى بلده يائساً منكوباً. ثم تمكن من قتل وكلاء (مير عز الدين) أخي مير سليمان في ناحيتي (نلين) و(دباله) واستولى عليهما. وبعد وفاة مير سليمان تمكن من الاستيلاء على جميع ولاية البابان، وصار حاكمها المستقل. وقد ظهرت منه آثار العداء والتحدي نحو الشاه طهماسب الذي ساق عليه جيوش القزلباش ثلاث مرات، كانت الغلبة فيها جميعاً لحاجي شيخ، وألحق بالقزلباش هزيمة منكرة بالرغم من عدم مساعدة أحد من أمراء كردستان وحكامه له سوى ما كان من عون

بعض طلاب العلم والعلماء الذين التحقوا بجيشه للغزو والجهاد وقد تسلحوا بالقوس والنشاب.

وفي سنة (٩٤١هـ - ١٥٣٤م) التي فتح فيها السلطان سليمان (بغداد) دار السلام وقرر تمضية الشتاء فيها، بادر شيخ حاجي إلى الحضور إلى الموكب السلطاني ليسعد بالعتبات السامية، فلما وصل ناحية (مرگه) تصدى أهل هذه الجهة من الأكراد العتاة لمقاومته والحيلولة دون مروره حيث انتهزوا فرصة خروجه للصيد والطراد مع بضعة من مرافقيه، وهاجموه وهو يؤدي فريضة الصلاة، وقد نشبت معركة حامية حوله قتل فيها هو، وأخوه أميره. وقد خلف ولدين هما: بوداق، وصارم. وكان له أخ آخر يدعى سليمان مات حتف أنفه. هذا وقد عهد السلطان سليمان إلى ولده (بوداق) بولاية البابان حينما بلغ مسامعه ببغداد نبأ مقتل والده على أيدي أجلاف مرگه كما تقدم، فقام هذا الأمير بأعباء الحكم خير قيام ناشراً ألوية العدل والمساواة بين الرعايا والبرايا مدة ست عشرة سنة. إلى أن حرض بعض (الأعزة)، لأسباب سنذكرها فيما يأتي من الحوادث، حسين بك ولد مير سليمان على طلب حكومة البابان لنفسه، فصدر مرسوم من ديوان السلطان سليمان بإجابته لذلك. فتوجه حسين بك يعضده سلطان حسين حاكم العمادية نحو ولاية البابان، ولم يصمد بوداق بك لهما ولاذ بالفرار إلى ديار العجم لاجئاً إلى عتبات الشاه طهماسب. وبعد أن أمضى فيها مدة ستة شهور استقدمه الوزير الأعظم (رستم باشا) إلى استانبول، واستصدر مرسوماً سلطانياً بإسناد منصب ولاية البابان إليه والإنعام عليه بخلع سلطانية سنية، وقد أعادوه إلى ولايته الموروثة معززاً مكرماً. فلما بلغ بوداق بك موضعاً يقال له (رابية بولاق) وظهر حسين بك ولد مير سليمان بجيش قوامه ثمانية آلاف من الجنود المشاة والخيالة قاصداً محاربته وصده. وحين اشتعلت نار القتال، ولم يقتل بعد غير زهاء عشرة رجال لاذ حسين بك بالفرار إلى استانبول لاجئاً إلى عتبات السلطان سليمان. ولما عرض أمره بمعرفة العظماء من الأمراء على السلطان وتشرف بمقابلته، صدر المرسوم السلطاني بإشراكه مع بوداق بك في حكم ولاية البابان، وبألا يختلفا قط في هذا الأمر السلطاني، فبادر حسين بك إلى العودة إلى ولاية البابان. ولكن الأمور تعسرت عليه وتفاقمت حتى أفضت إلى الجدال والقتال. وأسفر ذلك عن مقتل حسين بك وأخيه رستم بك، ولما وصلت أنباء ذلك إلى مسامع السلطان باستانبول اشتد غضب جلالته على بوداق بك فصدرت أوامره للأمراء الأكراد المجاورين لولاية البابان بالزحف إلى

بوداق بك والقضاء عليه. فما كان من (بوداق بك) إلا أن لجأ إلى (سلطان حسين بك) حاكم العمادية إذ لم يكن له قدرة على المقاومة. فبادر سلطان حسين بك هذا إلى رفع أمر بوداق بك إلى العتبات السلطانية ملتمساً غض النظر عن جرائمه وشموله بالعفو السلطاني وإعادة منصبه الوراثي إليه. فأجاب السلطان الذي كان شديد العطف والميل إلى العفو ملتمس حاكم العمادية، فعفا عن بوداق بك وأسند إليه عوضاً عن ولاية البابان، سنجق عينتاب وأعطيت حصة بوداق بك من ولاية البابان إلى رجل يدعى ولي بك.

هذا ولما كان بوداق بك قد التزم جانب الأمير بايزيد، فذهب إليه في كوتاهية في الوقت الذي كان الأميران سليم، وبايزيد، يتنازعان[1] حول ولاية قونية، فقد صدر بشأنه الأمر إلى الأمير بايزيد من والده يقول بأنه إذا قتل بوداق بك البابانى الذي هو من مشيري السوء، وأرسل رأسه إلى البلاط السلطاني، فإنه يعفو عما صدر منه من جريمة العصيان، فما كان من الأمير بايزيد إلا أن أجاب طلب أبيه، وأقدم على قتل بوداق بك في كوتاهية، وأرسل رأسه إلى استانبول.

وقد خلف (بوداق بك) أربعة أولاد ذكور هم: حاجي شيخ، وحسين بك، ومحمد بك، ومير سيف الدين. فسافر حاجي شيخ مع الأمير بايزيد إلى ديار العجم، وقتل هناك مع حاشية الأمير بايزيد حين القبض عليه حسب أمر الشاه طهماسب. وأما مير سيف الدين فقد مات حتف أنفه، وأقطع محمد بك سنجق (كستانه) وهو الآن قائم بشؤونه.

مير حسين بن سليمان

لما وقعت ولاية بابان بعد وفاة والد الأمير حسين في يد (حاجي شيخ بن إبراهيم) لم يبق لهذا الأمير مجال للمقاومة، فلاذ بالفرار إلى بلاط الشاه طهماسب لاجئاً إليه ومستنجداً، فأمده الشاه مرة بقائده جراغ سلطان استاجلو والي دينور، فذهبا معاً إلى ولاية بابان، ولم ينالا شيئاً منها.

وفي المرة الثانية بعث الشاه معه القائد كوكجه سلطان القاجاري والي همذان الذي لم يقم بواجبه بدقة، فرجعا من الولاية من غير أن ينالا منها شيئاً. وفي المرة الثالثة عين الشاه طهماسب عبد الله خان استاجلو أمير الأمراء،

١- أنظر تفصيل هذا الحدث في حوادث سنة (٩٦٧هـ) وما يليها في الجزء الثاني من هذا الكتاب من الطبعة الروسية. (المترجم)

وسرداراً لجيش لجب، وأرسله لفتح ولاية بابان مع الأمير حسين الذي ساق هذا الجيش القزلباشي الكبير إلى جبل (الكلالة) الذي يكسوه الشجر من كل الجوانب لدرجة أن الثعابين لا تستطيع الحركة بيسر فيه. هناك التقى بخصمه حاجي شيخ ونشب القتال بين الطرفين. وكان والد كاتب هذه السطور أيضاً مع هذا الجيش السيء الحظ الذي أصيب بفشل ذريع وهزيمة منكرة؛ فقد مات أكثر من ثلاثين من رجال والدي الأعزاء في ميدان الوغى كما أن أكثر من ألفين من الطوائف القزلباشية صاروا طعمة للسيوف والخناجر وسائر أسلحة الهلاك والبوار، ولاذ من بقي من الضباط والقواد على قيد الحياة بالفرار حفاة عراة لا يلوون على شيء؛ الأمر الذي أثار ثائرة الشاه طهماسب، وغضب غضباً شديداً على الأمير حسين لسوء تدبيره، فألقى القبض عليه وعلى أخويه رستم ومحمد وحبسهم جميعاً في قلعة من قلاع بلاد العجم.

وبعد فترة أطلق الشاه سراحهم، فبادروا إلى الفرار من بلاد العجم إلى استانبول لاجئين إلى بلاط السلطان سليمان خان العثماني، فشملهم بعطفه الملكي السامي، وعين لهم ما يقوم بأودهم في ولاية الروملي فذهبوا إليها، وأمضوا هنالك ست سنوات توسط بعدها سلطان حسين بك حاكم العمادية في أمرهم، وتمكن من استدعائهم من الروملي وإسناد منصب إيالة بابان إليهم. هذا وبعد وقوع الحوادث التي سبق ذكرها آنفاً قتل (مير حسين بن سليمان) على يدي بوداق بك بن حاجي شيخ، تاركاً ولداً واحداً يدعى (خضر بك) تولى ناحية (مرگه) من أعمال بابان في فترة من الزمن، حتى إذا ما لجأ أميره بك المكري إلى بلاط المغفور له السلطان مراد خان منحرفاً عن القزلباش، ومستاء منهم بادر رجال الدولة العثمانية إلى نزع ناحية (مركه) هذه من متصرفها (خضر بك بن مير حسين) ومنحها إلى أحد أولاد أميره المذكور. الأمر الذي أفضى إلى الجدال والنقاش بين (خضر بك) و(وأميره بك). وفي خلال ذلك أدركت المنية خضر بك، فتوفي إلى رحمة الله. وبقيت عشيرة البابان لغاية الآن من غير حاكم، غير أن فيهم من القوة العسكرية زهاء أربعة آلاف فارس مسلحين تماماً، ولا يدينون بالطاعة لأحد.

وفي رواية أن عشيرتي الروزكي، والحكاري هم من نسل البابان التي يميل رجالها إلى الطاعة والمثوبة كل الميل، ويرغبون في إقامة شعائر الدين ونشر تعاليمه حيث يقوم منهم دائماً عباد صالحون ورجال فضلاء عالمون. وكل زعيم من زعماء هذه العشيرة يتصرف في إحدى نواحي هذه الديار، وقد تكفلوا جميعاً

بسداد أربعة أكياس من الذهب كل سنة لخزانة ولاية شهرزول. وبما أن أراضي ولاية البابان هذه داخلة في الأملاك الخاصة الهمايونية، فإن الأمناء والعمال من رجال الحكومة يعاملونهم بالمداراة والترضية. ويرسلون إليهم سنوياً نقوداً وهدايا، وإلا فإنهم لا يدفعون للميرميران والدفتردارية وسائر الأمناء والعمال ولا فلساً أحمر واحداً. ولا تزال الحال على هذا المنوال حتى هذا التاريخ الذي نحن فيه وهو سنة ألف وخمس للهجرة (١٥٩٦م).

الفصل الثالث

في ذكر حكام (مكري)

يستفاد من فحوى كلام الفضلاء العالمين بأسرار الحقائق والبيان أن نسب حكام مكري يرجع إلى قبيلة (المكرية) القاطنة في ناحية شهرزول.

وفي رواية بعض الثقاة أنهم منحدرون من نسل حكام البابان. والشائع على الألسنة أن مكارياً يدعى (سيف الدين) هو أصل هذه الأسرة التي اشتهرت بأسرة مكري؛ لكثرة الاستعمال والعلم عند الله.

وكان (سيف الدين) هذا فطناً حاد الذهن داهية واسع الحيلة، ذا دهاء ومكر وكان في بادئ أمره، وفي أواخر عهد السلاطين التراكمة، قد جمع حوله كثيراً من رجال عشيرة البابان، وسائر عشائر كردستان إذ استعان بهم على نزع ناحية (درياس) من طائفة (جابقلو) وتصرف فيها. وبعد مدة استولى على ناحية (دول باريك) ثم على أختاجي، وايلتمور، وسلدوز. وهكذا بسط سلطانه تدريجياً على تلك الجهات ولم يترك لأحد مجالاً للاستقلال والانفراد؛ بل إن جميع الطوائف التي التفت حوله قد سميت بمكرى، فصار سيف الدين هذا أمير تلك الديار فترة كبيرة إلى أن توفي إلى رحمة الله عن ولدين هما: صارم، وبابا عمر.

صارم بن سيف الدين مكري

لما تسلم هذا الأمير عرش والده وقام مقامه، عزم الشاه إسماعيل الصفوي على تسخير ولاية مكرى والقضاء على هذه الأسرة العصامية. فساق عليها جيوشاً جرارة نشبت المعارك بينهما مراراً. ولكن النصر كان حليف صارم بك والهزيمة ملازمة للقزلباش دائماً. ولبث الحال على هذا المنوال حتى حلت سنة اثنتي عشرة وتسعمائة هجرية (١٥٠٦م) فجاء الشاه إسماعيل وأمضى الشتاء في بلدة (خُوَى) وأرسل طائفة الشاملو بقيادة (عبدي بك) والد دورميش خان، ومعه المهردار صارو علي إلى قتال صارم بك، فذهبا لمحاربته ودارت رحى قتال عنيف بين الفريقين أسفر أخيراً عن مقتل القائدين مع جماعات كثيرة من أعيان وضباط الشاملو، وانتصر عليهم صارم انتصاراً باهراً. وأخيراً انضم صارم بك، ضمن من انضم من حكام كردستان إلى جانب العثمانيين في عهد السلطان سليم خان قامع الأكاسرة من ملوك إيران. وهكذا تخلص صارم بك من تحكم

القزلباش وتعرضهم له. ولما تولى عرش آل عثمان السلطان سليمان خان وارث ملك قياصرة الروم وإيران، خف صارم بك إلى بلاط السلطان سليمان خان مقدماً له الطاعة والإذعان، فصدر المرسوم الملكي السامي بإسناد منصب والده إليه على طريق الإقطاع التمليكي، وإعادته كما كان إلى ولايته. وما كاد الأمير يصل إلى وطنه المألوف ويستقر فيه إلا وأغار عليه جيش الموت، فكف يده عن التصرف في مدينة الحياة الفانية، ونقله إلى الدار الباقية. وقد خلف ثلاثة أولاد ذكور هم: قاسم، وإبراهيم، وحاجي عمر، ولكن أحداً منهم لم يذق طعم الدولة فقد ماتوا جميعاً في ريعان شبابهم.

هذا وكان لابن عمه (رستم بن بابا عمر بن سيف الدين) ثلاثة أولاد ذكور هم: شيخ حيدر، ومير نظر، ومير خضر: اقتسموا الولاية الموروثة بعد وفاة أولاد صارم بك بينهم، فخص الأخ الأكبر شيخ حيدر ناحية درياس، ودول باريك، وسلدوز وأختاجي. وخص مير نظر ناحية ايلتمور. وأخذ مير خضر ناحية (محمد شاه). واتفق الأخوة الثلاثة على تقديم الطاعة لبلاط الشاه طهماسب منحرفين عن آل عثمان وقد لبث الحال على هذا المنوال إلى أن حدثت فتنة (القاص ميرزا) في شهور سنة (٩٤٨هـ = ١٥٤١م) حين صدر أمر السلطان سليمان خان إلى كل من سلطان حسين حاكم العمادية، وزينل بك حاكم الحكاري، وأمراء برادوست من حكام كردستان بالزحف إلى حكام مكرى، فنشب القتال بين الفريقين ودارت رحى معركة دامية قتل فيها الأخوة الثلاثة. وقد خلف الشيخ جيدر ولدين هما: أميره، وحسين. وخلف مير نظر ولداً يدعى بيرام. وترك مير خضر ولدين هما: ألغ بك، ومير حسن. وكان كل هؤلاء صغاراً لا يصلحون للحكم.

أميره بك بن حاجي عمر بن صارم بن سيف الدين

لما وصل نبأ مقتل شيخ حيدر مسامع السلطان سليمان خان صدر أمره السامي حسب التماس أمراء كردستان، بإسناد إمارة مكرى إلى أميره بك الذي قام بمهام الأمور، وبحفظ وحراسة درياس، وعشيرة مكرى، بكل جدارة واقتدار مدة ثلاثين سنة كاملة، فقد أخلص الطاعة للسلطان وقام بواجبات منصبه حتى أدركته المنية عن ولد واحد يدعى مصطفى بك.

أميره بك بن شيخ حيدر

قدم بعد وفاة عمه طاعته لبلاط طهماسب، فأسند إليه الشاه منصب

ولاية (مكرى) فصار حاكمها المستقل فترة من الزمن. ولما توفي الشاه طهماسب بادر أميره بك إلى قزوين وتشرف بخدمة الشاه إسماعيل، فأكرم وفادته وشمله بعطفه. وقد عاد إلى مقر ملكه مقضي المرام. وعندما انتقل حكم إيران إلى الشاه محمد، وكان ضعيفاً جداً استبد الأمراء والقواد من القزلباشية بالأمور؛ مما سبب ظهور العسف والجور والفوضى في أنحاء ديار العجم. فاضطر أميره بك مع سائر أمراء وحكام كردستان، ولرستان، وأردلان بتوسط من محمد باشا ميرميران (وان) إلى الالتجاء إلى بلاط السلطان، مراد خان (ثالث)، في شهور سنة (٩٩١هـ=١٥٨٣م) فصدر المرسوم السلطاني بإلحاق، ولاية البابان، إلى ولايته الموروثة مع ضم سنجق الموصل إليه؛ كما منح أولاده سنجق أربيل، وجزءاً من توابع مراغه في ولاية تبريز. وقام أميره بك هذا بالاتفاق مع محمد باشا ميرميران وان في وسط الشتاء القارس بالزحف على (بكتاش قولي استاجلو بك) حاكم مراغه، عن طريق أورمى (أرمية). فلم يصمد هذا لهما ولاذ بالفرار تاركاً أمواله وأسبابه وأموال رعاياه عرضة للنهب والسلب، وكان من ضمنها خيول الشاه طهماسب المطهمة التي لم يكن لها نظير في وقت من الأوقات من حيث الكثرة والأصالة، وقد كانت ترعى حسب العادة منذ زمن طويل، في جهة (قراجيق)، فانتخبوا منها عدداً كبيراً وأتوا بها إلى (وان). قال الشاعر[1] :

معناه: "ألف من الخيول الأصيلة ذات الشكل الجميل المدللة لفارسها إذا شعرت بتهديد السوط سابقت الزمن كنوق البيداء في سرعتها أو طيور البحار في سباحتها".

هذا ولما عاد محمد باشا ميرميران وان من سفر مراغه ظافراً ومنتصراً أخذ ابن أميره بك معه، وسافر إلى أرضروم لخدمة السردار الأكرم فرهاد باشا؛ ليعرضا معاً حسن خدمة أميره بك وإخلاصه للبلاط العثماني. ولما بلغوا إلى أرضروم قام فرهاد باشا بعرض ذلك على جلالة السلطان الذي لم يكد يسمع بإخلاص وتعلق أميره بك بالبلاط العثماني إلا وأنعم عليه بولاية (مراغه) على طريق البكلربكية؛ بشرط أن ينتزعها من أيدي الرجال والعمال القزلباش. وبذلك صار الأمير في عداد الباشاوات العثمانية، وكتب اسمه في الأحكام والفرمانات أميره باشا.

١- الأبيات: هزار أسب نكو شكل خوش اندام   بكاه پويه تند ووقت زين رام
اكرسايه   فكندى   تازيانه   بيرون جستى زميدان زمانه
چو وحشى كور در صحرا تكاور   چوآبى مرغ در دريا شناور

هذا وقد كانت ناحية درياس قد أنعم بها منذ مدة على حسن بن خضر ابن عم أميره باشا، وهو الذي كان قد أطاع البلاط العثماني قبل أن يقدم أميره باشا الطاعة إليه. فلما وصل أميره باشا إلى هذه الناحية تهاون حسن بك في تسليمها إليه، وتحصن في قلعتها وأصر على المقاومة، وما كان من أميره باشا إلا أن حاصرها حصاراً شديداً وأجبر حسن بك على الخروج وقتله. وقد تمكن أخوه ألغ بك من الفرار فجأة من القلعة بمساعدة بعض الأعوان، والذهاب إلى خدمة فرهاد باشا السردار بأرضروم، ولم يلبث هنالك أيضاً خوفاً من سطوة أميره باشا ومكره، فلجأ إلى بلاط الشاه سلطان محمد، فأكرم هذا وفادته وشمله بعطفه، وأنعم عليه بحكومة ناحية (دهخوارقان)[1] من أعمال مراغه.

ثم عمد أميره باشا إلى أخيه حسين، فقتله لاتهامه بأنه كان ضالعاً مع أبناء عمومته في الثورة عليه. وهكذا قضى على جميع الذين حدثتهم أنفسهم بمخالفته من الأعداء صغارهم وكبارهم. وصار بعد ذلك حاكماً مستقلاً تمام الاستقلال وبعد فترة من الزمن سقطت تبريز دار سلطنة القزلباش في أيدي رجال الدولة العثمانية، وعين الوزير جعفر باشا محافظاً لها. فأراد هذا الباشا أن يخضع مراغه له أيضاً، فقد كانت من القديم تابعة لتبريز، ولكن أميره باشا الذي نال رتبة الميرميران لم يسعه ذلك وأبى الخضوع، فانتهز جعفر باشا الفرصة وأخذ يدس له لدى جلالة السلطان شيئاً فشيئاً مما أوغر صدره. فصدرت الأوامر برفع ولاية البابان، وسنجقي الموصل، وأربل، وسحبها عنه. ثم أوصلوه إلى حالة قالوا فيها إن مراغه من توابع تبريز، وإنها إذا لم تدخل ضمن الأملاك الخاصة الهمايونية لا يكون في الإمكان الصرف على نفقات الإدارة في ولاية تبريز، فلذا وجب تقديم خمسة عشر كيساً من الذهب كل سنة من حاصلات مراغه إلى خزينة تبريز؛ لينفق منها على أرزاق الجند. فاضطر أميره باشا لقبول دفع هذا المبلغ الجسيم كل سنة إلى خزينة تبريز. وقبض جعفر باشا عدة سنين هذا المبلغ من أميره باشا. ولكنه لم يكتف بهذا بل انتهز فرصة تجديد تحرير ولاية تبريز فأدخل مراغه في الأملاك الخاصة الهمايونية، وعين ملتزماً عن طريق السنجق يتعهد بدفع خمسة عشر كيساً من الذهب. الأمر الذي أفضى بعد عام واحد إلى تشتت أهالي مراغه، وجلائهم عن الوطن وتسرب الخراب إلى تلك البلدة العامرة تسرباً خطيراً، ولم يستطع أمير السنجق

١- لعله تطور كلمة (دهنخيرجان=خرقان) التي ذكرها ياقوت، فقال إن معناها قرية النخيرجان خازن كسرى. (المترجم)

أن يحصل على فلس واحد؛ كما لم يدخل خزينة الدولة غير كيس واحد من الذهب. وهكذا تجرد أميره باشا من جميع الملحقات التي كانت أضيفت إلى عهدته، وقنع بولايته الموروثة القديمة.

هذا ولما كان أميره باشا وأولاده العظام متصرفين لمراغه وتوابعها كان ابنه الأكبر شيخ حيدر قد عمر بأمر من السلطان مراد خان قلعة صاروقورعان من أعمال مراغه التي كان الأمير تيمور قد خربها وجعل عاليها سافلها، فتركها كومة من التراب. وقد صار يتصرف فيها إلى أن حلت سنة (١٠٠٢هـ =١٥٩٣-١٥٩٤م) وأحيلت ولاية تبريز إلى عهدة خضر باشا ميرميران بغداد، فرفع إليه أمناء مراغه أن سبب خراب مراغه ناشئ من قلعة بناها (شيخ حيدر) فما كان من خضر باشا إلا أن ألقى السمع إلى المفسدين، وعمد إلى إقطاع القلعة المذكورة ونواحيها بطريق السنجق إلى طائفة المحموديين التي بادرت إلى مناوأة شيخ حيدر وقتاله وقتل كل من حمزة، وقباد ابني أخي منصور بك من أولاد زينل بك، وهما زعيما عشيرة المحموديين مع جمع كثير من أتباعهما على أيدي المكريين (أتباع شيخ حيدر).

وفي سنة (١٠٠٣هـ =١٥٩٤ - ١٥٩٥م) زحف خضر باشا بتحريض من الطائفة المحمودية وسعاية من عوض بك بن حسن بك مير لواء مكّو (ماكو) إلى قلعة شيخ حيدر لتخريبها انتقاماً منه. فسلك الشيخ حيدر في بادئ الأمر مسلك الملاينة والجنوح إلى السلم، وتقديم ترضية، ودية، عن دماء قتلى طائفة المحموديين في القتال السابق. وذلك إرضاء للباشا وحمله على العودة والانصراف عنه. ولكن المحرضين لم يرق لهم هذا. فأصروا على حث الباشا على محاصرة القلعة وتضييق الخناق على من فيها، مما اضطر الشيخ حيدر إلى العدول عن التضرع والاعتذار والميل إلى الصلح فبادر إلى مقابلة الشدة بالشدة وشمر عن ساعد الجد والشجاعة، وتهيأ للضرب والطعان واصطف بجمع كبير من أبطال الكرد أمام جيش الباشا مستعداً لخوض غمار معارك دامية. يقول الشاعر في وصفها[1] :

معناه: "كادت الأكف تنفصل عن الأذرع، وأن تصبح الدروع كجلود القنافذ

١- الأبيات: زقبضه فشردن شد ازدست مشث — سپر شد زتير يلان خارپشت
خدنك فدائى نا اعتميد — زخون دليران شده سرخ بيد
شد از تيركردان چنان سردمه — كهبرف آرد أز باد صرصر دمه
چنان نيزه رادر زره رفت نيش — كه أفعى در آيد بسوراخ خويش

من غرز السهام فيها، وتضرجت هذه السهام بدماء الرجال حتى حكت لون العندم، واشتدت برودة الجو من سرعة تتابع سهام أبطال الأكراد كأنها عواصف ثلجية، وكان انغراس أسنة رماحهم في الدروع كالحيات النافرة إلى جحورها".

ولما التقى الجمعان واشتد الحرب، وقتل عوض بك في المعركة، وأخذت نار الحرب تأكل الأخضر واليابس، تدخل أميره باشا في الأمر ونزل ساحة الوغى مانعاً ابنه من الاستمرار في القتال ومواصلة الحرب. فقابل خضر باشا هذا الصنيع من أميره باشا بالميل إلى الصلح، وغادر في نفس اليوم ميدان الحرب قافلاً إلى بلاده.

هذا وكان لأميره باشا أربعة أولاد ذكور هم: بوداق بك، وقاسم، وشيخ حيدر، وحسين، كانوا قد بلغوا مناصب أمير السنجق حينما انضم والدهم إلى بلاط السلطان مراد خان. وقد مات بوداق بك حتف انفه. ولما قتل حسين بك أخاه الكبير قاسم بك بادر الشيخ حيدر إلى قتل حسين بك قصاصاً لأخيه. وهكذا لم يبق لأميره باشا الآن من الأولاد على قيد الحياة سوى (شيخ حيدر)

هذا والقلاع والنواحي التي بقيت حتى الآن في عهدة الوالد والولد، عدا ولايتهما الموروثة، هي نواحي: ترقه، وأجرى، وصاروقورغان، ودوآب، وليلان، وقلعتا ترقه، وصاروقورغان. هذه هي حالتهم الآن في وقت تحرير هذه السطور المتواضعة. والله عالم السر والخفيات أعلم بما يدبر لهم القدر.

الفصل الرابع

في ذكر حكام (برادوست) وينحصر هذا الفصل في شعبتين

لا يخفى أن أصل حكام برادوست من طائفة (الكوران). وفي رواية أصح أنهم من سلالة هلال بن بدر (بن) حسنويه الذين كانوا ملوك الدينور وشهره زول؛ فإن هلال لما قتل في حربه لشمس الدولة الديلمي والي همذان تشتت شمل أتباعه، وانفرط عقد دولته، فوقع أولاده في هذه الديار، وكانوا ثلاثة أخوة، فتولى أحدهم ولاية شهره زول بدل أبيه، والآخر تولى رئاسة عشيرة أكو. وأما الثالث فقد توجه في بادئ الأمر نحو ناحية خان ألماس من أعمال أورمى، وتصرف فيها بطريق التمليك. فازداد شأنهم يوماً بعد يوم حتى وصلوا إلى درجة الإمارة فيما يتصرفون فيه من البلاد.

هذا والشائع المعتقد بين أهالي برادوست أن حكامهم من أولاد من يدعى بلال. ولاشك في أن هذا خطأ ومحرف من كلمة هلال. وأرشد هذا البيت الكريم، وخلاصة هذه الأسرة النبيلة هو غازي قران ولد سلطان أحمد الذي تغلب على جمع كبير من القزلباش الذين كانوا بأورمى (أرمية)، وقتل منهم زهاء ألف نفس، وكان ذلك قبل خضوعه مع أمراء كردستان إلى الشاه إسماعيل. وقد أكرم الشاه إسماعيل وفادته وشمله بعطفه حينما تقدم أمراء وملوك كردستان إليه بالطاعة والولاء، وأنعم عليه الشاه بلقب (غازي قران)، وأقطعه نواحي تركور، وصوماي، ودول مع ملحقاتها، وأصدر منشوراً ملكياً بذلك. وأخيراً التحق غازي قران مع سائر أمراء وملوك كردستان ببلاط السلطان سليم خان وأخلصوا له الولاء والطاعة. وظهرت مواهب هذا الأمير الفذ حينما توجه السلطان سليم خان إلى فتح بلاد العجم قاصداً تبريز، وبلاد آذربيجان، وكان غازي قران بصحبة السلطان وموضع ثقته يستشيره في المهمات والملمات، فتوافق آراؤه ونصائحه تدابير وخطط السلطان لفتح بلاد العجم. فلذا بالغ في إكرامه والعطف عليه. وذلك بضم أجزاء كبيرة من ولايات أربل، وبغداد، وديار بكر، إلى إيراده من سنجقه الخاص. وهكذا أقبلت الدنيا عليه من كل الجوانب، فقام بأمور الحكم فترة طويلة. وقد عاش كثيراً ومات عن ولدين هما: محمد بك، وعلي بك.

الشعبة الأولى

في ذكر أمراء (صوماي)

شاه محمد بك بن غازي قران

خلف والده في الإمارة، وقام بضع سنين بأمر الحكومة خير قيام، ثم أدركته الوفاة تاركاً أربعة أولاد هم: بوداق بك، وحسن، واسكندر، وزينل. فانتقلت الإمارة إلى الابن الأكبر.

بوداق بك بن شاه محمد بك

تسلم بوداق بك أريكة الإمارة بعد وفاة والده بموجب مرسوم السلطان سليم خان. فقام بأعباء الحكم فترة من الزمن حتى أدركته المنية. وخلف أربعة أولاد هم: أوليا بك، وشاه محمد بك، وشاهقلي بك، وسيدي. ولما كان أولاده

هؤلاء صغاراً لا يصلحون لتولي شؤون الإمارة انتقلت حكومة برادوست إلى أخيه حسن بك.

حسن بك بن شاه محمد بك

تولى حكومة برادوست بعد وفاة أخيه بموجب المرسوم السلطاني. وأساء معاملة الأهالي ورؤساء العشائر وأعيان البلاد؛ كما انه أغضب الأمراء المجاورين له بسوء سلوكه معهم؛ الأمر الذي حملهم على الشكوى منه، والتقدم بشكواهم هذه بواسطة زينل بك إلى الآستانة العلية. فصدر الحكم الهمايوني إلى حسين باشا ميرميران وان، بالتحقيق مع حسن بك، فأحضروه إلى ديوان (وان)، وبعد التحري والتحقيق معه علقوه من رقبته على شجرة كانت في ساحة الديوان بسراي الحكومة. وأسندوا حكومة برادوست بعده إلى (علي بك).

علي بك بن غازي قران

تسلم هذا الأمير عرش إمارة برادوست بعد مقتل حسن بك، بموجب عرض ورأي حسين باشا ومرسوم السلطان سليم خان. فقام بأعباء الحكم فترة من الزمن. مال بعدها أهل برادوست إلى حكومة أوليا بك، وأظهروا نفورهم من حكم علي بك، فخفوا إلى استانبول يلتمسون إسناد حكومة برادوست إلى أوليا بك، فأُجيبوا إلى طلبهم بتحويل حكومة (أورمى) عن إسكندر بك بن شاه محمد بك، الذي كانت أسندت إليه أثناء تسخير خسرو باشا تلك الجهات، إلى علي بك، فحكم أورمى سنة واحدة، ثم توفي من غير عقب من الذكور. وأما إسكندر بك الذي عزل عن سنجق أورمى، فقد استغنى عن طلب الحكومة، واختار الاعتزال متفرغاً للعبادة.

أوليا بك بن بوداق بك بن شاه محمد بك

كان هذا الأمير صغيراً لما مات والده، فلذا بقيت حكومته الموروثة في أيدي أبناء عمه فترة من الزمن، وعندما بلغ سن الرشد وظهرت عليه مخايل الذكاء وعلامات الشجاعة والمقدرة والاستعداد لتولي الأمور العامة، أقبلت عليه العشائر والأقوام في برادوست وتعلقت به حتى إنهم أرسلوا وفداً إلى عتبة السلطان المغفور له (الظاهر مراد الثالث) ملتمسين إسناد إمارتهم إليه، فأُجيبوا إلى ذلك وصدر الأمر السلطاني بتحويل الإمارة من (علي بك) واسنادها إلى

أوليا بك في سنة (٩٨٥هـ = ١٥٧٧م) والآن الذي هو سنة (١٠٠٥هـ = ١٥٩٦-١٥٩٧م) لا تزال إمارة صوماي تحت تصرفه بغير منازع.

الشعبة الثانية

في ذكر أمراء (تركور وقلعة داود)

ناصر بك بن شير بك بن شيخ حسن بك

إن ناحية تَرْ كَوَر هذه قد عزلها من ولاية (برادوست) شخص يدعى (سلطان أحمد) من جدود وآباء أمراء تركور، وتصرف فيها بطريق السنجق. ففي تاريخ كتابة هذا المؤلف المتواضع، كانت ناحية تركور في حكم ناصر بك، ولا يزال الأمر كذلك. وناصر بك هذا رجل شجاع شديد الجرأة مع تقدمه في السن، فهو يبلغ من العمر أكثر من ثمانين عاماً، وقد خاض غمار الحرب والقتال مع عشيرة ديري الخاضعة لزينل بك الحكاري بسبب النزاع على الحدود والثغور، وقتل من الطرفين أكثر من مائة رجل. وقد اضطر للجلاء مراراً عن الوطن والالتجاء إلى بلاط الشاه طهماسب، وبالرغم عن ذلك فإن زينل بك الحكاري قد أحسن إلى ابنه شير بك ورباه تربية عالية حتى صلح للحكم، فأسند إليه على طريق السنجق حكومة (صوماي) التي فصلها عن حكم ناصر بك. ولكن شير بك لم يذق طعم الراحة من جراء ما أصاب والده من الأكدار، فراح ضحية الطاعون.

زين الدين بك

وانتقل منصب حكومة تركور (صوماي) بعد وفاة شير بك إلى (زين الدين) من أبناء عمومته. وقد قتل هذا الأمير في قتال القزلباش في موضع يقال له (سعد آباد) أثناء الإغارة على تبريز مع أمراء كردستان لفتح بلاد العجم، فانتهز ناصر بك الفرصة وعاد يضم ناحية تركور مرة أخرى إلى سنجقه. ولقد توصل من يدعى (خضر بك) إلى استصدار مرسوم من استانبول بإسناد الناحية المذكورة إلى نفسه بطريق السنجق. ولكن ناصر بك تمكن من قتل هذا الدعي.

وقد أعطيت الناحية المذكورة بعد ذلك إلى يوسف بك، ثم إلى شاه محمد بك، وبعده إلى حسيني بك بن شيخ حسين بك. وفعلاً هو أمير الناحية المذكورة الآن.

هذا وقد خلف (ناصر بك) ثمانية أولاد ذكور هم: شير بك، يوسف بك، قره خان، صاروخان، شاه محمد، تيمور خان، حسيني، حيدر. وقد توفي إلى رحمة الله شير بك مصاباً بالطاعون كما سبق. وأما يوسف بك، وتيمور خان من أولاده فقد قتلا على يد خضر بك؛ كما أن ابنه صاروخان قتل على يد أخيه حسيني بك.

الفصل الخامس

في ذكر أمراء (المحمودية)

لا يخفى على صاحب الطبع السليم والذهن المستقيم من عشاق الحقائق، وعلى المؤرخين الباحثين عن الحوادث الظاهرة وبواطن الدقائق؛ أن نسب أمراء محمودى يتصل بسلاطين الحكومة المروانية. وفي رواية أخرى أنهم أولاد عم حكام الجزيرة؛ فإنه يحكى أن رجلاً يدعى شيخ محمود قد نزح بأتباعه وعشيرته، في رواية من الشام. وفي أخرى من الجزيرة العمرية، إلى جهة آذربيجان في عهد التركمان القره قوينلية. فأقطعهم (قرا يوسف) قلعة (آشوت)[1]، لسكناهم، وأدخل رئيسهم شيخ محمود في عداد ضباطه وياورانه. ولما ظهرت مواهب هذا الرئيس في ميدان الوغى والقتال من الجرأة والإقدام، شمله قرا يوسف بعطفه وأناله ثقته. حتى أسند إليه إمارة ناحية آشوت مع ناحية خوشاب، وجعله أميراً عليهما جميعاً وسميت الإمارة إمارة المحمودية.

الأمير حسين بك بن شيخ محمود

تولى الإمارة بعد وفاة والده. وازداد شأنه في عهد سلاطين الآق قوينلية حيث فصلت ناحية (ألباق) من حكام الحكاري، وضمت إلى حكومة الأمير حسين. ولقد ألحق هزيمة منكرة عدة مرات بجيش (عز الدين شير) واستولى على ولاية شنبو بفضل مساعدة التراكمة له مما اضطر عز الدين شير إلى الاستنجاد بحاكم بدليس على رد عادية طائفة المحمودية، فأرسل حاكم بدليس جيشاً عرمرماً بقيادة شيخ أمير بلباس نجدة لعز الدين شير وبينما كان الأمير

١- ليس في المصادر القديمة التي بأيدينا ذكر لهذا الاسم، وفي المصادر الحديثة مذكور (آشيت) بالياء ولعلهما تصحيف وتحريف كلمة (آشب) الواردة في المعجم حيث قال إنها أصل قلعة العمادية الحالية. (المترجم)

حسين معسكراً بكل عظمة على شاطئ نهر (خوشاب) الشهير باسم (چم مير = نهر مير أحمد) فإذا بشيخ أمير بلباسی مع جنود عز الدين شير ينقضون عليه، ونشب القتال بين الفريقين، وعلت أصوات أبطال الكرد وصراخهم الذي يزلزل الأقدام إلى عنان السماء، فقتل مير حسين في معمعان المعركة. وله ولد واحد يدعى (مير حامد).

مير حامد بن مير حسين

تولى أريكة الإمارة بعد مقتل أبيه، فانخرط مثله أيضاً في سلك أمراء القزلباش فترة من الزمن. ولما أسلم روحه إلى بارئها كان له ثلاثة أولاد هم: مير شمس الدين، وعوض بك، وأميره بك.

عوض بك بن مير حامد

تولى هذا الأمير منصب مير لواء خوشاب بعد وفاة أبيه، فقام برئاسة عشيرة محمودي. ثم اختلف مع أوركمز سلطان حاكم وان، ووسطان، من قبل الشاه اسماعيل، اختلافاً شديداً. وحدث أن تمكن أوركمز سلطان من القبض على عوض بك، واعتقله في قلعة وان. وفي خلال ذلك سنحت الفرصة لعوض بك أن يرسل إلى شرف خان حاكم بدليس يستنجد به، فبعث شرف خان في بادئ الأمر إلى أوركمز سلطان كتاباً يرجو فيه إطلاق سراح عوض بك، ولكن أوركمز سلطان أبى ذلك. فاضطر شرف خان إلى التوجه بنفسه إلى وان، وعسكر على شاطئ نهر خركوم، وصمم على إطلاق سبيل عوض بك. ولكن أوركمز سلطان تهاون أيضاً في ذلك، فأفضى الأمر إلى التصادم بين الطرفين، وقد أمر شرف خان جنوده بنهب البلاد بأطراف وان، ووسطان، مما حمل أوركمز سلطان على الرضوخ لطلبه وإطلاق سراح عوض بك، وإرساله إلى شرف خان. وبعد فترة غير قصيرة انخرط عوض بك في سلك أمراء وقواد الشاه طهماسب الذي شمله بعطفه، وضم ناحية ألباق إلى ناحية خوشاب وعهد بإمارتهما إليه، فقام بشؤون الإمارة فترة من الزمن.

ولما أدركت المنية عوض بك كان له خمسة أولاد هم: حسين قلي بك، شاه علي بك، حمزه، حسن، بوداق. فحسين قلي بك قام بحكومة ناحية كارجيكان (قارجقان) التي منحه إياها على طريق السنجق السلطان سليمان خان بعد استيلائه على إمارة بدليس. وأخيراً عزل عنها، وذهب إلى ديار بكر حيث توفي

بها عن ولد يدعى (بايندور بك) الذي أسند إليه منصب قلعة نوان من أعمال (خوى) من يوم فتحها بموجب حكم السلطان المغفور له (مراد الثالث) على طريق السنجق. ولا يزال بها. وأما شاه علي بك فقد تولى منصب إمارة المحمودى من قبل الشاه طهماسب مدة من الزمن إلى أن قتله (حسين بك بن أميره بك) مير لواء ألباق، وقد خلف ولداً يدعى خالد بك. وهو يشغل الآن منصب ناحية جورس على طريق السنجق. كما أن ابنه الآخر حمزه بك اضطر بعد أخيه لملازمة (دلو پيري) مع طائفة المحمودى من أمراء القزلباش الذي كان قد عهد إليه بمنصب إمارة محمودى حسب أمر الشاه طهماسب. وأخيراً قتلت طائفة المحمودى دلو بيري هذا، ونصبت حمزه بك أميراً عليها. ولكن الشاه طهماسب تمكن من القبض عليه بالقوة، واعتقله مدة من الزمن، ثم أطلق سبيله، وكلفه هو وبعضاً من أعيان طائفة المحمودى وزعمائها لملازمة (حاجي بك الدنبلي). وأخيراً قتل حمزه بك مع الأعيان المذكورين على يد حاجي بك الدنبلي في خوى، وأحيلت حكومة المحمودى من قبل الشاه إلى خان محمد بن شمس الدين بن مير حامد الذي قبض عليه بعد بضعة أيام شاه علي سلطان حسيني حاكم وان، واعتقله في قلعة وان، واستصدر مرسوماً من ديوان الشاه بإسناد ولاية المحمودى إلى طائفة الدنبلي التي قدمت الطاعة مع عشيرة مام رشان الذين كان عدد منهم متحصنين في آغجه قلعة، وآخرون في قلعة خوشاب، إلى حاجي بك، والتزموا كلهم جانبه. وحدث أن تخلص (خان محمد) من معتقله في وان، وتمكن من الوصول إلى جماعة (المام رشى) الذين كانوا في آغجه قلعة. ولما بلغ نبأ ذلك إلى مسامع جماعة (المحمودى) هبوا لملازمة خان محمد. وفي ليلة ليلاء بادروا إلى مباغتة حاجي بك الدنبلي الذي كان على قلعة آشوت فهزموه شر هزيمة وجرحوه جرحاً بليغاً. غير أنه نجا بأعجوبة وبكل صعوبة من الغمرات التي أحاطت به. فتمكن من دخول قلعة آشوت؛ حيث قتل أمامها خلق كثير من الدنبلية. ولم يكتف خان محمد بهذا، بل أرسل إلى (رستم باشا) مير ميران ديار بكر يظهر خضوعه، وطاعته لبلاط السلطان سليمان خان. وما كاد نبأ هذا التدبير يصل إلى مسامع الشاه طهماسب إلا وأصدر منشوراً شاهانياً بإسناد إمارة المحمودى إلى خان محمد. فانتهى الأمر على هذا الحال مدة من الزمن.

وأخيراً وجه منصب حكومة المحمودى من ديوان الشاه طهماسب إلى حسن بك، فما وسع خان محمد إلا أن يتنازل راضياً عن إمارة المحمودى مكتفياً بناحية (آغچه قلعة) وبراتب يومي قدره مائة آقجه من الديوان العثماني يتقاضاه من خزانة الدولة بديار بكر منخرطاً في سلك المتفرقة كان في حامية

وان. وقد عمر طويلاً وظهرت منه آثار شجاعة وبسالة نادرة ﴿ سبيل الدفاع عن الحدود العثمانية ضد القزلباش. هذا وكان له ثلاثة أولاد ذكور[1]، هم: ملك خليل، ومير شمس الدين، وسيد محمد. وقد دب النزاع بينهم بعد وفاة والدهم حول تملك آغچه قلعة فقتل ملك خليل على يدي أخيه ﴿ هذا النزاع. وأما ابنه سيد محمد فقد كان توفي ﴿ حياة أبيه. فالآن يحكم آغچه قلعة ابنه مير شمس الدين. وهو شاب ﴿ غاية الشجاعة والكفاية.

أميره بك بن مير حامد

فوض أمر حكومة المحمودي بعد وفاة عوض بك، من ديوان القزلباش إلى هذا الأمير، ففي الحرب التي قامت بين شرف خان حاكم بدليس، وبين أولمه تكلو انحاز أميره بك هذا يوم المصاف إلى جانب (اولمه) مغاضباً شرف خان وجنده. وهنالك أيضاً لم يظهر منه ما يدل على صداقته وإخلاصه، فاتجه نحو بلاط الشاه طهماسب. ولما بلغ نبأ هذه الأحوال إلى مسامع السلطان سليمان خان، وهو عائد من قشلاق ببغداد، متوجهاً إلى فتح (تبريز)، بادر السلطان، حين بلغ سهل (أوجان)، حيث كان أميره بك حاضراً فيه، أيضاً، ليقدم الطاعة مرة أخرى، إلى إرسال ضابط من البلاط السلطاني ليحضر به إلى الديوان. ولكن القلق ساور الأمير وتجلت فيه حكمة القول المأثور (الخائن خائف) فأشار على الأكراد بالقضاء على الضابط المذكور والاستعداد للحرب والمقاومة. ولما شاعت أنباء هذا الحادث الشنيع بين الناس ﴿ المعسكر السلطاني صدر الأمر بالهجوم عليه من كل الجهات وإلقاء القبض عليه، وقد هاجموه وقتلوا من معه من الرجال، وألقوا القبض عليه وعلى من بقي منهم، وحضروا بهم إلى الديوان، فصدرت الإشارة السلطانية توأ بإعدامه. وقد خلف ولدين ذكرين صغيرين هما: منصور بك، وزينل بك. ولما بلغا أشدهما وصارا يدركان الأمور اتفق رأيهما على التوجه إلى بلاط الشاه طهماسب، ﴿ نفس السنة التي كان السلطان سليمان اختار الزحف على (نخجوان) للاستيلاء عليها. فما كان من الشاه طهماسب إلا أن عطف عليهما، فأقطع ناحية (سكمن آباد) من أعمال (خوى) على سبيل السنجق ومدى الحياة لمنصور بك، وأدخل أخاه زينل بك ﴿ سلك الضباط العظام من حرسه الشاهاني الخاص. وقد دام الحال على هذا المنوال حتى انتقل الحكم ﴿ إيران إلى الشاه إسماعيل الثاني، فخف منصور بك إلى بلاط

١- ﴿ النسخة المطبوعة بروسيا (أربعة) بدل ثلاثة من غير أن يذكر الرابع. (المترجم)

الشاه الجديد، فأكرم وفادته وشمله بعطفه وغالي ثقته. هذا وبعد وفاة الشاه إسماعيل، وتوتر العلاقات بين سلاطين ذلك الزمن حتى أفضى الأمر إلى امتشاق الحسام، حضر منصور بك إلى (وان) على أمل أن يعهد إليه من الديوان العثماني بسنجقية باركيرى على طريق التمليك والرزقة، وذلك بواسطة ومعرفة خسرو باشا مير ميران وان، فنفذ الوعد وأضيف إليه ما منحه من ناحية موش ليكون له مورد العيش (آربه لق). كما أن أخاه (زينل بك) وجهت إليه الزعامة في تلك الجهات. فلبث في ذلك حتى توفي إلى رحمة الله عن ولدين هما: حمزه بك، وقباد بك. ففي سنة (١٠٠٢هـ = ١٥٩٣- ١٥٩٤م) أعطيت ناحية سلدوز من أعمال مراغه على طريق السنجق، وبموجب عرض جعفر باشا إلى ابنه حمزه بك. ولما توجهت طائفة من عشائر المحمودى إلى ناحية (سلدوز) — كما سبق ذكره في أحوال المكريين — ونازعت (شيخ حيدر) وخاصمته أفضى الأمر إلى التصادم به. وقد قتل في المعركة حمزه بك، وأخوه قباد بك ومعهم زهاء مائة نفر من رجال عشيرة المحمودى وأتباعه، ونهب المكريون أموالهم وأسبابهم.

حسن بك بن عوض بك بن مير حامد

هذا الأمير الهمام هو الذي أقدم على القضاء على بدعة نحلة اليزيدية من بين عشيرة المحمودى، فقد قام بتنفيذ شعائر الإسلام على مذهب أهل السنة والجماعة من صوم، وصلاة، وحج وزكاة، وحث أولاده على تعلم القرآن وحفظه، ورغبهم في معرفة الفرائض، والواجبات، والسنن، ولم يكتف بذلك بل عمد إلى تشييد المدارس، والمساجد في كل قرية.

وقد سبق القول أنه حينما أعطيت حكومة إمارة المحمودى إلى (خان محمد ابن مير شمس الدين) اضطر حسن بك إلى الفرار إلى إيران والالتجاء إلى بلاط الشاه طهماسب حيث أكرم السلطان وفادته وأولاه ثقته، وبالغ في الإنعام عليه حتى أعاد إليه منصب حكومة المحمودى، وضم إليه قلعة (خوشاب) أيضاً، وأذن له بالانصراف إلى مقر حكمه. ولما رأى خان محمد أن الدنيا قد أقبلت على حسن بك تنازل له عن حكومة المحمودى برضاه مكتفياً بجهة (آغچه قلعة) التي كان آباؤه وأجداده يتصرفون فيها من القديم، وإزاء هذا لم يتعرض له حسن بك وتركه آمناً. ولكن حسن بك اضطر حين توجه السلطان سليمان خان إلى (آذربيجان) بقصد فتح بلاد إيران، إلى الالتجاء إلى عتبات السلطان السامية، ونال الثقة وأنعم عليه بمنصب حكومة (خوشاب) و(محمودى) مما جعله يخلص

الطاعة والخدمة للسدة السلطانية ابتداء من ذلك التاريخ.

وقد ظهرت منه آثار شجاعة فائقة، وبطولة خارقة في أثناء قيام (إسكندر باشا) مير ميران (وان) بالزحف على (حاجي بك) الدنبلي الذي قتل في ساحة الوغى نتيجة لهذه المعارك. الأمر الذي حمل إسكندر باشا على أن يعرض حقيقة أحوال حسن بك على الخلافة السليمانية، فأغدق السلطان عليه نعمه وبالغ في إكرامه. فمن ذلك أنه أنعم عليه خلعاً سنية يفتخر بها على أقرانه، ومنحه سيفاً ذهبياً وأقطعه (معاشاً) قرى ومزارع من الأملاك الهمايونية الكائنة بولاية (ديار بكر) يبلغ إيرادها السنوي مائتي ألف آقچه، وقد سلم له حكم همايوني بإعفائه من الرسوم والضرائب التي تؤخذ على الأغنام والمواشي التي تمتلكها عشيرة المحمودى، في ترددها بين المصايف والمشاتي من المراعي، وكانت تقدر بأكثر من ثلاثين ألف رأس غنم. والحق أن الأمير لم يقصر قط في الإخلاص للدولة والتفاني في تنفيذ أوامرها بكل شجاعة وبطولة. ولاسيما في عهد السلطان المغفور له مراد خان حينما توجه بجيش عثماني عرمرم إلى فتح إيران. فقد علا شأن حسن بك وتقدمت عشيرة المحمودى في مدارج الصداقة وبعد الهمة ونيل المراتب والمناصب العالية من الديوان العثماني، مما لم يسبق له نظير بين أمراء كردستان. ولما حصل بينه وبين سلطان أحمد حاكم خيزان نزاع على الأسبقية في التشريفات في ديوان وان، وكان ذلك في عهد (إسكندر باشا) صدر حكم همايوني بتقدمه على جميع الأمراء، ما عدا (زينل بك) حاكم حكاري. وهكذا ابتسم له الدهر فترة كبيرة من الزمن، فحكم الإمارة خمسين سنة كاملة بالاستقلال التام، حتى قتل في سبيل فتح (تبريز)، على أيدي القزلباش، في موضع يقال له (سعد آباد)، سنة (٩٩٣هـ = ١٥٨٥م). وبعد عام من هذا التاريخ عمد رجال الجيش العثماني الظافر بقيادة الوزير (فرهاد باشا) وبمعاونة (جعفرياشا) مير ميران تبريز إلى جمع رفاته، وإحضارها إلى (خوشاب) مقر إمارته، ودفنها في المدرسة العلمية التي كان قد بناها بنفسه. وقد خلف ثلاثة أولاد ذكور هم: عوض، وشير بك، وشيخي بك. أما (عوض بك)[1] فقد عُهد إليه على طريق الاوجاقلق والتمليك الإقطاعي منصب حكومة (ماكو) من أعمال نخجوان في حياة أبيه على شرط أن ينزعها من أيدي القزلباش وأن يبني قلعة بها. وبعد أن أمضى هنالك عشرين سنة على هذا المنوال توجه في أواخر سنة (١٠٠٢هـ = ١٥٩٣- ١٥٩٤م) مع خضر باشا مير ميران تبريز لمحاربة الشيخ

١- بياض في النسخة المطبوعة بروسيا فكمّل من نسخة مصر وغيرها.

حيدر بقصد الانتقام منه لابني عمه حمزه بك، وقباد بك، فقتل هو ومن معه من الرجال على يد الشيخ في المعركة كما سبق ذكره. وأعطيت حكومة سنجق ماكو، كما كانت في تصرف عوض بك، لابنه مصطفى بك بمرسوم من السلطان محمد خان (ثالث)، وهو قائم بالحكم فعلاً. ولقد كان المدعو علي بك ابن مصطفى بك قائماً بمنصب حكومة (أردوباد) من أعمال نخجوان على طريق السنجق فترة من الزمن.

هذا وكان أكثر بني أعمام حسن بك، وجل أعيان عشيرة المحمودى وزعمائها قد وصلوا إلى مراتب عالية ومناصب إدارية خطيرة، بفضل ما وصل إليه حسن بك من علو الشأن ورفعة القدر؛ حيث أسندت الزعامات والتيمارات في القرى والمزارع الغنية التي انتزعت من أيدي القزلباش في ولايتي آذربيجان، وأرمينية إلى هؤلاء الأمراء والأعيان من عشيرة المحمودى على سبيل الإقطاع التمليكي. ولا شك في أن حسن بك كان رجلاً إدارياً حازماً، وسياسياً ماهراً، وأميراً عادلاً أحبته الناس والجمهور وتعلقت به العشائر والأقوام.

وقد جمع ما صدر منه ومن أولاده ورجال عشيرته من خضوعه لسلطان الدولة العثمانية حتى وفاته من أعمال البطولة والخدم الجليلة، وآيات الإخلاص والولاء لسلاطين آل عثمان، في دفتر خاص شرح كل باب من أبوابه شرحاً وافياً، ثم حصل على خطوط وأختام وتوقيعات بكلربكية وان، ودفتردارتها، وقضاتها، وسائر الأمراء الأكراد على ذلك الدفتر. وبعد ذلك قدمه إلى القواد العظام من السردارين والمشيرين للتصديق. وأخيراً أرسله إلى عتبات السلطان المغفور له مراد خان، فتحلى صدره بطغراء السلطان، وأصبح حجة ثمينة في يده يستعملها كلما سنحت له مطالب ومقاصد لدى الديوان العالي السلطاني، أو يدفع بها حجة المعاندين والمنافسين له في المجالس والمعارك فيصرعهم بها.

هذا وكان (شير بك بن حسن بك)، قد تنازل له والده في حياته عن حكومة سنجق خوشاب، وإمارة المحمودى في الوقت الذي كان ابنه الكبير عوض بك قائماً بأمور سنجق (ماكو). وفي الواقع أن شير بك هذا كان طيب القلب وصوفي المشرب يميل إلى أهل العلم والزهد، ويقضي أوقاته في صحبة العلماء والفضلاء والمشايخ من الصوفية وقد حج إلى بيت الله الحرام وهو لا يفتأ يتصدق على الفقراء والدراويش ويحسن إلى أهل العلم والعبادة، مما جعل الناس قاطبة راضين عن سلوكه وحسن طويته. وقد مضى الآن اثنتا عشرة سنة على قيامه بأعباء إمارة (خوشاب) ورئاسة أعيان ورجال عشيرة المحمودى.

الفصل السادس

في ذكر أمراء (دنبلي)

يؤخذ من تقارير ثقاة الرواة أن نسب أمراء الدنبلية يرجع إلى رجل من أعراب الشام يدعى (عيسى). وفي رواية أخرى أنه كان من أهالي الجزيرة[1] العمرية، رحل إلى نواحي آذربيجان، فأقطعه السلاطين السابقون ناحية (سكمن آباد) من أعمال (خوى) على سبيل الارتزاق (أوجاق)، فتوطن بها مدة من الزمن حيث علا شأنه يوماً بعد يوم، وقد التف حوله جمع كثير من العشائر والقبائل.

هذا وكانت الأمراء والعشائر الدنبلية في بادئ الأمر على نحلة اليزيدية المكروهة، وأخيراً عاد منهم الأمراء الذين اشتهروا بـ (عيسى بك)، وبعض من العشائر الأخرى إلى مذهب أهل السنة والجماعة، ولا يزال هنالك بعض من هؤلاء مصرون على عقيدتهم الفاسدة. ولكن الرواية الصحيحة هي أن العشائر الدنبلية قادمة من ولاية البختي[2]، فيطلق عليهم بين الأكراد اسم (دنبلى بخت). ولقد وصل إلى المراتب العالية في عهد تراكمة الآق قوينلية شخص من أولاد عيسى بك يدعى الشيخ أحمد بك، وقد أسندوا إليه حكومة قلعة (باي) وجزءاً من ولاية حكاري حينما استولوا عليها؛ فهكذا كانت حكومة قلعة باي في عهدة الطائفة الدنبلية. ولما توفي شيخ أحمد بك إلى رحمة الله كان قد خلف ولدين هما : شيخ إبراهيم، والشخ بهلول.

شيخ بهلول

تولى الحكم بعد أبيه بموجب وصيته، فقام بأعباء الإدارة فترة من الزمن حتى إذا ما وفاه القدر المحتوم، ارتحل إلى عالم الآخرة عن سبعة من الأولاد الذكور هم: جمشيد بك، محمد بك، خالق ويردى بك، حاجي بك، أحمد بك، إسماعيل بك، جعفر بك.

حاجي بك بن شيخ بهلول بك

كان له سابق إخلاص ومزيد اختصاص ببلاط الشاه طهماسب الذي شمله

١- هي ما تسمى بين الأكراد السكان الأصليين والمحليين بجزيرا بهتان، وبالتركية (جزره).

٢- منطقة البهتان (البختان) الحالية. (المترجم)

بعطفه السامي وثقته الغالية؛ حيث ضم إقليم خوى إلى (سگمن آباد) وجعلهما إيالة مستقلة عهد بها إليه مع تلقيبه بحاجي سلطان، وقد وكّل إليه أيضاً حراسة حدود (وان) والمحافظة على غيرها من الثغور والقلاع، الأمر الذي جعل الأكراد الذين عاشوا طوال عمرهم في السهول والجبال كالمردة والعفاريت لم يشاهدوا في منامهم ولا صحوهم أثراً من آثار العمران والاجتماع يترددون إلى قصبة (خوى)، فيظن كل واحد منهم أنه بطل من أبطال إيران القدماء (گودرز) و(گيو) و(سام نريمان) قائلين: إن الشاه طهماسب ما وضعنا أمام عسكر الروم[1] إلا لفرط شجاعتنا، وشدة بأسنا، إلى غير ذلك من الادعاءات التي دلت على العجب الزائد والغرور المتناهي. قال الشاعر[2]:

معناه: "فقد كردي حماره في الكعبة، فجرى فيها مسرعاً زاعماً أنها كالصحراء متعجباً من ضياع حماره، وأخيراً رأى حماره خلفه، فقال ضاحكاً لولا اهتمامي وإلحاحي في البحث لكنت مرغماً على حمل حمله". فمن الشائع على الألسنة والأفواه أن بضعة من أعيان هؤلاء الدنبلية، دخلوا ذات يوم دكان بائع للحلوى، فأكلوا منها كثيراً، ثم أخذوا ينصرفون من غير أن ينقدوا الرجل الثمن. فلما طالبهم به أجابوا بأن الشاه أعطانا هذه البلدة بحلوائها ! حتى اشتهر مقالهم هذا بالتركي في جميع أرجاء المدينة: شهر بزم حلوا بزم (المدينة لنا والحلوى لنا). ويحكى أيضاً عن هذه الجماعة أن حشداً من مسلمي الدنبلية ذهبوا يوماً من أيام الجمع لسماع خطبة الجمعة في جامع (خوى)، فشرع الخطيب يذكر أسماء الأئمة الإثنى عشر حسب عادة ومذهب الشيعة الإمامية، فما كان منهم إلا أن أعرضوا عن السماع متسائلين ما شأن هذا الخطيب لا يذكر اسم (حاجي بك) وأخوته، ويذكر اسم جعفر بك الذي هو أخوهم الصغير، وحيث إنه لا يدخل اسم حاجي بك وأخوته في خطبة الجمعة فإنا لا نحضر صلاة الجمعة. وهكذا ينقل عن هؤلاء البسطاء كثيرٌ من النكات والدعابات نضرب صفحاً عن الإطالة فيها.

١- الترك العثمانيين. (المترجم)

٢- كردى خركى بكعبه كم كرد   در كعبه دويد واشتلم كرد
كين باديه راچه ره دراز است   كم كردن خرز من چه راز است
أين كفت چوكرد بازيس ديد   خرديد وچوديد خريخنديد
كفتا حرم ازميانه كم بود   وايافتنش زاشتلم بود
كراشتلمى نمى زدى كرد   خرميشد وبارنيز ميبرد

وصفوة القول إن حاجي بك لم يمض على حكومته في خوى إلا وقت قليل حتى قام عدة مرات بمهاجمة عشيرة المحمودى، للانتقام بسبب العداوة القديمة التي كانت بينهم؛ بيد أنه لم ينل من خصومه شيئاً في كل المرات التي قصدهم فيها كما سبق ذكره في شرح أحوال طائفة المحمودى. وأخيراً قام إسكندر باشا بتحريض من حسن بك، وخان محمد المحمودى بزحف مفاجئ إلى حاجي بك بخوى، فقتله مع جماعة كبيرة من الدنبلية. وخلف حاجي بك ولداً ضغيراً.

أحمد بك بن بهلول بك

كان أحمد بك في بادئ أمره قد فوض إليه من ديوان الشاه طهماسب أمر ناحية سكمن آباد. ولما كانت عشيرة دنبلى صارت مترددة بين الرومى والقزلباش[1]، فينطبق عليهم قوله تعالى[2] (مذبذبين بين ذلك)، وقد أصبحوا يرتكبون أعمالاً شريرة تستفز الشاه طهماسب ولا تتفق مع قواعد الإخلاص والولاء. وقد دام هذا الحال وطال إلى أن عاد السلطان سليمان خان من غزوة نخجوان إلى بلاده، فبادر الشاه طهماسب إلى إرسال الأخوة الثلاثة أحمد بك، واسماعيل بك، وجعفر بك، مع بعض القواد القزلباش إلى جهة (أردهان) قائلاً للقواد المذكورين إنه في اليوم الفلاني اقتلوا جميع أمراء ورجال عشيرة الدنبلي الذين يكونون معكم، وأنا كذلك أقتل جميع من يكونون منهم في معيتي في وظيفة الحرس. وفعلاً عمد القواد القزلباش في اليوم الموعود بأردهان إلى قتل الأخوة الثلاثة مع أربعمائة من طائفة الدنبلي؛ كما أن الشاه نفسه قتل من الحرس الذين هم من تلك الطائفة في اليوم المذكور زهاء عشرين أو ثلاثين نفراً. وتمكن (منصور بك بن محمد بك) من الفرار من (أردهان)، وبلوغ استانبول لاجئاً إلى العتبات السلطانية العثمانية حيث شمله العطف.

منصور بك بن محمد بك بن بهلول بك

أقطع السلطان هذا الأمير على طريق السنجق ناحيتي قتور دره سى (قطور) وباركيرى (من البلاد العثمانية) فاجتمع حوله من طائفة الدنبلية الباقون على قيد الحياة فقام برئاستهم بأمور حكومة تلك الجهات مدى الحياة. ولما أدركته الوفاة كان له ولدان هما : ولي بك ، وقليج بك .

١- بين العثماني والإيراني. (المترجم)

٢- سورة النساء آية ١٤٢ . (المترجم)

ولي بك بن منصور بك

تولى منصب والده بعد وفاته، ولا شك أنه في غاية البسالة والشجاعة وعلى جانب عظيم من الكفاية؛ لتولي المناصب العالية لا يدانيه في ذلك أحد من أقرانه. ففي هذا التاريخ الآن الذي هو سنة (١٠٠٥ هـ = ١٥٩٦ م) لا يزال متصرفاً في ناحيتي (قتور دره سي) و (ابقاي) بطريق (الأوجاق)؛ كما أن ناحية (أوجوق) قد أقطعت على طريق السنجق لأخيه قليج بك أثناء الاستيلاء العثماني على نخجوان. فهو الآن أيضاً قائم بأمور حكومتها بلا منازع وباستقلال كامل.

حاجي بك بن حاجي بك

كان هذا الأمير في الشهر الثاني من عمره حينما قتل والده. وقد أطلق عليه اسم أبيه حسب العادة الشائعة بين الأكراد. فرتب له الشاه طهماسب وظيفة من خزانة الدولة حتى إذا ما بلغ سن الرشد أدخله في سلك الحرس الخاص وجعله من كبار الضباط. وفي خلال حوادث الأمير بايزيد العثماني، عينه الشاه أميراً لناحية (ابقا) فالتف حوله جمع من طائفة الدنبلية، فقام بأعباء الحكم هنالك مدة عشرين سنة وبعد وفاة الشاه اسماعيل الثاني وتولي الشاه سلطان محمد الأمر في بلاد إيران وأثناء نزول السردار مصطفى باشا على نهر قنع، كان الإيرانيون بقيادة أمير خان ومعه جمع من القزلباشية قد باغتوا الجيش الإسلامي في معسكره، فغرق في خلال تلك المباغتة حاجي بك وبعض القواد القزلباشية في نهر الكر. ولا تزال ناحية سكمن آباد التي كانت قد منحت لأولاد حاجي بك حينما قدَّم نظر بك الطاعة للأعتاب السلطانية الكريمة، في عهدة أولاد حاجي بك الذي يدعى ابنه الأكبر (حاجي بك) أيضاً.

سلطانعلي بك بن جمشيد بك بن بهلول بك

في الوقت الذي كان الشاه طهماسب قد تغير على طائفة الدنبلي وأصدر أمره الشديد بالإجهاز عليهم جميعاً، كان سلطانعلي بك منخرطاً في سلك ضباط الحرس الشاهي العظام ومسافراً في مهمة تحصيل الأموال الأميرية في إيالة أصفهان، ولم يكد يحصل ويجبى مبلغ مائة تومان من الأموال، حتى ترامى إليه خبر مذبحة إخوته وبني عمومته وسائر أعيان طائفة الدنبلي. فلاذ بالفرار إلى جهة وان حاملاً المبلغ المذكور معه. فعاش مدة متخفياً بين عشيرة الدنبلي في

تلك الجهة. ولما أصدر الشاه طهماسب العفو عن طائفة الدنبلي، والصفح عما تقدم من الأحوال الأليمة. بادر سلطانعلي بك إلى الشخوص إلى بلاط إيران حاملاً مبلغ مائة التومان التي كان قد جباها من الأموال الأميرية، وأعرب عن إخلاصه وولائه للشاه من جديد، فشمله الشاه بعطفه وأعاده إلى منصبه كما كان في سلك الضباط العظام. ولبث مدة على هذه الحال حتى إذا وصل إلى مسامع الشاه سلطان محمد نبأ وفاة حاجي بك، أسند الشاه إمارة دنبلي إلى سلطانعلي بك، وأمر بضم ناحية سليمان سراي، ونصف ابقاي بعضها للبعض وعهد إليه بحكومتهما. فأمضى مدة في تسيير أمور الإمارة؛ إلا أنه نظراً لعدم إعطاء البلاد المذكورة محصولاً كافياً لتسرب الخراب والدمار إليها من حدثان الدهر من حروب وقتال بين آن وآخر، واضطر إلى قضاء أيامه في ضيق وضنك في بلدة (شرور) مكتفياً بما يرد له من معاش مقرر من خراج (دره الكيس) و(شرور) من أعمال نخجوان؛ حتى توفي إلى رحمة الله. وقد خلف ثلاثة أولاد ذكور هم: نظر بك، وقليج بك، وحسن بك.

نظر بك بن سلطانعلي

أسند الشاه سلطان محمد إلى هذا الأمير إمارة دنبلي بعد وفاة والده. فلبث على هذا الحال إلى أن استولى العثمانيون على إيروان ، وعين الوزير سنان باشا محافظاً لتلك الجهة، فبادر نظر بك مع بعض القواد القزلباشية من طائفة الروملو، والباوت، وچمشكزك، وسعدلو الذين كانوا يقطنون من القديم چخر سعد إلى الذهاب إلى السردار فرهاد باشا بأرضروم بواسطة سنان باشا چيغال أوغلي وتعضيده لهم. فقدموا هنالك طاعتهم وإخلاصهم للدولة العثمانية التي كافأتهم على ذلك بإقطاع أقاليم چالدران ، سليمان سراي ، سكمن آباد حسب النظام السابق إلى كل من نظر بك وأخيه قليج بك. ولما كانت ناحية سكمن آباد أيام الشاه طهماسب، ثم بعد ذلك وفقاً لمرسوم السلطان المغفور له (مراد الثالث) - مع ضم سنجق باركيرى إليها - في عهدة وتصرف منصور بك المحمودي بطريق الإقطاع التمليكي، فقد تلكأ في تسليمها إلى نظر بك مما اضطره إلى استصدار حكم آخر من البلاط العثماني بواسطة السردار فرهاد باشا، وذلك تنفيذاً للأمر السابق، إذ كان (نظر بك) قد اشترط مع سنان باشا، حين تقديمه الطاعة إلى السدة السلطانية العثمانية، إعادة ناحية (سكمن آباد)، وهي الولاية الموروثة لطائفة الدنبلى من القديم، إليه مهما كانت الظروف. وكان قد أخذ المواثيق والعهود بذلك. فلذا أصر على الاستيلاء عليها بالقوة، وهكذا صرّح

الشر واشتعلت نار الفتنة بين الفريقين، وتحركت الأحقاد الدفينة بين الطائفتين الدنبلية والمحمودية، فأفضى الأمر إلى امتشاق الحسام وجمع الفريقان أنصارهما من الرجال والعشائر واشتبكا في قتال شديد مرير ذهب ضحيته نظر بك، وأخوه حسين بك وثمانون نفراً من رجال دنبلى .

قليج بك بن سلطا نعلي بك

توجه هذا الأمير بعد مقتل إخوته إلى السردار فرهاد باشا بأرضروم، ومعه أمراء الطائفة الدنبلية وأعيانها يطلب التحقيق وإجراء العدالة والاقتصاص بمن تسبب في نشوء الحادث المذكور، فصدر أمر السردار بإحضار منصور بك وسائر أعيان طائفة المحمودي الذين اشتركوا في الفتنة المذكورة. وانعقد المجلس . وقد كان كاتب هذه السطور موجوداً به . وشرع في التحقيق فتبين أن السبب المباشر لنشوء الفتنة بين الطرفين هو صدور الأمرين المتناقضين من السردار إلى كل من المدعي والمدعى عليه وتمسكهما بهما .

قال الشاعر[1] ما معناه:

"فالذي يرضى بالقناعة ويكتفي بها يفرح طول عمره. وأما من تعلق بالأماني ويبني عليها الآمال والقصور ينزل إلى درك الفقراء والدراويش) .

فاضطر السردار إلى الصمت وغض النظر عن إجراء العدل، وعمل على مقتضى (الصلح سيد الأحكام). ولما نال السردار بهذا المسلك أغراضه من الفريقين أصدر قراراً بأن يتنازل منصور بك عن ناحية سكمن آباد إلى (حاجي بك) حفيد (حاجي بك) السابق وأن يقطع سنجق چالدران لقليج بك، على أن يتنازل عن جميع الدعاوى والخصومات. ولقد اضطرت طائفة دنبلى لقبول هذا الصلح الأبتر على مضض وعادت أدراجها .

الفصل السابع – في ذكر أمراء (زرزا) الفصل الثامن – في ذكر أمراء (استوني) الفصل التاسع – في ذكر أمراء (طاسن)	هذه الفصول ساقطة من الأصل في جميع النسخ ولعل المؤلف بعد أن وعد بذكرها لم يجد ما يساعده على ذكر شيء

(١) الأبيات: بقناعت كسى كه شاد بود   تابود محتشم نهاد بود
آنكه با آرزو كند خوبشى   عاقبت أوفتد بدروبشى

الفصلُ العَاشِرُ

في ذكر حكام (كلهر)

وهؤلاء ينحصرون في ثلاث شعب

وأما نسبهم فيرجعونه إلى (گودرز بن كيو). و (كيو) كان في عهد الملوك الكيانيين[1] والياً على مدينة بابل. وهي التي اشتهرت فيما بعد بالكوفة. وقد خلف گيو ولداً يدعى رهام. وقد صار أخيراً قائداً على جيش عرمرم كلف من قبل الملك بهمن الكياني بالزحف إلى الشام، وبيت المقدس، ومصر، فتوجه إليها وفتحها وأحدث فيها الخراب والدمار، وقتل من بني إسرائيل مقتلة عظيمة حتى ليقال إن دماء القتلى والجرحى أدارت الطواحين في البلد . ومن هنا أطلق المؤرخون عليه اسم (بخت النصر). وهو الذي صار فيما بعد سلطاناً على جميع البلاد . ومن ذلك العهد يحكم تلك البلاد أولاده وسلائله بلادهم حيث تطلق على عشيرتهم لفظة كوران[2] .

الشعبة الأولى

في ذكر حكام (پلنگان)

اشتهرا أسماء أربعة من الحكام من هذه الأسرة، أولهم (غيب الله بك). وقد كان رجلاً صالحاً تقياً عابداً فاضلاً. هذا والبلاد والقلاع التي تحكمها هذه الأسرة هي:(ديودز) و(نودز) و(دزمان) و (كواه كور) و (مور) و (كلانه) و (نشور) و (مراويد يمن). ولقد خضع غيب الله بك في بادئ الأمر لسلطان الشاه إسماعيل . ولما أدركته الوفاة تولى ابنه بعده.

١- الكيانيون الأكيمينيون (الاخيمينيون) في الكتب اليونانية والغربية وهم أقدم الأسر الفارسية الحاكمة .

٢- يدل هذا على أن الكلهر، والكوران من حيث دلالتهما على شعوب الأمة الكردية شيىء واحد . وكل ما هنالك من الفرق بينهما هو أن الأول اسم للأسرة الحاكمة، والثاني اسم للشعب أو عشيرة منه وهذا لا ينافي ما سبق من المؤلف رحمه الله من أن الأمة الكردية تتشعب إلى أربع شعب من حيث اختلاف اللهجة واللسان والعادات: هي الكرمانج، واللر، والكوران، والكلهر، وأن الكرمانج هي أكبرها وأعظمها شأناً، فلذا صار مرادفاً للفظ الكرد العام. ففرض المؤلف هنا هو أن الحكام المسمين بالكلهر، ولو أنهم من شعبة الكلهر إلا أن شعبهم وعشيرتهم من شعبة الكوران . (المترجم) .

محمد بن غيب الله بك

قام مقام أبيه حيث عهد إليه ديوان الشاه طهماسب ولايته الموروثة . فكان هو أيضاً رجلاً فاضلاً عادلاً، وعلى جانب عظيم من الخلق والفضل، يحب العلماء والفضلاء ويرعاهم دائماً، فشاد في (پلنكان) مدرسة وجامعاً وقد تزوج الشاه طهماسب بأخته فتشرف بهذه القرابة. وهكذا تسنى له حكم البلاد مستقلاً تماماً فترة من الزمن. وكان له أربعة أولاد ذكور، هم: مير اسكندر، ومير سليمان، وسلطان مظفر، وجمشيد بك. فقسم في حياته الإمارة إلى أربعة أقسام أعطى كل واحد منهم قسماً منها، وجعل الأمير اسكندر قائمقاماً عنه، ووليا للعهد.

الأمير اسكندر

توجه إلى خدمة الشاه طهماسب بقزوين بعد وفاة والدته، فتمكن من تجديد منشور إيالته الموروثة. وفي عهد الشاه إسماعيل[1] أيضاً تشرف بالخدمة فنال عنده الحظوة والثقة، وأسند إليه منصب حكومة پلنكان وعاد إلى مقره هانئاً مقضي المرام. وبعد أن حكم البلاد عشرين سنة، أدركته المنية .

قال الشاعر[2] :

معناه: (لا تأمن هذا البحر المتلاطم الأمواج فإنه لم ينس أكل الإنسان) .

هذا ولما أغار سولاغ حسين تكلو الذي كان حاكم دينور من قبل الشاه إسماعيل، على قلعة پلنكان، بعد وفاة مير اسكندر، وقد استولى عليها بكل صعوبة فقد كانت في غاية الحصانة والمناعة لا يتصور العقل الاستيلاء عليها غصباً واقتداراً، داخل القلق والخوف أخاه (سلطان حسين) منه، فبادر إلى الالتجاء لخدمة محمود باشا ولد شمس باشا مير ميران (شهره زول) .

وفي أثناء الفترات والوقائع التي حدثت أخيراً عقب وفاة الشاه إسماعيل بين الأمراء والقواد القزلباشية، في إيران، حيث قامت في كل رأس نزعة من النزعات، فعمد (وليخان تلكو) حاكم همذان خضوعه له في الحركات الأخيرة[3]، انتهز جيش شهرزول الفرصة وزحف على بلنكان ونزعها من أيدي التكلوئين. ولما لم يكن هناك أحد من الوارثين لهذه البلاد، فقد أضيفت إلى ما يتصرف فيه ديوان آل عثمان من البلاد. فتعطى الآن بطريق السنجق إلى الغرباء .

١- الظاهر إسماعيل الثاني . المترجم

٢- مباش ايمن كه اين دریای پرجوش   نكرده است آدمي خوردن فراموش

٣- مضافة من النسخ الخطية وليست موجودة في الطبعة الروسية . المترجم

الشعبة الثانية
في ذكر أمراء (درتنك)

كانت هذه الولاية مشهورة في القديم باسم ولاية (حلوان). والذي بلغ كاتب هذه السطور من أسماء حكام هذه البلاد هم:

سهراب بك

كان هذا الأمير في غاية الشجاعة والجسارة إلى حد التهور. والبلاد التي كان يحكمها هي (باوه)[1]، و (باسكه)، و (ألانى)، و (قلعة زنجير)، و (زوانسر)[2] و(دوان = دورمان)[3] و (زرمانيكى). ولما توفي إلى رحمة الله تولى ابنه .

عمر بك بن سهراب بك

تولى منصب أبيه بعد وفاته. فكان في بادىء أمره رجلاً سفاكاً فتاكاً ومولعاً بالشرب. ثم هداه الله إلى العمل الصالح فجعل التوفيق رفيقه في جمع أحواله حيث تاب إلى الله توبة نصوح. وقدم الطاعة إلى السلطان سليمان خان حينما جاء إلى (بغداد) دار السلام وافتتحها، فشمله السلطان بعطفه وأولاه ثقته وأسند إليه حكومته الموروثة مما جعله ثابتاً على إخلاصه ومتمسكاً بخضوعه للسلطان طول عمره المديد إلى أن توفاه الله إلى رحمته وغرق في بحر الفناء .

كما قال الشاعر[4]:

معناه: سواء أعشت حتى نطقت سبعة أم لبث في الدنيا سبعة آلاف سنة فحيث أن قاماتنا كلها للغرق فلا فرق بين طويلتها و قصيرتها .

قباد بك بن عمر بك

تسلم هذا الأمير الحكم بعد وفاة والده. وكان على جانب عظيم من

١، ٢، ٣- كذا في الأصل والظاهر أن الصحيح كما ينطق أهاليها الآن(باوه، روانسر، دودان). (المترجم).

٤- انكاركه هفت سبعه خواندى   ياهفت هزارسال ماندى

چون قامت مابراى غرقست   كوتاه ودرازرا چه فرقست

الشجاعة والسخاء، بهي الطلعة وجيهاً، وقد كان زعيم شباب عصره وفريد دهره، يتصرف بكل استقلال في شؤون ولايته الموروثة والمكتسبة بجده وإقدامه. وهي بلاد تمتد من حدود الدينور حتى دار السلام (بغداد. وليس له نظير في الامتلاك والاستحواذ على عدد لا يحصى من المواشي والمراعي، وعلى خزائن كثيرة من الأموال وكثرة الأعوان والأنصار.

الشعبة الثالثة

في ذكر أمراء (ماهي دشت)

لم يكن أحد له علم بأحوال هذه الولاية حاضراً حين كتابة هذه السطور. ولكن الشائع في الأفواه والألسنة أن مقر ملكهم القديم وإقطاعهم الموروث هو ماهي دشت. وأما (تيلاور)[1]، وأكثر العشائر والقبائل من هؤلاء، فمن الرحل وقبل هذا التاريخ كانت حكومتهم مشاركة بين الأخوين (شهباز) و (منصور). وفي سنة (١٠٠٢ هـ = ١٥٩٣ - ١٥٩٤م) بطش منصور بشهباز وقتله، واستقل برئاسة جميع عشائر وقبائل تلك الجهات، وهو يحكمها الآن بكل حرية واستقلال. وقد ترك شهباز ولداً يدعى (إلقاس) ينازع عمه أحياناً. هذا وقد تعهد (منصور) بأداء نحو أربعين ألف من الماشية إلى ديوان (بغداد) كل سنة، فله صلات طيبة مع عمال الدولة العثمانية عامة ومير ميرانات بغداد خاصة. وهو على جانب عظيم من الشجاعة والجرأة ومشهور بالغنى وكثرة الأموال والخزائن، فليس له نظير في تلك الأنحاء .

الفصل الحادي عشر

في ذكر أمراء (بانه)

يؤخذ من تقارير ثقاة الرواة وحكايات نقلة الأخبار أن (بانه) اسم لولاية نسب إليها أمراء عشائر تلك الولاية وهي تنحصر في قلعتين، وناحية. إحداهما قلعة (پيروز) والثانية (شيوه) وأما الناحية فهي (بانه) هذا والولاية واقعة بين ولايات (أردلان، وبابان، ومكرى) ويلقب أمراؤها باختيار الدين. والسبب في

١- بيلاور . المترجم

تسميتهم بذلك هو قبولهم فيما مضى الإسلام باختيارهم من غير أن يخضعوا لأحد من السلاطين المسلمين. والعلم عند الله .

ميرزا بك بن مير محمد

وأول أمير من أمراء هذه الأسرة، كما هو شائع ومشهور هو ميراز بك بن مير محمد بك، ولقد قام بأعباء الحكم فترة من الزمن، وتزوج من أخت بيكه بك حاكم أردلان، فعلا شأنه وصار على جانب عظيم من الاستقلال والحرية. وأخيراً توترت العلاقات بينه وبين سلطا نعلى بك غتليج[1] ، لتزوجه بأخت بيكه بك، وأدى التوتر إلى الخصومة والنزاع، مما حمل سلطا نعلى بك على تعيين أخيه قاتنمش بك حاكماً على بانه وإخراج ميرزا بك منها . فاستنجد ميرزا بك بـ (بيكه بك) وتلقى منه المعونة والتعضيد على طرد قاتنمش بك من ولايته والاستيلاء على مقاليد حكومتها، وقد لبث الحال على ذلك حتى أدركته المنية. فتوفي إلى رحمة الله عن خمسة أولاد من الذكور هم : ١. بوداق بك ، ٢ـ سليمان بك ، ٣. غازى خان، ٤. مير محمد ، ٥. أغورلو .

بوداق بك بن ميرزا بك

تولى منصب الإمارة بعد وفاة والده، وحكم البلاد فترة من الزمن على هذه الحال من غير منازع حتى إذا انقضت بضع سنين على ذلك نازعه من إخوته كل من مير محمد، وأغورلو اللذين كانا من أمٍّ أخرى، فتمكنا منه وأخرجاه من الولاية. فاضطر بوداق بك إلى اللجوء إلى بلاط الشاه طهماسب للاستنجاد به على العودة إلى ولايته واستلام مقاليد الأمور فيها . ولكن هادم اللذات ومفرق الجماعات أغار عليه بكلكله، وقضى عليه في بلدة (قزوين) .

سليمان بك بن ميرزا بك

وجهت إمارة (بانه) من ديوان الشاه طهماسب إلى سليمان بك هذا، بعد وفاة أخيه (بوداق بك). وقد عين الديوان الشاهاني من رجاله (بولقلى بك ولد

١- كذا . المترجم

آيدين آقاى ذو القدر) والي مراغه، لإمداد (سليمان بك) وتمكينه من إمارة (بانه). وقد استولى سليمان بك بمساعدة القائد المشار إليه حسب الفرمان الشاهاني، على مقاليد الأمور في حكومة (بانه). ودام حكمه فيها زهاء عشرين سنة؛ ثم تخلى بعد ذلك عن الحكومة المذكورة وأمورها الشاقة لابن أخيه (بدر بك) بعد أن زوجه من ابنته. وتفرغ هو للعبادة والقيام بالأعمال الخيرية، فشرف مرتين بزيارة الحرمين الشريفين زادهما الله تعظيما وتكريماً. هذا وفي المرة الأخيرة قرر الإقامة في المدينة المنورة مجاوراً لمرقد سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام.

الفصل الثاني عشر ا

في ذكر أمراء (كلباغي)

يؤخذ من تقارير ثقات الرواة أن لفظ (كلباغى) نشأ وتطور هكذا، أنه في أيام بيكه بك حينما تمكن من مسند الحكم قدم إليه شخص يدعى (عباس أقا) من كبار عشيرة (استجلو) لاجئاً وفاراً مما وقع له من الحوادث والوقائع، فألحقه (بيكه بك) بخدمته. ولما ظهرت على هذا الشخص مواهب نادرة من الشجاعة والشهامة، واشتهر بذلك بين أبطال عشائر أردلان وقبائلها، فقد عمد (بيكه بك) إلى تزويجه من ابنة (الياس اقا) كبير العشيرة ورئيس قبيلة (رنكه رژ) وأقطعه أرضاً ذات عين في ناحية (مهره بان = مريوان) ليسكن بها. ولما كان هذا رجلاً تركياً ومغرماً بغرس الكروم والعنب، فقد غرس في أرضه حديقة كروم وكان موصوفاً بالسخاء والجود فكلما مر عليه إنسان وهو في حديقته يناديه بلغته ويقول (كل باغه = تعال إلى الحديقة). ولما كان الكرد هنالك يستغربون سماع اللغة التركية، فقد أطلقوا هذه الجملة التركية على (عباس أقا) فصار لقبه فيما بعد (كلباغى). وصفوة القول أن (عباس أقا) هذا قد علا شأنه في خدمة بيكه بك الشهره زولي الذي كان مركزه قلعة ظلم (زلم) وكان يسيطر على

١- هذا الفصل غير موجود بالطبعة الروسية، وإن كنا قد أضفناه في طبعة القاهرة سنة ١٩٣٠م في صلب الكتاب. وكان الأوفق أن نتبع الطبعة الروسية فنخرجه من الصلب ونجعله في الهامش إلا أننا آثرنا إبقاءه في الصلب كطبعة القاهرة لأنه من المؤلف بدليل تاريخ التدوين سنة ١٠٩٢ هـ في آخر الفصل. راجع صفحة ٤١٦ من النسخة المطبوعة في مصر سنة ١٩٣٠م تجد في الحاشية سبب إثبات هذا الفصل. المترجم.

اثنى عشر ألفاً من الخيالة الاحتياطية، حتى وصل إلى منصب المهردار بعد أن تقلب في مناصب وأعمال كثيرة للأمير المذكور. وهذا ما حمله على إرسال رسول إلى عشيرة استجلو وإحضار أخواته اللائي كن بقين هنالك إليه.

ثم أقدم على تزويج أخواته هذه إلى رجال من العشيرة الكردية التي كان قد تزوج هو منها. وبذلك عقد أواصر المصاهرة وصلات الصداقة مع السكان المحليين حيث التف حوله جمع من الناس تربطهم هذه الصلات الاجتماعية. ولكن المفسدين الذين أكل الحقد قلوبهم وأفئدتهم اتهموه أخيراً بتدبيره مؤامرة لقتل بيكه بك. ولما علم (عباس أقا) بجلية الأمر وما يسند إليه من التهمة عمد إلى الخروج من بلدة زلم في منتصف النهار ومعه ابن أخته (يار الله) من قبيلة (رنكه رژ) يصحب معه الأطفال والعيال، وقد أخبر الناس (بيكه بك) بأن (عباس أقاى كلباغى) و (يار الله أقاى رنكه رژى) لاذا بالفرار. بيد أن بيكه بك لم يحرك ساكناً ولم يرسل أحداً عقبهما ،لما كان يعلم من شجاعتهما النادرة. فذهبا إلى ولاية (بيلاور = تيله ور) وسكناها، وعقدا روابط صداقة وصلات مع عشائر لَكّ، وسليماني، ومادكى، وكلهر .

وفي خلال سفر الشاه طهماسب إلى بلاد (أوزبك) ونزوله على قلعة أوركنج كان عباس أقا ويار الله موجودين في الجيش الإيراني بمعية الشاه فأبديا في المعارك التي دارت آثار شجاعة فائقة وبطولة خارقة حيث أسرا ملك أوزبك ومعه عدة من رؤساء جيشه، وأتيا بهم إلى الشاه الذي بادر إلى إكرام وفائهما وتقدير عملهما. فأصدر منشوراً شاهانياً بإسناد نواحي بيلاور مع رئاسة الاثنى عشر أويماق (بطن، قسم) إليهما. وقد دام حكمهما في(بيلاور) وأقسامها بضع سنين على هذا الحال حتى إذا ما تم التفاف عشائر (سليماني) و(باركى) و(كلهر) و(ورمزيار) حولهما أطلق عليهم جميعاً اسم ولقب كلباغى. وصفوة القول أن أمرهما اشتد وقوى نفوذهما حتى أفضى إلى التصادم بينهما وبين محمد بك كوران، عدة مرات، وما انقطع هذا الجدال والتصادم بين الطرفين إلا بعد عقد مصاهرة بين بنت محمد بك وبين محمد قلى الابن الأرشد ليار الله أقا. وقد توفي بعد ذلك عباس أقا إلى رحمة الله. قال الشاعر[1] :

معناه: (الدنيا كأس والفلك هو الساقي والأجل هو الشراب والخلائق جالسون في مجلسه يشربون من تلك الكأس: فليس لأحد مفر من هذه الكأس

١- الأبيات: جهان جام وفلك ساقى أجل مى | خلايق باده نوش از مجلس وى
خلاصى نبست اصلا هيچكس را | أزين جام وأزين ساقي أزين مي

وهذا الساقي وهذا الشراب) .

ولما توفي عباس أقا إلى رحمة الله كان (يار الله أقا) متولياً رئاسة القرى والعشائر فلذا قرر تكليف ابن علي أقا ولد المرحوم عباس أقا بتولي منصب الإمارة، قائلاً: إن لي أولاداً وعيالاً كثيرة وعليَّ ديون كثيرة فلا أستطيع أن أقوم بأعباء الحكم وواجباته. وفي الواقع كان (يار الله أقا) مشهوراً بكثرة الأموال ووفرة العيال والحشم فمما يروى أنه كان يملك ثلاثمائة من الجياد المطهمة[1] في قطيع الخيول .

وقد بادر يار الله أقا إلى تقديم عريضة ومعها هدايا وتحف كثيرة إلى بيكه بك يذكر فيها وفاة (عباس أقا) ويلتمس إسناد حكومة إمارة كلباغى إلى (علي أقا) الذي كان قد وصل إلى منصب مهردارية بيكه بك بعد فرار عباس أقا منه. فما وسع بيكه بك الكريم إلا أن يجيب الالتماس والطلب حيث بادر إلى إرسال علي بك إلى تلك الجهة، على أن يكون أميرها . فلذا كان يعده من رجاله المعينين من قبله. وهكذا تم لعلي بك الأمر في إمارة عشيرة كلباغى وحكومتها . . . . .[2] وقد اجتمعت حوله العشائر الضارية في تلك الجهة حتى إذا ما جاء دور استيلاء (سنان باشا) من قبل الدولة العثمانية.. . .[2] (نهاوند) ، بادر (علي بك كلباغى) الذي كان قد لقب أخيراً بلقب عالي كلباغى إلى إظهار . ...٢ فأرسله سنان باشا إلى نواحي كرند، وشيخان، وأصحبه بعريضة مرفوعة إلى عتبات السلطان سليمان خان في هذا الصدد. وحمل يار الله أقا هذه العريضة إلى العتبات السامية، فصدر مرسوم من الديوان السلطاني بتوجيه محلات ونواحي كرند، وشيخان، وچكران، وقلعة تف آب، وخرخره، وتيره زند، وقلعة تيه وغيرها على طريق السنجقية لعلي بك. وأقطعت تيمارات أركله، ورنكه، ورژان وسهبانان ليار الله أقا.

ذكر حكومة علي كلباغي

يقول رواة الأخبار وثقات المؤرخين على صفحات البيان إن (علي بك كلباغي) كان مشهوراً بكثرة الأنصار ووفرة الخدم والحشم، وكان صاحب أموال كثيرة وثروات عظيمة منقولة وغير منقولة. فكان يرسل كل سنة هدايا عظيمة

١- استرطور ؟ المترجم

٢- بياض في الأصل . انظر ص ٤١٩ من النص الفارسي .

وتحفاً ثمينة نادرة إلى بيكه بك. بيد أنه كان سيىء السلوك وكان مخاصماً لـ (قباد بك) حاكم درنه، ودرتنك، ووحدان وزهاب، وذلك بسبب أن علي بك كان مضطراً للرحيل والاجتياز بعشائره في أوائل الربيع كل سنة إلى ولاية كرند التي في عهدته، فكان الطريق إليها تمر من ناحية زهاب التي كانت داخل بلاد قباد بك، وكان قباد بك المذكور يجبر العشائر والأقوام والمارة هذه إلى دفع الرسوم والهدايا إليه، وهي ما تسمى حق الشرب وحق المرعى والعلف. ونظراً لأن الكلباغيين كان لديهم أمر سلطاني يقضي بعدم الدفع لأحد من عمال الدولة وغيرهم من البيكلربكية بحجة أنهم رعية، شيئاً من الرسوم المذكورة المعتاد أخذها من العشائر الرُحل، فكانوا لذلك يمتنعون عن الدفع ولا ينقادون لأمر قباد بك، فيحصل من جراء ذلك صدام بين الفريقين مرتين كل سنة حول هذا الموضوع، وقد دام الحال على هذا المنوال إلى أن أدركت المنية علي بك وتوفاه الله إلى رحمته عن ولدين هم: حيدر بك، وكح بك. وتولى حيدر منصب والده العظيم بعد وفاته .

وفي هذه السنة نفسها توفي إلى رحمة الله يارالله أقا الذي كان يملك تيماراً واحداً. وقد بلغ من العمر المائة، وكان له ثلاثة أولاد من الذكور وعشيرة تتألف من خمسمائة بيت وأسرة .

محمد قلي أسد وشاهويس

وصفوة القول أن (علي بك) ، و (يار الله أقا) لما أدركتهما المنية بادر محمد قلي ولد يار الله أقا إلى الباب العالي، فحصل منه على مرسوم بإسناد السنجق المذكور إلى حيدر بك ولد علي بك، وبإقطاع التيمار السابق الذّكر إلى نفسه وقد نال حظوة لدى رجال الدولة؛ مما أفضى إلى انتدابه عدة مرات لتوصيل الخزائن السلطانية، فقام بها خير قيام[1] . . . . وكان لحيدر بك ولد رشيد يدعى سرخاب بك[1] . . . فاستدعى من استنبول خالا (سرخاب بك ولد حيدر بك كلباغي) ويدعى أحدهما محب الدين الذي أرسل إليه حيدر بك رسولاً من قبله يعرض عليه الحضور إلى ما بين العشيرة (كلباغي) . . . .[1] وبعد عودة (سرخاب بك) صام محب الدين ثلاثة أيام كفارة للتحلل من القسم الذي أقسمه بألا يدخل بين العشيرة، فدخل بين العشيرة . . . ولما بلغ نبأ ذلك إلى مسامع

---

[1]- هذه البياضات في الأصل. المترجم

حيدر بك طلب إليه سرخاب بك، وقال له إن هذا المنحوس (محب الدين) قد نقض العهد وحنث بالقسم، فيجب أن تتوجه إليه بنفسك وتقتله. فما كان من (سرخاب) إلا أن ركب جواده وتوجه نحو محب الدين وقابله في الطريق، وصوب إلى صدره سهمه المسموم حيث خرقه وخرج من ظهره. فانتقل من عالم الفناء إلى دار الهلاك والبوار. ومذاك اشتهر سرخاب بك بين العشيرة بقاتل محب الدين. وهكذا ظهرت الخصومة بين العشيرتين بعد مقتل محب الدين. وحدث أن كلاً من حيدر بك وسغاب بك ساقا جيشهما على عشيرة (كح) وتمكن سغاب بك بستين ضربة من قتل سبعة رجال من أخواله، ولكن عدة من رماة البنادق من العشيرة المذكورة باغتوهما وحيدين وقتلوهما بالبندقية، مما حمل جنودهما على إطلاق أيدي النهب والسلب والتدمير في العشيرة المذكورة. وبعد وفاتهما تولى (حسين بك) السنجق المذكور بمرسوم من الديوان العالي وصار حاكمه المستقل .
بيد أنه كان له أخ يدعى (مراد خان) يشاركه في الحكم. فضلاً عن أن حسين بك تزوج بكريمة عيل بك الكلهري التي كانت تسمى بكم. فكانت هذه السيدة حسب تقاليد وعادات الكلهر المشهورة هي التي تقوم بأعباء الحكم وتنفرد به دون زوجها حسين بك. وقد بلغ بها الأمر أن حرضت أناساً على قتل مراد خان بك. فما كان من ولدى مراد خان المقتول، وهما سبحانويردى بك، وحسين بك إلا أن توجها إلى بغداد بتعضيد من أقربائهما، ورفعا الشكوى إلى بكلربكيها، فصدر الأمر إلى (قباد بك) حاكم درنه بالعمل على أخذ الدية لوالدهما. وجاءت هذه الحادثة فرصة ثمينة لقباد بك ليحقق أطماعه، فأغار فجأة على عشيرة الكلباغي وباغت حاكمها حسين بك الذي اضطر مع عشيرته إلى الرحيل والالتجاء إلى شهره زول في خدمة حاكمها (هلوخان) حاكم أردلان. وهو حتى هذا التاريخ الذي هو سنة (١٠٠٥ هـ = ١٥٩٦م) قائم بخدمة حكام أردلان في تلك الولاية. والعلم عند الله .

الفرقة الثالثة

في ذكر أمراء أكراد إيران، وهي في أربع شعب

يذكر رواة الأخبار أن عمدة هؤلاء الأكراد وزبدتهم في إيران تتألف من ثلاث طبقات هي: سياه منصوري، و چكني، وزنكنه. والمشهور في الحكايات والشائع في الألسنة والأفواه أن ذلك يرجع في الأصل إلى ثلاثة إخوة قدموا من ولاية لرستان. وفي رواية من گوران، وأردلان، بقصد الالتحاق بخدمة ملوك إيران بعد أن جلوا عن الوطن. فابتسم لهم الدهر وتقدموا في شغل الوظائف والمناصب حتى حصلوا على منصب الإمارة؛ فأطلق اسمهم على جميع الذين التفوا حولهم من الناس القادمين من الأطراف والنواحي، وإليك أسماء سائر الطوائف الكردية بإيران التي تقوم بخدمة الأمراء والسلاطين: لك، وزند، وروزبهان، ومتيلج، وحصيرى، وشهره زولي، ومزيار[1]، وكلاني، وآمينلو، ومملوى، وكچ، وكراني، وزكتى، وكله كير، وپازوكي، وهي، وچمشكزك، وعريكيرلو وغيرهم. فمن هذه الطوائف أربع فرق وهي: (پازوكي، چمشكزك، وعريكيرلو، وهي) قام منها من القديم أمراء وأولاد أمراء تولوا الحكومة بالوراثة.

وهناك أربع وعشرين جماعة وطائفة من الأكراد الآخرين يقطنون في ولاية قره باغ الإيرانية مما أدى إلى اشتهارها باسم (يكرمي دورت). ففي عهد الشاه طهماسب كان أمير هذه الجماعة من يدعى (أحمد بك پرتال أوغال) وكان يرافق الشاه في الحرب والسلم والحضر والسفر، بجيشيه البالغ زهاء ثلاثين ألف فارس.

وهناك طائفة أخرى[2] من الأكراد في خراسان يقال لهم (كيل) كان أميرهم في عهد الشاه طهماسب يدعى شمس الدين بك. هذا وتوجد جماعات أكراد كثيرة غير مشهورة في إيران. غير أن ذكرها جميعاً هنا يطول شرحه ويضيق به المقام، فنضرب الصفح عن ذكرها والحمد لله الملك المعبود.

١- كذا. وفي النسخ الأخرى (ورمزيار) . المترجم

٢- هذا ظاهر ما تعطيه عبارة الأصل من أن (دكر) اللفظ الوارد في الأصل تخفيف (ديكر) بمعنى الأخرى. ولكن الذي يؤخذ من كتاب (تاريخ العراق بين الاحتلالين (٣- ج ص ٦٢ وص٢١٠) للعزاوي أن (دكر) اسم خاص لطائفة من أكراد خراسان، فاذا صح هذا الذهاب فيكون لفظ (دكر) مخففاً من (دكورلو = دكرلو) الطائفة الكردية الباقية حتى الآن في شمال وشرقي الرها الشهيرة بأرفا في الجمهورية التركية. المترجم .

الشعبة الأولى

في ذكر أمراء (سياه منصور)

في سنة (٩٦٠ هـ = ١٥٥٢- ١٥٥٣م) عمد الشاه طهماسب إلى أمير من أولاد أمراء هذه الطائفة يدعى (خليل بك) فعني بتربيته وتنشئته في بلاطه حتى استحق لقب خان، فصار يدعى خليل خان وقد عهد إليه بمنصب أمير أمراء جميع أكراد إيران؛ وولي شؤون أربع وعشرين فرقة من طائفة الأكراد وإمارتهم، علاوة على إمارة عشيرته سياه منصور وغيرها من الأكراد الذين كان فيهم الإمارة من قبل. فأقطعهم أقاليم: سلطانية، وزنجان، وأبهر، وزرين كمر، وعدة نواحي فيما بين أذربيجان والعراق. وصدرت له الأوامر بأن يقيم بين (قزوين) و(تبريز) مع ثلاثة آلاف فارس من الكرد، وأن يتولى بواسطتهم الحراسة وحفظ الأمن في تلك الربوع والحدود الهامة؛ فقام خليل خان بذلك خير قيام وقد علا شأنه وبعد صيته. وما مضى على ذلك بضع سنين إلا واجتمع خلق كثير من الكرد الأشداء حوله، مما جعل الأمور تشتد وتتسع ويفلت زمامها من يد خليل خان، ويضطر إلى العمل بخلاف ما كان يأمله الشاه منه إذ أخذ الأكراد يصولون ويجولون هنا، وهناك، ويغيرون على الأطراف ويتعدون على المترددين من التجار وأصحاب المصالح. فأجمع هؤلاء أمرهم ورفعوا شكواهم إلى الشاه طهماسب الذي كان قد استاء من هذه الحالة جداً، فبادر إلى نزع المقاطعات التي كانت في عهدة (خليل خان) منه والاكتفاء بإسناد المنطقة السفلى من ولاية العراق إليه مع إلزامه بالسفر إلى (خراسان) للقيام بحراسة الحدود هنالك. وهكذا تبدلت عزة (خليل خان) بالذلة والمهانة وولت أيامه، وقد تفرقت عنه الأكراد. الذين كانوا قد اجتمعوا عليه من غير طائفته وتشتتوا شذر مذر. وأما هو فقد توجه بعشيرته سياه منصور فقط إلى مقر عمله الجديد. ولبث هنالك يقوم بحكومة وإدارة حدود خراسان حتى أدركته المنية. فتولى منصبه من بعده ابنه الصغير (دولت يار) وذلك بمرسوم من الشاه (سلطان محمد) وتلقب بـ (دولتيار خان).

وفي أثناء استيلاء العثمانيين على ولاية أذربيجان، عينت الحكومة الإيرانية دولتيار خان هذا قائداً للدفاع عن حدود أذربيجان وأقطعت له بمرسوم من الشاه سلطان محمد جميع بلاد (كرشب، وزرين كمر، وسجاس، وزنجان، وصورلق، وقيدار، وشبستان، وأنكوران، وقانجوقه عليا وسفلى) التي كانت قد تخربت ودمرت من جراء تطاحن الأكراد والقزلباش بها في الأيام الغابرة؛ حتى

يقوم دولتيار خان بعمارها وبأعباء الحكم بها بكل حرية واستقلال. فما كان منه إلا أن بادر إلى القدوم إلى هذه النواحي والبلاد فاتخذ ناحية كرشب) داراً لملكه ومركزاً لحكومته، وبنى بها قلعة حصينة ومدينة لطيفة منيعة؛ الأمر الذي ولد عنده غروراً وطموحاً حتى فكر في الاستقلال والحرية وشق عصا الطاعة. وأخذ الشاه سلطان محمد في الاستعداد لتجريد حملة تأديبية عليه. ولما علم دولتيار خان بنبأ هذا الاستعداد أمعن في العصيان والتمرد وسارع إلى إنشاء قلعة عظيمة في إقليم أنكوران وشبستان. وفي خلال ذلك بعث الشاه سلطان محمد حملة عسكرية قوامها ستة آلاف فارس تحت قيادة (مرشد قلي خان شاملو) ولد (ولي خليفة) لتأديب دولتيارخان وإلقاء القبض عليه. وما وصلت هذه الحملة تلك البلاد إلا أن عمد قائدها (مرشد قلي خان) إلى ضرب الحصار على قلعة دولتيار الذي تحصن بها مع جمع من رجاله الأبطال؛ بيد أن دولتيار خان قام ليلة من الليالي إلى مباغتة العدو وتبييته وأخذه على حين غرة، فخاض غمار حرب طاحنة مبدياً فيها كثيراً من أعمال الشجاعة النادرة والبسالة الفائقة، مما أفضى إلى هزيمة العدو شر هزيمة، ولاذ مرشد قلي بالفرار والهرب مع جماعته القزلباش لايلوون على شيء. إذ كان دولتيار خان يطاردهم مطاردة شديدة لاهوادة فيها فمات منهم خلق كثير وأسر البعض وانتهبت أموالهم وخيامهم وأثقالهم وتشتت شملهم تماماً، حتى ليقال – والقول مشهور بين الناس – إن أم دولتيار العجوز كانت في ذاك اليوم العصيب ممتطية صهوة جواد من غير سرج تركض وراء المنهزمين من العدو وتنادي بأعلى صوتها (هي بنقارة ! هي بنقارة !) أعني خذوا نقارة الجماعة قبل كل شيء، وماكان من أبطال الكرد إلا أن أحاطوا بسبعة ألوية من العدو ونزعوا منهم طبولهم وأطواقهم وأتوا بها إلى القلعة. وهذا ماحمل هؤلاء الأعجام من القزلباشية على عدم العودة إلى بلادهم حياء وخجلاً وخوفاً من الشاه عباس، فاضطروا إلى الفرار إلى جهة كيلان لاجئين إلى واليها (خان أحمد) وقد قبل لجوءهم وأكرم وفادتهم، بيد أن الشاه طلبهم بعد أيام من خان أحمد فتسلمهم وأعدمهم مع بعض المجرمين بقزوين.

هذا وقد داخل الغرور والعجب نفس دولتيار خان بعد هذه الحوادث الرهيبة والفتوحات الباهرة، فسولت له نفسه الأمارة بالسوء أن يوسع رقعة بلاده، وأخذ يتدخل في شؤون ولاية العراق أيضاً؛ حيث كان ينشد الاستيلاء على بلدتي (سلطانية) و(أبهر). فعلم الشاه عباس بنوايا دولتيار هذه وبادر إلى

تكليف طائفة الشاملو من القزلباشية بالزحف بقيادة (مهدي قلي سلطان) حفيد (آغزي وارخان) وقد زحف هذا بغتة على جناح السرعة إلى (دولتيار) حيث كان قد صرف جنوده ووزع رجاله من الخدم والحشم على الأطراف فما كان منه إزاء هذا، إلا أن يعتصم مع عدة من رجاله بقلعته التي لم يكن قد تم إنشاء أبراجها وشرفاتها، وقد أخذ العدد المغير في ضرب الحصار عليها حالاً. ثم أرسلوا الخبر إلى الشاه عباس يعلمونه بجلية الأمر فطار الشاه بنفسه وعلى جناح السرعة إلى محاصرة القلعة وقتال خصمه. بيد أن (دولتيار خان) حينما علم بنبأ وصول الشاه بموكبه الحافل لمباشرة الحصار أسقط في يده وتحير في أمره. ثم قر رأيه إلى تقديم الطاعة والخضوع للظروف معترفاً بعجزه وذنبه.

وهكذا ألقى بنفسه إلى التهلكة الماثلة والخطر المحقق؛ حيث أمر الشاه باعتقاله هو حالاً ومعه زهاء ثلاثمائة من خيرة جنوده وضباطاً وأعياناً فوضعهم في السلاسل والأغلال ونهبت أمواله ومقتنيات أهله وعياله وسائر رجاله. ونفذ في (دولتيار خان) حكم الإعدام بعد ذلك بمدة وجيزة. وهكذا قضي عليه بأن يرحل من هذه الدار الفانية الغرورة نتيجة لغروره وطموحه.

الشعبة الثانية

في ذكر أمراء (چكني)

تمتاز هذه الطائفة على غيرها من أكراد إيران بفرط الشجاعة وكمال البسالة والفروسية. هذا ولم يبق أحد بين الچكنية هذه ممن يصلح لتولي إمارتها ورئاستها من الأمراء وذريتهم، وتشتت جميع هؤلاء في البلاد وانفرط عقدهم، فانتشروا في أغلب بلاد ولايتي العراق وآذربيجان، وقد أخذوا في الإغارة على الأطراف، ويقطعون الطريق على السابلة والتجار؛ مما سبب ثورة الأهالي واستياءهم وتذمرهم في تلك الجهات حيث ضجوا ورفعوا عقيرتهم بالشكوى، وذهبوا إلى بلاط الشاه طهماسب ينشدون العدل والإنصاف ورفع الظلم والحيف عنهم. فما وسع الشاه إلا أن يتحقق من الموضوع بنفسه. فظهر له صدق الشكاوي المقدمة إليه فكان خبر ظلم هؤلاء الماردين قد بلغ حد التواتر واليقين. عندئذ صدرت أوامره لجميع موظفي الحكومة وأهالي إيران جميعاً بأن ينقضوا على أي واحد من هذه الطائفة أينما كانوا ويقتلوه ويسلبوه ويطاردوه، حتى يخرجوهم من البلاد الإيرانية الشاهانية ليتوجهوا أينما شاءوا وكل من حاول منهم البقاء والمكث في البلاد يعرض نفسه وأمواله للهلاك والسلب. وإزاء هذا الأمر الجلل والحالة العصيبة قر رأي خمسمائة من أعيان ورؤساء هذه الطائفة ورؤسائها على الرحيل والهجرة إلى الهند عن طريق خراسان. فلما وصلوا خراسان، كان حاكمها إذ ذاك (قزاق خان تكلو) بهراة. وكان هذا الحاكم يوجس خيفة من الشاه طهماسب دائماً ولا يطمئن إليه أبداً. فانتهز فرصة قدوم هذه الطائفة إلى بلاده، ودعاهم إلى الالتحاق بخدمته وقد أكرم وفادتهم.

هذا ولما انتهى أمر (قزاق خان) أخيراً على يد معصوم بك الصفوي، اضطرت طائفة الجكني إلى الرحيل إلى ولاية (غرجستان = بلاد الغور) وتجمعوا هنالك فصارت لهم عصبية وشوكة. ولما بلغ نبأ هؤلاء الجماعة وما آل إليه أمرهم، بفضل ما لهم من الشجاعة الفائقة والجراءة النادرة والإقدام على المخاطر والمهالك التي يتعرضون لها، فقد عمد إلى أحد كبار ضباط حرسه وكان يدعى (بداغ بك) من سلائل أمراء تلك الطائفة فأسند إليه منصب الإمارة العالي وأرسله أميراً إلى تلك الطائفة وقد أقطعهم منطقة كبيرة من بلاد (خراسان) العظيمة. فعلا شأنهم مرة أخرى وتقدمت أحوالهم وانتظمت حتى قبضوا على ناصية الحال في تلك البلاد. ولما زحف (عبد المؤمن خان ولد عبد

الله خان أزبك) في شهور سنة (١٠٠١ هـ = ١٥٩٢-١٥٩٣م)، بجيش جرار مؤلف من ثلاثين ألف جندي إلى (بداغ بك) بقصد الاستيلاء على قلعة (قوجان) وقد ألقى الحصار عليها و(بوداغ بك) بها، أسرع جلالة الشاه عباس إلى نجدته واضطر الزاحف المحاصر (عبد المؤمن خان) إلى رفع الحصار عنه والرجوع إلى بلده خائباً. وقد أغرق الشاه بداغ بك هذا في إحسانه الشاهاني وإنعاماته السامية فرفع من أقدار أولاده وأنجاله حتى جعل خمسة منهم في مناصب الإمارة والحكومة في تلك البلاد الواسعة، ورقي منصبه إلى رتبة أمير الأمراء بحيث يشرف على حكومة البلاد وإدارتها هنالك جميعاً. وقد عاد الشاه باليمن والنصر إلى ولاية العراق. ولا يزال (بداغ بك) منخرطاً في سلك كبار أمراء البلاط العباسي حتى الآن.

الشعبة الثالثة

في ذكر أمراء (زنكنه)

طائفة الزنكنة هذه وصلت إلى المراتب العالية وامتازت على قريناتها من الطوائف الكردية في عهد الشاه إسماعيل الصفوي. ولما انقرض أمراؤها ولم يبق منهم أحد، اضطرت الطائفة إلى التشتت والتفرق والالتحاق زرافات بخدمات الأمراء القزلباشية في ولايتي العراق وخراسان، وتمكن بعضها من الالتحاق بفرقة الحرس الشاهاني (قورجيان).

الشعبة الرابعة

في ذكر أمراء (الپازوكي)

تقول أشهر الروايات أن أهل الخبر متفقون على أن أمراء البازوكي جاؤوا في الأصل من بين العشيرة السويدية. ويجعلهم بعض الرواة المتقدمين من جملة أكراد إيران. وعلى كل فانهم كانوا قائمين بأعباء حكومات كيفي، وأرجيش، وعادلجواز، وألشكرد، في عهد سلاطين التراكمة والقزلباشية.

وتمتلك عشيرة الپازوكي كثيراً من الأغنام والمواشي. وليس لها مذهب معين وهم متسامحون كثيراً في إقامة (شعائر الدين) من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وينقسم أمراؤهم إلى خالد بكلو، وشكر بكلو. والمشهور بين الناس أن أول

واحد منهم تولى الإمارة هو (حسين علي بك) الذي كان له ولدان هما: شهسوار بك وشكر بك.

شهسوار بك بن حسين علي بك

التحق هذا الأمير بخدمة الأمير شرف حاكم بدليس، بعد انهيار صرح دولة الآق قوينلية؛ كما أن ابنه (خالد بك) تشرف بخدمة الشاه إسماعيل الصفوي؛ فظهرت منه في إحدى المعارك آثار شجاعة فائقة وبسالة نادرة، حتى إنه وقد قطعت ذراعه من المفصل وهو لا يزال يحارب ولا يحجم؛ مما حمل الشاه إسماعيل على الإعجاب به وتقديره بأن صنع له ذراعا من الذهب الخالص بدل المفقودة، فسمي ذلك اليوم بـ (چولاق خالد) أي خالد الأشلّ. وقد شمله الشاه بعطفه وإحسانه حتى أقطعه هو وإخوته إقليمي (خنس) و(ملاذ كرد) ملحقاً بهما ناحية (أوچكان موش) على طريق الإمارة. ولا ريب في أن (خالد بك) كان في غاية الجراءة وكمال الإقدام لحد التهور والجبروت فتملكه الغرور والعجب والاعتداد بالنفس قبل الأوان من جراء إقبال الدنيا بجاهها العريض عليه، فقد قتل في يوم واحد تسعة من أمراء الأكراد والتركمان كانوا قدموا عليه. ثم تطورت حاله فأعلن استقلاله وادعى السلطنة وخطب لنفسه وضرب النقود باسمه. ثم انصرف عن سلطان القزلباش إلى نفوذ العثمانيين وانحاز إلى طاعة السلطان سليم خان؛ بيد انه لم يحافظ على أدب المقام هنا أيضاً فغضب عليه السلطان وأمر بقتله سياسة، وذلك عند العودة من معركة جالديران. فلقي ربه بعد أن خلف ولدين ذكرين هما: اويس بك، وولد بك، وثلاثة إخوة هم: رستم بك، وقباد بك، ومحمد بك. فرستم بك قتل مع جمع من الباژوكيين في المعركة التي نشبت بينه وبين (شرف خان) حاكم بدليس ومعه عشيرة الروژكي، وذلك حينما كان متصرفاً بطريق الإمارة في (اوجكان موش) كما يأتي تفصيل ذلك في ذكر الأمير شرف. ومات أخوه قباد بك من غير عقب ذكر. وأما أخوه محمد بك فقد كان قد خلف ولداً يدعى الأمير آصلان بك حيث كان منخرطاً في سلك الضباط العظام من الحرس الشاهاني في عهد الشاه طهماسب.

أويس بك بن خالد بك

أدار هذا الأمير ظهره لدولة الروم (العثمانيين) بعد مقتل أبيه، فلجأ إلى بلاط الشاه طهماسب وانحاز إليه فكافأه الشاه بإسناد إمارة (عاد لجواز) إليه،

ولبث الحال على ذلك ثلاث سنوات نشأ بعدها نزاع وخصومة شديدة بينه وبين (موسى سلطان) والي تبريز، مما أفضى إلى زحف (موسى سلطان) إليه ومناوأته، ففر (أويس بك) إلى بلاد الروم (العثمانيين) وتوطن في بلدة (كيفي). ولما وصل نبأ ذلك إلى مسامع جلالة السلطان سليمان باستانبول أصدر إلى (درزي داود) أمره القاضي بقتله مع أولاده وأتباعه وإرسال رؤوسهم إلى العتبات السلطانية، فقام درزي دواد بهذه المهمة حسب الفرمان ببلدة (كيفي) إذ قام على قتل أويس بك وأخيه ولد بك وابنيه خالد بك، وألوند بك. ولم يبق إلا ولديه الصغيرين قليج بك، وذي الفقار بك فلجأ إلى أحمد بك الزرقي حاكم عتاق، وما وسع أحمد بك هذا إلا أن يبسط عليهما جناح رحمته ويسبغ عليهما عطفه مع رفع حالتهما إلى مقام الحضرة العلية السلطانية فصدرت الأوامر السنية بترتيب وظيفة لهما ليتعيشا بها. ولما كبرا وترعرعا وشبا عن الطوق حيث بلغا سن الرشد بادرا إلى الفرار مع أقربائهما وعشيرتهما إلى بلاد العجم لاجئين إلى بلاط الشاه طهماسب.

قليج بك بن أويس بك

لما وصل قليج بك إلى بلاط الشاه طهماسب، فوض الشاه إليه أمر حكومة إقليم (زكم) من أعمال (كنجة أران) ومنصب إمارة عشيرة البازوكى في تلك الجهات. وبعد ان مضى على ذلك تسع سنوات أدركته المنية أثناء عودة الشاه من سفر كرجستان حيث لقى ربه مخلفاً ولداً صغيراً يدعى (أويس بك) .

ذو الفقار بك بن أويس بك

فوض إليه أمر منصب إمارة البازوكي بعد وفاة أخيه، حيث شمله الشاه طهماسب بعطفه الخاص؛ بيد أن أيام حياته كانت كأيام الورود والزهور قصيرة الأجل سريعة الزوال. فانقضت بسرعة زائدة إذ عصفت رياح الأجل العاتية بنخال حياته الباسقة .

قال الشاعر[1] :

معناه: (يحسن للمرء أن يجد السعادة متأخراً لأن كمالها وتمامها مؤذن

١- الأبيات: مرد آن به كه دير يابد كام / كز تماميست كار عمر تمام
لعل دير آمد ست دير بقاست / لاله زود آمد وسبك برخاست

بتمام العمر وزواله فزهرة الشقائق تظهر متأخرة وتبقى كثيراً فتذهب متأخرة، وأما الخزامى التي تأتي سريعاً فتذهب سريعاً).

ولما لم يكن له أولاد ذكور فقد أسند منصب إمارة الپازوكي إلى ابن أخيه أويس بك، وقد عين (ياد كار بك) وصياً عليه. بيد أن والدة (أويس بك) توهمت فأوجست خيفة من (ياد كار بك) وذلك خشية أن يمسوا ابنها بسوء؛ فبادرت إلى حمل ابنها تاركاً الإمارة، وحضرت به إلى (قزوين) لاجئة إلى بلاط الشاه طهماسب.

ياد كار بك بن منصور بن زينل بن شكر بن حسين علي بك

حينما أقدمت والدة (أويس بك) على خلع ابنها عن إمارة الپازوكي، فما وسعت جماعة الپازوكي إلا أن تجمع رأيها باستصواب أعيانها على تنصيب (ياد كار بك) أميراً عليها وإسناد حكومة (آلشكرد) إليه بمرسوم من الشاه. هذا ولما كان ياد كار بك صوفي المشرب قليل المبالاة بأمور الدنيا يمضي أوقاته غالباً مع الدراويش والمتساهلين في الأمور الشرعية وغير المحافظين على التقاليد . فقد سقط في نظر أهل الفضل وذوي العقل والتبصر في الأمور، بيد أنه كان في غاية الشجاعة وكرم الخلق وكان على جانب عظيم من السخاء والبذل، مما أفضى إلى غنى عشيرة الپازوكي وحيازتها أموالاً كثيرة واجتماع أكثر من ألفي أسرة من الطوائف الكردية عليها، فتعمرت البلاد والقرى وانتشرت المزارع في أنحاء إقليم (آلشكرد) حيث كان جميع هؤلاء يدعون بأنهم من خلص الپازوكيين. وقد دام هذا الحال خمسة عشر عاماً قام خلالها بأعباء الإمارة قرير العين هانىء البال حتى لقي ربه.

نياز بك بن ياد كار بك

فوض الشاه طهماسب منصب إمارة الپازوكي، وآلشكرد، إلى هذا الأمير بعد وفاة أبيه. وسلك هو أيضاً مسلك أبيه في إتباع البدع والتهاون في السنة والاستهتار بالتقاليد؛ بل زاد في ذلك وأمعن في المخالفات وارتكاب الموبقات حتى وصل الأمر إلى حد أن أرسل حكام الحدود العثمانية وموظفوها إلى الشاه طهماسب يقولون: إن كان ما عليه القزلباش من قواعد الآداب والسلوك

والتمسك بالشعائر هو عين ما يصدر الآن من طوائف اليازوكي، خنسلو، جمشكزك، وغيرها فلا يمكن أن نعد ذلك من الإسلام ولا من اللائق والجائز إطلاق اسم المسلم عليهم. وإزاء هذا بادر الشاه طهماسب إلى عزل مقصود بك خنسلو، وسائر أمراء تلك الحدود من مناصبهم. ثم أمر بقتل جمع من الخنسلوية، واعتقال مقصود بك في قلعة (آل موت) الشهيرة، وكذا عزل (نيازك بك) من الإمارة وأعطاها لأويس بك الملقب بقليج بك. واستمر نياز بك على هذا الحال إلى أن توفي الشاه طهماسب إلى رحمة الله، وتولى تاج إيران الشاه سلطان محمد فعمد إلى قسمة إمارة اليازوكي إلى قسمين أسند برئاسة إحدهما – وهم من سلالة شكر بك (شكر بكيان) – إلى نياز بك. والقسم الآخر قد التحقوا بمعية قليج بك. وقد خضع نياز بك أخيراً لسلطان أمير خان ونفوذه. كما أن قليج بك بعد أن التف حوله جميع من يطلق عليهم اسم (خالد بكيه) من اليازوكية أعلن تبعيته لتقماق. وهكذا انقسم إقليم آلشكرد إلى قسمين.

هذا وقد أبدى (نياز بك) في تلك الحدود والبلاد آثار شجاعة فائقة وعلائم بسالة نادرة ملأ صيتها الأسماع والمجالس إلى أن استشهد غريقاً في نهر القنع من روافد الكر في المعركة التي قامت بين أمير خان وبين (للّه) باشا بشيروان، وقد انكسر أمير خان فيها . وقد سبق القول أن (أويس بك) الملقب (بقليج بك) خلعته والدته من إمارة البازوكي وجاءت به إلى قزوين. خوفاً من أن يمسه (ياد كار بك) بسوء طمعاً منه في الإمارة، ونزيد الآن فنقول: إن الشاه طهماسب ألحقه بحرسه الشاهاني وعني بتربيته مع الضباط العظام زهاء عشرين سنة حتى صار متفوقاً على أقرانه وأمثاله من الأمراء والقواد في حسن الاستعداد والكفاية التامة لتولي الأمور العامة فلذا أسند إليه منصب إمارة اليازوكي وحكومة آلشكرد حينما عزل (نياز بك) من ذلك المنصب لأمور نسبت إليه.

ولقد قام (أويس بك) هذا بمهام المنصب وشؤون الحكومة خير قيام فترة من الزمن، وقد تمكن خلالها من القضاء على عادات وتعاليم أهل الرفض والإلحاد التي كانت منتشرة بين هؤلاء القوم، بل وراسخة فيهم فأظهر الشعائر الإسلامية من جديد كما ينبغي، وسعى في تنفيذ التعاليم الإسلامية وقواعد الشريعة الغراء سعياً حثيثاً، حتى إذا ما نقض الشاه طهماسب الشروط والمواثيق السلطانية وعادت بلاد (آلشكرد) إلى حالتها الأولى من الدمار فصارت من البلاد الخاوية على عروشها مثل ديار لوط وعاد الأولى، وقد هجرتها قبائلها وعشائرها إلى الأطراف (وكأنهم حمر مستنفرة فرت من قسوره) ولكن

إمـارة اليـازوكي بفضـل تـدبير امـير خـان وحسـن استعداده صـارت حصـتين. فأعطيـت وخصصـت إقطاعـات قلـيج بـك ومواجبـه مـن محصـولات أطـراف نخجوان ووارداتها، فهو يمضي الآن أوقاته مع تقماق خان في جخر سعد[1] . حيث ظهرت منه آثار خدمات جليلة في تلك الحدود الشاهانيه. هذا وفي سنة (٩٩٣هـ =١٥٨٥م) حينمـا توجـه (عثمـان باشـا) إلى تبريـز لاحتلالهـا ونـزل الجـيش الإسـلامي العظـيم في محـل يـدعى (حرامـي بلاغـي)، اتفـق أن عثـر جـيش مـن القزلباش قوامه قوات كل من تقماق خان، وعلي قلي خان فـيج[2] ، أوغلـي واسـمي خـان شـاملو، وغيرهـم مـن الأعيـان والأمـراء في مكـان يـدعى (ابنـه) علـى طليعـة الجيش العثماني المنصور الذي كـان بقيـادة (سـنان باشـا چيغـال أوغلـي) فنشـب القتال بين الفريقين واحتدم وتلاطمت أمواج بحـر الـبلاء والمهالـك، فنالـت موجـة منها قليج بك فأغرقته في لجة الهلاك حيث تقدم إليه من جانب العثمانيين مـن يدعى (قوچي بك ولد شاه قلي بليلان الپنيانشـي) فقطـع رأسـه وحضـر بهـا إلى (عثمان باشا) ونال الإنعامات السلطانية جـزاء عملـه. وقـد خلـف قلـيج بـك هـذا ولـداً يـدعى (إمـام قلـي بـك) كـان في بـادئ أمـره في خدمـة القـواد القزلباشـية وخاصة (ذو الفقار خان) القرامانلو حاكم أردبيل. وأخيراً عينـه الشـاه عبـاس في حرسه الخاص ضابطاً عظيماً.

هذا وتقدمت فرقـة مـن اليـازوكيـة بالاتفـاق مـع أمـراء الـدنبلي مـن نخجـوان إلى العتبات السلطانية العثمانية مقدمة لها خضوعها وطاعتها، فأسـند منصـب إمارة هـذه الطائفـة الوافـدة وناحيـة مـن نـواحي آلشـكرد مـن ديوان فرهـاد باشـا السـردار العثماني إلى شخص يدعى (ابراهيم بك أوقجي أوغلي) الذي عزل بعد سنتين من ذلك المنصب.

١- كذا في الأصل، ولعله چقر سعد.

٢- في نسخ أخرى (قليج أوغلي) المترجم

الصحيفة الرابعة

في ذكر حكام (بدليس)

الذين هم آباء كاتب هذه السطور وأجداده

تشتمل على فاتحة، وأربعة أسطر، وذيل

فاتحة

في بيان مدينة بدليس، وقلعتها، ومن هو بانيها، وما سبب عمارتها.

نظم[1] :

معناه: (قل أيها الكلام ماهو أكسيرك ومن صنع عيار كيميائك ؟

كم من بدائع استصنعوها منك، قبل أن ينطقوا حرفاً من حروفك وينوهوا بفضلك، فإذا كان بيتك محروقاً لا قرار لك فأين مستقرك ومقامك، وإذا كنت جلوت وهمت على وجهك فأين ديارك وبلادك ؟ فأنت قائم بنا ولست معنا، ولكنك ترينا نفسك وصورتك من غير أن تكون موجوداً معنا، فلا أدري أي طائر أنت فبهذا الصنع البديع فأنت صورة تذكارية لنا تدل على أنك ماني).

لا يخفى على آراء معماري البلاد والأمصار، وضمائر مهندسي القلاع والحصار أن استنباط غرائب أحوال المعمورة من العالم واستخراج النوادر المتفقة لمعظم بني آدم التي تكفل بذكرها في السير والتاريخ، ليس ميسراً لكل من يشاء ويريد إلا بعد أن يبحث في الكتب المتداولة، ويقطع المراحل في التمحيص والتنقيب. فدل مثل هذا البحث والعمل الشاق مني في تلك الكتب على أن (بدليس) من آثار اسكندر الرومي الخالدة[2]، وقد ذكر حمد الله المستوفي

١- الأبيات: بگو أي سخن كيمياي نوجيست | عيار تراكيميا ساز كيست
كه چندين نكار أزتو برشا ختند | هنوز أزتو حرفي نپر داختند
أگرخانه سوزي قرارت كجاست | ورأز در درآيي ديارت كجاست
زما سر برآري وبا ما نهء | نمايي بما نقش وبيدانهء
ندائم چه مرغي باين نيكوئي | زما يادكاري كه ماني توئي

٢- مضاف من النسخ الأخرى . المترجم

القزويني مؤلف (زينة القلوب)[1]، أن منبع نهر (دجلة) في قلعة[2] اسكندر ذي القرنين وأن سائر مياه جبال كردستان تصب فيه بجوار ميافارقين. وفي بعض الآثار التركية والفارسية رسموا اسم هذا المكان بالتاء أيضاً وهذا غلط؛ لأن أقوال أرباب الخبر والآثار الشهيرة تدل على أن بدليس اسم لأحد غلمان اسكندر، والذي بنى البلدة والقلعة فسميتا. ومع ذلك يقول صاحب لغة القاموس إن بدليس يطلق على محل طيب الهواء والماء. وبعض المؤلفين يجعل بلدة بدليس في ولاية آذربيجان، والآخر يدخلها في ولاية أرمن (أرمينية). وعلى كل فالإجماع منعقد بين أكابر الآفاق على أنها داخلة في الإقليم الرابع.

وخلاصة ماذكره نقلة الأخبار وحكاة حملة الآثار، هي أن الإسكندر الكبير حينما كان متوجهاً من بابل العراق العربي إلى جانب الروم، ماراً بشاطئ شط العرب خطر بباله أن يعهد إلى العلماء الذين معه بامتحان جميع المياه، والروافد التي تصب في هذا النهر من الأطراف والجوانب حتى يعلموا أي واحد منها يفوق الآخرين في الخفة والصلاحية للهضم والارتواء فأخذوا يعملون ذلك إلى أن وصلوا ملتقى ماء بدليس بنهر دجلة، وهنالك ألقوا حجر الامتحان في ماء بدليس، فظهر أنه أخف من جميع المياه التي تصب في دجلة، فاغترفوا منه يشربون هنيئاً مريئاً. وعند ذلك سلك الموكب الاسكندري ساحل هذا النهير الذي كان في الوقت نفسه طريقاً عاماً صالحاً للسير حتى وصل ملتقى مائي (كسور) و(رباط) اللذين يتكون منهما ماء بدليس وهنا أيضاً بادروا إلى امتحان هذين المائين والمقارنة بينهما حتى وجدا أن ماء كسور أطيب من ماء رباط في الطعم والخفة، فسلكوا مجراه صاعدين إلى أن وصلوا عيناً هي منبع هذا الماء.

نظم[3]:

١- هكذا والمشهور (نزهة القلوب) في الجغرافيا التاريخية باللغة الفارسية، ومطبوع بأوربا. المترجم

٢- قلعة ذي القرنين هي قلعة أرغنى الشهيرة بأن في ذروة جبلها مقام (ذي الكفل عليه السلام). المترجم

٣- مصفاچون دل خلوت نشينان ... منور همچو چشم پاك بينان
رسيده قعرا وتا گاو وماهي ... نموده همچو عينك أزسياهي
گياهي كاندرو نشو ونماكرد ... بجاي برك بيرون عينك آورد
زبيداد تموز و گرمي وي ... پناه آورده سويش چلهء (ا) دي
بحدي سرد كه زبيم فسردن ... نيارد عكس دروي غوطه خوردن
كند گر زنكي أنجا كذاري ... كه شويد دروي أزعارض غباري
شوراز گرد ظلمت آنچنان پاك ... كه بتوان ديد دروي عكس إدراك

(١) لعله چله (المترجم).

معناه: ٠(فهو مصفى كقلوب الأصفياء الملتزمين الخلوة ومنور كعيون ذوي البصيرة وهو عميق قد وصل عمقه حتى البقر والسمك (اللذين يحملان الدنيا) وهو كالمرآة من سواد ماحوله من العشب الذي نما فيه فقام مقام الملابس أو الإطار للمرآة.

وقد لجأ من ظلم شهر تموز (يوليو) وحره الشديد إلى ساحته الأربعون الواقع في ديسمبر (زمهرير الشتاء) وأنه لبارد لدرجة أن المغتسل والخائض فيه لا يتحرك ولا يعكس خشية أن يجمد .

وإذا مر به زنجي ليغسل من وجهه الغبار فلا شك أنه يتطهر من غبار الظلام لدرجة أنك لتستطيع أن ترى فيه عكس الإدراك وتبدله)).

فقد راقت في نظر الاسكندر تلك الجبال الدافقة الأنهار والروابي الخضرة ذات الأشجار إذ أخذ يدير عينيه يميناً وشمالاً حتى وقع نظره الثاقب على بقعة من الأرض. لم تر مثلها في القرون الحوالي والأدوار البائدة عين الزمان والأدهار بل ولم تسمع آذانها نشيدها من أفواه المغنين وألسنة نقلة الأخبار والمؤرخين. حيث كانت محاطة بأعشاب زبرجدية نامية، ومزداناً صحنها ووسطها بأنواع الرياحين والزهور المتلألئة، فجبالها تلبس حللاً خضراء كسيدنا خضر عليه السلام، وأشجارها الباسقة تتحلى بأنواع الكسى الأنيقة والخلع الشيقة من الورود والزهور ذات الألوان .

نظم[1] :

معناه: (هواؤها سلب الاعتدال من الروح وخطف الرطوبة والطراوة من نبع ماء الحياة، وأراضيها مغسولة بمياه السحاب الرقراق، وفيها ورود كثيرة الألوان نامية الزهور والأطراف. بساطها الوضاء مختبئ في نقاب الورود حيث تفتحت فيه أنواع الزهور والشقائق والخزامى. فورودها مثل الحسان ذات الخدود

١- هوايش اعتدال اسجان كرفته — نم أز سر چشمهٔ حيوان كرفته
زميمها يش زآب أبرشسته — درو كلهاى رنكارنك رسته
بساطش درنقاب كل نهفته — كل ولالة أست كاندرهم شكفته
كلش چون كلرخان پروردهء ناز — نواى بلبلانش عشق پرداز
رسيده سبز هايش تا كمركاه — درختانش زده برسبزه خركاه
اكرمرغى بشاخش آرميدى — كشادي سايه آش بال ويريدي

الوردية لطيفة ذات دلال ورقة.وأصوات بلابلها ذات مقام موسيقي يوحي بالعشق والهيام. كما أن أعشابها باسقات وصلت رؤوسها إلى الشامخ من القناطر والذرى وأشجارها كأنها ضاربة القباب والخركاه على وجه البسيطة الخضراء. وإذا حل طائر بأغصان تلك الأشجار ذاق حلاوة الراحة فطار فرحاً باسطاً جناحيه ومرفرفاً).

وصفوة القول أن مناخ هذه الديار قد أثار إعجاب الإسكندر وراق في نظره فحط رحاله في تلك البقعة الفردوسية على النبع المذكور لتمضية بضعة أيام للترويح عن النفس والتمتع بهوائها البليل ونسيمها العليل، وقد نصب مجلس الأنس والطرب ودارت فيه كؤوس الحميا على أيدي الحسان الفضية السيقان ذات الجباه المتلألئة الوضاحة، فوصلت أصوات المغنين ومقامات الموسيقى الشجية إلى عنان السماء، وقد عم السرور والبهجة الناس كلها، وانتشر الفرح في الأطراف والجوانب فضلاً عن الخاص والعام الموجودين بموكب الاسكندر العظيم حتى إن الظاهرة التي كانت قد بدت منذ مدة على الاسكندر – كما هو مشهور بين عوام الناس ومذكور في الألسنة والأفواه – أن عظمة على شكل قرن بقرة نبتت في رأسه، وعجز نطس الأطباء عن معالجتها – قد أخذت تزول شيئاً فشيئاً، فلم يبق لها بعد بضعة أيام أمضاها في هذا المكان الفريد اللطيف ولا يزال حتى الآن هنالك مكان فسيح مسطح يدعى بين الناس بعين الاسكندر وينبوعه تخليداً لذكرى هذا المكان الذي استطيبه الاسكندر واستشفاه، فأمر غلامه المسمى (بدليس) ببناء مدينة وقلعة في غاية المناعة والحصانة، وقال له حتى إذا رام ملك مثلي أن يستولي عليها لا يكون ذلك بل يعجز عنها كل العجز، وبذلك تخلدون اسمها قرناً بعد قرن وبطناً بعد بطن فامتثل بدليس للأمر وأقدم على إنشاء القلعة والمدينة في بقعة بين نهري كسور ورباط على مسافة فرسخين من النبع. وهي المكان الذي تشغله الآن مدينة بدليس وقلعتها الحالية، وقد أتم كل ذلك في مدة قصيرة. ولما عاد الاسكندر من فتح إيران ووصل إلى أرباض قلعة بدليس بادر الغلام إلى غلق أبواب القلعة مستعداً للحرب والقتال وامتنع عن التسليم، وذهب سعي الاسكندر لديه لحمله على التسليم هدراً، فقد رد جميع الرسل والوسائل التي لجأ إليها الاسكندر وأصر بدليس على المقاومة اعتماداً على حصانة القلعة. فما وسع الاسكندر إلا أن يترك القلعة ويرحل عنها وأن يعامل بدليس بالعفو والصفح. ولما انفصل الموكب الاسكندري ووصل إلى مسافة مرحلة عن البلدة بادر باني القلعة إلى الخروج، وتقدم إلى سيده معلقاً السيف والكفن على عنقه يحمل أقفال القلعة ومفاتيحها معه، وقد أخذ يعتذر

بكل خضوع وانكسار له عما بدر منه قائلاً أيها الفاتح العظيم إن عصياني وتمردي عليك كانا بإشارة منك سابقة. لأن جلالتك حينما أمرتني بإنشاء القلعة وبناء المدينة قد طلبت مني أن تكون من الحصانة بمكان يستحيل فتحها ويستعصى على الملوك العظام والقواد المهرة الجبابرة مثلي. فلذلك تجرأت فأقدمت على إتيان هذا الفعل الجرئ الشنيع، لأثبت متانة القلعة ومبلغ تنفيذي لأمرك. ومع ذلك فإني طوع أمر السلطان الفاتح مستعد لتلقي العقوبة التي يراها سيدي أني استحقها. فأعجب الاسكندر بمقال غلامه (بدليس) وكافأه على ذلك بأن سمى القلعة والبلدة بدليس وعهد إليه بحكومتها وإدارة أراضيها بطريق التمليك، فأعلى بذلك قدره ورفع من شأنه حتى ناطح السحاب كمناطحة قلعة بدليس السحب.

هذا ولما كان شكل قلعة بدليس في العموم على شكل المثلث من الأشكال الهندسية، فقد لا تخلو هي من الفترات والانقلابات غالباً إذ يروي الثقاة من الرواة أنه في الأزمان القديمة ظهرت بها ثعابين وحيات كثيرة ضاق سكانها منها ذرعاً حتى عمد بعض الحكماء إلى وضع طلاسم في أبواب القلعة تساعد على تقليل الحيات والثعابين وعدم مزاحمتها للناس من المترددين. ولا يزال للآن هناك طلسم مشهور باسم طلسم الباب على شكل آدمي بيده حية، منقوش على صخرة عظيمة في الحائط. ومدينة بدليس هي (دربند = مضيق) بين ولايتي آذربيجان وديار بكر من جهة، وبين ولايتي أرمن وربيعة من جهة أخرى. فلذا هي تكون ملتقى الحجاج الذين يقصدون زيارة الحرمين الشريفين، سواء أكانوا يأتون من الشرق من تركستان والهند مارين بإيران من خراسان والعراق، أم كانوا من السياح القادمين من الغرب عن طريق جدة والزنجبار. وخلاصة القول أن التجار: الخطا، والختن، والروس، والصقلاب، والبلغار، والرحل العرب، والعجم، وسائر السياح من جميع أنحاء العالم من كل جنس وملة الذين يطوفون العالم ويجوبون البلاد، لا بد أن يمروا من صخرة بدليس الخرقاء التي تقع على مسافة فرسخ جنوبي بدليس وفي الوقت نفسه أن هذه الصخرة الخرقاء هي نبع تتجمد مياهه بعد النبعان والتدفق على مدى الأيام فتكون سداً منيعاً أمام السائرين الذين يجتازونه بكل صعوبة. ولكن سيدة خيرة في عصرها بنت مسجداً وقنطرة عظيمة في نفس بلدة بدليس وهما مشهوران باسم مسجد خاتون وقنطرتها، قد عمدت أيضاً إلى هذا السد الصخري وخرقته ووسعت خرقه حتى يتسنى للقوافل والمترددين من سلوك هذه الصخرة الخرقاء. وهو مكان شريف ومبارك نشأ منه كثير من رجال الصوفية والمشايخ من أهل الله العارفين وأوليائه الواصلين .

ويذكر الواقدي رواية عن نوفل بن عبد الله أنه في عهد خلافة عمر رضي الله تعالى عنه لما كلف عياض بن غنم سنة (٢٧ هـ = ٦٤٧- ٦٤٨ م) بفتح ديار بكر وأرمينية كان حاكم (أخلاط) حينئذٍ كافراً يدعى (يوسطينوس) وكان حاكم بدليس (سروند بن يونس) وأما بطريق وملك موش، وصاصون، فكان كافراً يدعى (سناسر) ولكن مقدمهم كلهم وكبيرهم كان حاكم أخلاط يوسطينوس الذي كان قد اتخذ ابنته (طارون) ولية لعهده. وقد ورد في فتح البلاد[1]، أن والد هذه البنت كان يرغب في تزويجها لابن عمها (بغوز) وهو ابن سروند حاكم بدليس، على خلاف هوى البنت التي كانت تعشق (موش بن سناسر) إذ كان هذا الأمير شاباً جميلاً بهي الطلعة وضاح الجبين كريم الخلق والنفس، وفي أثناء مبادرة أنجال الحكام الكفار إلى مساعدة (مريم بن داراب) والي (آمد) ونجدتهم له كانت (طارون) أيضاً من ضمن هؤلاء الأنجال الأمراء نيابة عن والدها. ولما التقت بهذه المناسبة بعشيقها موش ابن سناسر فقدت شعورها وتوازنها، فأقدمت خفية على الاتفاق معه على مغادرة جيش الكفار والالتحاق بمعسكر المسلمين. وقد وصلا إلى خدمة (عياض بن غنم) وتشرفا بنور الإسلام وهنالك عقدت خطبة طارون على موش. ثم اتفقت طارون مع رجال عياض على خطة مدبرة محكمة فرت بموجبها إلى والدها يوسطينوس وقالت له إن موش كان قد أجبرني على الإسلام فلما وجدت الفرصة سانحة قد هربت منهم وجئت إليك. فاطمئن والدها إليها حتى إذا جاءت الفرصة أقدمت على قتل والدها وسلمت قلعة أخلاط بالصلح إلى معسكر المسلمين؛ مما اضطر (سروند) حاكم بدليس إلى عقد صلح مع المسلمين بواسطة (يوقنا)[2] على شريطة أن يسلم لعياض مائة ألف دينار من النقود وألف ثوب من الأقمشة والديباج الافرنجية وخمسمائة جواد عربي ومائة حصان بلدي. وأكثر سكان المدينة الآن أرامنة والمسلمون منهم على مذهب الإمام الشافعي ما عدا قليل من الناس تحنف آباؤهم أيام تسلط الترك عليها متابعة لهم. أما سكان الولاية فكلهم مسلمون شوافع راغبون في الطاعات وقائمون بالعبادات وهم على جانب عظيم من الشجاعة والسخاء والكرم يكرمون الضيوف والمترددين عليهم إكراماً زائداً. وفي كل قرية إسلامية حتى لا يزيد عدد بيوتها عن ثلاثة أو أربعة مسجد جامع له مؤذن وإمام يقومان

١- لعله فتوح البلدان للبلاذري. (المترجم)

٢- يبحث. (المترجم)

بشعائر الإسلام في كل الأوقات حيث يواظب الناس على الصلاة بالجماعة، ولا يقصرون قط في أداء الفرائض أو السنن أيضاً. فلذا نشأ منهم في مختلف الأوقات أناس في غاية العلم والزهد والصلاح والفضل، ولاسيما في بدليس تلك البلدة الطيبة. فمن هؤلاء الأفاضل نذكر الآتي:

١ . مولانا الأعظم قدوة نحارير العالم حاوي الكمالات النفسانية المولى عبد الرحيم البدليسي الذي كان من العلماء الفطاحل. كتب حاشية لطيفة للغاية، على المطالع. وله مؤلفات في المنطق والمعاني معروفة ومشهورة بين الفضلاء.

٢ . مولانا محمد برقلعي؛ الذي اشتهر بين العلماء والفضلاء بأنه زعيم الفقه والحديث فضلاً عن أن له في علم النحو[١] حاشية على الخبيصي وعلى الهندي كتبها باسم الأمير شرف حاكم بدليس فهي منظورة للخاص والعام. فقد نشأ هذا العالم أيضاً في مدينة بدليس.

٣ . قطب المحققين وبرهان المدققين حافظ أوضاع الشريعة قدوة أرباب الطريقة الشيخ (عمار ياسر) الذي هو من مريدي الشيخ أبي نجيب الدين السهروردي، وشيخ الشيخ نجم الدين الكبراي[٢] قدس الله تعالى أرواحهم كذلك من بلدة بدليس.

٤ . جناب صاحب الفضائل والعرفان مولانا حسام الدين البدليسي الذي كان أيضاً من العلماء العاملين والمتصوفين العارفين، وطريقته في التصوف تصل إلى حضرة الشيخ عمار ياسر. وقد ألف تفسيراً بديعاً في التصوف بعد أن وصل في الطريقة بالرياضة والمجاهدة إلى مرتبة الكمال.

٥ . مولانا إدريس الحكيم ولد مولانا حسام الدين، الذي شغل منصب إنشاء سلاطين الآق قوينلية. ثم صار من ندماء مجلس السلطان سليم خان فعلا شأنه وازداد قدره حتى رافق السلطان في غزوه لمصر، وفتحه لها مما أطلق لسانه في مدح السلطان هنالك، فأنشد قصائد غراء، وهذه الأبيات الآتية التي يشكو فيها حاله هي من ضمن إحدى تلك القصائد.

١- لعله سبق قلم من الناسخ لأن الخبيصي هو في المنطق.

٢- من مشاهير الأولياء أصل لقبه الطامة الكبرى ثم خفف فصار الكبرى. المترجم

نظم[1] :

معناه: (إلى متى يروج كساد نقدي بسبب الجهل في حين أنك المعيار الوحيد لمعرفة الفضل الصحيح والمزيف، فلم يحصل لي من الفضل قدر شعيرة من مصر جامعة الأفضال التي يحمل الجهال فيها مثل الحمير أحمالاً من الجواهر. ماعداي أنا الفقير الذي صارت لي مصر أرضاً حراماً حتى لا أرى حولي شيئاً من الحلال أقتطف من ثمار أشجاره.

فلقد نلت مالا أملكه من حق خدمتي من ثمارك لأن هجري الأصدقاء والأهل والوطن كان لأجلك.

فهناك بالروم والشام والكرد وديار بكر جماعات ذوو نسب وأصل عريق غارقون في البؤس والشقاء مثلي فلو رفعت مظلمتي إلى الشاه بواسطة أهل الجاه وأصحاب المناصب فلا شك أنها تطوى كطي السجل وتلقى إلى جانب أو تحفظ.

وإذا كان بلاطك يا ملك مصر مجمع الفضائل فجدير بأنك جامعة عالمية يجتمع فيها من أصحاب العلوم العقلية والنقلية والفنون الأدبية كالفقه والطب والرياضيات هذا والذي عرج إلى سماء العلوم وحلق فيها كيف يمكنه أن ينكر رفعة إدريس بها ؟).

ولقد ألف كتاباً فارسياً في (تاريخ آل عثمان) ضمنه خلاصة آثارهم وقوانينهم وهو في الغاية من فصاحة القول وبلاغة التركيب وإشراق الديباجة وسلاستها . يمكنك أن تقول إنه كتاب لا نظير له في الرونق والبهاء. ولما كان مشتملاً على ترجمة ثمانية من السلاطين وأحوالهم فقد سماه (هشت بهشت = الجنات الثمانية) وهو في زهاء ثمانين ألف بيت. ومن لطائفه في القول وسرعة

١- كساد نقد من أزجهل تابكى رايج — چوصاف وناسره فضل را تويى معيار
زمصر جامع فضلم نشد جوى حاصل — كهر كشيده بخروار جاهلان خروار
مكر كه مصر شده برفقير أرض حرام — كه يك حلال نشايم كه بر كنم زاشجار
كرفتم آنكه ندارم برت حق خدمت — زبهر توبود اين هجرتم زيار وديار
بروم وشام وبكرد وديار بكر مراست — چوبنده زار وپريشان كروه أهل تبار
بأهل جاه ا كر عرضه دهم برشاه — بخود به پيچد؛ وفى الحال طى كند طومار
چوهست دركهت أى شاه مصر مجمع فضل — سزدكه جامع علمى كنى باشتهار
به بين زعقلى ونقلى وبافنون أدب — زفقه وطب ورياضى رياض هر اشجار
براسمان علوم آنكه هست معراجش — چكونه رفعت إدريس را كند انكار

خطره وحسن تخلصه أنه حينما أعلن الشاه إسماعيل الصفوي مذهب الرفض وسعى في نشره وجعله مذهباً رسمياً قال مولانا إدريس في تاريخ ذلك الحدث (مذهب ناحق) ومعناه باللغة الفارسية مذهب غير حق؛ فشاع هذا القول حتى بلغ نبأه إلى مسامع الشاه إسماعيل فأمر نديمه في المجلس الخاص مولانا كمال الدين الطبيب الشيرازي بأن يكتب إلى مولانا إدريس ويسأله عما إذا كان حقيقة هو الذي وضع هذا التاريخ أم لا ؟ فامتثل مولانا كمال الدين للأمر وكتب خطاباً ضمنه كثيراً من النكت الأدبية واللطائف الفنية وأرسله إلى مولانا إدريس. ولما اطلع هذا على الخطاب لم ينكر أنه قاله فكتب في جوابه يقول نعم أنا الذي وضعته تاريخاً، غير أنه تركيب عربي لا فارسي. إذ قلت (مذهبنا حق) فأعجب الشاه إسماعيل بهذا الجواب السديد والتخريج اللطيف وأصدر أمره بدعوة مولانا إليه وترغيبه في أن يلازمه في الحط والترحال؛ بيد أن مولانا اعتذر عن عدم الإجابة وأرسل إلى جلالته قصيدة ضمنها الاعتذار والتعلق به وبأسرته نذكر منها الأبيات الآتية[1] :

معناه: (أعرف أني خادم أسرتك أباً عن جد، وأن جدي كان خادم جدك فصار رفيقاً له في الطريق القدسي.

ووالدي من تلاميذ الجد الثاني لجلالة الشاه فأخذ علم الظاهر منه وأنار باطنه عن طريقه أيضا .

وأما طريقتي الخاصة مع الشاه حيدر لفرط إخلاصي وحسن اختلاطي معه فقد وصلت لدرجة تمازج الحليب مع السكر.

ومن حسن التصادف والاتفاق أن يذكر في الآيات القرآنية في مقابل اسم إسماعيل اسم المخلص «إدريس»).

٦- أبو الفضل أفندي بن مولانا إدريس، كان على جانب عظيم من الفضل والعقل، فقد تولى منصب دفتردارية الروملي في عهد السلطان سليمان خان

١- الأبيات:

مرا ميدان أبا عن جد غلام خاندان خود	كه جدم خادم جدت براه قدس چاكرشد
زتلميذان جد ثاني شاه است والدهم	كه علم ظاهر ازوى ديد وباطن زو منورشد
طريق بندكي خاص من باشاه حيدر هم	زحسن اختلاط بنده همچون شير وشكرشد
زحسن اتفاق ست اين كه در آيات فرقاني	بهرجا نام اسماعيل بنام بنده هجد شد

وأمضى فترة كبيرة فيه، وكان له ولدان نجيبان حرم منهما قبل أن تظهر ثمار نجابتهما. إذ كان ذات يوم قادماً من جهة غلطه إلى استانبول راكباً في السفينة ومعه ولداه فإذا بالبحر تتلاطم أمواجه ويشتد هياجه فتنقلب السفينة ويذهب ولداه ضحية لذلك غريقين في لجج البحر الغادرة، وقد كانا في ريعان الصبا وشرخ الشباب قبل أن يقدما شيئا من هذه الدار الفانية إلى دار البقاء[1].

معناه: (إذا غرقت سفينة المرء بماهو مقدر له من الطوفان، فلابد أن يد القدر المعاكس أن تبطش بيد السابح حتى ينفذ الأمر ويتم).

ولم يمض على هذا كثير من الوقت حتى أدركت المنية أبا الفضل أيضاً فلقي ربه هانئاً، ولكنه متأثراً جد التأثر من فرقة ولديه العزيزين حيث لم يبق له بعدهما أولاد ذكور فانقطع نسله.

٧- الشيخ أبو طاهر الكردي. ذكره مولانا نور الملة والدين عبد الرحمن الجامي في كتابه (النفحات) وهو من (بدليس) أيضاً ومدفون في محلة (كسور) الواقعة في غربي بدليس ومرقده المبارك ذو الأنوار الباهرة يزار ليلاً ونهاراً.

٨- شكري الشاعر، الذي كان في بادئ الأمر في خدمة أمراء التركمان ثم لازم خدمة (شرف خان) حاكم بدليس، وبعد ذلك انتقل به الحال إلى أن دخل المجلس الخاص للسلطان سليم خان وصار من ندمائه البارزين. حيث ذكره (لطيفي رومي) صاحب تذكرة الشعراء التركي في تذكرته.

وقد نظم هذا الشاعر وقائع عهد السلطان سليم نظماً فائقاً فأجاد فيه وسماه (سليمنامه) فهذا أيضاً من بلدة (بدليس).

ثم أن الغرض من ذكر كل هذا، بيان أن بلدة بدليس كانت دائماً مجمع الفضلاء والعلماء ومقر أهل الفن والأدب. ولقد حكى لي (مولانا موسى) الذي يقوم الآن بالتدريس في المدرسة الشكرية، روايةً عن جده (مولانا الشاه حسين) المتوفي وهو يبلغ من العمر مائة وعشرين سنة، أنه حينما نشب قتال بين (شرفخان) وبين (بهرام بك ذو القادر) المولى من قبل الشاه إسماعيل على محافظة (عاد لجواز وأرجيش وباركيري) من جراء النزاع على (أخلاط) وحواليها،، وأرسل شرفخان لدفع هؤلاء وصدهم حملة عسكرية بقيادة (شيخ أمير البلباسي) فرافق هذه الحملة زهاء خمسمائة نفر من الطلبة وأهل العلم ببدليس؛ حاملين السلاح بقصد الجهاد والغزو في سبيل الدين متوجهين نحو بلدة (أرجيش).

١- كشتى هركس كه شد غرق بطوفان أو   پنجهٔ عكس أندرآب دست شناور شكست

هذا وبلدة (بدليس) طيبة الهواء والمناخ تحيط بها حدائق غناء وعمارات لا تعد ولا تحصى فيها على مقربة من (كوك ميدان) مرقد شيخ الإسلام وأفضل الأنام مولانا عبد الخلاق ولد الشيخ حسن الخيزاني، وهو خليفة الشيخ عبدالله البدخشاني يزار من قبل الناس ويستجاب به الدعوات. وسلسلة طريقته في التصوف تصل إلى الشيخ ركن الدين علاء الدولة السمناني قدس الله سره العزيز. فهذه عدة من أبيات من أشعاره الكريمة في وصف ماء بدليس وهوائها نذكرها تبركا[1]:

معناه: (بدليس وما أدراك ما بدليس ! ؟. ماؤها كماء الخضر (ماء الحياة، وهواؤها كأنفاس عيسى (في إحياء الأموات). مدينة لا كالمدائن ! جنات ذات أفنان، افتتنت بها جنة إرم ذات العماد. أرادت غزلان خوتها هجر صحرائها واتخاذها مقراً لها؛ لعرض مسكها. فقال لها نسيم الصبا: احذري !؟ فإن مسك الصين هو تربة أرضها، فمسكك ليس له رواج فيها. فالنسيم قصدها من الفردوس لينقل إليها غبار تربتها العطرية النقي النضر؛ كي تفتخر به أمام الحور ذوات الشعر الحريري المجمع لكنه لم يبلغ مراده في التحصل على الغبار المسكي بالرغم من تنقله في أرجاءها وتجوله حائراً في ساحاتها).

ولو أن سكان هذه البلدة يتحملون المشاق في الشتاء عدة شهور من كثرة الثلوج، واشتداد الزمهرير وهبوب الرياح والعواصف إلا أن طيب هوائها وصحته وكون برده أيضاً مما لا يطاق يجعل الناس لا يشعرون بعذاب شديد. لأن فيها حطباً كثيراً ورخيصاً بحيث جميع الأهالي يمكنهم الحصول عليه من غير فارق بين الأغنياء والفقراء والأجانب عن البلدة أو من أهاليها، فحمل بغل من الحطب الناشف يساوي اثنتي عشرة آقچه عثمانية التي تساوي درهماً من الفضة حتى إن حمامات هذه البلدة أيضا تسخن بالحطب الناشف. ويحدث أحياناً في وسط

---

١ - الأبيات:

وه چه بدليس كه شرمند وخجلت زده اند   آب خضر ونفس عيسى اش أزآب وهوا
چه مقاميست كه از نزهت وباكيزه كيش   شده أز روى زمين باغ ارم ناپيدا
چه دياريست كه أز طيب وى آهو چوشنيد   خواست صحراى ختن‌را كند آن لحظه‌رها
نادر آن كوى كند نافهٔ مشكن راعرض   كفت باد سحرش كين چه خياليست خطا
مشك چبن آمده خاك سر آن كويكسر   مر وآنجا كه متاع تو بودخاك بها
چه زمين است كه از صفوت خاك خوش او   ازكلستان جنان آمده عمر بست حبا
تاغباري برداز ساحت پاكش سوى خلد   كه كند غاليه أنكيزي جعد حورا
ليك هرچندكه سركشته درآن كو كرديد   بغباري نشدش دست رس ازعين صفا

الشتاء أن تنقطع الطرق على الغادين والرائحين من كثرة نزول الثلج وتجمده في الأرض، ومما حمل السلاطين السابقين والحكام الأقدمين على أن يعفوا سكان هذه الجهة من المسلمين والكفرة نظير محافظتهم على الطريق، وفتحه كلما انسد بالثلج من الرسوم الشرعية والتكاليف العرفية بإصدارهم أحكاماً وبراءات، وفرامين مؤكدة باللعنة وموثقة بالتأكيدات للعمل بموجبها وألاّ يخالفها أحد من الآتين بعده. ولقد قام حكام هذه البلاد بإنشاء مؤسسات خيرية وأبنية عامة كالمساجد، والمدارس والخوانق والحظائر والحمامات وقناطر وجسور كثيرة، فمن ذلك أن إحدى وعشرين قنطرة من الحجر المنحوت موجودة في داخل البلدة يتردد عليها الغادرون والرائحون. وللمدينة ستة عشر حياً. وثمانية حمامات[1] وأربعة جوامع كبيرة، كان أحدها من القديم كنيسة للأرمن تحولت للجامع حينما تيسر للجيوش الإسلامية فتحها لأول مرة، وهو الآن مشهور باسم (قزل مسجد = المسجد الأحمر) وجامع آخر من آثار السلاجقة، ومشهور باسم (جامع كهنه = الجامع العتيق) وتاريخه مكتوب بالقلم الكوفي. وهناك جامع آخر بناه الأمير شمس الدين حاكم بدليس مع زاوية بجواره في (گوك ميدان = الميدان الأزرق) تدعى المؤسسة بالشمسية. والجامع الرابع مشهور باسم (شرفية) بناه مع مدرسة وزاوية بجواره في محلة ماردين، جد الفقير كاتب السطور المغفور له شرفخان. فهذه الجوامع لا تزال عامرة بالمصلين حيث لها مؤذنون وأئمة وخطباء تجرى عليهم مرتبات ضخمة، ولايعلم في التاريخ منذ الفتح الإسلامي أنه قد انقطعت شعائر الإسلام من صلاة الجماعة والجمعة بها. وفيها أيضاً خمس مدارس علمية من آثار هذا الضعيف الفقير إلى الله تعالى تدعى: الخطيبية، وحاجي بكية، وشكرية، وإدرسية، وإخلاصية، أنشأتها كلها سنة (٩٩٩هـ = ١٥٩٠ – ١٥٩١م) بجوار الزاوية الشمسية، فهي الآن غاصة بالطلاب والعلماء والمدرسين من أصحاب الفضل الوافر والأدب الكثير. فمثلاً يدرس بالمدرسة الشرفية، مولانا خضر ببي[2] الذي ليس له نظير في إتقانه فروع الفقه الشافعي وفي التفسير والحديث. هذا ومن المعتقد الشائع أن كل من يقرأ عليه شيئاً فلابد أن يصل فيه إلى الكمال. وفي المدرسة الإخلاصية يقوم بالتدريس جناب الشيخ شمس الدين مولانا محمد الشرانشي الذي هو معروف بين علماء كردستان بعلو الهمة وسمو المكانة. وله مهارة كاملة في علوم التفسير

١- عشرون نسخة

٢- خضر خيزاني. المترجم.

والهيأة والمنطق والكلام. وأما التدريس في مدرسة الحاجي بكية فعائد إلى مولانا محمد الزرقي الصوفي الذي قلما يوجد له مثيل في إتقانه الفقه، وتمسكه بأهداب الزهد والتقى والديانة والصدق والاستقامة في جميع أحواله وأفعاله. وكذا المدرسة الإدريسية يقوم بها مولانا عبد الله الشهير برشك أعني ملاي سياه (الشيخ الأسود) بالتدريس حسب الشروط في البراءة التي حصل عليها من الآستانة مدى الحياة. وهو أيضاً في فنه من أبرع العلماء. وهناك أيضاً غير هؤلاء من ذوي الفضل والأدب وأهل الصناعة والحرفة أناس كثيرون موزعون على زهاء ثمانمائة من الدكاكين والمحلات العامة. ولا شك أن البلدة تحتوي سوى ما سبق على بقاع خيرية كثيرة: من ذلك آثار المغفور له خسرو باشا معمار العدالة موفق الخيرات والمبرات مستجمع الحسنات والصدقات ملاذ أرباب الطبل والعلم، ومعاذ أصحاب الفضل والعلم مؤتمن الدولة السلطاني، ومعتمد الحضرة الخاقاني، خسرو باشا مير ميران (وان) وهي تتألف من حمامين من الرخام الثمين، وخانين للغادين والرائحين، وزهاء مائة دكان (دورويه) [لعلها ذو البابين والوجهين] ومدبغتين إلى غير ذلك من المستغلات والمسقفات ذات الإيراد، فوقفها جميعاً على (زاوية رهوا). ولا شك في أن هذه العمارات البديعة قد أحدثت آثار عمران ورونق بهاء في مدينة بدليس. وقلد أرخ لهذه الأبنية الجليلة والعمارات البديعة الأستاذ الفاضل والأديب البليغ الكامل محمد حسان أفندي من قضاة وأبناء أكابر تلك البلدة الطيبة الذين يرثون المناصب العالية، ويتقلدون المراتب السامية أباً عن جد، بقوله (بناى خسروانه = بناء الملوك) .

وبغض النظر عن هذه العمارات الخيرية، فقد أقدم الوزير المشار إليه على بناء أثرين عظيمين فأتمهما في أمد وجيز على شكل أثار إعجاب الناس كلها بهما، ونال قبول الخاص والعام.

الأول مجموعة أبنية (عمارة رهوا) الواقعة بين قرية (تاتوان) ومدينة (بدليس) وهي تشتمل على خانين واسعين تقصدهما القوافل، وعلى زاوية رفيعة العماد، وحمام لطيف أنيق، ومسجد يشرح الصدور ويملأها بالغبطة والسرور، وعلى عشرة دكاكين للمحترفين والتجار. ثم إنه إكثاراً لآثار العمران وأسباب الترفيه على السكان قد أسال ماءً زلالاً إلى تلك البقعة من عين واقعة على مسافة إثني عشر ألف ذراع، وقد نقل إليهما أيضاً زهاء ثلاثين ألف أسرة من المسلمين والمسيحيين. ثم وقف على دوام عمارها، تلك الأراضي التي كان المغفور له السلطان مراد خان قد أقطعه إقطاعاً تمليكياً، حيث لا يزال يصرف

مـن ريعهـا علـى نفقـات الخبـز، والشـوربة، وزيـت للإنـارة الـتي تعطـى للغـادين والرائحين من المترددين على العمارة المذكورة. حيث يكرمون إكراماً زائداً كلٌّ على قدره ومنزلته فمن الذين ينزلون ضيفاً على العمارة الخيرية هذه، ويبيت فيها أمراء وأعيان الترك، والتاجيك، والعرب، والعجم، وأعيانهم من الأحرار والعبيد والقريب والبعيد. وفي الواقع أن هذه البقعة الواقعة بين مدينة (بدليس) وقرية (تاتوان) بالرغم من احتوائها على قرى وخانات متعددة يأوي إليها المترددون أثناء نزول الثلوج الكثيرة واشتداد البرد، حتى إن أعيان بدليس في سنة من السنين قد نزل فيها الثلج الكثير، قاسوا الثلج النازل فوجدوه طيلة الشتاء ستين ذراعاً (وجب). فلقد كان مع ذلك يتعرض كل شتاء عدة أنفار من التجار وسائر المترددين للهلاك المحقق والتلف المحتم. وهذا ما كان حدا بالسلاطين والحكام السابقين ولا سيما آبائي وأجدادي العظام من الأمراء، أن يقدموا على إنشاء عمارات وخانات هنالك تتسع لإيواء الناس شتاءً. وقد صنعوا أساس تلك العمارات وشرعوا فيها، ولا تزال آثارها من الجدران والحيطان بادية للعيان إذ لم يتم بناؤها من جراء الانقلابات والفتن المتوالية.

ولكن من بركات أنفاس الباشا المذكور وحسن طالعه أنه لم يتعرض أحد منذ عشرين سنة من الناس للهلاك كالسابق بفضل عماراته السالفة الذكر فيمر بها كثير من الحجاج والزوار والتجار وسائر المترددين منها بكل هناء وراحة بال .

ثانياً - بنى الباشا المغفور له في بلدة (وان) جامعاً رفيع الأركان، ومدرسة عظيمة، ومدفناً، وزاوية بديعة، فعين فيها الأئمة والخطباء والمؤذنين من الحفاظ ذي الأصوات الحسنة المجودين لتلاوة القرآن، وشحنها من طلبة العلم والمجاورين المنقطعين لتحصيل العلوم الدينية، والفنون الأدبية والانقطاع إلى العبادة حيث رتب لهم من الوظائف والمخصصات ما يقوم بأودهم على أحسن حال وأهنأ بال. فيقومون عقب كل صلاة من الصلوات الخمس بقراءة الفاتحة على روحه الكريمة. ثم يختمون القرآن بكامله في ليالي الجمعة والاثنين، ويهبون ثواب ذلك إلى روحه الطاهرة.

ثالثاً - إن هذا الباشا الشهم الكريم الخير قد غمرني بعطفه وأخذ بناصري فصار لي ولعشيرة (روژکی) التي كانت اضطرت معي إلى الجلاء عن الوطن من جراء الأغيار وتحكمهم، خير معين وأصدق مرشد في إنقاذنا جميعاً من ورطة القزلباش التي اضطرتنا إلى البقاء بينهم زهاء أربع وأربعين سنة، ونسمع خلالها ما يؤذينا ويؤلم نفوسنا من الأقوال البذيئة التي يتفوه بها لئام القزلباشية

وأدانيهم. إذ ساعدنا الباشا بجميع الوسائل على التخلص من أشواك الأعداء والمخالفين والعودة إلى حدائق الإسلام الغناء والتمتع بنعمة الإقامة في وطننا الحبيب الموروث. ثم اللجوء إلى مساكننا التي تركها لنا آباؤنا الأقدمون .

فالخلاصة أن عطف السلطان المغفور له على كاتب هذه السطور وطلبه أن أعود إلى ديار الإسلام تاركاً منصب حكومة (نخجوان) وواعداً إياي بأن يمنحني منصب إيالتي الموروثة كما كانت، قد كان بفضل خسرو باشا وسعيه البليغ وجهوده الجبارة في صدد ذلك. إذ تحقق بعمله المبرور هذا أمنية زهاء ألف نفس من الرجال والنساء والعجائز والشباب، كانوا ليل نهار يدعون إلى الله طول السنين بأن يرجعهم إلى وطنهم في البلاد الإسلامية، فعادوا إلى وطنهم المحبوب مع كاتب هذه السطور والحمد لله على ذلك. هذا ولبلدة (بدليس) ضواحي طيبة ونواحي لطيفة جداً منها ناحية (أخلاط) التي هي مدينة تاريخية عريقة في القدم، فكانت بعض الأحيان عاصمة لملوك إقليم أرمينية وسلاطين الأرمن. وفي عهد الملك أنوشيران كانت إيالة أخلاط هذه في عهدة عمه (جاماسب). وهواء أخلاط وجوّها عموماً في غاية الصفاء والطيبة، تحيط بها حدائق غناء وأشجار وفواكه طيبة من كل نوع، ولا سيما المشمش والتفاح اللذان ليس لهما نظير في اللطافة وكبر الحجم يزيد وزن التفاحة منها على مائة درهم. وللتفاح والكمثرى في هذه الجهات أنواع عديدة فهي مشهورة في إقليمي أرمينية وأذربيجان.

هذا وقد احتوت ولاية (أخلاط) على كثير من الآثار العمرانية والبقاع الخيرية كالمساجد، والمدارس، والحظائر، والخوانق، وأنجبت أيضاً كثيراً من الأولياء والعلماء والزهاد والمشايخ. منهم السيد حسين الأخلاطي الذي كان في مقدمة علماء عصره في إتقانه العلوم الظاهرية والباطنية. وقد كان من مشاهير الدهر في علم الجفر الجامع، إذ تنبأ بواسطة هذا العلم بخروج جنكيز خان، وما ستحدثه جيوشه المدمرة من آثار التخريب والدمار في بلاد إيران، وتوران، فبادر قبل وقوع هذه الأحداث والفتن والكوارث الدامية إلى الجلاء عن الوطن والرحيل بقومه وعشيرته ومريديه المعتقدين به إلى بلاد مصر وأقام بها إلى أن لقي ربه. وقبره هنالك لا يزال من المزارات المباركة، ولا يزال في مصر حي يقال له حي الأخلاطيين نسبة إلى هؤلاء الأخلاطيين. ومنهم مولانا محيي الدين الأخلاطي الذي كان علماً من أعلام الفضل والعلم، فكان متفنناً في العلوم الرياضية والهيئة إذ هو أحد الثلاثة الذين استعان بهم العالم الرياضي المشهور نصير الدين الطوسي حينما كلفه (هلاكو خان) بإنشاء مرصد ببلدة (مراغه

يبريز)، ووضع زيج له. حيث استقدمه من أخلاط وباشر معه، ومع مؤيد الدين العروضي، ونجم الدين دبيران القزويني عمل تلك المهمة العلمية العظيمة.

وأما مدينة (أخلاط) فقد تعرضت للدمار والخراب في العهد الإسلامي مراراً فأولاً عرضها للدمار وأحدث بها مقتلة عظيمة السلطان جلال الدين خوارزمشاه. حينما جاء إليها زاحفاً سنة (٦٢٦ هـ = ١٢٢٨ - ١٢٢٩ م) ونزعها من يد السلاجقة غصباً واقتداراً. وجاء بعده جيش المغول فأخذها منه وأحدث فيها خراباً وتدميراً لا يتصوره العقل. وقد أصيبت في سنة (٦٤٤ هـ = ١٢٤٦ - ١٢٤٧م) بزلزلة عظيمة تهدمت من جرائها عمائر كثيرة فصارت بلقعاً.

وفي سنة (٩٥٥ = ١٥٤٨م) أغار الشاه طهماسب عليها في وسط الشتاء وحاصرها وقلعتها حتى انتزعها من أيدي حاميتها الموجودة بها من قبل السلطان سليمان. ثم أمر بدك حصونها كلها وتخريب قلعتها فجعلوها قاعاً صفصفاً في ساعة واحدة، وبعد ذلك بمدة عمد السلطان سليمان خان إلى هجر البلدة والقلعة القديمتين. وأنشأ قلعة ومدينة في شاطىء بحيرة (وان)، مما سبب خراب البلدة والقلعة القديمتين نهائياً. ولم تتقدم المدينة الجديدة في مضمار الحياة وحلبة العمران، فأصبحت كما قال الشاعر[1]:

معناه: (رباط العالم رباط خرب واقع في سبيل السيول فلا تظن أنه يعمر بقبضة من الطين).

وحتى الآن تظهر آثار عمران قديم كلما حفروا في أراضي البلدة القديمة. من قصور، وخانات، وحمامات بأحجار منحوتة ورخام منمق.

ومن نواحي بدليس أيضاً بلدة (موش) القديمة وآثار قلعتها وأبراجها القديمة جداً بادية للعيان، هذا وكانت قلعة (موش) هذه في عهد آباء كاتب هذه السطور وأجداده مبنية على تل واقع على مسافة فرسخ في جنوبي البلدة، ولبثت فترة من الزمن معمورة وكانت قائمة حتى عهد السلطان سليمان الذي بادر إلى تدميرها وجدد نصف القلعة الواقعة على تل في غربي البلدة، ووضع فيها حامية مؤلفة من نحو خمسين نفراً من الجنود المستحفظة والمدفعية مع ما يلزم لهم من العتاد والمؤن.

وكلمة (موش) في اصطلاح الأرامنة تطلق على (دمان = الدخان والضباب) فلا تنبت هنالك الأشجار المثمرة كثيراً من جراء الدخان الكثيف، غير أن أطراف

١- جهان رباط خرابست در كذر گه سيل   گمان مبركه بيك مشت كل شود معمور

البلدة تحتوي على غير قليل من بساتين العنب والكروم. وهناك على هضبة في جبل عال غرسوا الكروم، فأينعت طيباً. فإذا أرادوا نقل فسائل الكروم إلى الأراضي المنخفضة أو المنحدرة يبست تلك الفسائل، ولكن الحبوب وسائر الغلال كالأذرة وغيرها تنتج إنتاجاً عظيماً؛ فضلاً عن أن لهذه الولاية سهولاً خصبة ومراعي غنية حيث يربي فيها الأهالي قطعاناً من كثرة الأبقار والجواميس وآلاف من الغنم والماشية. فكل (كونان) الذي هو ما يحرثه زوج من الأبقار من الأراضي الصالحة للزراعة به من الأبقار والجواميس أربعة وعشرون فرداً. هذا ويطلق الأتراك لفظ (موش أواسى) على سهل موش. ومساحته تخميناً إثنا عشر فرسخاً في أربعة أو خمسة فراسخ. تكسوه دائماً الزهور والرياحين وتحيط به الجبال والربى المغطاة بالأحراش والغابات الخضراء والحدائق الغناء. تتخللها هضاب وتلال متوجة رؤوسها وقللها بالثلج تجري في أنحائها الجداول الدافقة بالمياه الباردة. وما ذلك إلا لأن نهر الفرات يقطع شمالي هذا السهل نحو الثلث ثم يتجه نحو الجنوب. وأما النهر المعروف باسم (قره صو) الذي ينبع من (جبل نمروذ) فيأتي من الجانب الشرقي فيقطع وسط السهل تقريباً حتى يلتقي بالفرات. وتوجد من طيور الصيد في جبال هذه البلاد، النبزاة البيض من أعلى الأصناف التي ليس لها نظير. وصفوة القول أن في هذا السهل الخصيب وهذه المروج الخضراء الفردوسية كثيراً من الطيور والأسماك فهي صالحة للصيد والاستغلال. كما قال الشاعر في وصفه[١] :

معناه: (مروج فيحاء وجنات غناء تحيي النفوس بشذا عطرها. يجري فيها الكوثر الطاهر فينقي القلوب من أدران الأحزان. ويزهو جبلها الزمردي دلالاً وتيهاً برياحينه وورده. وترى مختلف أنواع الطيور حتى النسر سلطانها تعيش فيه آمنة مستأنسة. أرض كأنها الزعفران موشاة بماء الإبريز) .

فالقرى التي تسكنها زهاء مائة أسرة من الأرمن تقع في هذا السهل الزمردي جنباً إلى جنب حيث تحيط بها القرى الإسلامية الواقعة في سفوح الجبال المحيطة بذلك السهل الفسيح.

١- الأبيات: بهشتى شده بيشه پبرامنش ديكر كوثرى بسته دردامنش
گر أينده بويش بآ سودكى فرو شسته إزخا كش آلودكى
همه ساله ريحان آن سبزشاخ هميشه درو ناز ونعمت فراخ
علفكاه مرغان أين كشوراوست أكرشير مرغت بيايد دروست
زمينش بآب زرآغشته أند توكويى درو زعفران كشته أند

والحقوق الديوانية لهذه البلاد- على قول حمد الله المستوفي - في عهد السلاطين الجنكيزية كانت تسعة وستين ألفاً وخمسمائة دينار. وأما في أيام السلطان سليمان القانوني الذي أعيد في عهده تحرير ولاية بدليس من جديد؛ فكان مقدار الحقوق الديوانية من غير قرى الأوقاف وأملاكها، من الجزية والخراج المأخوذ عن رؤوس أربعة آلاف ذمي حسب نظام الجزية القديم الذي هو سبعون آقچه عن كل نفر. يبلغ الألف آقچه [للأدنى . . . المترجم] والخمسة الآف (للأوسط) وثلاثة وثلاثين ألفاً وثلاثمائة وأربعة وعشرين آقچه عثمانية. مع العلم بأن كل اثنتي عشرة آقچه عثمانية تساوي مثقالاً من الفضة الخالصة. ويروى أنه قبل ظهور الإسلام في أيام الحكام الأرمن كان حاكم موش يستعرض يوماً جيشه، فوجد أنه يحتوي على ستمائة حصان أبلق فقط، فتأسف لذلك وقال إن (موش) ليس لها حاكم ذو تدبير قويم ورأي سديد.

ومن نواحي (بدليس) الشهيرة أيضاً بلدة (خنس) التي تتبعها مراعي خصيبة فسيحة الأرجاء. من ذلك (صوشهرى، وبيك كول، وجبل شرف الدين) الذي كان يرتاده في عهد آباء كاتب هذه السطور وأجداده العشائر والقبائل الكردية. فكانوا يحصلون على منافع كبيرة وإيرادات كثيرة. وفي هذه الناحية أيضاً عينان نضاختان ينتج من إحداهما الملح الأبيض. ومن الثانية الملح الأحمر فيبلغ إيرادهما السنوي زهاء أربع مائة ألف آقچه عثمانية. وأما حقوقها الديوانية فمثل ناحية (موش). هذا وإن كان عدد الأرمن وسائر الذميين قد قل في هذه الناحية إلا أن أكثر قراها ومزارعها قد أقطعت لأصحاب التيمار والزعامات حيث بلغ عدد هؤلاء الآن زهاء أربعمائة مقطع. ويوجد في هذه الناحية أيضاً عدد من الخيول العربية الأصيلة، ولا تنتج أراضيها سوى الغلال والحبوب.

ومن غرائب الطبيعة في هذه البلاد بحيرة تدعى بولانق (عكراء) يبلغ قطرها الدائر فرسخاً واحداً. وماؤها ممزوج دائماً بطينة حمراء، وكذا النهر الذي يخرج من هذه البحيرة لا يصفو ولا يروق قط من الطينة الحمراء. وهناك بحيرة أخرى. تقع بين البحيرة السابقة، وبين مدينة (أخلاط) تدعى (نازك = رقيق ولطيف) مياهها في غاية الصفاء واللطف والحلاوة، وتجمد في الشتاء حتى إن القوافل تمر من عليها مدة أربعة شهور. وحينما يحل الربيع أي تكون الشمس في برج الحمل ويأخذ الجمد والجليد في الذوبان والانكسار يسمع صوت انكسار الجليد وتقرقع طبقاته من مسافة ثلاثة فراسخ. وبزوال الجمد هذا يعتدل الهواء ويظهر السمك ويتدفق بكثرة من تلك البحيرة إلى المياه

الصغيرة، والجداول الكثيرة التي تتكون من السيول حيث يقبل الأهالي على صيد السمك مدة شهر في تلك الجهات. ويقال إن شخصاً واحداً يمكنه أن يحصل على بضعة جوالق من السمك في يوم واحد من كثرة ما تحتويه تلك الجداول والبحيرة من السمك اللذيذ الطازج، فيبلغ طول الواحد منه نصف الذراع. والغريب أن بيضة هذا السمك، وهي في بطنه (البطارخ) سامة جداً؛ إذا أكلها الإنسان أو الحيوان قد تسمم لا محالة، ولقد تناول عدة أفراد أمام كاتب هذه السطور شيئاً من البيضة المذكورة، فتسمموا حالاً وأغمي عليهم يوماً كاملاً بليلة. ثم أفاقوا بعد أكل الترياق، واستفراغ ما في بطنهم. هذا وقد حاول رجال الديوان عدة مرات أن يلتزموا ويحتكروا فيؤجروا أسماك هذه البحيرة. وقد حصل ذلك في عهدي؛ إلا أن ذلك لم يأتي بفائدة للديوان قط حيث لم يخرج السمك في سنتها إلى الخارج ولم يتدفق كالعادة.

وهناك في شمالي بدليس جبل عظيم بين مدينتي (موش) و(أخلاط) يدعى (جبل نمروذ) حيث يعتقد الأهالي أن نمروذ كان يشتي في تلك الجهات، وفي الصيف كان يصعد إلى هذا الجبل يصيف به؛ فلذا بنى في ذروته قلعة وعمارات وقصور ملوكية عظيمة سكنها وأمضى أكثر أوقاته بها. ولما غضب عليه الواحد القهار جل جلاله فأخذه أخذ عزيز مقتدر، جعل ذلك الجبل الشامخ الذي كان لا يقل ارتفاعه عن ألفي ذراع، ينخسف وينهار لمسافة ألف وخمسمائة ذراع إلى الداخل حيث ظهرت بحيرة عظيمة في الحفرة التي نشأت من ذلك الانهيار، وقد بلغ اتساعها دائراً ما دار زهاء خمسة آلاف ذراع. هذا ومن كثرة الأحجار المبعثرة والأشجار الملتفة والأحراش الكثيفة هنالك لا يستطيع المرء أن يجتاز إلى البحيرة المذكورة سوى طريق أو طريقين في غاية الوعورة والضيق، كما أن الطرق التي تسلكها الدواب لا تتعدى عن اثنين فقط؛ غير أن مياه البحيرة في الصفاء والبرودة. ومن الغريب إذا حفرت بجانب البحيرة حفرة ضئيلة تدفقت المياه الساخنة. والأرض غالباً صخرية لا يوجد بها تراب أو طين كثير. فالصخور السود متماسكة ومرصوصة بجانب بعضها البعض، وبعض هذه الصخور من صنف ما يسمى عند الترك (دوه كوزى = عين الجمل) مثله كمثل أقراص عسل النحل عيونه مليئة وهي صلبة في حين أن هناك نوعاً أخر من الصخور خفيفة مثل الحجر السوداء[1] .

وهناك في شمال هذه البقعة مجرى ماء أسود كثيف مثل الماء الأسود الذي

١- كذا .

ينزل من كير الحدادين، فهو في الوزن والصلابة أثقل من الحديد، يتدفق من الأرض ويميل بسرعة نحو المنحدر. وأعتقد أنه في زيادة ونقص كل سنة حيث يرتفع أكثر من ثلاثين ذراعاً وينبسط في أرض طولها يقدر ببضع مئات من الذراع فيخرج من عدة جهات منها. وإذا أراد شخص أن يفصل قطعة وزنها لا يزيد عن (من) فقد يلقى صعوبة كبيرة في ذلك.

السطر الأول

في بيان أحوال عشيرة الروزكي و السبب في وجه التسمية

لا يخفى أن لفظ (روزكي) لفظ درى [الفارسي القديم]. والبعض يضبط رسم إملائه بجيم[1]، وشين أيضاً. أما (روژكي) الشائع الآن فهو في الأصل عبارة عن (يكروز) بمعنى يوم واحد. و(كي) الذي في أخر لفظ (روژ) عبارة عن الكاف والياء الدالتين على الوحدة مثل خواجكي، بردكي، و غيرهما. ويقول بعض الأدباء إن الكاف والياء في الفارسية تأتيان للتصغير أيضاً. وفي إمكاننا أن نقول إن رسم اللفظ بالجيم مبني على قاعدة فصحاء العرب من أنهم يكتبون اللـژاء الدري بالجيم العربي. وأما رسمه بالشين فمبني على وفق طبع الكردي من البلغاء "من أنهم يقلبون الـژاء إلى الشين".

وجاء في رواية الثقاة من نقلة الأخبار وحفظة الآثار أن العشيرة الروژكية نشأت من اجتماع وتحالف أربع وعشرين عشيرة كردية في يوم واحد في موضع يقال له (طاب) من أعمال (خويت)[2]، حيث انقسمت هذه المجموعة من القبائل إلى قسمين شهيرين: فالقسم الأول الذي كان مؤلفاً من إثنتي عشرة فرقة أطلق عليها اسم (بلباسي)، والقسم الثاني سمي باسم (قواليسي). هذا وكلمتا (بلباس بلبيس) و(قواليس) اسما قريتين من قرى ولاية حكام حكاري. وفي رواية أخرى أنهما اسما عشيرتين من الطوائف البابانية.

وصفوة القول أنهم لما اجتمعوا أولاً في موضع (طاب) وقسموا أراضيه فيما

١- وفي نسخة أخرى بجيم عجمي بثلاث نقط هكذا روچكي وروشكي. المترجم.

٢- الآن خيوط في غربي بدليس. المترجم.

بينهم قطعاً قطعاً، وصاروا على قلب رجل واحد متحدين ومنسجمين في كل شيء، نصبوا فيما بينهم حاكماً يتولى أمرهم حيث عمدوا بعد ذلك في الاستيلاء على بقية أراضي الولاية وسائر بلادها. والشائع على الألسنة والأفواه أن كل من ليس له قسمة في أراضي بلدة (طاب) ليس روزكي الأصل. هذا وبعد انضوائهم جميعاً تحت لواء حاكمهم الذي نصبوه وأخلصوا له الطاعة، قد أخذوا يغيرون على البلاد المجاورة التي يحكمها الأجانب. فيروى أنه في ذاك العصر كان يحكم ولاية (بدليس) و(حزو) شخص يدعى (تاديت = داويد) من حكام كرجستان. فانتزعت الروزكية ولاية (بدليس وحزو) من هذا الشخص الكرجي. وفي رواية أخرى أنهم انتزعوا بدليس من عشيرة (كردكي) وأما بلدة (حزو) فمن الكرج. ويقول البعض إن الروزكية أنقذت (بدليس) من أيدي عشيرة ذو قيسى[1]. والعهدة على الراوي في جميع هذه الشائعات.

وجملة القول إن الروزكية بعد أن أتموا الاستيلاء على (بدليس وحزو) وصاروا يتصرفون فيهما تصرف الحكام المالكين المستقلين، توفي إلى رحمة الله أميرهم الذي كان يلي أمرهم ويرعى شؤونهم، من غير أن يترك ذرية تخلفه، مما أفضى إلى أن يدب الخلاف بينهم فلا يخضع أحد من الزعماء للآخر، فانطبق عليهم قول مولانا هاتفي[2]:

معناه: (ينعي على حظ تلك البلاد ويرثي على حالها إذا ما لم يعرف فيها من هو المغيث ومن هو المنجي ؟ حيث يقدم السكران المستهتر على الغثيان في حرم الكعبة ما دام يعرف أن ليس من ورائه من يحاسبه ويقيم الحد عليه بعصا الحاكم).

وبعد أن دام الحال على هذا المنوال فترة من الزمن تدارك الأمر رؤساء العشائر وزعماء البيوت والقبائل، فتشاوروا فيما بينهم حتى استقر رأيهم على أن يتوجهوا إلى أخوين نبيلين يدعيان: عز الدين، وضياء الدين، من نسل سلاطين الأكاسرة يقيمان في بلدة (أخلاط) فيدعونهما إلى القدوم إليهم، والتوطن فيما بينهم حتى يعرفوا من هو الأصلح منهما لتولي أمور العامة، ورعاية شؤونهم الإدارية، فيولونه أميراً عليهم ويخلصون له الطاعة، لينهض بالبلاد ويضرب بيد من حديد على أيدي المفسدين والعابثين بالأمن ويجري

١- وفي نسخة أخرى ذو قيشى. (المترجم) .

٢- الأبيات: برآن مملكت زار بايد كريست   که فريا درس را ندانند كيست
كند قحبهء مست در كعبه قى   اكر چوب حاكم نباشد زپى

العدل بالقسطاس المستقيم. وتنفيذاً لهذه الفكرة شخص إلى مدينة (أخلاط) وفد مؤلف من أعيان الروزكي وتشرف بمقابلة النبيلين، وقد أحضروا بهما إلى (بدليس) بكل تجلة وإعظام. وانتهى بهم الأمر أن جماعة آثروا أن يكون (عز الدين) حاكماً لبدليس وآخرون رأوا أن يكون (ضياء الدين) أميراً لحزو. وهكذا خضعت البلاد وجميع عناصر الروزكية وطوائفها لحكم هذين الأخوين عن طواعية واختيار. ولقد قام الأمير عز الدين بمهام المنصب خير قيام، وأحسن السيرة في الرعية وأجرى العدل بين رجال القبائل والعشائر من غير فارق ولا تمييز، فصاروا كلهم ميالين إليه ومؤملين فيه خيراً كثيراً. في الواقع كانت العشيرة الروزكية ولا تزال من بين قبائل وجماعات كردستان مشهورة بالسخاء الوافر والكرم النادر، والشجاعة الفائقة والشهامة العالية والغيرة المحمودة كما أن أفرادها موصوفة بالصدق والديانة وفرط الأمانة في الأقوال والأفعال، والإخلاص والطاعة للحكام والأمراء، فيما ينزل عليهم من المصائب والكوارث، فلا يتأخرون عن تقديم طاعتهم وبذل خدماتهم في سبيل الدفاع عن حياض الوطن ومصالح البلاد؛ فقد أقدموا مراراً من غير أن يساعدهم أحد على استرداد البلاد من أيدي الغاصبين الذين أزالوا أمراء بدليس وحكامها المحليين عن الحكم في فترات من التاريخ، وما ذلك إلا لحسن تدبيرهم للأمور وفرط شجاعتهم في الحروب والقتال واعتمادهم على النفس في الملمات متوكلين على الله المحب عبده المجتهد المتوكل. هذا والمشهور بين الأكراد أن كل صخرة من صخور قلعة (بدليس) ذهب في سبيل وضعها في مكانها رأس من رؤوس رجال عشيرة الروزكي. وكلما أراد أحد من السلاطين العظام أن يستولي على كردستان، ويخضع الأكراد لسلطانه لابد أن يبادر قبل كل شيء إلى مخاصمة أمراء (بدليس) ومحاربة عشيرة الروزكي حتى تخضع؛ فإذا لم تخضع هذه العشيرة الكردية للمغير لم تخضع باقي شعوب كردستان وجماعاته لأحد. وآية ذلك أنه حينما اقتضت إرادة السلطان الغازي[1] نزع ولاية (بدليس) من حاكمها شمس الدين خان "هو الثالث" الذي لجأ إلى بلاد العجم فراراً من سطوة السلطان، بادرت كل من طوائف: البايكي، والمودكي، والزيداني، والبلباسي إلى شق عصا الطاعة ورفع لواء العصيان على رجال الدولة العثمانية وعمالها مدة ثلاث سنوات، حتى إن السلطان أمر جميع أمراء كردستان وحكامه بالإغارة على هؤلاء العصاة في آن واحد ففعلوا، ولم يستطيعوا أيضاً إخضاعهم بالغصب

١- يقصد السلطان سليمان القانوني . المترجم .

والاقتدار؛ الأمر الذي أفضى أخيراً إلى أن يصطنع السلطان سليمان السياسة والدهاء حتى استمال إليه أهالي (وادي كيفندور) وطائفة البايكي بواسطة (بهاء الدين بك) حاكم حزو حيث جعله متسلماً عليهم، ثم استمال إبراهيم بك، وقاسم بك ولدى (شيخ أمير بلباسي) إليه وأطمعهم بالمال والجاه. و بذلك فقط أمكنه الاستيلاء على بدليس، وتمكن من إخضاع عشائرها. هذا ويؤم (بدليس) كثير من أنجال وأولاد أمراء كردستان يمضون أوقات فراغهم بها؛ في حين أن أولاد أمراء عشيرة الروزكي وأنجال أمراء بدليس لا يذهبون إلى أبواب أمراء كردستان للخدمة أو لضياع الوقت والنزهة؛ كما أنهم اشتهروا في البلاد النائية والغريبة بصفات حميدة ومتانة خلق كالصبر على الشدائد وتحمل المشاق في سبيل الوصول إلى المعالي والمراتب العالية.

[فمن هؤلاء (درويش محمود كله چبري) الذي هو من كبار زعماء العشيرة المذكورة، نزح من وطنه إلى بلاط السلطان سليمان فنال ثقته واحترامه له. نظراً لما كان عليه من الفضل العظيم والأدب الجم والعلم الوفير، فكان مشهوراً بأنه جامع الكمالات والفضائل مما جعله يتشرف بمجالس السلطان الخاصة والتمتع بمناقشاته الأدبية. وله أشعار وقصائد كثيرة باللغتين الفارسية والتركية، إذ كان شاعراً منقطع النظير. ومما يحفظه راقم الحروف هذا من أبياته التركية السلسة[1] :

معناه: (يا ترى أن ما في أطراف شفاهك من الخطوط عُشب أخضر أو خط غباري أم أنه أرجل النحل المريضة المتلطخة بالشهد) ؟.

وكان يرتل القرآن ترتيلاً يكاد السامع يقول إنه (إدريس) الثاني في عذوبة صوته وبديع نغمه. فتعطف عليه السلطان واختصه بمجلسه الخاص مسنداً إليه منصب حافظ كتبه.

وكذا (حيدر أقا) الذي هو ابن أخي المشار إليه كان أيضاً مكن الرجال المعدودين، والمشهورين بالرشد والروية والموصوفين بالشهامة والبسالة، مما جعل السلطان سليمان خان ينعم عليه بمنصب السنجق، وإدارة أمور عشيرة جهان بلكو (جها نبكلو) وإقطاعه بلاداً من ولاية (بالو) إقطاعاً تمليكياً.

ومن عشيرة البلباسي (إبراهيم بك بن قلندر أقا) الذي نزح عن وطنه إلى سيستان؛ لأمور وقعت بينه وبين بعض الناس من قومه وعشيرته، فالتحق هنالك بخدمة (محمد خان التركمان) الذي كان حاكم تلك البلاد وزعيمها الأوحد، فلما

١- سبزه ميدر لبلرك دورنده ياخط غبار يا آياغى شهده باتمش خسته آرولر ميدو

رأى هذا فيه من آيات الشجاعة وعلامات الفروسية وآثار البسالة ما جعله يفتتن به، ويقدره حق القدر، بادر إلى تعيينه حاكماً حالاً للمحافظة على حدود البلوج. وهنا ظهرت مواهبه الخارقة للعادة، ولا سيما الشجاعة النادرة التي هي فطرية لدى الأكراد المردة الأشداء. حيث اشتبك مراراً مع جموع البلوج في الحرب والطعان والقتال بالسيف والسنان، فكسرهم شر كسرة في كل معركة خاض غمارها وشتتهم شذر مذر، وجعل أكثرهم طعمة للسيف والسهام حتى استولى على بلادهم جميعاً، وأخضعهم لحكمه صاغرين وصاروا أطوع له من بنانه، وهو الآن لا يزال يقوم بأعباء الحكم في تلك البلاد النائية هانىء البال سعيد الحال.

وكذا (بستام أغا) الذي رحل إلى (قندهار) والتحق بخدمة حاكمها (سلطان حسين ميرزا) فنال ثقته وأثار إعجابه به. فتدرج في المناصب العالية بسرعة فائقة حتى استسعد بشرف الدخول في المجلس السلطاني الميرزائي حيث يخص السلطان أوقاته السعيدة مع بستام أغا المشار إليه.

وهناك (قاسم بك ولد شاه حسين أقا المهردار) الذي كان لدى عودتي مع طائفة الروزكي من نخجوان إلى بدليس، قائماً بولايته الموروثة إذ كان متمسكاً بصداقة العثمانيين وقائماً بوظيفته التي أوكلت إليه من قبلهم بكل إخلاص وجد وصداقة.

ولقد كان منخرطاً في سلك القورجية العظام "الحرس الملكي الخاص". وبالرغم من معاكسة الدهر له، ولا سيما ما لاقاه من بعض أكراد العراق الذين كان التنافس شديداً بينهم، وبين الروزكية، على منصب اليوزباشي الذي كان كل من الطرفين يريده لنفسه. وقد اشتد التضييق منهم عليه مبلغاً كبيراً حتى حرموه من ولايته الموروثة. ثم ألحقوا به أذى كثيراً في مناسبات كثيرة. ولكن قاسم بك تمسك بأهداب الصبر وتحمل الشدائد، وعمل بمقتضى القول المأثور (الصبر مفتاح الفرج) حتى ظهرت صداقته القديمة وتبينت خدماته الخالصة للدولة العثمانية ورجالها، فأعادوا إليه منصب اليوزباشي الذي كان من اختصاص عشيرة الروزكية ثم خرج من أيديهم. والآن في هذا التاريخ الهجري الذي هو سنة (١٠٠٥ هـ = ١٥٩٦ – ١٥٩٧ م)، يقوم الأمير المشار إليه بأعباء المنصب المذكور خير قيام. وفي الحق هو شاب كفء حميد الخصال كريم الشيم موصوف بالشجاعة والسخاء ومعروف بالشهامة والبسالة. والأمل وطيد في أن يوفق في أعماله وأفعاله][1].

١- من أول القوس المربع إلى هنا ليس موجوداً في متن النسخة الروسية المطبوعة، فأضيف من كشف اختلاف النسخ الملحق بتلك النسخة.

وتنقسم هذه الطائفة الكردية التي تمتاز على سائر طوائف كردستان، وأقسام شعوبه العديدة بمثل ما تقدم من الصفات الاجتماعية القويمة، والخصال الخلقية الحميدة إلى أربع وعشرين شعبة منها الخمس، وهي: (قيسانى، وبايكى، ومودكى، وذوقيسى، وزيدانى) من قدماء عشائر ولاية بدليس المعروفة، والخمس[1] عشرة الأخرى كما يأتي بالتفصيل عبارة عن قسمين كبيرين هما: بلباسي، وقواليسي. فالبلباسي هم: كله جيرى، وخربيلى، وبالكى، وخيارطى، وگورى، وبريشى، وسكرى، وكارسى، وبيدورى، وبلا كردى. وأما القواليسى فهم :زر دوزى، وأنداكى، ويرتافى، وقواليسى[2]، وكرديكى، وسهرودى، وكاشاغى، وخالدى، واستوكى، وعزيزان .

١- كذا في الأصول والصحيح التسعة عشرة الأخرى .

٢- كذا و الظاهر أنه مقحم ؛ لأنه اسم الكل؛ ولأنه يزيد به العدد . المترجم .

السطر الثاني

في بيان نسب حكام (بدليس) والأصل الذي ينتمون إليه

أعلم أن من المتواتر الشائع في الألسنة، والمذكور في بعض التواريخ أن نسب حكام بدليس، ينتهي إلى الملوك الأكاسرة. إذ المشهور بين الناس أنهم من أحفاد وسلائل أنو شيروان. ولكن الأصح هو أنه في عهد أنو شيروان كان جاماسب ابن فيروز خامس ؟ الملوك الأكاسرة، والياً على ولاية (أرمن وشيروان) نيابة عن (قباد). ولما توفي جاماسب هذا خلف ثلاثة أولاد هم: (نرسي، سرخاب، بهواط). فقام نرسي مقام أبيه في حكم الولاية، وقد شمله أنو شيروان بعطفه وكرمه، فتدرج في المناصب العالية حتى زاد شأنه وامتد سلطانه إلى الأطراف، فجرد حملة جرارة على ولاية (كيلان) واستولى عليها غصباً واقتداراً، وتزوج بنتاً من بنات ملوك كيلان خلفت له ولداً دعاه (جيلانشاه) ؟ فملوك رستمدار من نسل هذا الأمير.

أما (سرخاب) فقد قام بأعباء الحكم في ولاية (شيروان) ويرجع إليه نسب حكام هذه الولاية. وأما (بهواط) فقد اختار الإقامة بـ (أخلاط) مكتفياً بدخل ضئيل يرد له على خلاف عادة أجداده من الطموح والسعي إلى الفتوح وتوسيع الحدود، فنسب حكام (بدليس) ينتهي إلى هذا الأمير. وعلى هذا يكون حكام بدليس أبناء عمومته مع ملوك رستمدار وشيروان.

والمتواتر الشائع حتى هذا التاريخ الذي هو (سلخ شهر ذي الحجة سنة خمس وألف) أنه قد مضت للآن مدة سبعمائة وستين سنة[1] على تولي هؤلاء الحكام ولاية بدليس وملحقاتها ومضافاتها وتوابعها كابراً عن كابر واستقلالهم بشؤونها من غير انقطاع في المدة ما عدا فترة تقدر بعشر ومائة سنة حيث استولى عليها الأجانب. هذا وسنذكر في محلها بالتفصيل حوادث ووقائع أربع دول[2] من السلطنات العظمى التي استولت على هذه الولاية على التعاقب.

وصفوة القول أنه كما سبق ذكره لما نصبت عشيرة الروزكي (عز الدين)

١- أي أنهم تولوا حكم هذه البلاد من سنة (٢٤٥ هـ حيث بلغت مدة حكمهم في سنة ١٠٠٥ هـ) سبعمائة وستين سنة. المترجم .

٢- الدول الأربع كما هو الظاهر هي: الدولة القره قوينلية، والآق قوينلية، والصفوية. ثم العثمانية . المترجم .

حاكماً في بدليس (وضياء الدين) في حزو. وقد مر على ذلك وقت غير قليل ظهر فيه ميل أهالي بدليس شيئاً فشيئاً إلى ضياء الدين وتعلقهم به بخلاف حاكمهم عز الدين الذي أخذوا ينفرون منه ولا يكنون له حباً قط. فانتهز ضياء الدين هذه الفرصة السانحة ولاسيما أنه لما رأى وتحقق أن ميل أهالي بدليس قد بلغ المرتبة القصوى، بادر إلى السفر من (حزو) إلى (بدليس) بقصد زيارة أخيه فيها . فنزل على الرحب والسعة وأكرمت وفادته غاية الإكرام، وأخذ الأخوان يقضيان ساعات طيبة في مروج بدليس وحدائقها الغناء يغشيان المجتمعات والمجالس في سرور وحبور، مما أتاح الفرصة لضياء الدين أن يتأكد من ميل أهالي بدليس جميعاً من الشريف إلى الوضيع له وتعلقهم به، فضلاً عن أن هواء بدليس ومناخها قد أثرا في نفسه واشتاق إلى الحصول على حكم بدليس. فما كان منه إلا أن دبر الأمر مع أنصاره من رجال حامية القلعة قائلاً لهم: إني حينما أخرج من قلعة بدليس معتزماً السفر والعودة سيخرج أخي ولا شك في توديعي إلى خارج القلعة. فأتظاهر عند ذلك بنسيان حاجة لي في القلعة وأعود إليها لأخذها وبعد دخولي إليها تغلقون الباب دون أخي فامتلك القلعة على هذا المنوال. وفعلاً استأذن ضياء الدين أخاه عز الدين في السفر والعودة إلى بلدة (حزو) وبادر عز الدين إلى توديع أخيه إلى خارج البلدة والقلعة وبعد مسافة غير قليلة قال ضياء الدين لأخيه إنه نسي خاتمه في القلعة، ولا يعرف أحد مكانه سواه، فإذا تكرم الأخ ولبث هنا لحظة يعود هو في أثنائها إلى القلعة، وسيحضر الخاتم بسرعة، فرضي عز الدين بطلب أخيه، ولم يشك في أخوته، وتوقف في نفس المكان متلهياً بالصيد والقنص ينتظر عودة أخيه. وأما ضياء الدين فقد دخل القلعة وأغلق الباب دون أخيه حسب الخطة المدبرة. ثم أرسل إلى أخيه يقول له: إن مكارم الأخلاق بين الأخوين تقتضي أن يسمح الأخ لنفسه بأن يمضي بضعة أيام في (حزو) بدلاً عني حيث أبقى في بدليس في تلك المدة لأتمتع بجمال مناخها وطيب هوائها وعذوبة مياهها . فأسقط في يد عز الدين وعلم بالمكيدة، فأسرع إلى باب القلعة ينادي أخاه عديم المروءة وسأله فتح الباب، فلم يصغ إليه قط. فاضطر عز الدين إلى الذهاب إلى حزو، وصاصون وتولى حكم تلك البلاد . فحكام (حزو) حتى الآن من نسل عز الدين هذا حيث اشتهروا باسم (عزان) كما أن حكام بدليس من نسل ضياء الدين حيث اشتهروا باسم (ديادين = ضياء الدين). ويبلغ عدد أسماء حكام بدليس الذين وقع نظر كاتب هذه السطور عليها في كتب التواريخ ثمانية عشر أميراً تبلغ مدة حكمهم أكثر من أربعمائة وخمسين سنة التي حكموا فيها تلك البلاد من غير

انقطاع. هذا ولم نعرف اسم ذلك الأمير الذي انتزع منه الأتابك عماد الدين بن الأتابك[1] آقسنقر، قلعة بدليس، حيث لم تسعفني الكتب التاريخية التي كانت لدي حين تسويد هذه السطور. وأرى أن أصح الروايات هي أن قزل آرسلان[2] استولى على بدليس حينما تم له الاستيلاء على إقليمي الأرمن وآذربيجان.

وبعد السلاجقة هؤلاء أي في أواخر عهد الخوارزميين حينما جاء السلطان جلال الدين بن السلطان محمد خوارزمشاه[3] إلى بدليس كان حاكمها الملك الأشرف. وبعد هذا كان حاكمها أخوه (الملك مجد الدين). ثم صار (عز الدين). وبعده (مير أبو بكر) ثم (الأمير شيخ شرف). وبعده (الأمير ضياء الدين) الذي كان معاصراً للأمير تيمور كوركان حيث اجتمع به والتقى به. فمن ذلك الوقت وحتى الآن حيث انتقل الحكم إلى كاتب هذه السطور حسب الوراثة. إن سلسلة حكام بدليس مستمرة غير منقطعة. وسنذكر بالتفصيل حوادث أيام كل واحد من هؤلاء الحكام في حينه؛ حيث نتبين من ذلك أن بعضاً من هؤلاء الحكام والأمراء قد نالوا حظوة عظيمة لدى السلاطين العظام والخواقين الكرام، فقاموا بأعباء منصبهم الموروث بكل حرية واستقلال، كما أن بعضاً آخرين بعكس من تقدم قد أصيبوا بكوارث عظيمة واضطهادات كبيرة على أيدي الملوك والسلاطين والملوك الطامعين في البلاد. وخلاصة القول أن أول من تعرض في الزمن السابق من السلاطين لولاة كردستان الوطنيين هم سلاجقة آذربيجان. وتفصيل ذلك هو أنه في عهد السلطان محمود ابن السلطان محمد بن السلطان ملكشاه السلجوقي أسندت شحنكية بعض الولايات من إقليم العراق العربي إلى الأتابك عماد الدين بن آقسنقر، كما أن شحنكية ولايتي آذربيجان والأرمن أسندت إلى الأتابك (ايلدكز) ؟جد قزل آرسلان (عثمان). فقاما بأعباء منصبيهما خير قيام من السهر على مصالح الرعية وشئون الأمن والضبط والربط. ولما توفي صاحب الموصل سنة (٥١١ هـ = ١١١٧- ١١١٨م) أضافوا هذه الحكومة أيضاً إلى منصب (عماد الدين زنكي) الذي ازداد شأنه وعلا قدره يوماً فيوماً، حتى ساق الجيوش إلى بلاد حلب، والشام، فاستولى عليهما في مدة وجيزة.

وفي سنة ٥٣٤ هـ تحركت جيوش هذا الأمير نحو كردستان، وديار بكر فاستولى من بلادها وقلاعها الشهيرة على بدليس، وجزيرة، وآشوت، وعقره

١- هو أتابك الموصل ومؤسس دولتها الأتابكية في سنة ٥٢١ هـ .

٢- هو قزل آرسلان عثمان من أتابكية آذربيجان سنة ٥٨٢ هـ المترجم

٣- تمام اسمه ووالده هكذا؛ جلال الدين منكبرتي المتوفى سنة ٦٢٨ هـ ابن علاء الدين محمد . المترجم .

وغيرها، وقد خرب قلعة آشوب[1] الحصينة القديمة، وبنى بدلها قلعة سماها العمادية نسبة إلى اسمه. ولا تزال العمادية عاصمة لتلك البلاد. ولقد دام حكم أتابكية السلاجقة لكردستان ولاسيما بلدة وقلعة بدليس أكثر من أربعين سنة حيث انكسر السلطان صالح الدين[2] بن نور الدين بن ؟ سيف الدين غازي الأتابكي في سنة ٥٧٦ هـ في حربه للمصريين (أعني الأيوبيين الأكراد المصريين). ومن ذلك اليوم أخذ نجم الأتابكية يأفل ودولتهم تضمحل شيئاً فشيئاً. وهنا ظهرت في المسرح عشيرة الروزكية التي كانت طوال هذه المدة غير خاضعة للمتغلبين، تترقب الفرص من وراء قلال الجبال وأعماق الوهاد والوديان لتنقض كالليوث على فريستها، وطفقت تهاجم قوات الأتابكية المتغلبين على البلاد والعابثين في الأرض الفساد حتى أزاحوها عن الجبال والوهاد بفضل السيوف البتارة والخناجر الفتاكة.

هذا والشخص الذي كان يحكم (بدليس) ويقوم بشؤون إيالتها من قبل الأتابكية السلجوقية هو[3] . . . . الذي له آثار خيرية كثيرة من جوامع ورباطات وقناطر في مدينتي بدليس وأخلاط.

وفي رواية أخرى أن بلدة بدليس كانت في تصرف الأتابك قزل أرسلان.

وعلى كل فإن تاريخ إسناد شحنكية العراق العربي إلى آقسنقر(؟) وشحنكية آذربيجان إلى ايلدكز يتفق تماماً حيث تتحد أيام حكومتهما في الولايتين المذكورتين[4]. هذا وإن جماعة (سراجيان) الموجودة في ولاية بدليس ماهم إلا بقية هؤلاء السلاجقة، ولفظ (سراجيان) محرف وغلط من لفظ سلجوقيان. فأسرة (تاج أحمد) و(قراكوته) و(قلي أوزيكان) وغيرها من تلك الطائفة الباقية.

١- هكذا (آشوب أو آشوت) في الأصل المطبوع. ولكن الذي ورد في المصادر الكردية وشاع في الألسنة هو (آشوت أو آشيت) وهي أصح من كلمة (آشيب) الواردة في المصادر العربية التي تتعرض الكلمات الأعجمية فيها للتحريف كثيراً، لأن هنالك عشيرة كردية قديمة لا تزال تسمى آشيتى نسبة إلى آشيت.

٢- لاشك أنه محرف. والصحيح الشائع في المصادر العربية هو الملك الصالح إسماعيل بن محمود نور الدين ... المترجم .

٣- هكذا بياض بالأصل في بعض النسخ . المترجم .

٤- وفي نسخة أخرى عبارة الأصل تخالف ما هنا في الظاهر . ولكنها لا تخرج عن معنى هذا وترجمتها حرفيا كما يأتي:

حينما فوض أمر شحنكية العراق العربي إلى الأتابك آقسنقر أعطيت شحكنية أران وآذربيجان إلى الأتابك ايلدكز جد قزل أرسلان. فزمن حكومة الاثنين متحد وتاريخ إيالتهما واحد . المترجم .

السطر الثالث

في بيان التكريم والتعظيم اللذين لاقاهما حكام بدليس من السلاطين السابقين وهو في أربعة فصول

الفصل الأول

في ذكر الملك أشرف

غير خاف على فطاحل الأدباء وعلماء التاريخ الفضلاء، وغيرهم من ثقات الرواة أن الملك أشرف لما تولى حكم (بدليس) في الأوائل كان ذلك نيابةً عن سلاطين مصر والشام، بل إنه كان معاصراً للملك الأشرف، وهؤلاء السلاطين [الأيوبيون] كانوا يبالغون في إكرامه وتقديره والإعجاب به حتى اذا ماحلت سنة خمس وعشرين وستمائة (٦٢٥ هـ =١٢٢٧- ١٢٢٨م) حيث ظهرت بوادر خروج جيوش التتر بقيادة چنكيزخان وعيثها في الأرض الفساد؛ مما اضطر السلطان جلال الدين ابن السلطان محمد خوارزمشاه إلى هجر سلطنة إيران والتوجه نحو الهند. ولما سمع هنالك أخيراً نبأ وفاة چنكيزخان الطاغية بادر إلى الشخوص تواً إلى العاصمة أصفهان عن طريق كيج[١] ومكران قاصداً تسخير إيران. فإلى ذلك يشير خلاق المعاني كمال إسماعيل الأصفهاني بالشعر الفارسي[٢] :

معناه: (أن عهد الملك العادل قد أعاد عمران البلاد ورخاءها وإن الناجين من الفناء حتى الحيوانات فيها قدم بعضهم لبعض التهنئة بمقدم هذا الملك فالزروع اخضرت وأينعت بعد اليبس، والإنسانية أخذت أهبتها من جديد

١- لعله القفص أو القضبج . (المترجم) .

٢- بسيطروى زمين كشت باز آبادان — بيمن سايهء چتر خدايكان جهان
كنند تهنيت يكديكر برسم جيات — بقيهء كه زانسان بماند وز حيوان
بديدميشود آثار حرث ونسل وجود — أزان سپس كه بزوروصواعق خذلان
براي بندكى درگهت دكر باره — زسر كرفت تولد طبيعت إنسان
تو عمر نوح بيابى از آنكه درعالم — عمارات از توبد يدآمد ازپس طوفان
تودا د منبر اسلام بستدى زصليب — توبر كرفتي ناقوس را زجاي آذان
حجاب ظلم توبر داشتي ز جهرهء عدل — نقاب كفر توبكشا دي ازرخ إيمان

لتقديم الولاء متمنية لك عمراً كعمر نوح ! فقد حل العمار في البلاد بك بعد الدمار، والأمان بعد الحروب، وأزالت الصلبان عن منابر الإسلام، والنواقيس عن المآذن، وأزاحت براقع الظلم عن وجه العدالة، وطهرت نور الإيمان من دنس الكفر).

حقاً أن السلطان جلال الدين تمكن في مدة وجيزة من تطهير تلك البلاد من لوث وجور هؤلاء الكفار الفجرة. ولكن لم يكد يمضي على ذلك عامان إلا وقد أرسل عليه (أوكتاي قا آن) جيشاً قوامه ثلاثون ألفاً من المغول السفاكين، بقيادة كل من (سوتاي بهادر) و(جرماغون نويان) فما وسع السلطان الصمود أمام هذا الجيش اللجب، فترك إيران قاصداً إقليمي أران وأرمينية حيث استولى هنالك على تفليس) فإلى ذلك يشير الشاعر كمال إسماعيل[1] :

معناه: (من غيرك من السلاطين أمكنه أن يعلف جواده في تفليس ثم يسقيه في عمان)؟

ويقول صاحب تاريخ (روضة الصفاء) إن السلطان توجه أولاً من العراق إلى أخلاط، وكان حاكم بدليس حينذاك هو الملك أشرف، ولكن أخاه الملك مجد الدين كان ينوب عنه في أخلاط في المحافظة عليها والدفاع عنها. وكانت حاميتها معتزة بحصانة القلعة وكثرة ما فيها من العتاد والرجال المقاتلة، فلم تلتفت لحال السلطان وما عليه من القوة وكثرة الخدم والحشم وآلات الحصار معه، بل أطال رجالها اللسان عليه وحالوا دون لجوئه إلى القلعة، فما وسع السلطان إلا أن يأمر الجيش بضرب الحصار على القلعة، وقد اشتعلت نار القتال بين الطرفين ودامت أيام الحصار فترة طويلة ووهنت فيها قوى أهل البلد وحامية القلعة من نفاد المؤن والذخيرة، فانتهز جيش السلطان الفرصة، واستولوا على ماء القلعة والمدينة. واضطر الملك مجد الدين إلى الانسحاب إلى القلعة الوسطى داخل المدينة، وكان محافظها (عز الدين) مملوك الملك أشرف. وبعد مدة ضاق الحال بالمحصورين جميعاً، فاضطروا لأن يطلبوا الصلح فقام الملك الأمجد في نفس اليوم وذهب إلى خدمة السلطان راضياً بما قدر الله له، ولكن السلطان شمله بعطفه وأعفاه عما بدر منه من ذنب المقاومة، إلا أنه نهض في مجلس السلطان فجأة، والتمس العفو عن عز الدين أيضاً، فما كان من السلطان إلا أن أجاب بقوله: الرسالة عن الغلام المملوك لا تتفق مع دعوى السلطنة والاستقلال بالحكومة. وبعد يومين سلم عز الدين أيضاً وخرج طائعاً

---

[1] - كه بودجزتور شاهان روزكار كه داد   قضيم أسب زتفليس وآب أز عمان

من القلعة ومعه عدة من أنصاره مسلحين بالزرد والمجان من تحت القفاطين قاصدين قتل السلطان لدى دخولهم عليه فجأة. ولكن حاشية السلطان تفطنوا لذلك فجردوه من السلاح وأدخلوه هو وحيداً على السلطان فأشار حالاً بوضعه في الحديد والأغلال. كما أمر بحبس الملك الأمجد. وفي خلال هذه الحوادث الدامية كان الملك الأشرف يرسل الرسل والكتب إلى ملوك الشام مستنجداً بهم، فوصله في هذه الأثناء نجدات من ملوك مصر والشام، وخف الملك الأشرف بعسكر كردستان الذي كان تابعاً له إلى مقابلتهم واجتمع بهم في سهل موش، ثم توجهوا جميعاً إلى قتال السلطان جلال الدين، واتفق أن مرض السلطان حينذاك، ومع ذلك لم يتقاعس عن إشعال نيران الحرب والقتال، فجلس في محفة وأمر بتعبئة الجيش أمامه وحصل المصاف ونشب القتال بين الطرفين في ذلك السهل الفسيح ثلاث ليال سوياً؛ حتى أسفر القتال الشديد عن انكسار جيش السلطان. ولكن مهابة السلطان وسطوته القاهرة كانت قد رسخت في الأذهان رسوخاً كافياً. حتى إنهم لم يطاردوا جيشه بعد هذا الانهزام الفاضح، فعاد الملوك الحلفاء إلى بلادهم من غير أن يتعقبوا السلطان الذي عاد بدوره إلى أخلاط، فما كاد يحط الرحال فيها. إلا أن وردت الأنباء تترى بأن جيش المغول قد بلغ أران، وتواترت الأخبار بأن (سوتاي بهادر) و(جرماغون نويان) قادمان من جانب تبريز. الأمر الذي أقض مضاجع السلطان، وجعله يقلق كثيراً فيغير سياسته تغييراً كاملاً؛ حيث عمد إلى إطلاق سراح كل من الملك الأمجد وعز الدين، وشرع في الدخول في التفاوض والمذكرات مع الملك الأشرف لعقد الصلح وتوثيق أواصر الصداقة والإتحاد أمام الأخطار القادمة والحوادث المدلهمة. فطلب يد كريمة الملك الأشرف وعقد قرانه عليها ونتيجة لذلك صرف السلطان جنوده وأذن لهم بالتوجه إلى بلادهم، وقد أقام هو ببدليس مختفياً يقضي أوقاته باللهو واللعب والشرب والطرب. وبالرغم من أن الملك الأشرف كان يصارحه بأن ليس من الجائز ولا المعقول أن يمضي السلطان أوقاته بهذه الطريقة الشائنة لاهياً مستهتراً في (بدليس) فلا بد له من أن يغادرها إلى الأطراف من القرى المجهولة غير المشهورة حتى لا يعرف المغول مكانه فيقصدوه. وإلا فان الأنباء عن أحواله وعن مقامه ببدليس اذا وصلتهم فإنهم ولا شك يقصدونها ويدمرون بلاد المخلصين للسلطان والصادقين له؛ عدا أنهم سيمسوه شخصياً بأذى شديد. ولكن ذلك كله لم يجد نفعاً مع السلطان، بل كان

يحمل نصائح الملك الأشرف هذه على الغرض والهوى. ظاناً أن الملك الأشرف أصبح متذمراً من النفقات الباهظة التي يصرفها السلطان وحاشيته، وأنه لذلك يريد إخراجه من الولاية الموروثة له. وبينما كان الحال يجري على هذا المنوال إذا بجيش من المغول بقيادة (إيماس بهادر) قد وصل في ليلة ليلاء إلى باب قلعة بدليس باحثين وسائلين عن السلطان الذي كان حينئذ غارقاً في النوم من كثرة ما شرب من الخمور المعتقة فسكر حتى أغمي عليه، فلم يصح من النوم والسكرة الجارفة إلا بعد أن صبوا على رأسه كوزاً من الماء البارد.

ولما علم السلطان بمجيء المغول وأن أسباب الهرب قد أحضرت له، وهي عدة جياد مسرجة له ولمن يرافقه توجه إلى زوجه كريمة الملك الأشرف، فقال لها إن والدك قد أيقظنا مراراً من الغفلة التي كنا فيها فأسدى لنا نصائحه الخالصة. ولكنا لم نصغ إليه وحملنا كل ذلك على الغرض والهوى. والآن هل ترافقينا في الحط والترحال والسير معنا أم تختارين البقاء مع والدك ؟ فاختارت مرافقة السلطان عن طوع ورضى. فغادر الجميع القلعة في منتصف الليل. ومن ذلك الوقت لم يعرف مصير السلطان وما آل إليه أمره بالضبط لدى المؤرخين المحققين. غير أنه ورد في الرسالة الإقبالية لمؤلفها الشيخ ركن الدين علاء الدولة السمناني قدس سره العزيز نقلاً عن شيخه، الشيخ نور الدين عبد الرحمن كسرفي، أن السلطان انخرط في سلك رجال الله واعتكف مدة في قرية من قرى بغداد يمتهن مهنة الترقيع والتخييط إلى أن توفى إلى رحمة الله.

وفي رواية صاحب تاريخ (گزيدة) أن كردياً كان أخوه قد قتل في حرب أخلاط، عثر على السلطان في العراء فبادر إلى قتله قصاصاً لأخيه المقتول. وفي رواية صاحب (تذكرة دولتشاه) أن الجبليين الأكراد طمعوا في جياده وثيابه فقضوا عليه. والعلم عند الله على كل حال.

وبعد هذه الحوادث أصبح الملك الأشرف يتصرف في شؤون ولايته وأمور حكومته من غير أن يضطر إلى الخضوع إلى أحد من السلاطين المعاصرين. وبعدما توفي إلى رحمة الله، اعتلى عرش الإمارة أخوه الملك (مجد الدين) كما سبق ذكره. وقام أحفاد وأولاد هذين الأميرين بعد ذلك بالتعاقب بالحكم في هذه الولاية من غير أن يتعرض أحد من الملوك المجاورين لهم إلى عهد الفاتح الشهير الأمير تيمور كوركان عليه الرحمة والغفران.

الفصل الثاني

في ذكر حاجي شرف بن ضياء الدين

غير خاف على ذوي البصيرة بالأخبار والتاريخ والمطلعين على السير والحوادث، أنه يؤخذ ويستفاد من الكتب التي ألفها المؤرخون العظام أنه في شهور سنة (٧٩٦ هـ) ست وتسعين وسبعمائة الموافقة لفرور دين ماه الجلالى (الفارسي) وايت وييل (التركي) توجه الطاغية (تيمور گوركان) بعد أن فتح (بغداد) دار السلام، والجزيرة العمرية، والموصل، وتكريت، وماردين، وآمد، عن طريق سيواسر على هضبات ألا طاق. وفي يوم الأحد الموافق لخامس عشر شهر رجب من السنة المذكورة حينما حط الركاب السلطاني رحاله في سهل موش، بادر (حاجي شرف) الذي على قول صاحب (ظفر نامة) لم يكن له نظير في الصدق والإخلاص والطيبة في جميع بلاد كردستان، وأنه كان على وئام تام وخضوع كلي لجميع رجال صاحب السطوة والسلطان الأعظم تيمور گوركان إلى رفع مفاتيح قلاع بدليس، وأخلاط، وموش، وسائر القلاع بولايته الموروثة التي كان يتصرف فيها حينذاك إلى البلاط السلطاني حاملاً معه شيئاً كثيراً من الهدايا الثمينة والتحف النادرة، وجياد عربية مطهمة وبراذين سريعة العدو والركض. فمن جملة ذلك كان حصان كما قال الشاعر[1] :

معناه: (جواد كميت كالغزال في السرعة والجري، والغزالة في الحسن والجمال، والسهيلاء في جمال العينين وحلاوتهما، والفلك في العظمة، والقمر في الجبهة، والمشتري في الحركة، والزحل في الحقد والغرض، والعطارد في الفطنة والذكاء، والشمس في الانبساط والسرور، والزهرة في النشاط، وكان عقيقي الحافر، وحريري الذيل، وجوهري الأسنان وذراعاه كالسندان، ولقد فاق على جميع الجياد والخيول التي كانت أحضرت إلى الركاب السلطاني هدية حينما أجروها في مضمار وحلبة السبق) .

وقد بالغ السلطان في إكرام (حاجي شرف) فشمله بعواطفه الملكية ومنحه

١- الأبيات: تكاور ابلقى چون جرخ فيروز — زشب بسته هزاران وصله برروز
كرهء برخوشه چرخ از دم أو — شكن در كاسهء بدر أزسم أو
اكر نعلش بديدى درتك ودو — بچرخ أندر نشستى چون مه نو
كرش ميدان شدى از غرب تاشرق — ببك جستن پر يدى كرم چون برق
اكركردش ببازويش كشيدى — بكردش باد صرصركى رسيدى

ثقته الغالية مغدقاً عليه نعمه وآلاءه ومنعماً عليه بخلع سنية، ورتب سامية كسيوف ذهبية وثياب مقصبة ومرصعة بالذهب واللآلىء، وعلاوة على إبقاءه في منصبه الموروث في حكومة ولاية (بدليس) فقد ضم إليها مقاطعات أخرى مثل باسين، أوينك، ملاذ كرد. وأصدر إليه براءة عالية مؤكدة بالإيمان الغليظة بإسناد تلك البلاد إلى عهدة صداقته وإخلاصه. ومبالغة في ثقته به سلم إليه (آيق صوفي) الذي كان من أبناء ملوك أزبكستان، وقد كان خانَ رجال السلطان فكان معتقلاً لدى البلاط السامي، وذلك ليحبسه في قلعة بدليس إلى أن يرى فيه رأيه.

هذا وكانت تلك البراءة السامية التيمورية موجودة لدى الأسرة حتى شهور سنة ٩٤٠هـ ففي فترة وفاة (مقتل) شرف خان إلى رحمة الله والتجاء ولده شمس الدين مع أعيان ورؤساء الروزكي إلى بلاد العجم، قد ضاعت تلك الوثيقة التيمورية الهامة مع سائرالأحكام والوثائق والبراءات السلطانية السابقة.

وخلاصة القول أنه بعد وفاة (حاجي شرف الدين) قد قام مقامه ابنه خلفه الصادق الأمير شمس الدين الشهير بالولي.

الفصل الثالث

في ذكر الأمير شمس الدين بن الأمير حاجي شرف

يؤخذ من أقوال أفاضل نقلة الأخبار أنه حينما لجأ قرا يوسف بن قرا محمد التركمان إلى بلاط يلدرم بايزيد خان والي الروم، فراراً من سطوة الطاغية تيمور كوركان، وبطشه أرسل الأمير تيمور هذا رسولاً إلى قيصر الروم هذا يطلب تسليم قرا يوسف إليه وكتب له في الرسالة التي أصحبها الرسول الأبيات الفارسية الآتية[1] :

معناه: (لا أريد داراً للسلام مثل بلاد الروم يضطرب أمرها من غزوي

١- نخواهم كه دار السلامى چوروم بهم در رود أزمن آن مرزوبوم
بخدام ماده كليد (كماخ) مكن تنك برخود جهان فراخ
قرا يوسف آ ن رهزن نا پسند كه برحاجيان راه حج كرده بند
ندارد ازو أيمنى هيچ راه بدر كاهت آورده روى پناه
به تيغ سياست سزايش بده بآنست درخور جزايش بده

وتعرضي لها. فأعط مفتاح قلعة (كماخ) لخدامنا ولا تضيق على نفسك العالم الفسيح. لأن قرا يوسف ذلك الشرير قاطع الطرق قد ضيق السبل والطريق على حجاج بيت الله. وأصبحت الطرق كلها غير مأمونة من أفعاله وحيث إنه لاجىء إلى بابك فعليك أن تجازيه بسيف السياسة بمجرد وصول هذا إليك).

فلما وصل رسول (تيمور گوركان) إلى بلاط سلطان الروم وأدى الرسالة كما ينبغي، أعطى السلطان الجواب المناسب وأطلق سراح (قرا يوسف) ليذهب إلى بلاط السلطان فرخ[1] والي مصر. هذا ولما كان والي مصر حينذاك يصادق (تيمور گوركان) ويلتزم جانبه أمر بحبس كل من (قرا يوسف) هذا والسلطان (أحمد الجلايري) حاكم بغداد سابقاً حيث كان لاجئاً إليه أيضاً، في برج من بروج قلعة (القاهرة) فلبثا على هذه الحال إلى أن جاءت الأخبار بوفاة تيمور گوركان[2] حيث أمر بالإفراج عنهما على شرط أن يجمع كل واحد منهما خمسمائة نفر تحت قيادته فيصرف لهم ما يلزمهم من العتاد والمؤن من خزانة مصر ليخدماها كسائر الأمراء والقواد. ولكن السلطان أحمد الجلايري لم يكن أحد من أتباعه وجنوده حاضراً معه من بغداد سوى الخدم والحشم القلائل بخلاف (قرا يوسف) الذي كان قد التحق به كثير من الزعماء والقواد والجنود من تراكمة (قرا قوينلو) وقد صار له من جراء ذلك شأن عظيم في مصر؛ فتوجس المصريون منهم خيفة ورفعوا أمرهم إلى عتبات السلطان فرخ (؟) قائلين إذا لم يعمل السلطان على دفع (قرا يوسف) وأتباعه التراكمة من مصر بأية وسيلة من الوسائل فلا شك في أن العاقبة ستكون وخيمة. وبعد التداول في الأمر استقر رأي المصريين على أن يقضوا على هؤلاء التراكمة في يوم الاحتفال بالسبق، فيأمر السلطان فرخ فجأة (قرا يوسف) وأتباعه بأن ينزلوا من خيولهم وينتشروا في أنحاء السبق ليجمعوا الحصى المبعثر في الميدان، وعند ذلك يأمر السلطان بأن ينقض الجنود المصريون بالسيوف والسهام على هؤلاء المساكين المعصومين ويقضوا عليهم تماماً.

ولكن (قرا يوسف) علم بما يدبر له ولأتباعه من المكر السيىء فأشار على أتباعه بأن يتسلحوا ويتجهزوا للنضال وأن يحضروا إلى ميدان السبق مستعدين. فلما حان الوقت واجتمع الخلق والجنود في ميدان السباق، فأمر السلطان حسب الخطة المقررة بأن ينزل (قرا يوسف) وأتباعه إلى الميدان

١- هكذا والظاهر أنه محرف من فرج الشائع في الكتب العربية . المترجم .

٢- (في سنة ٨٠٧ هـ) المترجم .

ليطهروه من الحصى المبعثر فيه، تقدم (قرا يوسف) إلى السلطان ممتطياً جواده وخاطبه قائلاً: إننا كنا من عبيد السلطان المخلصين له ولدولته، طالما كان يحبونا بثقته وعطفه، وحيث إنه الآن استمع لأقوال الحاسدين وأهل الهوى والغرض، فيريد أن يبطش بنا من غير سبب شرعي فلا يمكننا الآن أن نبقى في هذه البلاد ثم قام إكراماً للسلطان وهو على فرسه وأدى التحية اللازمة له، وشد على الركاب وساق جواده بأسرع من لمح البصر صائحاً في قومه أن اخرجوا من الميدان واتبعوني. ويقال إنه وهو في طريق عودته إلى (ديار بكر) خرجت مائة وثمانون مرة قوات عسكرية من قبل السلطان للقبض عليه والحيلولة دون وصوله، غير أن قرا يوسف تمكن عليهم جميعاً في كل المرات بصائب تدبيره وحسن بلائه في القتال وسرعة حركاته وفائق شجاعته. وبعد أن وصل (ديار بكر) سالماً ذهب إلى بدليس لاجئاً لأميرها (شمس الدين) فأكرم هذا وقادته وبالغ في الثقة به حيث تزوج بنته، وأقطعه في مقابل ذلك مقاطعة (پاسين) وقلعة (اونيك) وقد أمضى الشتاء في هذه البلاد بخدمه وحشمه. هذا وفي صيف سنة (٨٠٩ هـ = ١٤٠٦م) بمعاونة الملك شمس الدين ونجدته له اشتبك في القتال مع (الميرزا أبي بكر ابن ميرزا ميرانشاه بن الأمير تيمور) وحدث المصاف في موضع يقال له چخر سعد بين الجيشين، فلحقت الهزيمة بجيش خصمه التيموري وأسفر ذلك الانتصار عن استيلائه على (چخر سعد، ومرند، ونخجوان، وسرور[1]، وما كو). وقد أمضى شتاء تلك السنة في (مرند). وفي سنة (٨١٠ هـ = ١٤٠٧م) توجه الميرزا أبو بكر مع والده الميرزا ميرانشاه من العراق، وخراسان، بجيوش جرارة، إلى آذربيجان لقتال (قرا يوسف) والتركمان بها، وحدث المصاف بين الطرفين في (نشيب غازان تبريز) فلحقت هزيمة منكرة بالجيش الجغتائي، وقتل في المعركة الميرزا ميرانشاه، وسقطت بلاد آذربيجان كلها في يد (قرا يوسف) فازداد شأنه وعلى قدره يوماً بعد يوم. وقد تقدمت العلاقات الودية بينه وبين الملك شمس الدين وتوطدت حتى كان (قرا يوسف) يخاطبه بقوله: يا ولدي ! وقد أصدر مرسوماً عالياً بعد إعلانه السلطنة العظمى أكد به تمليك ولاية بدليس ومضافاتها للملك شمس الدين. وهاك المرسوم العالي بعبارته وصيغته الأصلية:

١- كذا. والظاهر (شرور). المترجم.

صورة المرسوم

أولادي الأعزاء أبقاهم الله تعالى، وأمراء الطوائف والفرق والألوف والمئات، والقواد والحكام والعمال وأرباب المهن والصناعات، وسائر الأهالي والأعيان والزعماء، وملوك كردستان عامة، والأصلاء والمعارف والمشاهير والمتوطنين في مدن بدليس، أخلاط، وموش، وخنوس وملحقاتها وتوابعها. اعلموا جميعاً أنه نظراً لكمال الإخلاص والإتحاد ونهاية الاختصاص والتضحية التي يبديها ولدي الأعز الأعقل والأكرم جناب صاحب الإمارة والعدالة الأمير الأعظم أمير أمراء العجم مير شمس الدين أبي المعالي صان (شان) الله تعالى أيام دولته ونصرته وعزه وإقباله إلى يوم الدين. ونظراً لما لنا من الوثوق الكامل والاعتقاد التام به فقد تحتم على ذمة همتنا العلية الملكية تنفيذاً لقرارنا السابق بأن نغدق نعمنا على الأمير المشار إليه، فنشمله بعواطفنا السامية ونجعله ممتازاً على أقرانه ومتفوقاً على لداته بالإنعام عليه بـ (سيورغالات) فلذا اقتضت إرادتنا السنية الآن على العجلة بتجديد إسناد حكومة بدليس، وأخلاط، وخنوس، وموش، وغيرها من القلاع والتوابع والملحقات والمضافات والمنسوبات، إلى الأمير المشار إليه يتصرف كما في السابق في حقوقها الديوانية وعائداتها الأميرية وغيرها من عوائد الإيالة ومالياتها. فلا يشاركه فيها أحد ولا ينازعه بوجه من الوجوه. وإيذاناً لذلك أصدرنا أمرنا هذا السعيد وحكمنا النافذ في جميع الأقطار؛ ليعملوا بها وألا يتدخلوا في شؤون إمارته وبلوكاتها ومزارعها وقشلاقاتها التي كانت من قديم الزمان عائدة له، وأن لا يعارضوا في أعمال رعاياه وحركات رجاله ولا يزاحموهم. وكل من يخالف هذا يعرض نفسه للعقوبة الصارمة ولا يجد له شفيعاً حينما يقف موقف المؤاخذة والسؤال. هذا وواجب الأمراء والقواد والأصلاء والأعيان والسكان من متوطني بدليس، وأخلاط، وخنوس، وغيرها من الذين خضعوا من القديم لإمارة ولدي الأمير وحكمه أن يستمروا على ذلك، وألا يخالفوا لأقل إشارة من إشاراته وأن يحلو جميع أمورهم وقضاياهم بمعرفة الأمير على أيدي رجاله وعماله في البلاد، بكل طوع وإخلاص من كل الوجوه. وبما أن هذا المرسوم موشح ومزين بالتوقيع الرفيع الشريف السلطاني، فإنه يجب الاعتماد عليه والعمل بموجبه.

تحريراً في عاشر شهر ربيع الأول سنة عشرين وثمانمائة (٨٢٠ هـ).

وقال صاحب (مطلع السعدين) إنه بعد وفاة (قرا يوسف) بأربعين يوماً . قد أرسل الأمير شمس الدين في اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة الحرام سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة (٨٢٣ هـ) وفداً إلى (قرا باغ أران) يعرض بواسطة أحد معتمديه، خضوعه وطاعته إلى بلاط الميرزا شاهرخ. هذا وفي أثناء توجه الميرزا شاهرخ من قشلاق (قرا باغ) في أول فصل الربيع إلى حدود (أرزنجان) بقصد ضرب أولاد قرا يوسف التركماني وقتالهم، حضر في غرة جمادى الأولى سنة ٨٢٤هـ إلى بلاط الميرزا في موضع يقال له (كتمه)[1] الغياثي القاضي محمد من قبل الأمير شمس الدين والي بدليس حاملاً كثيراً من التحف والهدايا حيث لاقى من السلطان ورجاله إكراماً زائداً واحتفاء به. إذ صرح له بالجلوس في المجلس العالي وأجيبت التماساته فعاد إلى سيده مقضي المرام.

وكذا حينما شرف الموكب السلطاني للشاهرخ منزل (مركو) وهو مرج لطيف بإحدى نواحي أخلاط وضرب جنده الظافر هنالك مضاربه، قصده الأمير شمس الدين ومعه بعض أمراء كردستان واستقبل موكبه السلطاني بالعز والإجلال. ثم تشرف بالمقابلة السنية وتقبيل الأنامل في غرة جمادى الثانية من السنة السابق ذكرها حيث تعطف السلطان وأنعم عليه خلعاً سنية كثيرة، وجدد منشور إيالته الموروثة (بدليس). وفي اليوم السادس عشر من الشهر المذكور أذن له بالانصراف إلى مقر ولايته.

وفي الحق أن الأمير شمس الدين من غير مبالغة في الوصف وشطط في الرأي كان رجلاً ديناً عالماً، وإدارياً حازماً يعالج الأمور بالحكمة والسياسة والسداد لذلك كان أهالي تلك البلاد، ولا يزالون يعتقدون فيه الطيبة والتقى والصلاح لدرجة الوصول إلى مرتبة الولاية والقداسة؛ حيث كانوا يقولون إنه قطع المراحل السبع من تلك المقامات القدسية؛ ووصل إلى مقام حصل له فيه الأنس بالحضرة العلية. كما ورد في بعض الرسائل الصوفية. إذ من المشهور على الألسنة والشائع على الأفواه أن الأمير تآنست معه الوحوش والطيور، وكانت تتألب عليه وهو يتوضأ وتشرب الماء من يديه المباركتين من غير إكتراث ولا وجل. وهناك حكايات وقصص مثل هذه كثيرة إذا ذكرناها الآن ربما حمل على غير الغرض مما قصدناه. وجملة القول فقد كان رحمه الله عالماً عادلاً عاملاً صوفي المشرب، يحب العلماء والفقراء والدراويش يجالسهم دائماً ويصاحبهم. فلذا اشتهر بين الناس بالأمير شمس الدين الكبير ولا يزال رجال

١- عبارة الأصل تحتمل أن تكون كلمة (كتمه) مضافة لـ (غياثي) فيكون اسم المكان مركباً . المترجم .

ونساء هذه الديار يستمدون من روحه المباركة القوة ويتبركون بها في دعواتهم آناء الليل وأطراف النهار. وقد نادى باستقلال بلاده وقطع السكة وخطب باسمه منفرداً حين زالت من البلاد سلطة التراكمة ونفوذهم. فمن آثار ذلك اليوم التاريخي ما هو يتبرك به أهالي كردستان نقد فضي ذهبي وزنه مثقال يدعى (شمس الدين) ويقتنونه للتيمن به للآن فقد رأيته بعيني مراراً. وهناك ثلاث عملات رأيتها أيضاً من الدراهم مضروبة باسم ثلاثة من حكام بدليس هم: محمد بن شرف، وشرف بن محمد، وشمس الدين ابن ضياء الدين. ومن آثار ذلك السيد الأجل ومنشآته زاوية ودار للشفاء وأخرى للضيافة وجامع في كوك ميدان (الميدان الأزرق) وهو الذي بناه في شهور سنة عشر وثمانمائة (٨١٠ هـ) ويدعى بالشمسية. ولا تزال الأعيان الآتية باقية من أوقاف ذلك الأمير الكبير في بدليس وحواليها، قرية (ترميت) من أعمال موش، وقرية (كفو) من نواحي كرجيكان وقرية (كازوخ) الواقعة فيما بين أرجيش وعاد لجواز؛ مع أربعة مزارع وسبعة دكاكين ووكالة كبيرة وعشرون أسرة أرمنية (منازل مؤجرة لهم) من تلك الموقوفات في نفس بدليس، وما عداها قد ضاع واندثر من تقلب الأحوال وفترات الزمن. وللآن توزع الصدقات والطعام كل يوم في الزاوية على الفقراء والمساكين حيث النشاط والعمران لا يزالان دائبين. وفي قرية (كازوخ) أيضاً وقف خاص وعام يصرفان على الغادين والرائحين من أبناء السبيل.

وأخيراً استشهد الأمير شمس الدين بيد الميرزا اسكندر ولد قرا يوسف التركماني الذي كان في غاية الجهل والبلادة والطيش، في بلدة (أخلاط).

وفي رواية أن نعشه العظيم قد نقل من أخلاط إلى بدليس ودفن في الجانب الشرقي من كوك ميدان. وفي أخرى أنه لا يزال في أخلاط. وهكذا يقوم الخلاف على محل دفنه. هذا والشائع على الألسنة في سبب مقتله، هو أنه كان متزوجاً بأخت الميرزا اسكندر. ولما كانت هذه السيدة من طائفة التركمان كانت بحسب نشأتها وطبيعتها ميالة لركوب الخيل واللعب بالصولجان ورمي السهام والنشاب وغشيان المحافل والمجالس العامة. فقد أرادت أن تستمر في معالجة هذه الأمور أحياناً في بدليس أيضاً. ولكن الأمير الكبير لم يسمح لها بذلك بل قاوم رغبتها هذه تارة باللطف وتارة بالعنف قائلاً لها: إننا معشر الأكراد لا نستسيغ مثل هذه العادات التي اتخذها التركمان أساساً لحياتهم اليومية، فترك هذه الأمور مستحسن وواجب وحسب قول الشاعر[1]:

١- بلطافت چو برنيايد كار   سربه بيحرمتى كشد ناچار

معناه: (إن لم ينته الأمر بلطف وسلام، فلا بد أنه سينجر إلى انتهاك الحرمة واستعمال الشدة). لم ينته الأمر بسلام بل أفضى النزاع والعناد بالضرورة إلى استعمال الشدة والعنف معها، واضطر الأمير شمس الدين يوماً من الأيام إزاء وقاحتها وطول لسانها إلى لكمها في فمها، فانكسرت إحدى أسنانها وما كان منها إلا أن أخذت السن المكسورة فدستها في خطاب لها لأخيها بأرجيش تبث فيها شكواها، وظلامتها بصورة مؤثرة جداً وأرسلته إليه. فانتهز هذا الظالم المستهتر الذي كان مشهوراً بدلى اسكندر (اسكندر المجنون) فرصة ذهاب الأمير شمس الدين إلى أخلاط للاجتماع به حسب العادة فانقض عليه كالصاعقة وقتله. هذا هو الشائع عن سبب القتل. ولكن كاتب السطور هذه يستبعد ذلك لأن الظاهر من الأسباب المعقولة هو تقديم شمس الدين الطاعة لبلاط الشاهرخ. والعلم عند الله .

وخلاصة القول أنه بعد شهادة الأمير شمس الدين الكبير، قد تسلم عرش الإمارة وحكم الولاية خلفه الصادق (الأمير شرف) وقد كان مجذوباً إلى الله مشتت الحال ومشغول البال لا يلتفت إلى شئون الحكم ولا يهتم بأمور الدنيا. فكان ينام الليالي في مستوقدات حمامات البلدة ويقيم في النهار في قفص من حديد أنشأه خصيصاً له مردداً هذه الكلمات (جاى كبك نر درقفسست) أعني محل ذكر الحجل هكذا القفص. فلم تدم أيامه كثيراً مثل الورد المفتح فولت سريعاً ولم يترك أثراً على صفحة الوجود[1] .

معناه: (سواء أكان الإنسان في هذا الدير فرحاً أم مغموماً فلا يأمن مكر هذا الدير القديم السير.

وحيث إن الرحيل من هذا الدير ضروري ولا محالة فإن النشاط والسرور أحسن من الغم والهم وأن الفرح والصحة خير من المرض والعكننة).

هذا ويروي ثقاة الرواة أن (شاهم خاتون) زوج الأمير شرف كانت من بنات ملوك حسنسكيف، قد كانت حصلت في حياة زوجها على فتوى من العلماء وتزوجت بموجبها من الأمير (سيدي أحمد ناصر الدين) وأنه لما توفي الأمير شرف إلى رحمة الله كان قد خلف منها ولداً صغيراً يدعى (شمس الدين) لا يصلح لتولي أمور الحكم فلذا انتقل أمر حكومة بدليس وشؤون إمارتها إلى أيدي

١- الأبيات: اكرشادى آكر غمكين درين دير   نهء ى أيمن أزين دير كهن سير
چومى بايد شدن زين دير ناچار   نشاط ازعم به وشادى زتيمار

(المير سيدي أحمد) وزوجه هذه شاهم خاتون، الأمر الذي أثار غضب أعيان عشيرة الروزكي واشمئزازهم، فشقوا عصا الطاعة على الحكومة المركزية وانفرد كل واحد منهم بما يحكمه من المقاطعات والنواحي في إمارة بدليس. فمثلاً استبد (مير محمد ناصر الدين) بأمور (أخلاط) وانفرد (عبد الرحمن أغا القواليسي) بناحية (چقور، وموش) وهكذا تشتت الأمور واضطربت وشاع الهرج والمرج بين عشيرة الروزكي. وكل يدعي الاستقلال والانفراد بالأمر ولا يريد الخضوع لأحد[1] .

معناه: (إذا خلت البلاد من سلطان يكفل أمرها صار كل رئيس في قرية والياً يدعى السلطان). واستمرت الحال على هذا المنوال فترة من الزمن حتى كبر الأمير (شمس الدين) وشب عن الطوق وخرج ذات يوم في رفقة من أتباعه إلى الصيد والطراد في خارج بدليس. فتصدى له من يدعى (عمر ياد كاران) من عشيرة (بايكى) وهو متوجه بحماره المحمل حطباً من طريق كيفندور إلى المدينة بقصد بيعه الحطب حسب العادة، ولما قابله على كوبري (عرب) لم يقم عمر هذا بما يلزم من الاحترام الواجب القيام به في مثل هذا المقام؛ بل إنه لم يزح حماره عن الطريق وساقه بسرعة مقتحماً موكب الأمير حتى إن الحطب قد مس رجلي الأمير وخدشهما، فاستشاط الأمير غضباً وصاح قائلاً: أيها الحمار الأبله أليس لك عيون تبصر بها دوابك فتبعدها عن الطريق حتى يمر الناس من غير أذى. وما كان من (عمر) إلا أن أجاب فوراً وبكل شدة إن الأعمى هو من لا يرى عيب نفسه. وقد تأثر الأمير شمس الدين من هذا الجواب الشديد، وثارت ثائرة غضبه وأراد أن يبطش بالقائل ثم رجع عما أراد شفقةً به واحتراماً لضعفه وتحمل الإهانة متخذاً الصبر والأناة شعاراً له فعفا عنه وأغمض عينيه عن ذلك[2] .

معناه: (إذا صبرت صبراً فلا شك أنه سيؤدي إلى إقبال الدولة عليك شيئاً فشيئاً).

ولما عاد الأمير وقد زال عنه أثر الغضب والحدة فكر قليلاً، وقال في نفسه ألا يكون ادعاء هذا الرجل العامي له سبب وسند من الصحة، فقر رأيه حينئذ على أن يطلب الشخص المذكور إليه بعد العودة من الصيد ويسأله، ففعل حيث وجد أن عمر ياد كاران هذا باع حطبه وعاد إلى بيته، فأحضره عنده وقال له أيها (الكردي) الجاهل ما هذا الكلام الفارغ والعبث البذيء الذي أثرته في وجهي وخرجت بذلك عن جادة الأدب والاحترام، فرد عليه عمر بانكسار ومسكنة

١- الأبيات: ولايت ژسلطان چوخالى شود رئيسى بهر قريه والى شود

٢- الأبيات: كر صبر كنى زصبر بى شك دوات بتوآيد أندك أندك

معتذراً عما حدث، بقوله: يا ابن ولي نعمتي الحقيقي ويا نور عيني الأصيل إنني لم أحد عن جادة الأدب ولم أتنكب طريق الصواب قط، بل أردت لمحض إخلاصي لك ولدولتك، أن أمهد الجو لعرض بعض كلمات صادقة على مسامعكم الكريمة. فإذا أردت أن تسمع مني ذلك فاطلبني إليك في خلوة أعرض فيها عليك ما أريده مفصلاً. فلما سأله الأمير أن يفصل مجمل هذه القصة، قص عليه قضية زواج والدته بالأمير سيدي أحمد ناصر الدين، بموجب فتوى استصدرته من العلماء في حياة زوجها الأول وانتقال أمور الإمارة نتيجة لذلك إلى أيدي الأجانب وما ترتب على ذلك من الأمور والأحوال. وهكذا بصر شمس الدين بالأمور الخافية عليه وجعله يطلع عليها من غير زيادة ولا نقصان. فأثنى الأمير شمس الدين على صدق ذلك الكردي المخلص وقدره حق قدره وسأله: وكيف تجبر هذا الكسر وتصلحه. فأجابه عمر أن الرأي هو أن تطلب إليك فلاناً وفلاناً من أبطال الروزكية واحداً فواحداً وتستميله إليك بالوعد والوعيد حتى تتفق كلمتك معهم على الغاية المنشودة. وبعد ذلك فإني عارض عليك الخطة المثلى لإنهاء هذا الموضوع. فشرع الأمير شمس الدين في تنفيذ ما عرض عليه من إحضار ودعوة رجال وفتيان من الروزكية كل يوم إليه وأخذ البيعة منهم له. وما شاع هذا العمل بين الناس، وطرق نبأه مسامع المير سيدي أحمد إلا وبادر إلى الفرار والتجأ إلى المير أبدال حاكم البختية.

ولقد عمد الأمير شمس الدين إلى والدته فقتلها فوراً. ثم ساق الجيش على خصمه الهارب مطارداً له حتى ولاية البختية. ولما وصلت أنباء زحف الأمير شمس الدين إلى الأمير أبدال البختي حشد هذا جيشه وأقام معسكره في ضفة نهر ضلم مستعداً للحرب والقتال، ولما التقى الجمعان، وقبل أن يلتحما أرسل الأمير شمس الدين رسولاً من قبله إلى الأمير أبدال يطلب منه تسليم المير سيدي أحمد إليه. ولكن الأمير أبدال رفض ذلك وأبى وقال للرسول إن هذا الطلب يتحقق بشرط واحد وهو أن يسلم سيدك لنا الأمير حسن الشيروئي الذي سبق أن قتل أحد أمراء البختية، وهرب إلى بلاط سيدك لاجئاً، وبعد ذلك نحن نسلم إليه المير سيد أحمد. والخلاصة أنه بعد تبادل الرسل والرسائل هكذا، قد تم الاتفاق أن يرسل الأمير شمس الدين عدة من أعيان وزعماء الروزكية كرهائن عن الأمير حسن الشيروئي إلى الأمير أبدال حتى بادر هو بدوره على إرسال المير سيدي أحمد إليه، وبعد ذلك يرسل الأمير شمس الدين في هذه المرة الأمير حسن الشيروئي فيسترد بذلك زعماء الروزكية الرهائن الذين لدى الأمير أبدال.

وبناء على هذا الوفاق انتخب الأمير شمس الدين الرهائن من بين الرجال الذين لهم مهارة زائدة في السباحة وقسط عظيم من البسالة والكفاية، فأرسلهم في مقابل الأمير سيدي أحمد وبدلاً عنه إلى الأمير أبدال وكان الأمير شمس الدين قد قال لهم: إني لن أسمح بتسليم الأمير حسن قط، وقد اتفق معهم على خطة هربهم في الوقت المناسب، وهي أنهم يسكنوا ويقيموا في محلات قريبة من النهر الفاصل بين الطرفين وأن يترقبوا قيام صياح وغيره من علامات نشوب قتال في المعسكر وعند حدوث الكبسة يبادرون إلى الفرار عرايا وسابحين في النهر تاركين وراءهم خيولهم وثيابهم وسلاحهم حتى يلتحقوا بجيشهم. فتقدم هؤلاء الزعماء الروزكي حسب الإشارة إلى بلاط الأمير أبدال ولازموه فترة من الزمن. وفي أثناء ذلك أرسل الأمير أبدال الأمير سيدي أحمد على أمل إعادة الأمير حسن إليه، فيتم الصلح والسلام ويخلص الاثنان من عواقب الخلاف والنزاع. ولكن الأمير شمس الدين كان منتوياً شيئاً آخر، فما كادت الغزالة تغيب فتظلم الدنيا وتلبس ثوباً عباسياً أسود. إلا أن عمد إلى سيفه البتار المنتقم فوضعه في رقبة الأمير سيدي أحمد الخائن الدنيء وقطع رأسه متشفياً منتقماً، في الوقت الذي كان قد أرسل طائفة من جيشه إلى شاطىء نهر زلم[1] يباغتون العدو ويبيتونه، ولقد ساد الذعر والدهشة طلائع العدو ومخافره الأمامية حتى قام القتال فيما بينهم من غير شعور وإدراك لحقيقة ما حدث. وفي هذه اللحظة علم الزعماء الرهائن من الروجكية جلية الأمر، فبادروا إلى النهر واقتحموه سابحين حتى وصلوا إلى معسكرهم.

ولما طلعت الشمس وقد أسفرت الاستعدادات عن وقوف كلا الجيشين في ضفتي النهر متحفزين للقتال والوثبة منتظرين أقل إشارة من القواد، تقدم الأمير شمس الدين بفرسه إلى الأمام وخاطب الأمير أبدال بقوله: يا مير أبدال ! إني قد قتلت خادمي الذي كان قد خانني وعاداني، فانتهى الأمر ولم يسبق بيني وبينك ما يوجب العداء والخصومة وإذا أردت مع ذلك النزاع والقتال فهذا هو الميدان وهاك هو من يجول فيه. ولما سمع رجال البختية وأعيانها هذا الكلام تقدم أميرهم (أبدال بك) بفرسه إلى الأمام وقال يا مير شمس الدين ! لا شك في أن آباءك وأجدادك العظام من قديم الأزمان كانوا كبراء أجدادنا ورؤساءهم، وكان بينهما دائماً الصداقة متوطدة والحب متبادل والإخلاص متوافر؛ فلذا

١- كذا هنا وسبق (ضلم) ولا شك أن هذا غير نهر الزلم الذي ذكره ياقوت في (شهرزور). المترجم.

نستعيذ بالله[1] من أن نرتكب شيئاً يخالف تلك التقاليد والصداقات القديمة وهو في الوقت نفسه ممقوت في نظر الخلق ومحرم عند الله الخالق يوجب الخسران والخزي لمرتكبه في الدنيا والعقبى. وإذا كان الأمير سيدي أحمد قد دنس نفسه وخرج عن حد الأدب وارتكب ما ارتكب فإنه قد لقي جزاء أوفى، فالآن المرجو والمتوقع من مكارم أخلاقكم وحسن طويتكم ألا تفسحوا مجالاً لقيام الفتن وشبوب نار القتال وأن تعملوا على توثيق أواصر المحبة والاتحاد بين الطرفين. ولما رأى الأمير شمس الدين لين الأمير أبدال واعتداله وبسطه المقال بالاعتذار عما مضى وأنه ميال للصلح ومحب للسلام فقد أجابه إلى ملتمسه مؤكداً صداقته وثقته به. ثم قفل راجعاً إلى مقر ملكه. ومن ذلك اليوم سمي هذا الأمير بشمس الدين دشوار (الصعب). وكان له خمسة أولاد ذكور هم: ١- سلطان أحمد، ٢- سلطان محمود، ٣- ضياء الدين، ٤- أمير شرف، ٥- أمير إبراهيم، ولقد مات الثلاثة الأولون بالطاعون الذي تفشى في سنة خمس وثلاثين وثمانمائة (٨٣٥هـ)؛ كما أن الأمير شرف قد توفي إلى رحمة الله في ريعان شبابه ومقتبل عمره بأجله الموعود.

وهكذا صار الأمير إبراهيم متولياً للحكم بعد وفاة والده. وقد حكم فترة من الزمن البلاد بكل حزم ودقة. حتى إذا توفي إلى رحمة الله حل محله خلفه ابنه الصادق (الأمير حاجي محمد) الذي شرع في بناء مسجد جامع ومدرسة في بدليس على شاطئ النهر في (سنة ٨٤٧ هـ)؛ حيث أتم بناءها بعد عام. واستمر في الحكم إلى أن توفي (سنة ٨٦٥ هـ) فدفن بجانب مسجده الجامع. وقد ترك على صفحة الوجود ولدين هما: إبراهيم، والأمير شمس الدين. فتولى إبراهيم الحكم بعد والده حسب وصيته. وسنذكر أحواله فيما يأتي من السطور.

١- الأصل شطر من البيت الفارسي (معاذ الله كه كارى بيشه سادم). المترجم .

الفصل الرابع

في ذكر الأمير إبراهيم (ثاني) بن الأمير حاجي محمد

سبق أن ذكرنا فيما سبق أن علاقات طيبة وصلات وثيقة تكاد أن تكون علاقات أبوة وبنوة، كانت موجودة بين (قرا يوسف) القرا قوينلي وبين حكام بدليس وولاتها. هذا ولما تمكن أوزون حسن الآق قوينلي من مقتل (جهانشاه) ولد (قرا يوسف) للعداوة المتأصلة بين هاتين الطائفتين، وأفضى ذلك إلى استيلائه على جميع ولايات: ديار بكر، وأرمينية، وآذربيجان، فقد اتجه بعد ذلك بجميع قواه ونفوذه إلى القضاء على هذه الأسرة وأسرة قرا قوينلوا واستئصال جميع أعضائها وتشتيت أتباعها وأنصارها. حيث ساق أولاً جيشاً عرمرماً بقيادة (سليمان بك بيثرن أوغلي) الذي كان من عظماء قواده ومن كبار رجال دولته، على ولاية بدليس للاستيلاء عليها. والقبض على حاكمها وولاتها. فزحف (سليمان بك) هذا بجيش لا يعد ولا يحصى إلى كردستان، وأقام معسكر جيشه التركماني في ظاهر قلعة بدليس. فما كان من الأمير إبراهيم بن الأمير حاجي محمد الذي كان حاكم بدليس حينذاك، إلا أن بادر بتحصين القلاع وتقوية المدن وسد الطرق والدروب معتصماً بقلعة بدليس، وما لبث سليمان بك إلا أن جاء وضرب نطاق الحصار عليها مستجلباً معه كثيراً من آلات الحصار الشديد ومعدات القتال المديد. ودامت مدة الحصار ثلاث سنوات كاملة حيث كان يتجدد أمله في الاستيلاء عليها كلما انتهى الشتاء، وأقبل الربيع بوروده وزهوره الدالة على تفتح الآمال والأماني؛ كان يشتي في أطراف (ماردين) و(بشيرى)[1]، ويعود في أول الربيع إلى حصار(بدليس) ويستأنف مناضلة أبطال الكرد وصناديد عشيرة الروزكي ويقاتلهم قتالاً مراً، فكانت أصوات المحاربين والمقاتلة وضجيج المنجنيقات والعرادات تعلو وتهبط وتصم الأذان، والقذائف والسهام تتناثر يميناً وشمالاً من الأعلى إلى الأسفل، وبالعكس حتى تصل إلى أفئدة المتحمسين فتخلعها وإلى أرواح الأبطال فتطيرها بحيث أصبح ميدان الوغى، وساحة القتال، كما يصفه الشاعر بالفارسية فيقول[2]:

١- على ضفة دجلة الجنوبية شرقي (حسنكيف) يقال إنها مدينة (طنزى) التاريخية . المترجم .

٢- چومز كان خوبان دوصف رزم ساز | يكي در نشيب ويكي درفراز
زبالا چوسنكي بزير آمدى | زكاو زمين بانك شير آمدى
زيايان چوتيري ببالا شدى | مشبك دراين چرخ والاشدى

معناه: (صار المقاتلون في ميدان الوغى صفين مثل رموش الحسان والغانيات وأهدابها أحدهما في الأسفل المنحدر والآخر في الأعلى، بحيث إذا تزحلق حجر من الأعلى صاحت بقرة الأرض زئير الأسد من هوله. واذا علا سهم من الأسفل إلى الأعلى، فقد علق ولا شك في ذروة هذا الفلك الدوار وانسجم معه وتحرك حتى اتخذ من القمر حلقة ومن الشمس المشرقة كميناً؛ كما أن البنادق كانت تضرب في مقتل الأمن والأمان كالأبطال القساة القلوب. حتى أصبحت بروج القلعة وحصونها ملطخة بدماء الأبطال حمراء مثل الجلنار.

ولما طال أمد الحصار وضاق بالمحصورين الحال من نفاد المؤن والعتاد، وانتشار المجاعة والأمراض الفتاكة التي أودت بحياتهم جميعاً بحيث لم يبق مع الأمير إبراهيم سوى سبعة أنفار، كتب الشاعر محمود أوغلي الذي كان مداح سليمان بك غزلاً تركياً وأرسله إلى السلطان حسن بك وقد ورد فيه البيت الآتي[1] :

معناه: (أيها الملك إن كردي بدليس هذا، لا يخضع لسليمان فإن من عاداتهم القديمة أن يعملوا في سبيل الأسر والبيوتات).

فخلاصة القول ان الصلح قد تم بين الطرفين، بعد أن أنهكت قواهما ونفدت ذخائرهما. وذلك بفضل توسط الأخيار والمصلحون بينهما، على أن لا يتعرض (سليمان بك) لحياة الأمير إبراهيم وأسرته نظير ما يتخلى عن القلعة وعن منصب الإمارة فيسلمها إليه. ولما وافق الطرفان على هذا الشرط عرضاه على السلطان (حسن بك)، فبادر هذا بإرسال خاتمه إيذاناً بالقبول ومنحه المواثيق والأمان. وعلى هذا خرج الأمير إبراهيم من القلعة وتوجه إلى بلاط السلطان حسن بتبريز. وهكذا وضع (سليمان بك) يده على جميع قلاع ولاية بدليس ومدنها. ويحكى أن عدد الأسر التي رافقت الأمير إبراهيم في تلك الرحلة الاضطرارية من عشيرة الروزكي إلى آذربيجان كان اثنتي عشرة أسرة كانت ضمنها أسرة (شمس عاقلان) الشهيرة. فبعد وصول الأمير إبراهيم بحاشيته

بآهنك كين كرده چرخ بلند	زمه حلقه وزمهر تابان كمند
تفنك همچو سنكين دلان زمان	زده رخنه دركار أمن وأمان
زخون يلان برجهاي حصار	شده لا له گون همچو كلهاى نار

١- شها أول بدليسك كردى مطيع أولماز سليمانه

[أزلدن قالمه عاتدر جاليشور لر اوجاغ اوسته] [١]

[١] أضيف هذا الشطر من كشف اختلاف النسخ . المترجم

إلى (تبريز) أرسله (حسن بك) إلى جهة العراق مخصصاً له وظيفة من إيراد (قم) ليتعيش بها. واستمر هذا العطف والإكرام طيلة دوام حكم (حسن بك) إذ تغيرت الأحوال بعد وفاته وتولي السلطنة ابنه يعقوب بك لأنه كان قد استاء استياءً شديداً من حركات الروزكية والثورات التي أقاموها في ولاية بدليس، فأصدر أوامره بقتل الأمير إبراهيم، فنفذ فيه الأمر في بلدة (قم). وقد خلف الأمير المرحوم من السيدة التي كان قد تزوجها من بنات أكابر القوم بقم، ثلاثة أولاد ذكور هم: حسن علي، وحسين علي، وشاه محمد. وقد بلغ حكم الآق قوينلية لإمارة بدليس تسعة وعشرين سنة نشبت خلالها ثورات وفتن عديدة، تشتت من جرائها شمل الروزكية، فلجأ كثير من أعيانها وزعمائها إلى الأطراف، والبعض منهم قد اختفى في (كنج) منتظرين يوم الفرج متدثرين بلباس الصبر والتحمل منقطعين عن الناس ومخالطة الجمهور. وأما محمد آغا الكلهوكي الذي هو عمدة عشائر الروزكي وخلاصة الرجال الصادقين الأوفياء لأسرة ضياء الدين، فقد اضطر لملازمة أمراء تراكمة الآق قوينلية يمضي أوقاته في بلاد العراق غالباً، ويسافر أحياناً إلى (قم) لخدمة أولاد ولي نعمه من أسرة ضياء الدين (حكام بدليس) فيقوم بما يجب عليه من الإخلاص في القول والعمل في صالح شؤونهم بقدر الاستطاعة. وذلك بإرشادهم إلى ما ينبغي العمل به. ولما كان هو من الرجال القدماء الذين عركوا الدهر وأفادوا من تجاربه الحلوة والمرة، فقد كان يبصرهم تارة بماضيهم بكردستان وما لأسرتهم من المكانة والمقام الممتاز بين عشائر وقبائل الروزكي الكثيرة العدد والحشم، وتارة يسهب في بيان جمال هواء بدليس وجوها اللطيف وحدائقها الغناء، ثم يسترسل في شرح الخطط الواجب إتباعها في استخلاص تلك البلاد الجميلة الملأى بالقلاع الحصينة من أيدي المتغلبين عليها من الأجانب؛ الأمر الذي ألقى في روع هؤلاء الأمراء الأصلاء أن أحدهم لو ذهب إلى كردستان، ووطأت قدمه الحدود من تلك البلاد العظيمة فقط، لالتف حوله من الأنصار والأعوان من العشائر الكردية والقبائل الروزكية ما يمكنه بهم فتح قلاع الولاية ومدنها المهمة بأيسر حال وفي أقصر وقت. وبذلك ينبعث النشاط في أسرتهم القديمة، وتحيى إمارتهم الموروثة من جديد وأخيراً تجاسر هذا الرجل المحنك الصادق للأسرة الكريمة والمحب لها الخير كله. فأفضى بمكنون ضميره إلى السيدة والدة الأمراء قائلاً لها: إنك إذا أعطيتيني أحد الأمراء فأصحبتني إياه لأذهب به إلى كردستان، فلا شك في أني أوفق في جمع قلوب عشيرة الروزكي حول ابنك هذا.

ثم أتوجه بهم إلى محاربة تراكمة الآق قوينلية، وأنقذ قلاع بدليس ونواحيها من أيدي هؤلاء المتغلبين. وهكذا نعيد الحق إلى أصحابه. وعند ذلك يعود الرجال الروزكية المشتتين في البلاد إلى مواطنهم الأولى ويخضعون إلى أمرائهم السابقين ويخلصون لهم الطاعة.

ولقد بالغ محمد آغا الكلهوكي، في هذا الصدد مبالغة عظيمة حتى أقنع السيدة الخاتونة بوجاهة الرأي وبلزوم تنفيذه حالاً، فرضيت السيدة بمصاحبة ولديها (حسن علي، وحسين علي) له ليذهب بهما إلى كردستان. فبادر محمد أغا هذا على حمل الأميرين والسفر بهما إلى ولاية (حكاري) وأودعهما لدى عشيرة (آسورى) التي من اصطلاحاتها الشائعة إطلاق لفظ (سيد) على (أقا) المستعمل في الفارسي.

وقال لهم: إن هؤلاء أولادي فيجب العناية والاهتمام بهم والمحافظة عليهم مهما كانت الظروف. ثم توجه إلى ولاية (بدليس) واتصل بجميع المحبين والمريدين والأنصار لأسرة ضياء الدين، وأخبرهم بقدوم سلائل الأسرة الكريمة ولية نعم الجميع، وطالبهم بتقديم المعونة اللازمة لاسترداد الحق المسلوب واتخاذ الأسباب المؤدية إلى الاستيلاء على الولاية، وقد تصادف أن كان الخلاف ناشباً بين الطائفة الآسورية وبين حاكمهم (عز الدين شير) الأمر الذي أفضى إلى شق عصا الطاعة عليه، وامتشاقهم الحسام لفض النزاع واضطر عز الدين شير للعمل على تأديب هؤلاء العصاة المناحيس بتجريد حملة عسكرية عليهم؛ كما أن الآسوريين عملوا بمقتضى قول القائل[1] :

معناه: (حينما يحل وقت الضرورة ولا يبقى مجال للفرار تقلد السيف الصارم واعمل به مهما كانت الظروف).

فاستعدوا للقتال وخوض غمار الحرب. ولقد ابلوا بلاءً حسناً في المعارك التي جرت بين الطرفين ولكن سوء الحظ أدى إلى فقدان الأميرين (حسن علي) وأخيه أثناء القتال والفتنة ولم يظهر لهما أثر. ووصل نبأ هذا الرزء الأليم والخطب الفادح إلى مسامع أعيان عشيرة الروزكي ورجالها في الوقت الذي كان محمد أغا قد بشرهم بقدوم الأميرين الجليلين، وحفزهم إلى القيام قومة واحدة مع سائر أمراء كردستان العظام للعمل على إنقاذ البلاد، فاسقط في أيديهم جميعاً وقد حاروا في أمرهم وقد صعد صياحهم وعويلهم شباباً

١- وقت ضرورت چو نماند گريز   دست بكيرد سر شمشير تيز

وعجائز، رجالاً ونساء، إلى عنان السماء إذ بكوهم بكاءً مراً وقد لبسوا السواد وحلفوا الإيمان الغلاظ على التضحية وفدائهما بالمهج والأرواح.

قال الشاعر[1]:

معناه: (لم تبق عين لم تدمع بالدم من تلك الحادثة ولم يبق صدر لم يتمزق من ذلك الخطب الفادح).

نعم ! لم يكن هناك دولة قد طلع نجمها حتى أعقبها الأفول والزوال، ولم يكن هناك صرح شامخ قد علا وازدهر حتى انهار تحت تأثير من حوادث الدهر وغدر الزمان، كما قال الشاعر[2]:

معناه: (ماقام شجر في حديقة هذه الدنيا إلا وقد تناوله الفأس بالتهذيب والتشذيب وفي هذه الحديقة الغناء سوف لا يبقى في مروجها لا الورد ولا السرو مثل جناح الدراج وريشه).

وخلاصة القول أن وقوع هذا الحادث أثر في نفس محمد أغا تأثيراً بالغاً فغرق في بحر لجى من الغم والهم وأصبح حيران لا يعرف ماذا يعمل، ثم أخذ يتساءل فيقول متحسراً إن هاتين الوردتين غير المتفتحتين في حديقة الحكومة، واللتين كانتا نشأتا في بستان الإمارة، قد أغار عليهما ويا للأسف الدهر بكلكله، وقضى على شبابهما قبل أن يشموا رائحة الإيالة التي كانت تنتظرهما، ويا لهفي على ذينك السروين اللذين كانا قد نشآ في نهر الملك والإمارة قد وقعا في بحر الفناء قبل أن يشربا جرعة من أنهار الولاية والملك. نعم ! بينما كان محمد أغا حائراً في أمره، هكذا يضرب أخماساً في أسداس، إذ جاء نبأ من أن الأمير شمس الدين أخا الأمير إبراهيم مقيم في ناحية (أروخ). وتفصيل الخبر هو أنه أثناء ضرب (سليمان بك بيژن أوغلي) نطاق الحصار على الأمير إبراهيم في قلعة بدليس، تمكن الأمير شمس الدين هذا من الفرار من القلعة واختفى بين عشيرة البختية، وأقام بينها حتى إنه تزوج هنالك بكريمة الأمير محمد الأروخي، وخلف منها ولده (شرف بك) الذي لا يزال موجوداً مع والده بين العشيرة المذكورة وكان وقع هذا الخبر المفرح على محمد أغا طيباً جداً. فابتهج لذلك أيما ابتهاج وهرع إلى الجهة المذكورة، وتشرف بمقابلة الأمير شمس الدين حيث

١- نماند ديده كزان واقعه نشد خونبار نماند سينه كزان حادثه فكار نكشت

٢- الأبيات: بكلزار كيتى درختى نرست كه مانداز جفاى تبرزين درست

وزين باغ رنكين چوپر تذرو نه كل درچمن ماند خواهد نه سرو

وجد فيه كل الصفات التي تؤهله للمنصب الخطير الذي كان يسعى لتجديده وبعثه، إذ كان الأمير على جانب عظيم من الذكاء والعقل مع الأنفة والحزم، وقد عرض عليه قصته من أولها لآخرها بطريقة مؤثرة جداً تنم عن الإخلاص والتضحية الكبيرة في سبيل إسعاد الوطن والتفاني في خدمة رجاله، مما أثر على الأمير شمس الدين وحمله على ان يسأله بقوله والآن مذا تريد ؟ فجاب محمد أغا بأن العبد الملازم لباب الأمير يلتمس أن يخرج الأمير يد الهمة عن أكمام الجراءة والشجاعة وأن يضع رجل السعادة في ركاب الجلادة والبسالة فيبادر إلى الاستيلاء على ولاية بدليس. وما وسع الأمير إلا أن يجيب ملتمس محمد أغا وأن يتوجها معاً إلى ولاية بدليس. وبمجرد وصولهما إلى حدود تلك الولاية التف حولهما في الفور ألف وخمسمائة جندي من المدربين على القتل والضرب والطعان من رجال العشيرة الروزكية، فشرعا في ضرب نطاق الحصار على قلعة (بدليس) وكانت حينئذ حكومات وإدارات (باركيري) و(أرجيش) و(عادلجواز) عائدة لعشيرة ورجال محمد شالوى التركماني، فلما وصله نبأ الأمير شمس الدين ونزوله على قلعة بدليس، بادر هذا بجيشه ورجاله بالزحف إلى ناحية بدليس، فقابله الأمير شمس الدين في موضع يقال له (راهوا) وحدث القتال بينه وبين عسكر التركمان، فقتل من الطرفين خلق كثير في تلك المعارك الدامية التي أظهر فيها أبطال الكرد من آيات الشجاعة وآثار الرجولة والبسالة ما حير الألباب ولكن كل ذلك لم يجد نفعاً أخيراً حيث يقول الشاعر[1] :

معناه: (إذا لم يهب الدهر القديم الدولة والإقبال شخصاً فلا يمكن الحصول عليهما باستعمال الكمين والقوة).

وقد دارت الدائرة على رجال العشيرة الروزكية، فبسط ملك الأجل سلطانه على الأمير شمس الدين وحذف اسمه الكريم من صفحة الوجود، وقبل أن يجني وردة من بستان الحكومة والإمارة أصابته شوكة الحرمان والخذلان في صميم قلبه. وأما محمد أغا الذي خرج من هذه المعركة خائباً أيضاً؛ فقد كان حاله يرثى لها من تشتت الفكر وشرود البال لسان حاله[2] :

معناه: (يا رب ! ما هذا الطالع الذي أعطيتني أنا الخائب، حيث لا يمكنني من تحقيق أية رغبة من رغباتي).

١- چو دولت نبخشد سپهر كهن   نيايد بزور آورى در كمند

٢- چه طالعست من نامرادرا يارب   كه هيچكونه مرادي نميد هد دستم

فبينما كان ينشد هذا ويبكي حاله في عزلة من الناس مطلقاً العنان لتفكيره وخياله ومتزهداً عن المعالي والطموح وجالساً وراء اليأس والخمول، فإذا بهاتف غيبي يقول في أذنه مترنماً ما يأتي[1] :

معناه: (تعال وهيا بنا يا فاتر الهمة ما هذه الكسالة والفتور ؟ ففي الطريق السلطاني الحر، والبرد، والشدة، والسهل. فأول ما توضع الحبة توضع في الطين، ثم يهتم بها حتى يظهر لها الرأس؛ إذ بفضل الهمة تحت الجذبة للكهرمان الذي يجذب التبن إليه من غير حركة اليد. فبقطع النظر عن الكهرمان وحركة التبن أن الهمة تقلع الجبل وتزيله عن الطريق).

وأردف ذلك بقوله: قم وشمر عن ساعد الجد وسق جواد همتك بسوط الغيرة والنشاط وتوجه نحو العراق (العراق العجمي) فتجد هنالك الأمير شاه الدين محمد بن الأمير إبراهيم بك الذي لا يزال مقيماً ببلدة (قم) وأحضره إلى عشيرة الروزكي. فإن الحكومة وما تسعى إليه من الهدف هو من نصيب ذلك الأمير الأصيل. ولما كان محمد أغا من الطيبين الصادقي النية وبريئاً عن الكذب والرياء، فقد صدّق هذا الغيبي وتوجه حالاً إلى العراق العجمي. ولما مثل بين يدي السيدة والدة الأمراء وقص عليها ما جرى من الحوادث من غير زيادة ولا نقصان من قصة مقتل حسن وحسين الذي يذكرنا بمصرع سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين، وكيف أن الأمير شمس الدين قتل في هذا السبيل أيضاً. ثم أردف ذلك كله بما اعتزم عليه من استصحاب الأمير (شاه محمد) إلى كردستان تلبية لطلب عشيرة الروزكي التي تنتظره بفارغ صبر. فما انتهى من كلامه الذي وقع وقوع الصاعقة على تلك الوالدة الحنونة المسكينة السيئة الحظ، إلا وقد علا صراخها على فلذات كبدها التي ثكلتها وزادت تمسكاً بابنها الوحيد الباقي لديها وقد توسلت بأعذار شتى في تبرير رفضها طلب محمد أغا الجديد. غير أن كل ذلك لم يجديها نفعاً فاضطرت أخيراً إلى استعمال كلمات قاسية ضد محمد أغا الذي قابل كل ذلك بصبر وتحمل عجيبين، وألح على طلبه بلطف وإصرار مستمرين قائلاً لها إن عشيرة الروزكي تضع وجوهها على الأرض

١- بيا أى ست همت أين چه سستى است طريق رهروان گرمي وچستى است
در أول دانه زير گل برآيد چو همت دارد آخر سر برآرد
زهمت كهربارا جذبهء هست كه كه رامي كشدبى جنبش دست
چه جاي كهربار وجنبش كاه كه همت كوهرا بردار داز راه

ساجدة، وترفع أيديها إلى السماء داعية متضرعة إلى الله الملك المتعال أن يمن عليها برؤية الأمير شاه محمد؛ لتكتحل عيونهم المريضة من الفراق بغيار موكبه الأميري السامي.

فإزاء هذا الكلام المؤثر والطلب الصادق المحزن اضطرت الوالدة المسكينة أن توافق بالضرورة على رغبة الشعب المتلهف على رؤية الأمير، فسلمت وحيدها العزيز المحبوب إلى محمد أغا المشار إليه حيث عاد به حالاً إلى كردستان.

ويروي البعض أن محمد أغا حصل على الأمير شاه محمد هذا من غير رضاء والدته حيث هربه إلى بلاد (بدليس)، وهذا هو الأصح. وعلى كل فإن الثابت أن الأمير شاه محمد شرف بقدومه المبارك إلى بدليس في شهور (سنة٩٠٠هـ = ١٤٩٤ – ١٤٩٥م) فالتف حوله جمع كثير من الأنصار والمريدين، فأقيمت معالم الأفراح والزينة في أنحاء المملكة حيث رفعت جميع قبائل الطائفة الروزكية آيات حمدها وكلمات شكرها إلى الله الملك المنان بالإقدام على توزيع الصدقات وعمل الإحسان إلى الفقراء وأرباب الحاجات والمستحقين. وفي الفور انعقد مجلس رأي ومشورة حسب قوله تعالى (وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ) نوقش فيه أمر الاستيلاء على قلعة بدليس وفتح ولايتها جميعاً فاستقر الرأي فيهم على ما يأتي:

بما أن الزحف إلى قلعة بدليس جهاراً، كما حصل مراراً قد أفضى إلى مقتل الأمير شمس الدين وأولاد أعيان الطائفة الروزكية وإخفاق العمل في كل المحاولات، فإن صلاح الدولة الآن يقتضي أن يتوجه عدة من المتدربين على السير في بروج القلعة وأسوارها في غروب الشمس واستتارها وتدثرها بلباس الحلف والقسم على الاستيلاء على سماء هذا العالم، إلى أعلى قلعة بدليس وأن يتسلقوا أسوارها حتى يصلوا إلى باب البرج الأكبر للقلعة فيستولوا عليه ويقطعوا السبيل على المدافعين. وإلا فلا يمكن انتزاعها من أيدي الغاصبين.

ولما كانت الإرادة الأزلية قد اقتضت حصول ذلك فإن الأمور تيسرت والأسباب تهيأت على حد القول المأثور (إذا أراد الله شيئاً هيأ أسبابه) إذ عثر على عدة أشخاص من عشيرتي البايكى، والمودكيى، وأوتي بهم إلى حضرة الأمير شاه محمد حيث استمالهم بالوعود الكثيرة والإنعامات الوفيرة، حتى تعهدوا بالقيام بهذا العمل الفذ قائلين إما أن نصل إلى غرضنا فنتسلق الأسوار حتى نصل إلى البرج الكبير، وإما أن نقع في أيدي رجال الحامية فنكون طعمة للسيوف والكلاليب وسائر آلات الموت والدمار.

وبعد ذلك شرعوا في إحضار الآلات والأدوات من سلالم وحبال كمين وكلاليب لتنفيذ المهمة، وبينما هم كذلك إذا بشخص يدعى (أبو بكر أغاى البايكى) الذي كان من المجربين للأمور والمطلعين على تقلب الأزمان والدهور ذا تجاريب عظيمة وصاحب صدق وفراسة حسن الاعتقاد والسريرة تقدم إلى الأمير شاه محمد وعرض عليه ما يأتي:

إن شغلي الوحيد والعمل الذي كنت أتقرب به إلى الله، في المدة التي كانت التراكمة مستولين على (بدليس) كان لا يعدو صنع سلالم حتى أكون قد قمت بواجبي في اليوم الذي يظهر الوراث الشرعي للملك والحكم، فيعمل على استرداد الحق المسلوب، وها هي كمية كبيرة من السلالم التي عملتها من العيدان والحبال الغليظة بقدر ما تحتاج إليها، وهي موجودة في أزيار وحباب مدفونة في تحت الطين والتراب تنتظر حلول مثل هذا اليوم. فأحمد الله الذي يسير الأمور وفق رجاء عبيده الخاضعين[1] .

قال هذا وبادر أبو بكر أغا على إحضار تلك السلالم. ولما رأى الأمير شاه محمد مقدار ما يكنه هذا الكردي الطيب السيرة والسريرة من الحب الخالص والعقيدة الراسخة في خدمة الوطن والملك أقطع له إقطاعاً تمليكياً قرية (خزونكين) من أعمال تاتوان، وقرية (ايكسور) مكافأة له على أعماله المجيدة هذه.

وصفوة القول، أن الأبطال المعتزمين اقتحام القلعة بادروا في ليلة ليلاء تاه فيها القمر والشمس وضلا الطريق، وحار الفلك بآلاف عيونه الكثيرة فيما يسلكه من الطريق إلى العروج والصعود إلى القلعة كريح الصبا، وذلك عن طريق البرج الأسود في شمال القلعة، فأوثقوا حبال السلالم في شباك (طاقة) بيت خال من الناس. ثم نزلوا إلى الأسفل. وقد قال الشاعر[2] :

معناه: (فألقوا بثعابين حبال الكمين إلى الأعلى ليؤذوا بها أسد الفلك وغضنفر الدهر، وهكذا استولى الكرد على المخافر بقوة ذراعهم، وفتحوا أبواب الحرب من كل جهة فمن جهة أقام البعض منهم قامته كعلم خفاق ومن جهة أخرى يعمل مئات منهم السلالم من أكتافه وأذرعته.

١- الأبيات: شكر خدا كه هر چه طلب كردم أزخدا — برمنتهاى همت خود كامران شدم

٢- الأبيات:
بر آورد سر أژدهاى كمند — كه شير فلك را رساند گزند
كر فتند كردان سپرها بجنبك — زهر سو كشادند درهاي جنك
زهر سويكى قامت افراخته — زدوش وكتف نردبان ساخته

فعلى هذا الوصف والنسق زحف الأبطال إلى الأعلى مستمسكين بحبل الله المتين القائل جل شأنه: (لا تَيأسُوا مِنْ رَوْحِ اللّه) فباغتوا الحراس في فراش النوم والغفلة، ورجال الحامية في أمكنة الراحة والاستجمام، فقتلوا بعضهم في أمكنتهم والآخر أرسلوهم من ذرى القلعة وأعلاها إلى أسفل السافلين. وقد استولى بعض المهاجمين على باب القلعة من الخارج في أثناء ما كان جماعة كبيرة من المهاجمين يزحف إلى منزل حاكم القلعة وأخرجوه منه، ثم عملوا بجميع أتباعه وجنوده مثل ما عملوا له من القبض عليه وربط أياديهم إلى عنقهم، وهكذا جازوهم بما يستحقونه من العقاب. ثم أخرجوا عائلاتهم وأسرهم من الأهل والعيال من القلعة ومن الولاية بأسرها. فتطهرت هكذا حديقة الوطن الملأى بالورد من أشواك الأغيار والأجانب، وتخلصت البلاد من أرجاس المستولين والعقارب. فأعلن الأمير شاه محمد حسب الأصول القديمة والعادات الموروثة من الآباء والأجداد نفسه أميراً على البلاد، وتسنم عرشها بكل استحقاق فبسط رواق العدل والمساواة ونشر رايات الإحسان والإنعام على الجميع لا فرق بين صغير وكبير وشاب وعجوز. غير أن أيام حكمه السعيد مرت بكل سرعة مثل موسم الورد المتفتح الضاحك حيث قضى ثلاث سنوات في مسند الحكم كاملة. ثم توفى إلى رحمة الله. وفي الواقع أنه كان شاباً متصفاً بالشجاعة والشهامة ومعروفاً بالسخاء والكرم المتناهي. وكانت وفاته رحمه الله في سنة ثلاث وتسعمائة (٩٠٣ هـ = ١٤٩٧ — ١٤٩٨م) فدفن بجوار تربة والده فائضة الأنوار الأمير شمس الدين الولي عليه الرحمة والغفران في موضع (كوك ميدان = الميدان الأزرق) وقد ترك ولداً صغيراً هو الأمير إبراهيم.

السطر الرابع

في بيان خروج حكومة بدليس من أيدي حكامها
وهو في أربعة أوجه

الوجه الأول

في ذكر الأمير (إبراهيم) ونزاعه
مع الأمير (شرف) عليه الرحمة

تفيد قصص البلغاء من الكتاب وروايات الفصحاء من ذوي الألباب أن (الأمير إبراهيم) لما تولى منصب الإمارة بعد وفاة والده كان صغير السن، مما أفضى إلى انتقال الحكم الفعلي من إداري ومالي إلى أيدي عبد الرحمن أغاي قواليسي وسائر زعماء تلك العشيرة. وبينما كانت تسير الأمور على هذا المنوال، إذا بالشيخ أمير بلباسي يبادر رغماً عن عبد الرحمن أغا وجماعته القواليسية بعشيرته البلباسية إلى خدمة الأمير شرف الذي كان الأمير شاه محمد في أيام حكمه، قد أتى به من أروخ من أعمال ولاية البختي، وعينه نائباً عنه في (موش) بانتخاب أعيان الروزكي وموافقتهم، ومضت على ذلك فترة غير قليلة، الأمر الذي فتح طريقاً للدساسين والمفسدين لإيغار الصدور بين أبناء العم حيث انقلبت المودة والصفاء بينهم إلى الشقاق والجفاء. فكان الأمير إبراهيم وعضده عبد الرحمن أغا يبغيان ويريدان إحضار الأمير شرف من (موش) إلى (بدليس) بأية وسيلة ليحرموه من نور البصر. ولكن سيدى أغا الخزينة دار القواليسى المشهور بسيدى خزينة دار، علم هذا التدبير السيئ الظالم فأسرع إلى الأمير شرف وأطلعه على ما يدبره له الأمير إبراهيم من الغدر والمكيدة.

وفي هذه الأثناء كان الأمير إبراهيم يرسل كتاباً خاصاً بصحبة أحد أتباعه المعتمدين له إلى الأمير شرف بموش يقول فيه: إني في غاية الشوق والمحبة إليك وأملي كبير في أن تشرف (بدليس)، وتقيم فيها بضعة أيام نقضي خلالها أوقاتاً سعيدة منصرفين إلى القصف واللهو والسرور؛ لنزيل ما علق بأنفسنا من الهموم والأكدار.

غير أن الأمير شرف أخذ يتكاسل ويتهاون في إجابة الطلب، واعتذر عن عدم الذهاب وتواترت الكتب والرسائل وترددت الرسل بين الطرفين، وانقلبت رسائل المصادقات والتواد إلى تبادل كتب العتاب والتقريع، حتى أفضى الأمر إلى امتشاق الحسام حيث حشد الأمير إبراهيم جنده وزحف مع بعض أمراء كردستان إلى الأمير شرف ليقطع دابر الخلاف بحد السيف. فما كان من الأمير شرف إلا أن جمع حوله أنصاره من الأمراء والأعيان مثل (سوار بك) الپازوكي الذي كان حينئذ لاله أمير شرف (وزيره ورائده)، والشيخ أمير البلباسى، وحلفائه، ومتابعيه من سيدي علي أغا البرتاڤي، وسيد الخزينة دار وأخيه جلال أغا، وشيحي أغا الجلكي، وجماعة آخرين. وقد حصن قلعة موش مستعداً للحرب والطعان، فاصطف الجيشان أمام بعضهما البعض مثل الجبال المتراصة، كقول الشاعر[1] :

معناه: (اللابسون الأقبية الحديدية وفي يدهم السيوف الهندية تلاحموا كبحرين من الحديد مليئين بالتماسيح. وأن كل واحد من أحزمة الأبطال الوردية كأنهم حزام من دم أحد المقاتلين ولما عزف الطبل نغمة الموت والهلاك بادر الناي إلى إنشاد مقام الأجل. ولقد انطلق السهم من القوس يستولي على طريق النهب والاغتنام وهكذا قامت في كل ناحية فتنة ومعمعة. وتلاحم المحنكون من أبطال الحرب المدربون على أنواع من الكر والفر مثل الأسود والنمور).

هذا ولما كان جيش الأمير إبراهيم كبيراً وجيش الأمير شرف قليلاً، فقد ظهرت أعلام الغلبة والظفر في اليوم الأول من المعركة في جانب الأمير إبراهيم. غير أن أكثر أعيان عشيرة الروزكي وزعماءها كانوا ميالين إلى الأمير شرف حيث أرسلوا سراً مكاتبات إلى القلعة يعرضون فيها إخلاصهم له وتعلقهم به ما عدا جولاق خالد ابن سوار بك الپازوكي، حيث كان موالياً للأمير إبراهيم وملازماً له.

فحدث ذات يوم أن أرسل إليه خاله الشيخ أمير بلباسي بالاتفاق مع والده سوار بك يقول نحن الاثنين متفقان مع الأمير شرف الذي معه أكثر أعيان الروزكية وزعماءها. فما فائدة بقائك مع الأمير إبراهيم وتفانيك في خدمته ؟

١- قبا آهنان تيغ هندى بچنك	دودرياى آهن سراسر نهنك (تمساح)
كمر هاى كلكون يلان[١] سربسر	بخون يكى بسته هريك كمر
دهل نغمهء مرك را ساز كرد	أجل را دم ناى آواز كرد
خدنك أز كمان راه يغما كرفت	زهر كوشهٔ فتته بالا كرفت
نبرد آزمايان بصد فرو هنك	فتادند درهم چوشيرو پلنك

فمراعاة واجب الطاعة للوالدين تقضي بأن تترك خدمة الامير إبراهيم، وتأتي إلى الأمير شرف فتتقدم له الطاعة واضعاً غاشية عبوديته على أكتافك وحلقة الخضوع في أذنيك.

فما وسع خال بك إلا قبول هذا وبعث رسولاً من قبله إلى والده وخاله يخبرهما بقوله أن جيش الأمير إبراهيم سيهجم غداً على القلعة، وما عليكم إلا أن تفتحوا في أثناء ذلك باب القلعة حتى أتمكن من دخولها مع جيشي وأتباعي. وفعلاً في اليوم التالي حينما طلعت الشمس، فأرسلت أشعتها الذهبية على قبة هذه القلعة الزرقاء الحصينة المنيعة، بادر الأمير إبراهيم بجنوده الأبطال حاملي السيوف والخناجر إلى اقتحام هذه القلعة ومحاولة الاستيلاء عليها، ولما اشتعل أوار الحرب والقتال واختلط الحابل بالنابل قام خالد بك بتنفيذ وعده وغادر معسكر الأمير إبراهيم منحازاً لعسكر الأمير شرف. ولقد أثر هذا الحادث في نفس الأمير إبراهيم وساوره الخوف والقلق لدرجة فظيعة فأسرع إلى ترك الحصار والقتال والعودة إلى بدليس. ولكن الأمير شرف ومتابعوه وأنصاره لم يتركوه حراً، فطاردوه حتى حاصروه في قلعة بدليس وأخذ أعيان الروزكية في بدليس خلال أيام المحاصرة ينفصل عن الأمير إبراهيم يوماً بعد يوم جماعات جماعات وينضمون إلى الأمير شرف زرافات وجوقات؛ مما أدى إلى ضيق الحال على المحصورين واشتداد الأمر عليهم من كل الوجوه حتى اضطر الأمير إبراهيم، ونصيره عبد الرحمن أغا إلى إيفاد الوسطاء والرسل لطلب الصلح مظهرين العجز والانكسار والندم على ما فات؛ قائلين إن وراثة منصب هذه الولاية بحسب الأصول والشرائع تعود على أبناء العم أجمعين، فلتكن (بدليس) التي هي منشأ هذه الأسرة الكريمة ومطلع شمس سعادتها، مع أخلاط تحت تصرف الأمير شرف ومن نصيبه.

وأما (موش) و(خنوس) فلتكونا من نصيب الأمير إبراهيم، فيكون حكم الولاية الموروثة بالمشاركة والاتفاق، ولاشك أن هذا خير من دوام النضال والقتال لأجل الحصول على الدولة والإقبال الزائلين في هذه الدنيا الفانية.

وقد عد الأمير شرف هذا الطلب الثعلبي والاقتراح السياسي فوزاً عظيماً فأبدى رضاءه وقبوله لما يقترحه عليه المصلحون، وتقرر لتنفيذ ذلك أن يقيم الأمير إبراهيم وليمة كبرى في القلعة ويدعوا إليها الأمير شرف وأتباعه، وهناك يعقد الصلح بين بني الأعمام ويأخذ عليهما التعهد بالمواثيق والإيمان الغليظة بأن يرضى كل واحد بنصيبه ولايتعدى على الآخر مدى حياته. فبادر الأمير

إبراهيم إلى تهيئة أسباب إقامة الضيافة والاحتفال بمقدم الأمير شرف حيث أرسل وفداً إليه يدعوه إلى داخل القلعة وما لبث أن خف الأمير شرف مع أتباعه ومريديه الأخصاء إلى داخل القلعة. فتقابل ولدا العمين بحرارة وشوق زائدين وتعانقا بإخلاص وسرور، ثم أمرا بإقامة مجلس شرب وانبساط وطرب وانشراح حيث دار فيه السقاة ذو السيقان الفضية والجباه الزهرية في ثياب مزركشة ملونة، وكأنهم الحور العين كأمثال اللؤلؤ المكنون يحملون أكواباً ذهبية تبهر أنوارها العيون؛ حيث رأى الناس بعين اليقين ما تفيده الآية القرآنية (وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بكأسٍ مِنْ مَعِينٍ بَيضَاءَ لَذّةٍ للشَّارِبِينَ). وقام المغنون الماهرون والمطربون اللطافَ الأحاديثَ، وحسنوا الأصواتَ يضربون على الآلات الموسيقية العجيبة بمقامات ونغم شجية على نسق (يوسون) الأكراد وقاعدة الأعراب وطريقة الفرس وقانون العجم، فبلغت أصوات السرور والطرب وكلمات الإعجاب والتقدير من الحاضرين إلى عنان السماء بل وإلى فلك زحل الدوار كما قال الشاعر[1] .

معناه: (حينما حضرت الخمر الحمراء كالشقائق في المجلس انحنت الآلة الموسيقية وصارت كشعرتين تواضعا لها، وقد اصطف في المجلس المذكور المغنون والمحدثون والعازفون ولم يكن المغني حسن الصوت فقط بل إن نظرة منه وغمزة من طرفه كانت تأسر مئات القلوب والأفئدة. وكان القائمون بالخدمة أمثال الأصنام والجآذر في القد والقامة وكأنهم بلايا وآفات منبثة في جميع الأنحاء).

وبعد أن أخذ كل واحد من الحاضرين قسطه من الطرب والسرور وأكل وشرب ما لذ وطاب ومتع نظره بما يسر ويفرح، أشار الأمراء والنبلاء إلى أعيان الروزكية بالتفرق والانتشار مصطحباً معه كل من يريد من الضيوف والأنصار إلى الأمكنة التي يستريحون فيها، ولبثوا هم في الخيمة مع بعض الخدم المخصوصين وفي هذه الأثناء اقتحم الشيخ أمير بلباسي وجماعته من الثائرين الخيمة وعمد حالاً إلى الأمير إبراهيم فجره من مسنده وأنزله على الأرض قائلاً[2] :

ثم قبض على يد الأمير شرف بلطف وأخذه إلى المسند العالي وأجلسه عليه

١- در آمد بمجلس مى لا له رنك — زبهر تواضع دوتا گشت چنك
نشتند صف صف درآن أنجمن — غزل خوان وگوينده وساززن
غزل خوان نه تنها خوش آوازبود — كه صددل بيك غمزه هم مي ربود
بخدمت بتان قامت آراسته — بلاپي زهر كوشه برخاسته

٢- تكيه برجاي بزركان نتوان زد بگزاف — مكر اسباب بزركي همه آماده شود (كى)

مخاطباً له بهذا[1]:

معناه: (إن هذا المجلس الخسروي جدير بك ولم يجلس به أحد غيرك حتى اليوم).

فكتب منشئوا ومحرروا ديوان (تؤتي الملك من تشاء) مرسوم الإيالة وفرمان إسناد الحكومة إلى هذا السعيد الحظ ؛ كما أن فراشين وحجاب معمل (وتنزع الملك ممن تشاء) لم يفرشوا بساط حكومة ذلك المسكين السيئ الحظ ولم يبسطوه قط بعد ذلك. حيث إن الموكلين بالعقوبات وضعوا السلاسل والأغلال الثقيلة في أيديه وأرجله واعتقلوه في قعر بئر عميق من آبار السجون الرهيبة.

قال الشاعر[2]:

معناه: (من له الكبرياء والعظمة والذي ذاته قديمة وملكه غني كل الغنى والذي يضع على رأس بعض التاج السعيد، ويجعل الآخر نازلاً عن العرش إلى التراب).

وقبل أن يصل الأمر إلى امتشاق الحسام والطعان بالخنجر والسنان انفرط مثل نبات النعش عقد عبد الرحمن أغا القواليسي وجماعة الأمير إبراهيم الآخرين الذين كانوا قد اجتمعوا مثل الثريا وقد تشتتوا شذر مذر. ولبث الأمير إبراهيم سبع سنوات في قيد السجن.

وهذا ولما شاع أخيراً في أنحاء (كردستان) خبر القبض على الأمير شرف. وسيأتي تفصيل هذا الإجمال عن قريب حيث سنذكر مآل ومصير ذلك الأمير الجليل، وكيف ارتفع شأنه ثم لماذا انخفض لواء عظمته وتنكس. بادر الأمير إبراهيم بتعضيد من العشيرة الروزكية إلى النجاة من الحبس، والاستيلاء على مقاليد الأمور وتصريف شؤون الحكومة ونهب الدفائن والخزائن التي تركها الأمير شرف. وقد أراد أن يفتك بولده الأمير شمس الدين الذي كان ولا يزال في الثانية من عمره وبوالدته التي كانت بنت (علي بك الصاصوني) ... غير أن (عماد أغا البايكي) تمكن من أخذ الولد والوالدة من يد الأمير إبراهيم بحيله اللطيفة قائلاً له إن الأمير شرف قد سبق وقتل عمي زين الدين أغا من غير

١- خوش بجاي خويشتن بوداين نشست خسروي — تانشيند هركسي أكون بجاي خويشتن

٢- الأبيات: مر أورا رسد كبريا ومنى — كه ذا تش قد يمست وملكش غني

يكي رابسر برنهد تاج بخت — يكي را بخاك اندر آرد زتخت

وجه شرعي. فالآن أطلب منك حسب الشريعة أن تسلم لي هؤلاء حتى أقتص منهم، أو أسلمهما إلى ورثة المقتول الصغار ليقتصوا بمقتضى الشريعة الغراء. وهكذا حصل على الأمير شمس الدين وأنقذه من مخلب الأمير إبراهيم وأخذه مع والدته وسائر متعلقاته إلى قلعة (كيفندور) وحافظ عليهم هنالك بكل الوسائل .

وصفوة القول أنه حينما اعتقلوا وقيدوا الأمير شرف بتبريز حسب فرمان الشاه إسماعيل الصفوي الذي أمر في الوقت نفسه قائده (چاپان سلطان استاچلو) بالاستيلاء على إمارة بدليس. جاء هذا القائد بجيش جرار فضرب نطاق الحصار على القلعة وقد دام القتال والنضال سنتين كاملتين مع الأمير إبراهيم الذي كان متحصناً بها وأخيراً نفذ صبر الأمير إبراهيم، ولم يبق له مجال للمقاومة والصمود لقوات القزلباش فطلق عروس الملك والإمارة طلاقاً ثلاثاً وذهب إلى جانب (أسعرد) وانزوى بها إلى أن توفي إلى رحمة الله تاركاً على صفحة الوجود ولداً ذكراً يدعى (سلطان مراد) من جارية كان قد ملكها وهو في السجن.

ولما عاد المُلك إلى الأمير شرف وقد تمكن منه مرة أخرى، بادر (سلطان مراد) هذا إلى خدمة الأمير شرف الذي عمد إلى إلقاء القبض عليه وزجه في السجن حيث لبث فيه مدى الحياة في سجنه في قلعة بدليس يمضي الأوقات حتى توفاه الله إلى رحمته بأجله الموعود .

هذا وقد حافظت عشيرة الروزكي مدة ستة شهور على الدفاع عن القلعة بعد فرار الأمير إبراهيم منها . ثم لما يأست من عودة الأمير شرف إلى مقر ملكه اضطرت إلى تسليم القلعة والولاية في سنة ثلاث عشرة وتسعمائة (٩١٣ هـ) إلى (چاپان سلطان) الذي بادر إلى نصب (كرد بك شرقلوي استاجلو) محافظاً لقلعة بدليس وعاد هو إلى تبريز غانماً .

الوجه الثاني

في بيان تمكن الأمير شرف من حكومة بدليس عوضاً عن الأمير إبراهيم

لا يخفى على ذوي البصيرة والألباب من العلماء والأدباء والأقطاب أن كل ذي سعادة أزلية ونعم آلهية، قد تحققت آماله ونال هو مبتغاه بحسن نيته وصدق طويته فقد اتكل على الباري تعالى الهادي لعبيده الرحيم بهم حسب قوله تعالى: (وَاللّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ). وأن كل ذي جبروت ومغرور بنفسه ومعتز بقوته وأسباب غناه وثراه حاد عن طريق الصواب، وتنكب جادة الإذعان والخضوع إلى الملك القهار لابد أن ينهار صرح عظمته وتتهدم آماله أمام حوادث الدهر وغدر الزمان، وتصبح رياض دولته قفراء كأنها (واد غير ذي زرع) .

قال الشاعر[1] :

معناه: (الرأس الذي ترفعها أنت عالية لا يمكن أن تسقط بفعل الآخرين والذي يسقطه غضبك وخذلانك لا يرفعه أبداً مساعدة أحد لأنك أنت واهب الضعف والقوة لرجل الفيل وجناح النمل، فأنت تنير قلوب البعض مثل السراج الوهاج وتضع في أفئدة الآخرين آلاماً وأوجاعاً).

والغرض من ذكر هذه المقدمة الفلسفية هو أن نعتبر عند ما نذكر أحوال الأمير شرف ونشأته وما آل إليه أمره أخيراً. فنقول إن الأمير شرف حينما كان طفلاً يتيماً منزوياً بين عشيرة البختية في أروخ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك فيما ذكرناه من السطور حيث قلنا فيها: إن الأمير شاه محمد أرسل إليه واستقدمه فأولاه عطفه وعني بتربيته. ولما كبر الأمير المذكور تواضع حتى قبل حكومة بعض نواحي بدليس نيابة عن الأمير إبراهيم. وبعد مدة تمكن بتعضيد

١- الأبيات:

سرى كزتو كردد بلند كراى	به افكندن كس ينفتد زپاى
كسى را كه قهر تو درسر فكند	بپا مرى كس نكردد بلند
اكرپاى پيل است اكرير مور	بهريك تودادى ضعيفى وزور
دلى رافروزان كنى چون چراخ	نهى بردل ديكراز درد داغ

عشيرة الروزكي له تعضيداً فعالاً من الاستحواذ على حكومة بدليس كلها، ولم يمض على هذا كبير وقت حتى زحف الشاه إسماعيل الصفوي إلى مرعش بقصد الاستيلاء عليها، فقاومه حاكمها علاء الدولة ذو القدر (دولف در) وانكسر في القتال. وبعد انكسار طائفة ذو القدر عطف الشاه عنان عزيمته إلى (ديار بكر). فبادر واليها (أمير بك موصلو) الذي هو أبو والدة جامع الأوراق هذا، إلى تقديم الطاعة والخضوع إلى الشاه مع هدايا عظيمة وتحف نادرة ثمينة منها قطعة (لعل بوكرك)[1] . على هيئة قطيع (كرده) الغنم انتقلت من خزائن السلاطين الماضية إلى خزينة الحكومة البايندورية وكانت قد انتقلت منها إلى الأمير المذكور. فمن يوم ما انشق جبل ختلان[2] في عهد الخلفاء العباسية من الزلزال الذي وقع حينذاك فظهرت منه تلك القطعة التي أخذ الرعا (؟) يريون هذا اللعل بدم الكبد فلم ترى عين الصيارفة في الدنيا ولا بصيرة الجوهريين في ذاك العصر قطعة مثل هذه من أنواع اللعل في كبر الحجم واللطافة واللون وحسن الطراوة.

فلما وقع نظر الشاه إسماعيل الصفوي على هذا الجوهر عديم النظير سر به سروراً بالغاً، وأنعم على مهديه بلقب (خان) فصار (أمير خان) وأسند إليه منصب المهرادرية مع وظيفة لاله (رائد) لابنه الأمير طهماسب. وعلاوة على ذلك أسندت إليه إيالة هراة، وخراسان فعلا قدره وارتفع شأنه إلى أعلى عليين، كما أنه أسند حكومة ولاية (ديار بكر) وإدارتها إلى محمد خان استجلو ولد ميرزا بك، ولما كان بعض رجال طائفة ذو القدرية في قلعة (خربرت) تحصنوا بها ولم يقدموا الطاعة، زحف الشاه إسماعيل بجيشه إليهم بقصد الاستيلاء عليها فتم له ذلك في مدة أسبوع عنوة. ثم توجه منها إلى جهة (أخلاط) وضرب خيامه ومعسكره في ظاهر هذه البلدة هرع الأمير شرف إلى لقائه السامي واستسعد به. ثم أخذ يعد أسباب إقامة ضيافة ملكية سامية احتفاء بمقدم الشاه العظيم. فأحضر مضارب منقشة كبيرة وصيوانات حريرية الطناب عالية الذرى ونثرها في الفضاء الفسيح كأنها نجوم السموات في ليلة ظلماء وسحب نيسان متقطعة هنا وهناك مرتبة ترتيباً بديعاً كالجواهر المتنوعة في الأدراج أو كالبروج ذات النجوم المنسقة. وأخذ الحسان من الساقيات ذات السيقان الفضية والسواعد

١- اللعل الذي على شكل الكلية في الكبر والهيئة .

٢- بلاد مجتمعة وراء النهر قرب سمرقند كما ورد في معجم البلدان حيث قال بفتح أوله وتسكين ثانيه وآخره نون . (المترجم)

البلورية والجباه الزهرية، مع خدمة لطاف لابسين المزركشات من الثياب يتيهون دلالاً ويسيلون رقة يطوفون على الناس بأقداح من الشراب الصافي مثل صفاء ماء المعين منادين ألا عيشوا عيشاً هانئاً، واشربوا شراباً صافياً، وهناك مغنون ومطربون يعزفون على ألحان شجية مؤثرة وموسيقارون ماهرون يعزفون على العود والطنبور بلهجات موسيقية حلوة على نغمة (زير) و (بم) في مقام (عشاق) الشهير فيطيرون الألباب من رؤوس الكبير والصغير، كما قال الشاعر[1] :

معناه: (في كل ناحية ساق نصف سكران كغصن الورد قابض على جام وردي وكلهم مثل الشمس مستغرقون في المزركشات وكلهم آفات العقل ومثيرو الشهوات فالذين يرتلون الغزل هم غزلان ألسنتهم عربية بحيث إذا غنوا ينثرون السكر من أفواههم بحلاوة نغمهم، وجآذر مثل الورد يخطفون القلوب بألحان تركية وبنغمات معتدلة).

كما أن الطباخين وصناع الأطعمة والحلوى الماهرين قدموا أنواعاً كثيرة من الأطعمة والأغذية والأشربة بما لا يتصوره العقل ولا يمر بخاطر إنسان وبعد انتهاء هذه الوليمة الكبرى تقدم الأمير شرف بهداياه العظيمة الكثيرة، فأهدى الخيول المطهمة باصطبلاتها والغنم بقطعانها وجماعاتها، والجمال والبغال بقطاراتها، مما أثار إعجاب الشاه به وأوجب سروره العظيم منه، فشمله بالعطف السامي وأولاه بثقته الغالية، فأصدر المرسوم العالي ببقاء إيالة (بدليس) في عهدته مع الإنعام عليه بخلع فاخرة.

وفي المرة الثانية التي شرف فيها الشاه إسماعيل مدينة (خوى) لتمضية الشتاء فيها نهض الأمير شرف مع سائر أمراء كردستان وحكامه، ولا سيما الملك خليل حاكم حصنكيف، وشاه علي بك البختي والي الجزيرة، والميرداود الخيزاني، وعلي بك الصاصوني وغيرهم من الأمراء الذين يبلغ عددهم أحد عشر أميراً وشدوا الرحال إلى (خوى) للسلام على الشاه إسماعيل والتشرف بلقائه فلقوا هنالك بادئ الأمر حفاوة واحتراماً لائقين بهم. وحدث في أثناء ذلك أن عرض

١- زهر جانبى ساقى نيم مست — چوشاخ كلى جام كلكون بدست
همه همچو خورشيد زربفت پوش — همه آفت عقل وآشوب هوش
غزل خوان غزالان تازى زبان — بنغمه شكر ريخته أزدهان
بآهنك تركى بتان چوكل — ربوده دل أز نغمهء معتدل
چوزلف بتان پرى چهره چنك — زدهراه عشاق رابى درنك

على الشاه ما نسبه (محمد خان) والي ديار بكر إلى أمراء الأكراد من التهم والافتراء وما ادعاه من إلحاقهم الإهانة به والأذى له.

فمن تلك التهم أن محمد خان حينما كان متوجهاً إلى (ديار بكر) ونزل في الطريق في قرية (پانشين) من أعمال بدليس فذهب (شيخ أمير بلباسي) الذي هو وكيل الأمير شرف لمقابلته والسلام عليه. ولما أراد الانصراف من مجلسه ونهض، أخذ يكرر ضرب السجادة التي كان محمد بك جالساً عليها بعصاه قائلاً: له بخشونة يا محمد بك ويل لك ولجيشك إذا كنتم طمعتم حين اجتيازكم ولاية بدليس في أموال عشيرة الروزكي واغتصبتم جدياً واحداً من مواشيهم. كما أن (شاه قلى سلطان استاجلوى چاوشلو) الذي كان آخر ولاة هراة، روى لراقم الحروف هذا فقال إن والدي كان تابع محمد خان ورجاله فرافقه إلى (ديار بكر) حين التوجه إليها، فحدثت في الطريق ولا سيما في ولاية بدليس مجاعة شديدة لنا جميعاً، فوصل الحال بنا أن بادر كل واحد منا إلى بيع خيله وسلاحه لشراء الأطعمة والمأكولات. حتى إن والدي باع جواده في وادي كيفندور بأربعة أرغفة من خبز الجاروس (نوع من الذرة) وذلك دليل على أنهم لم يكونوا قادرين على أخذ مَنْ الشعير أو كمية من الخبز من رعايا تلك الجهة من غير أن يدفعوا ثمنها من الذهب. وهكذا تحكى أشياء كثيرة من قبيل هذا الذي يدل على صدور أحوال غير ملائمة من أمراء الكرد في حق محمد خان المشار إليه. ولا شك في أن ذكرها يطول ويبعث الملل والإطناب.

وخلاصة القول أن أمراء الكرد جميعاً حينما توجهوا إلى بلاط الشاه رفع (محمد خان) من ديار بكر تقريراً يقول فيه إذا صدرت الأوامر الشاهانية بإلقاء القبض على أمراء كردستان الموجودين بالبلاط واعتقالهم حالاً فإني أتعهد بأن استولي بمساعدة شاهانية ضئيلة على أكثر بلاد كردستان الذي عجز السلاطين من قديم الزمان عن الاستيلاء عليه ولما عرض هذا التقرير على العتبات السامية اقتنع الشاه بما رآه ذلك الوالي المستهتر الكافر، فأصدر أوامره الشديدة بوضع جميع الأمراء الحاضرين ما عدا الأمير شاه محمد الشيروئي، وعلي بك الصاصوني في الأغلال والقيود، وتسليم كل واحد منهم بهذه الحالة إلى قائد من قواد القزلباشية. فأعطى الأمير شرف إلى (أمير خان موصلو) وعين (چاپان سلطان) للاستيلاء على ولاية (بدليس)؛ كما أن (ديو سلطان روملو) عين لفتح ولاية (حكارى)، و(يكان بك ڤورجي باشي تكلو) للاستيلاء على ديار الجزيرة ومعهم جيش جرار لا يحصى عدده. وسنذكر إن شاء الله في

المناسبات الآتية كيفية القبض على أمراء كردستان وخلاص بعضهم فيما بعد.

وصفوة القول أنه بعد أن مضى على حادث إلقاء القبض على الأمراء جاءت الأنباء من جانب خراسان بأن شيبك (شيبان ؟) خان أوزبك قد اجتاز نهر صيحون بجيش جرار لا يعد ولا يحصى قاصداً الاستيلاء على خراسان. فهال النبأ هذا الشاه إسماعيل، وأظهر استعداده لإطلاق سراح أمراء كردستان مبدياً ندمه وتأثره لما قد حصل. فسأل الأمراء الذين أطلق سبيلهم من قدوتكم وزعيمكم فأجاب الكل بلسان واحد ولفظ واحد أن كلاً من الأمير شرف، والملك خليل هو زعيمنا ورئيسنا الذي نكن له الاحترام والحب. وعلى هذا أبقى الشاه هذين الأميرين في قيد الحبس وأطلق سراح الآخرين. ثم توجه هو ومعه الأميران المذكوران مقيدين ومعتقلين إلى خراسان. وهنا ظهر في المسرح محمد أغاي كلهوكي، ودرويش محمود كله شيري اللذان يزعم جامع هذه الأوراق أنه لم يكن لهما نظير بين رجال عشيرة الروزكي بل وفي جميع كردستان من جهة الحب لوطنه والعمل على توفير الخير والسعادة لشعبه والحرص على استقلاله. إذ التحق هذان الرجلان العظيمان سراً بالموكب الشاهي كأنهما مسافران إلى العراق (العجمي). وهكذا أتاحا لنفسيهما الفرصة في الطريق للذهاب إلى خيم التركمان كل بضعة أيامٍ لزيارة الأمير شرف حاملين له الطعام والفواكه؛ مما أفسح المجال للأمير شرف بأن يتذاكر معهما عن كيفية الفرار والتخلص من قيد الحبس والأسر. وفي يوم من الأيام حينما وصل الموكب الشاهي إلى موضع يقال له (چالي كولى) من أعمال ولاية (راز) انتهز كل من محمد أغا، ودرويش محمود الفرصة السانحة فأحضرا عدة خيول مسرجة إلى جانب الجيش الشاهي، ثم عمدا إلى إنامة (محمد أمير آخورالپرتاقي) الذي كان قد تنكر في زي الدراويش ويخدم الأمير شرف في خيمته، في فراش الأمير ملبسين إياه ثوبه المخصص للنوم، ثم أخذا في إخراج الأمير من خيمة الحبس وأركباه جواداً مسرعاً، ومعه عدة من الفرسان العدائين الماهرين وتوجهوا إلى جانب كردستان. وفي الغد وقت الظهيرة علم التركمان بجلية الأمر واندهشوا لجراءة وشجاعة محمد أمير آخور وأبدوا إعجابهم به، فلم يضايقوه قط، ولا فكروا في الانتقام منه. وأما محمد أغا، ودرويش محمود، والأمير شرف، فقد وصلوا أولاً لولاية الحكاري ونزلوا في قرية كان بها قد اختفى شيخ أمير بلباسي فراراً من القزلباش والحوادث التي أثاروها في وطنه فأقام بها يشتغل بالزراعة والفلاحة ممعناً في التخفي. وبينما هو ذات يوم يسقي زراعة الجاروس بالفأس الذي بيده إذا براكبين هما: محمد أغا ودرويش محمود كله جيري يقفان على رأسه في

طرف الحقل الذي يسقيه من حقول الجاروس فيطلبانه ليخبراه بقدوم الأمير شرف ويبشراه به، وهو يستغرب هذا الخبر ولا يصدقه قائلاً: لماذا تحكون الأقوال المستحيلة ؟ فأجابا بأن الله سبحانه وتعالى قد أعطانا الفرصة فوفقنا في إنقاذه من القيد والاعتقال وأتينا به سالماً. وفي الفور سجد لله شاكراً وألقى مابيده من فأس السقي وأسرع إلى تقبيل قدمي ولي نعمته الحقيقي، فأنار بترابهما عينيه اللتين كانتا مثل عيني يعقوب في بيت الأحزان قد أخذتا صفة قوله تعالى: (وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الحُزْنِ) في بلاد الغربة، ثم سكب عدة قطرات من دموع الفرح والسرور لمقدمه الشريف، فحمد الله تعالى وشكره على آلائه قائلاً[1]:

معناه: (أحمد الله الذي جعل السعادة والدولة تناصرني وان الدهر عدل عن اضطهادي فانتهى ليلي إلى صبح السعادة وانقضت أيام الغم والهم اللذين أعانيهما ليل نهار).

هذا وبعد أن باتوا جميعاً هنالك ليلة أصبحوا في مطلع الشمس متوجهين نحو عشيرة (اسبايرد) ودخلوها آمنين حيث تلقاهم (شرف بك الأسپايردي) بالحفاوة والإكرام. وقد أضافهم عدة أيام لديه ليستريحوا من وعثاء السفر ومشاق الاغتراب ولكن الشيخ أمير بلباسي سبقهم جميعاً إلى ولاية بدليس ليظهر عشيرة الروزكي على جلية الأمر، ويستميلهم إليه حتى إذا ما حضر الأمير شرف يكون قد استعد خلق كثير للالتفاف حوله، فيتوجه بهم حالاً إلى نزع قلعة بدليس من أيدي الغاصبين. وحينما علم (كرد بك شرفلو) الذي كان يحكم من قبل الشاه إسماعيل قلاع: بدليس وعادلجواز، ارجيش، بمقدم الشيخ أمير بلباسي بجيش قوامه ألفان من المقاتلة وأخذ يحاصر بهم القلعة، فبادر إلى الزحف على خصمه متفقاً مع القواد القزلباش الذين كانوا في باركيري، وأرجيش. فالتقى الجمعان في كوك ميدان بدليس وحمي وطيس القتال وكاد النصر يحالف الروزكية وإذا بمحمد بك اليازوكي يلجأ إلى الحيلة والخدعة ويعلن استياءه ونفوره من القزلباشية وانحيازه إلى الشيخ أمير بلباسي تأييداً للقرابة التي بينهما وأنه قادم إليه في الوقت المناسب.

وحينما اشتد القتال وصعد لهيب الحرب إلى عنان السماء، بادر محمد بك هذا ومعه خمسمائة نفر من مقاتلة اليازوكي إلى سلوك طريق (اسكندر بولاغي) وأعمل السيف ذا الوجهين في أقفية أبطال الروزكية المقاتلين لجنود القزلباشية،

١- الأبيات: بحمد الله كه دولت ياريم كرد زمانه ترك جان آزاريم كرد
شبم را صبح فيروزي بر آمد غم ورنج شبا نروزي سر آمد

فشتت شملهم الذي كان منعقداً مثل الثريا وجعلهم منفرطين مثل نبات النعش. وهكذا علا نجم كرد بك مثل علو زحل فأمعن في مهاجمة الروزكية والضغط عليهم حتى جعلهم شذر مذر، ولكن الشيخ أمير بلباسي لم يتزعزع من الصدمة ولم يؤخر قدم الثبات والوقار إلى الوراء أبداً ولم يغادر مكانه في ساحة الوغى والجهاد والدفاع عن الوطن والمبادئ قط وصمد للعدو حتى استشهد مع ابنه علي أغا؛ حيث انقضت عليهما طائفة من القزلباشية كالوحوش الكاسرة فصرعتهما ومثلت بجثتهما، ولا سيما جثة الأمير شيخ الذي كانوا قد أطلقوا عليه لقب (قره يزيد = يزيد الأسود) فأحرقوهما بالنار في كوك ميدان وإزاء هذه الحوادث المدلهمة والوقائع المؤلمة اضطر الأمير شرف للتأخر مدة من الزمان والاختفاء وراء سحب الخذلان والفشل إلى أن يأخذ بناصره الخالق سبحانه وتعالى القائل: خَلَقَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ.

الوجه الثالث

في بيان استرداد الأمير شرف بدليس من طائفة القزلباش ومصيره بعد ذلك

قال الشاعر[1]:

معناه: (إن الدولة والإقبال التي تأتي الإنسان من حسن الحظ والسعادة تبقى متمتعة بالسلطان والنفوذ دائماً بحيث يمشي الظفر في ركابه، ولا يفارقه الشرف حين إياب موكبه المنصور، فكل البلاد التي تمر بها تشعر بالفرح والسرور وتحس بالعزة والكرامة من قدومه المبارك).

هذا ولما لم يتحقق طلب الأمير شرف في استرداد ملك أبائه وأجداده وهي: ولاية بدليس من الغاصبين القزلباش وقد تأخر عليه ذلك فترة من الزمن وعلم من جهة أخرى ما انتواه السلطان سليم خان من الاستيلاء على بلاد إيران كلها، رأى الفرصة سانحة لاستغلال هذه الظروف، فاتفق مع كل من فارس مضمار التحقيق ورئيس قافلة طريق التوفيق مفنن قوانين الأصول والفروع ومدون دواوين المعقول والمسموع مدرس مدرسة التقديس سليل عارف بدليس أعني الحكيم إدريس، ونخبة الطالبين الرفعة والخير والإقبال والدولة لأسرة ضياء الدين القديمة محمد أغا الكلهوكي، على أن يرفعوا إخلاصهم وطاعتهم لبلاط آل عثمان وتملقهم بعرشهم. وسعوا حتى أشركوا معهم في هذا التدبير عشرين شخصاً من أمراء كردستان وحكامه، فوضعوا رسالة خضوع وطاعة حملوها مولانا الحكيم إدريس ومحمد أغا اللذين بادرا إلى التوجه إلى استانبول لتقديمها إلى العتبات السامية. وبناء على طلب أمراء كردستان والتماسهم هذا توجه السلطان المحب لصديقه الوفي له والباطش لعدوه وحاقده، إلى بلاد أرمينية، وآذربيجان بقصد الاستيلاء على ولاية عجمستان (بلاد العجم) حيث تقابل مع خصمه الشاه إسماعيل في سهل چالدران وحصل المصاف بينهما، فانتصر فيه السلطان انتصاراً باهراً. وقد كان الأمير شرف مع بعض حكام

١- جها نگيرى كه هست أزبخت سرآمد | بما دراخداوندى مؤيد (مؤبد)
ظفرت پيوسته باشد در ركابش | شرف در موكب نصرت ايابش
بهر كشور خرامد شادو خرم | شود ملك از قدوم أو مكرم

كردستان موجودين بمعية السلطان الظافر رهين إشارته. ولما قتل خان محمد والي (ديار بكر) من قبل الشاه في تلك المعركة أعطى منصبه لأخيه (قراخان)، كما أسند من الديوان الشاهي منصب إيالة بدليس إلى أخيه عوض بك والجزيرة على أولاش بك. وعندما عاد الموكب السلطاني من (تبريز) إلى جانب الروم، بادر الحكيم إدريس إلى رفع تقرير إلى السدة السلطانية العالية باسم أمراء كردستان قائلاً فيه إنهم يلتمسون من المراحم السلطانية أن ينعم عليهم بمناصبهم الموروثة إليهم كما كانت، وأن يعين شخصاً كبيراً عليهم يكون بمنصب أمير الأمراء فيتوجهون جميعاً تحت قيادته إلى ديار بكر لإخراج (قرا خان) الوالي الصفوي منها. فأجاب السلطان ملتمسهم قائلاً فليختاروا من بينهم من أمراء كردستان وحكامه من يصلح لتولي منصب أمير الأمراء بحيث يخضع له جميع الأمراء الأكراد ويمشي في قيادته لمقاتلة القزلباش وطردهم من البلاد. فرفع الحكيم إدريس مرة أخرى تقريراً يقول فيه إن هنا كثرة من الوحدة الذاتية فكل يقول أنا لا غيري ولا يطيع أحد الآخر. وحيث إن الغرض السامي هو تدبير ما يفضي إلى تفريق جمع القزلباش وتشتيت شملهم، فيحسن في هذه الحال نصب أحد من رجال البلاط السلطاني لهذه المهمة حتى يطيعه جميع أمراء الأكراد وينقادوا لأوامره. فتنتهي المهمة بأسرع وجه وأحسنه.

فبناء على هذا صدر المرسوم بتعيين محمد أغاى چاوش باشى المعروف ببيقلو محمد مير ميراناً لإيالة (ديار بكر) وقائداً عاماً على جيوش كردستان القاصدة تسخير تلك الإيالة واستردادها من أيدي الأجانب. فلما التقى الجمعان في أطراف نصيبين في مكان يقال له (قوچحصار) والتحم الجيشان كالبحار الزخارة والسحب المبرقة المرعدة. وقد كانت أول طائفة أوقدت نار الحرب والقتال في تلك المعركة الدامية هي عشيرة الروزكية. حيث استشهد منهم أبطال ذلك العصر وشجعان الوقت في ذلك اليوم العبوس أمثال (تاج أحمد، وقاسم أنداكي، ومير شاه حسين الكيساني، ومير سيف الدين، وعمر جاندار)، كما أن أكثر أعيان وزعماء الروزكية أيضاً ولا سيما (مير محمد ناصر الديني، وقرايا دكار، وسيد سلمانان قواليسي) وغيرهم كثيرون أبدوا شجاعة فائقة وبسالة نادرة حتى جرحوا جراحاً بليغة في ساحة الوغى. وقد أسفر القتال عن مقتل قراخان وتشتت شمل القزلباش، ووقوع جمع كبير منهم في الأسر، قال الشاعر[1]:

١- بإقبال سلطان توسل كنان — كرفتند ملك خود أز دشمنان
بدفع عدو تيغ كين آختند — بناى ضلالت برأند اختند

معناه: (كل من يتوسل بجاه وإقبال السلاطين فقد نال ما تمنى واسترد ملكه من العدو فبذلك يغمد سيفه في قلب العدو فيهدم بناء الضلال والظلم) .

وبعد هذه المعركة الجبارة، حينما توجه كل أمير من أمراء كردستان إلى ولايته الموروثة لنزعها من أيدي العدو، توجه الأمير شرف أيضاً إلى ولاية بدليس وأخذ في ضرب نطاق الحصار عليها. وكان معه في هذه المهمة كل من محمد بك الحزوي، والمير داود، والمير محمد شاه الشيرويى، وأمراء مكس واسبايرد.

ولما طالت أيام الحصار وضاق الحال بالمحصورين، عرض القزلباش الصلح على شرط أن يكون كل من محمد بك الغرزاني (الغرزاني ؟) والمير شاه محمد الشيرويي، ضامناً لهم المحافظة على أرواحهم وأطفالهم وأموالهم، فلا يتعرض لهم أحد وأنهم بعد ذلك يسلمون القلعة للأمير شرف. فرضي الأمراء بهذا الصلح وتدخلوا في الأمر حتى تسلموا القلعة والولاية وسلموها الوارث الحقيقي، وهو الأمير شرف الذي عهد بالمحافظة على القزلباش الذين استسلموا إلى بعض الأمراء حتى يوصلوهم إلى حدود أرجيش، ووان ليسافروا من هناك إلى أوطانهم.

وهكذا كانت المحافظة على الحدود العثمانية والقيام هناك بأمور الضبط والربط وإدارة البلاد، معهودة من الديوان السليمي فترة من الزمن إلى عهدة الأمير شرف ثم من بعده في عهد السلطان سليمان خان أيضاً، حيث كان يقوم بالواجب كما ينبغي فيرضي في تصرفاته الطرفين الإيراني والعثماني مراعياً المصلحة العامة. ودام الحال على هذا المنوال إلى أن تولى منصب مير ميرانية آذربيجان من يدعى (أولمه تكلو) في عهد الشاه طهماسب، حيث كان يمضي أكثر أوقاته في (وان) و(وسطان) يعالج منهما أمور الحراسة على الحدود والمحافظة فيها على الأمن، كما كان تسيير دفة الأمور في سلطنة الشاه طهماسب في ذاك الوقت في يد (چوها سلطان تكلو) القادرة بالتصرف كيفما شاء. ولما قضى (حسين خان شاملو) في هضبة كندمان أصفهان، بالاتفاق مع باقي الطوائف القزلباشية، على چوها سلطان هذا، قضاء مبرماً، وتشتت شمل أمراء وقواد الطائفة التكلوية إلى الأطراف، بادر أولمه إلى رفع لواء العصيان والمخالفة في تبريز واستولى على خزائن ودفائن الشاه طهماسب بها، وصادر أغنياء تبريز أيضاً حتى حصل على أموال وأسباب كثيرة، فتوجه بها نحو (وان) ومن هناك عرض طاعته لعتبات السلطان سليمان؛ حيث رفع التماساً على السدة ضمنه آيات الإخلاص والخضوع قاطعاً على نفسه تعهدات ومواثيق كثيرة فأرسله مع معتمد له إلى استانبول. فلما وصلت أنباء ذلك على المسامع السلطانية الجليلة

صدر الأمر القاضي بذهاب الأمير شرف بجهة (وان) لاستقبال أولمه سلطان وإحضاره بأهله وعياله وأتباعه. ثم العمل على ترحيلهم جميعاً على العتبات السامية باستانبول. فما وسع الأمير شرف إلا أن يلبي الطلب ويعمل بموجب الأمر السلطاني إذ جمع جيشه وحشد جنوده وتوجه نحو (وان) وخف (أولمه سلطان) لمقابلة الأمير، ومعه مائتا نفر من زعماء وأعيان عشيرة التكلو، وقد جاء لاستقباله حتى موضع يقال له (خركوم) فتلاقى مع البعض على نهر (خركوم) فاقترح (أولمه سلطان) على الأمير بأن ينزل عليه ضيفاً في (وان)، ويقيم بها بضعة أيام للاستراحة حتى يتمكن هو من إعداد ما يلزم لمرافقته والعودة جميعاً إلى (بدليس). وفي هذه الأثناء أبلغ بعض من رجال (وان) و(وسطان) الأمير شرف بأن أولمه سلطان قد أرسل امرأته التي كانت مربية الشاه طهماسب ومعها أخوه إلى بلاط الشاه طهماسب ليمهدا للصلح وتجديد إخلاصه وتأكيد صداقته للشاه. وبما أن (أولمة سلطان) هذا رجل في غاية المكر والدهاء والخبث، فليس من البعيد عليه أن يسحبك إلى داخل القلعة فيلحق الأذى بك هنالك، بالاتفاق مع رجاله المخاتلين حباً في التقرب من الشاه واسترجاع ثقته به. فوقع هذا الخبر على الأمير شرف وقع الصاعقة وقد ذعر وساوره القلق وخشي عاقبة الأمور. فلذا كلما كان (أولمه) يلح في الذهاب إلى (وان) كان الأمير شرف يعتذر عن ذلك، ويرجح السكون على الحركة. وأخيراً اتفقوا على أن يلبث كل من الأمير شرف و(أولمه سلطان) في قرية (خركوم) هذه، ويذهب أميره بك المحمودي ومعه جماعة من أعيان جنود (أولمة سلطان) بك (وان) ليأتوا بأهله وأهل حاشيته منها ويتوجهوا إلى بدليس. ولما وصل أميره بك مع من كان معه إلى قلعة (وان) وكان الوقت ليلاً عصى فيها أخو (أولمة) بالاتفاق مع بعض الأعيان والزعماء؛ حيث أغلقوا أبواب القلعة دونهم ومنعوا خروج أحد منها، ولم يأذنوا أيضاً لمحمود بك وصحبه بالدخول.

ولما علم الأمير شرف بجلية الأمر أدرك أن لا فائدة من الذهاب والزحف إلى قلعة (وان) وضرب نطاق الحصار عليها؛ بل إن أمراء وقواد القزلباشية الموجودين في الأطراف ليجتمعون ويقدمون على عمل ربما يؤدي إلى فرار أولمه سلطان وخروجه من اليد. فلذا استحسن أن يصحب أولمه سلطان ومن معه من الضباط والأعيان البالغ عددهم مائتين والعودة بهم إلى بدليس، مع أن هؤلاء كانوا منقطعين من أهاليهم، ولا يحملون إلا ثوباً واحداً كما أن خيولهم كانت مجردة عن السروج وعارية، والموسم موسم الخريف الذي يبتدئ فيه البرد ويشتد الزمهرير فصحبوهم مرغمين باكين مستغيثين ومولولين. هذا وقد

سمعت من (محمد شحنه مان القواليسي) الذي له علاقة بمسود الأوراق هذه. إذ كان مربيه ورائده؛ أنه حينما وصل الأمير شرف مع أولمه إلى ناحية كرجيكان (قرچقان) ونزل بها للبيتوتة، بادرت أنا مع عدة من أهالي (چقورشب) لحراسة الأمير شرف. ولما جن الليل وانتصف قدم وكيل (أولمة) ومعه عدة من أعيان رجاله إلى باب خيمة الأمير شرف ملتمسين التشرف بالمقابلة لعرض ما كلفهم سيده من أمور ضرورية. فلما أطلعنا الأمير على ما يطلبون، أجاز لهم بالدخول عليه، وسألهم عن خبر (أولمه) فقالوا (إنه يدعو لك بالخير ويقول حيث إن أخي وقومي قد سلكوا نحوي هذا المسلك الشائن من عدم الوفاء وشق عصا الطاعة، ومصادرة أهلي وأولادي وأسبابي وأموالي، الأمر الذي يجعل ذهابي بهذه الحال إلى العتبات السلطانية من المستحيل، إذ ليس هذا من شأن المخلص للدولة ولا متفقاً مع شرفك ونفوذك. فإما أن تقطع رؤوسنا جميعاً فترسلها إلى العتبات السامية، وإما أن تتكرم وتسمح لنا بالعودة والانصراف إلى (وان) لأقوم بتأديب هؤلاء العصاة والمتمردين الذين سلكوا معنا هذا المسلك الشائن. وبعد أن نقوم بذلك ونحصل على حرية أهلينا وأموالنا نأخذ في أسباب السفر إلى الآستانة العلية مطمئنين مستريحي البال، مما يستلزم رفعة قدرنا ومراعاة خاطر الصغار والكبار من رجال حاشيتنا). وبعد أن تأمل الأمير شرف ملياً وفكر كثيراً رد عليهم بقوله: (وإننا حسب قوله تعالى (وشاورهم في الأمر) وبمقتضى الحديث النبوي سنقوم بالمشورة مع الأعيان فالذي يستقر عليه الرأي نبلغه لأولمه سلطان). فرجع هؤلاء القادمون من الوكيل والأعيان إلى سيدهم، وبادر الأمير شرف في نفس الليلة إلى جمع مجلس مشورة من عدة زعماء معتمدين له من رجاله وقلبوا وجوه الرأي في هذه القضية، وأبدى كل رأيه حسبما سنح لخاطره. وأخيراً قال الأمير شرف والحق أن ترحيل هذا الرجل وإرساله على هذا الشكل وعلى هذه الحال إلى العتبات السلطانية، ليثير عداءه وحقده الشديد عليّ. فلذا أرى من المستحسن أن نعد زهاء ثلاثمائة جندي من الجنود الأشداء والشباب المدربين على القتال، فنرسل قبلاً إلى الطريق ليكمنوا له بها، ثم نأذن لأولمه ومن معه بالانصراف إلى (وان) وبعد أن يقطعوا مسافة ما من الطريق ننادي ونعلن في الملأ بهرب (أولمه) ورفقائه، ويخرج عدة من الجنود الأشداء من ورائهم يطاردونهم حتى يتمكنوا من القبض عليه وقطع رأسه ورؤوس الذين معه فنرسلها إلى العتبات السامية مع تقرير يناسب المقام. وهكذا نكون قد أنقذنا العالم من شرور هؤلاء المفسدين. وإلا فإن إرسال (أولمه) على هذا المنوال إلى الآستانة العلية لا ينتج سوى الضرر والندامة لنا. فوافق بعض

الحاضرين على هذا الرأي الخطير، ولكن البعض رفض وأنكر قائلاً: أن بيننا جنود أجانب من قواد وچاويشية من الباب العالي، فلا بد أنهم مطلعون على الأسرار وعالمون بجلية الأمور فيفشون غداً هذا السر حتماً، وهذا ولا شك يخلق لنا مشكلة من أكبر المشاكل لا نستطيع أن نعالجها بإبداء المعاذير والأسباب. فخلاصة القول أنه لم يعمل لا بطلب أولمه، ولا برأي الأمير شرف. فأحضر أولمه إلى بدليس على ذلك الشكل المزري وأخذوا في تهيئة أسباب سفره إلى الآستانة بإعزاز وتكريم زائدين. وما خرج أولمه من صخور بدليس المثقوبة وملك حريته إلا انقلب إلى ثعبان عظيم انسل من وكره الخبيث، أو أنه عفريت خرج من القنينة التي كان محبوساً بها يكن حقداً عظيماً للأمير شرف ويسر له في نفسه عداءً شديداً، ففي أول يوم تشرف بمقابلة السلطان في الآستانة انتهز الفرصة، وبالغ في الشكوى من الأمير شرف والاستياء منه قائلاً: إنه مراعاة لخاطر القزلباش قد ألحق به أذى وإهانة كثيرة حتى إنه استجلاباً لعطف الشاه طهماسب وثقته به حاول أن يقتلني أيضاً. فلذا ألتمس من المراحم السلطانية الفياضة والعواطف الخسروانية الكريمة أن ينحى الأمير شرف من الولاية وأن يعهد بها إليّ على سبيل الإيالة حتى أتمكن بذلك من فتح ديار الأعاجم، ولا سيما مملكة آذربيجان العظيمة على أحسن وجه وفي أسرع وقت، وإدخالها في حوزة آل عثمان. وأرجو أن يتكرم السلطان فيفوض إنجاز هذه القضية كما شرحت لعبده المملوك المخلص. ثم أردف قائلاً: أنه إذا طلب الأمير شرف إلى الآستانة فلا يتصور العقل أن يجيب الطلب. واتفق أن (علي سيدان) من عشيرة القواليسي الذي كان مرافقاً لأولمه كان موجوداً هنالك، فأحضروه إلى البلاط فسألوه بقولهم إذا طلبنا أميركم بأن يحضر إلى العتبات السلطانية هل يحضر أم لا ؟ فأجاب ذلك الكردي الصادق الخالي الذهن بقوله: إن حضوره إلى الآستانة في الآونة الحاضرة ضرب من المحال. فاعتبر الأمراء والوزراء قول هذا الكردي مصدقاً لما ادعاه (أولمه) من السعايات والوشايات، فأخذوا يؤثرون في نفس السلطان ويثيرونه على الأمير شرف قائلين: إنه مصمم على التمرد والعصيان، وأنه يرجح جانب القزلباش على جانب العثمانيين. فبناء على هذا صدر المرسوم في نفس اليوم بإعطاء حكومة بدليس لأولمه، وتعيين جمع كثير من جنود الانكشارية والغلمان الجدد للسفر إلى بدليس للاستيلاء عليها، وتعيين فيل يعقوب باشا مير ميران ديار بكر سرداراً للحملة وصدر الأمر بأن يتوجه زهاء ثلاثين ألف جندي من (ديار بكر) و(مرعش) و(حلب) و(كردستان) إلى بدليس بقيادة القائد المشار إليه لقتال الأمير شرف وتسخير ولايته.

فما وصلت هذه الأنباء المزعجة إلى مسامع الأمير شرف حتى ساوره القلق والاضطراب، فأخذ يرسل التحف والهدايا إلى البلاط السلطاني مظهراً إخلاصه ومؤكداً طاعته، ولكن كل ذلك لم يجد نفعاً، لأن وزير العصر كان يكرهه ويتقصده لأمور حدثت بينهما . وهي أن الأمير شرف كان قد حصل على جواد في معركة طائفة البازوكية، وكان الوزير قد سمع بهذا الجواد وأعجب به فطلبه من الأمير شرف، ولكنه تباطأ وتعلل ولم يرسله إياه فاضطر الأمير شرف إزاء هذا أن ييأس ويتحصن في قلاع بلاده فعهد بحراسة قلعة بدليس والدفاع عنها إلى إبراهيم أغا البلباسي، والأمير محمد ناصر الديني، ومعهما ثلاثمائة من أبطال الروزكية المشاهير. وأرسل ابنه الأمير شمس الدين مع أهله وعياله إلى قلعة اختمار؛ كما أنه عهد إلى أعيان وزعماء الروزكية بالمحافظة على قلاع (موش، وأخلاط، وكيفندور، وآمورك، وكلهوك، وفيروز، وسلم، وكلخار، وتاتيك، وسوى) التي كانت حينئذ عامرة آهلة. وأخيراً بمقتضى قول الحكماء (آخر الدواء الكي) لجأ هو مع عدة من رجاله إلى ساحة الشاه طهماسب الذي كان حينئذ في تبريز ملتمساً منه النجدة والعون، فشمله الشاه بالعطف والتكريم ولم يتركه لحظة من غير أن يراعي خاطره المكسور.

ففي سنة (٩٣٨ هـ = ١٥٣١م) جاء فيل يعقوب، وأولمه بجيش عرمرم ونزلا في ظاهر قلعة بدليس وضربا نطاق الحصار عليها حالاً فنشب القتال واتقدت نيران الحرب بين الطرفين ودام النضال ثلاثة شهور على وتيرة واحدة يشرعون في القتال كل يوم من مطلع الشمس إلى مغربها حيث يأوي الجنود إلى مساكنهم، ويخلدون إلى الراحة والاستجمام في الوقت الذي يتسلم الحراس والديدبانات عمل الليل بكل حذر ودقة وإخلاص، حتى تهدمت البروج والأسوار من شدة الضرب بالمدافع الكبيرة والعرادات الضخمة وكادت أن تستوي بالأرض. ووصل الحال بالمحصورين إلى الفناء والهلاك واليأس والعجز عن الدفاع. فإذا بخبر قدوم الشاه طهماسب استرضاءً لخاطر الأمير شرف من تبريز متوجهاً بجيش جرار نحو بدليس، يشيع ويذيع في أخلاط وعادلجواز؛ الأمر الذي حمل فيل يعقوب و(أولمه) على فك الحصار واللوذ بالفرار مضطرين متحيرين تساورهما الدهشة والقلق. ويقال إن الخوف والذعر كانا قد بلغا مبلغاً أفضى إلى تركهم الأثقال، والخيام ، والأموال، والأسلحة الكثيرة وعددين من المدافع الضخمة التي كانوا نصبوها في الجهة الشرقية أمام طلسم باب القلعة، بل كانوا نصبوها هنالك ودكوا بها البروج والأسوار وجعلوا عاليها سافلها كل ذلك تركوها في مكانها وولوا الأدبار. ويروى أن البطل (قرا ياد كار) الذي صار أخيراً يدعى

(دورك) (قفز) ونزل بجواده من القلعة وأطلع على رحيل العدو فطار بجواده يحمل هذه الأخبار السارة إلى أخلاط حيث نزل الموكب الشاهي بها ورفع البشرى إلى العتبات السامية التي أغدقت عليه النعم، وجعلته فخوراً بين أقرانه وممتازاً.

وأما الأمير شرف فإنه أقدم على تخصيص خمس جميع أموال ولاية بدليس ومضافاتها من ضرائب المواشي، والمراعي التي يرتادها الكفرة والمسلمون من القبائل والعشائر للهدايا والتحف التي ترفع إلى مقام الشاه، ورجال دولته الذين يستحقون المكافأة، وعين لذلك جباة غلاظاً شداداً انتشروا في البلاد، فجمعوا في مدة ثلاثة أيام أموالاً كثيرة من الأهالي. ثم أقام في أخلاط حفلة شائقةِ ووليمة عظمى للشاه وأركان دولته لم يسمع بمثلها من قبل، غير أن صيتها وسمعتها من الرونق والبهاء قد وصل آذن سكان العالم العلوي، وذاع في أطراف الربع المسكون لدرجة أن القمر الذي هو سيار أقطار السموات، وسياج المنازل والمقامات أخذ يستمع من على السموات إلى دقات طبول هذه الحفلة الكبرى، والعطارد الذي هو مستنبط العلوم ومستخرج أحكام النجوم، أخذ ارتفاع قوس النهار بالدرجات والدقائق واختار طالع الوقت من صعود الدولة وسهم السعادة في هذا اليوم المبارك . . .

وعلى هذا النسق وصفت هذه الوليمة وما أقيم بها من معالم الزينة وأسباب الراحة واللهو والطرب، وصفاً شائقاً بديعاً بألفاظ مطنطنة واصطلاحات من فنون الأدب وعلم النجوم والموسيقى في عدة صفحات أضربنا صفحاً عن ترجمتها حرفياً مكتفياً بنقل هذه الأبيات الفارسية[1] :

فبعد أن مضت ثلاثة أيام على هذه الوتيرة في اللهو والطرب والسرور

١- چه جشنى بزمكاه خسروانه — هزارش ناز ونعمت در ميانه
زشر بتهاى رنكارنك صافى — چو نور أزعكس در ظلمت شكافى
بلورين جامها لبريز كرده — بماء الورد عطر آميز كرده
ززرين خوان زمينش مطرح خور — زسيمين كاسها برجى پراختر
درو أزخور دنيها هرچه خواهى — زمرغ آورده حاضرتا بما هى
پى حلواش داده نيكوان وام — زلب شكر زدندان مغز بادام
زتخته تخته حلوا هاى رنكين — بناى قصر حسنش بودشيرين
براى فرش درصحن وى افكند — هزاران خشت ازپالوده' قند
زتازه ميوه هاى ترونا ياب — سبدها باغبان پركده أزآب
نكرده هيچ نادربين تصور — كزآب آيد بيرون زينسان سبدپر

والبهجة وتوزيع الهدايا والتحف والخلع والكساوي التشريفية، رفع الأمير شرف إلى العتبات الشاهية تحفاً وهدايا خاصة لم ير لها مثيل في الأزمان السابقة. فمن ذلك عدة من طيور الصيد كالبازي والشاهين، وحشد من الخيول العربية الأصيلة بسرج ذهبية مزركشة، ومن فراوي الوشق ذات اللونين الثمينة والأقمشة المزركشة ذات السبعة ألوان، والمخامل الإفرنجية النادرة، الأمر الذي أثار إعجاب الشاه وابتهاجه بها، فشمله بعطفه السني وإنعاماته الشريفة حيث انعم عليه بسيف مرصع حزامه بالجواهر واللآلئ وقفطان مزركش وملبس بالذهب الأبريز وجعل لقبه (شرف خان) بدل الأمير شرف، وأسند إليه المنصب الجليل القدر (تواجى باشى) العسكر العام وأمير أمراء كردستان. وأصدر مرسوماً كريماً بذلك. نثبته هنا بنصه:

صورة المرسوم

إنه لما كان المقصد الأصلي والمطلب الكلي من التشرف بالعروج إلى معارج قدرة السلاطين العالي القدر، والصعود على مصاعد اختيار الخواقين السعداء الحظ، هو رعاية وتربية جمع من الناس يتفوقون على أقرانهم وأمثالهم في ميادين الجد والاجتهاد والمبادئ والاعتقاد. وبسابق خدماتهم الجلى امتازوا على أمثالهم من الأعيان، بأن رفعوا أعلام الخدمة الخالصة والتضحية النادرة عالية، وبذلوا نقود وجودهم وعملة كيانهم في سبيل البلاط السامي وأبواب السلطان العالية.

وحيث إنه في هذه الآونة الأخيرة قد لجأ إلى أسرتنا الكريمة موئل الإيالة ومقصد الحكومة رفيع القباب نصيف المآب عمدة الأمراء الكرام نقاوة الحكام العظام كمال الإيالة والإمارة والسعادة والدنيا والدين شرف خان وتشبث بأذيالنا العاطفة وعنايتنا السامية عن إخلاص وثقة تامة وتبرأ من المعاندين والمخالفين مترنماً لسان حاله بهذا[1] :

معناه: (لم نأت إلى هذا الباب بغية الجاه والعظمة، بل لجأنا إلى هذا المكان فراراً من الحوادث السيئة).

وهكذا دخل المومأ إليه مجلسنا السامي وتشرف بمحاسنه ومفاتنه، فلا شك أن مروءتنا الوافرة ومرحمتنا اللانهائية السامية تجلت نحو تعزيزه وتقويته

١- مابدين در نه پى حشمت وجاه آمده أيم وزيدى حادثه ابنجابه پناه آمده أيم

والعناية به كل العناية حسب القول البليغ المشهور[1] :

معناه: (كل من لجأ إلى أمان هذا البيت وحراسته فراراً من غم الروح وخوف السجن لا نبالي إذا راحت رأسنا في سبيل المحافظة على هؤلاء اللاجئين لكيلا يصل الأذى والسوء إليهم).

فلذا بسطنا عليه ظلالنا الشاهية وأدخلناه في ظل ظليل من بيت الأمان منعماً عليه رتبة (خان) وملقباً إياه بشرفخان ومفوضاً إياه التقدم على (تواجى = تواشي = طواشي)[2] ديواننا الأعلى منخرطاً بذلك في سلك خوانين وأمراء بابنا العالي ذوي القدر والشأن، وأسندنا إليه أيضاً منصب أمير الأمراء القائد العام لجميع قوات أمراء كردستان، ومنحنا إيالة بدليس، وأخلاط، وموش، وخنوس، مع ملحقاتها، وسائر محلاتها التي كانت حتى الآن في تصرف الأمير المشار إليه واعتبرت من بلاد نوابنا وعمالنا الشاهانية. فجعلنا في يده القاهرة القبض والبسط، والضبط والربط في الأمور الملكية والشؤون المالية. حتى يظهر سر القول المأثور (الإنسان عبيد الإحسان) في شخص هذا الأمير مرة أخرى. إذ بذلك يتفانى في الخدمة ويثبت على المبادئ ويضحي في سبيلها النفس والنفيس مدافعاً عن الحق أينما وجد، ومتوخياً مصلحة الدولة مهما كانت الظروف بحيث يكون بأعماله تلك قدوة لحكام الولايات ونواب الأطراف والمقاطعات؛ ما يجعل قدره يعلو ويرتفع يوماً بعد يوم ويزيد شأنه آناً فآناً.

وعلى الأمراء الكرام والنواب والقواد بكردستان أن يعتبروا الخان المشار إليه (أمير أمرائهم) الوحيد، وأن يقوموا بواجب الطاعة له والخضوع إليه في كل لحظة، وأن ينفذوا باهتمام زائد أوامره الخاصة. بإنجاز مصالح الدولة الكبرى كلما أراد ذلك، وعلى العمال والملاك والعمد والرعايا العامة، والسكان في تلك الولاية وزعماء العشائر ورؤساء القبائل التابعة لتلك المحال، أن يعرفوا المشار إليه حاكماً وصاحب تيول (؟) في تلك البقعة فيطيعوا أوامره، ولا يحيدوا عن نطاق نصائحه، وآرائه الصائبة فيسهلوا له وظيفته وواجبه الذي يتلخص في أن يحول دون وقوع الظلم والحيف من القوي على الضعيف، وأن يتبع الكل طريق العدل والنصفة مع البعض.

١- هرآن كز غم جان واز بيم جاه بزنهاراين خانه آراد بناه
اكر سررود در سركار او ندارم روا رنج وآزار او

٢- هذه الكلمة في الأصل منغولية بمعنى قائد الحرس السلطاني. ثم استعمل بمعنى الخصى لما شاع توليهم هذا المنصب. المترجم

وحيث إن هذه الوثيقة محلاة وموشحة بالتوقيع الرفيع المنيع الأشرف الأعلى فالواجب اعتمادها والعمل بموجبها.

كتبت بالأمر العالي أعلى الله تعالى (شأنه) وخلد بقاءه، ولا يزال مطاعا ومنيعاً مبلغاً في عشرين من شهر صفر ختم بالخير والظفر في سنة تسع وثلاثين وتسعمائة (٩٣٩ هـ = ١٥٣٢م).

فبعد التعطفات الشاهانية وترح الألطاف الخسروانية الطهماسبية أرسل (شرفخان) نجله الكريم الأمير شمس الدين بقلعة (اختمار) وأحضره إلى الركاب الشاهاني، وأدخله في سلك النواب الشاهاني، حيث عاد الموكب الشاهاني بعد ذلك إلى جانب آذربيجان واستقر في دار السلطنة. وفي هذه الأثناء وردت الأنباء باستيلاء (عبيد خان أوزبك) على خراسان ومحاصرة (بهرام ميرزا) في مدينة هراة منذ سنة تقريباً، وأن ضيق الحال قد بلغ بالمحصورين من رجال (بهرام ميرزا) مبلغاً كبيراً حتى حملهم على أكل الجلد الخام[1] فوقع هذا الخبر على الشاه طهماسب وقعاً سيئاً، ولذا بادر إلى الإذن للأمير شمس الدين بالانصراف إلى بلاده، وأصدر مراسيم وكتب استمالة إلى شرفخان يعهد فيها إليه أمر المحافظة على إيالة أذربيجان ويفوض إليه تصريف شئونها في جميع الحالات، وعين لمعاونته وتعضيده كلما تطلب الأمر ذلك، بعض قواد القزلباشية، مثل هلهل سلطان العربكيرلو، وأويس سلطان الپازوكي، وأجل سلطان القاچار، وأميره بك المحمودي، وموسى سلطان حاكم تبريز. وبعد ذلك عطف الشاه طهماسب عنان عزيمته نحو خراسان لقتال عبيد خان بنفسه.

ولقد سمع كاتب هذه السطور من والده أنه قال: عندما أذن الشاه لي بالانصراف إلى بدليس قال لي الشاه قل لوالدك ليسلك سبيل المداراة والمجاملة مع العثمانيين إلى أن أرجع من (خراسان) على الأقل. لأن أولمه أصبح عدوه اللدود، وهو ذلك الفتان والدساس الذي ليس له نظير على وجه البسيطة. وإني متيقن أنه سوف لا يترك العثمانيين على حالهم بل سيحركهم ويحرضهم دائما حسب هواه ومطامعه.

غير أن شرف خان لم يعمل بموجب وصية الشاه هذه، بل أقدم على تأديب الأمراء الأكراد الذين كانوا مع فيل يعقوب باشا، وأولمه، حين حصارهما بدليس. فأولاً أغار على بلاد الأمير داود الخيزاني، وأطلق يد النهب والسلب فيها

١- چرم جو شيدو .

وحاصره ثلاثة أيام بلياليها في قلعة خيزان وقتل وجرح من الطرفين بضعة أشخاص. وبينما هو كذلك فإذا ورد النبأ، وشاع أن (أولمه) قادم إلي حصار (بدليس) فاضطر (شرفخان) لفك الحصار والعودة إلى حيث أتى، وهذا أفضى بطبيعة الحال إلى اشتداد نفور الأمراء الخونة من شرفخان واستيائهم منه، والاتفاق مع (أولمه) من جديد ضده، كما أن بعض زعماء ورؤساء العشيرة الروزكية مثل مير بوداق كيساني، وإبراهيم أغاي بلباسي ولد شيخ أمير، وقلندر أغا ولد محمد أغا كلهوكي، ودرويش محمود كله جبري امتعضوا من تصرفات شرفخان وذهبوا إلى أولمه.

وهكذا أتيحت الفرصة لأولمه وبطانته وحلفائه بالاتفاق مع (فيل يعقوب باشا) أن يزحف إلى بدليس بجيش قوامه عشرة ألاف من المشاة والخيالة مسلحين بالرماح والبنادق والأقواس. وكان ذلك في خريف سنة (٩٤٠ هـ = ١٥٣٣ – ١٥٣٤م) عن طريق خيزان إلى ناحية (تانيك). في الوقت الذي لم يكن عند شرفخان من القوة العسكرية أكثر من خمسة آلاف ومع ذلك فإنه تذكر وصية الشاه طهماسب وأراد التوجه والزحف نحو أله طاق، وآلشكرد فأرسل إلى موسى سلطان والقواد بتبريز يدعوهم إلى الحضور بجيش القزلباش إليه لنجدته ومحاربة (أولمه) وحلفائه. ولكن هذا الرأي لم يعجب زعماء العشيرة الروزكية وأولوا الرأي بها. ولا سيما سيدي علي أغا البرتافي الذي كان وكيل ومدبر أمور (شرفخان) وكبير وقدوة رجال الروزكية إذ عارض معارضة شديدة في الاستعانة بالقزلباش قائلاً في حضور شرفخان وديوانه العالي إذا تسامح الروزكيون وتساهلوا في قتال أولمه وبطانته، فإني أجمع النصارى والأرمن في ولاية بدليس وأحارب بهم المغيرين. وكان هذا منتهى الجهل والحماقة في تدبير الأمور وبالرغم من أن شرفخان الذي كان عالماً بعلوم الرمل والنجوم قال لهم بحسب هذا العلم إن طالعنا هذه المرة في الحضيض والهبوط بعكس طالع (أولمه) فإنه في الأوج فليس من المستحسن أن نحاربه في هذا الوقت. ولكن أخيراً اضطر تحت ضغط الجمهور الكثير الكلام من الأكراد إلى خوض غمار الحرب والاشتباك في القتال مع قلة جنوده بجيش (أولمه) الجرار وضخامة عدده. حيث خف لمقابلة خصمه في (تاتيك) من أعمال (بدليس) فحدث المصاف والصدام بجنوبي قلعة (تاتيك) حيث جعل (أولمه) ظهر جيشه على الجبال وأمامه أرض مزروعة بالذرة سلط عليها الماء من الليل فأصبحت موحلة إيحالاً عظيماً، وقد نظم جيشه تنظيماً فنياً فجعل عدة صفوف من الانكشارية والرماة في القلب، ورتب الجناحين ترتيباً بديعاً. في حين أن جيش شرفخان، ولاسيما الروزكية

لمغرورين الذين لم يقدروا كثرة جنود العدو ولم يعتبروا بملائمة مكان العدو من لوجهة الإستراتيجية، فشرعوا حالاً في إشعال نار القتال غير عابثين بما يترتب على ذلك من النتائج السيئة. وهكذا بادر إلى ساحة الوغى من كلا الجانبين، الأبطال الصناديد والشبان المغاوير كالأسود الكاسرة والنمور الضارية فأثاروا نقيع الحرب إلى السماء السابعة. قال الشاعر[1]

معناه: (اقتحمت أبطال الأكراد المغاوير ميدان الحرب من جانبيه، فأحالته حوافر خيلهم إلى نار مشتعلة، وجعلوا من أرضه حوضاً للدماء. كانوا يفتكون وسيوفهم في أيديهم كالشمس. يعلو هامتهم الهلال. فأقواسهم التي تنساب كالتماسيح، وبنادقهم الشبيهة بالحيات انتهبتا العقول من الأرض والأفئدة من الزمن، فأحال دخان بنادقهم الجو إلى غيوم مظلمة كالبحر يظهر فيه لمعان السيوف، وتتساقط منه قذائف البنادق).

ففي خلال هذه الحرب الضروس والقتال المرير، زين الشيطان لأميره بك المحمودي الذي كان قائد جناح اليمين لشرفخان، أن يخونه فيتركه في المعمعة وحيداً سالكاً طريق الخزي والعار غير عابئ بفضيلة الثبات والوفاء حيث التحق بجيش أولمه كما قيل[2]:

معناه: (أيها القلب لا تبحث عن عين الوفاء لدى أبناء الدهر فإن في جبلة هؤلاء الرفقاء لا توجد المروءة).

وحدث في هذه الأثناء أن قذيفة بندقية أصابت الكتف اليسرى من شرفخان وخرجت من ظهره، فخرج عنان فرسه من يده وصار الفرس يركض به من غير إرادته ولما رأى الجيش هذه الحالة تشتت ولاذ أكثرهم بالفرار، وقد قتل في هذا اليوم أكثر من سبعمائة نفر من أبطال الشبان الروزكين. منهم خمسمائة من أبناء الأمراء وأعيان الروزكية قتلوا مع (سيدي علي أغا) الوكيل الذي أسر ابنه (سكر بك) مع آخرين من قبل العدو. ولكن أولمه لم يدخل ولاية

١- الأبيات: زهر دو طرف يكه تازان كرد — نمودند با هم بسى دستبرد
زسم ستور آتش انكينختند — بخون خاك ميدان بر آميختند
زتيغ وسپر شرزه شيران مست — هلالى بسر آفتابى بدست
نهنك كمان أردٔ هايي دمان — قرار أز زمين برد وهوش أززمان
هوا شد زدود تفك برزميغ — درو ابررخشان درخشنده تيغ
درآن دودناك ابردر ياستيز — تفك مهرها هر طرف ژاله ريز

٢- البيت: دلا مجوى زابناء دهر چشم ونا — كه درجبلت اين همراهان مروت نيست

(بدليس) بعد هذه الواقعة؛ بل واصل السير إلى (وان) و(وسطان)؛ كما أن الأهالي الصغير منهم والكبير تأثروا جداً من هول هذه الواقعة ودعوا على (سيدي علي أغا) بالشر والسوء فلذا أصيب في ذريتهن حيث انقطعت بعده، فلم يبق أحد من أولاده وأتباعه وبني عمومته.

وكان عمر المرحوم الشهير شرفخان عند وقوع هذه الحادثة قد تجاوز الأربعين وقد أشرف على الخمسين. فبلغت أيام حكمه أكثر من ثلاثين سنة كان فيها مستقلاً ولم يكن له إلا ولد واحد وهو الأمير شمس الدين من بنت (علي بك الصاصوني) وعقد خطبة ابنه هذا على بنت محمد بك الحزوئي فاحتفل بالعرس سبعة أيام بلياليها احتفالاً عظيماً مع مراعاة قواعد الأخلاق وتعاليم الشرع الشريف في عدم السماح للمناهي والمنكرات من الملاهي من النرد وغيره من آلات اللهو والبطالة أن تروج وتنتشر في (كوك ميدان) حيث ينعقد فيه المجلس الشرعي لمباشرة عقد الزواج، فيحضر العروسان حسب التعاليم النبوية والقوانين المصطفوية. ثم أعقب ذلك وليمة كبرى جمع فيها ما لذ وطاب من الأكل والشرب وقد أمها كثير من رجالات كردستان وأمرائه من كل صوب وانتشروا في المضارب والسرادقات والخيم الملونة والمزركشة وأخذوا يتمتعون بكل أسباب السرور والمباهج. وكان في المقدمة من الضيوف العظام في تلك الآونة، سيد محمد الحكاري، وشاه علي بك البختي والملك خليل الأيوبي، وحسن بك البالوهي. وكان شباب كردستان في ذلك العهد مغرمين دائماً بلعب الصولجان ورمي الكرة وقذف القبق. وكان الغلمان يطوفون فينثرون الذهب والفضة على المجتمعين. وبعد أن انتهى المجلس وهذا العرس عديم النظير قدم (شرفخان) هدايا وتحفاً عظيمة لضيوفه من عظماء كردستان وأمرائه وخلع عليهم خلعاً سنية. ثم أذن لهم بالانصراف. وقد انتقم لنفسه ولأسرته من جميع الذين أساءوا إليه أو خانوا آباءه وأجداده فيما مضى انتقاماً مناسباً. فلم يترك في نفسه إلا وأقدم على تحقيقه. فمن ذلك أن عشيرة البازوكي كانت قد وضعت يدها على ناحية (أوحكان) من يوم ما عين الشاه إسماعيل بحسب التقدير الإلهي چولاق خالد أمير أمراء كردستان، وقد بادر إلى إدخال تلك الناحية في الكاء (إقليم) خنوس (خنس) وأقطعها لأخيه (رستم بك) الذي كان يتصرف فيها ويقيم بها صيفاً وشتاءً، فيدبر الإغارات والغزو منها على عشيرة الروزكي فيصيبها ضرر عظيم إلى أن ضاق شرفخان ذرعاً من هذه الحالة، وصمم على تأديب هؤلاء حيث عمد في قلب سنة (٩٢٢ هـ = ١٥١٦م) وصميمه الذي يشتد في جهة (موش) اشتداداً كبيراً وتهب الرياح العاتية وتتلاطم كأمواج البحار

الهائلة بحيث لا يستطيع الطائر أن يطير ولا السائمة أن تسرح في ذلك الجو القاتم البارد، إلى جمع ألف وخمسمائة نفر من شباب الروزكي الأبطال والباسهم نعالاً خاصة في أرجلهم، فزحف بهم زحفاً سريعاً إلى (رستم بك) وحاربه حرباً شديدة حتى قتله مع ولديه وأربعمائة من رجاله من الپازوكية حيث وضع السيف البتار في ذكورهم وإناثهم صغاراً كانوا أو كباراً. ولما هرب جماعة منهم، والتجئوا إلى مغارة بمقربة من قلعة (أوحكان) أشعل فيهم النار حتى احترقوا عن آخرهم. ولقد سمعت من أحد الكبار الذين شاهدوا هذا الحادث الفظيع يقول إن لا أحد نجا منه سوى عجوز تلفعت بجراب (أنبان) فخرجت من هذه الورطة سالمة. وهكذا قام شرفخان بعقوبة هؤلاء المجرمين عقوبة صارمة، وعاد سالماً وغانماً مصحوباً بالأسرى من الأطفال والنساء.

في سنة (٩٣٩ هـ = ١٥٣٢ – ٣٣م) نهض شرف خان للاستيلاء على قلعة (اختمار) الواقعة في داخل بحيرة وان، وأرجيش، حيث كانت من القديم خاصة خاضعة لعشيرة الروزكي. وأخيراً كانت تحت تصرف واغتصاب حكام شنبو (العمادية). حيث عمد إلى عدة سفن بحرية فملأها بالجنود والعتاد وهاجم بها القلعة واستولى عليها عنوة. وكان حاكم هذه القلعة حينئذ من يدعى رستم بك بن ملك بك الحكارى، فقتل في المعركة برصاصة بندقية. ثم انتزع شرفخان إقليم اسعرد الذي كان البختيون قد استولوا عليه، انتزاعاً وأعطاه لحاكمه السابق الملك خليل حسنكيف كما يؤخذ ذلك من تفاصيل ما ذكر من الحوادث. هذا ولما انتزع ناحية غرزان (أرزن) من الملك خليل أعطاها لتصرف محمد بك الصاصوني. وأرسل الشيخ أمير بلباسي لمعونة عز الدين شير الحكارى وتخليصه من شر عشيرة المحمودي التي كان القزلباش يعضدها ضده؛ كما أنه تدخل في أمر حبس (عوض بك المحمودي) الذي كان أوركمز سلطان القزلباش، قد حبسه في قلعة (وان) فأطلق سراحه باستعمال القوة القاهرة كما سبق ذكره.

ومن مبراته وخيراته الكثيرة جامع شريف، ومدرسة منيفة، وزاوية لطيفة، في نفس مدينة بدليس فقد سمي كلها بالشرفية. وأنشأ قيصرية، وخاناً عظيماً ذا طابقين وأوقف على ذلك قرى جميلة، ومزارع كبيرة، ودكاكين كثيرة، وطاحونة عامرة ذات إيراد كبير، ثم شرط نظارة وتولية هذه الموقوفات والمزارع لأولاده الذكور بطناً بعد بطن إلى الانقراض. ثم خصص له مكاناً للدفن بجانب المسجد الجامع المسمى الشرفية؛ حيث دفن به وقد بنت عليه زوجته شاه بيكى خاتون بنت علي بك الصاصوني قبة عالية، فأتمت بناءها وعين حفاظ القرآن الكريم؛ لتلاوة آية الذكر الحكيم عليه صباحاً ومساءً يجري عليهم راتب من أوقاف خاصة.

الوجه الرابع

في بيان أحوال الأمير شمس الدين بن شرفخان

غير خاف على ذوي البصيرة والألباب، وواضح وضوح الشمس لكل ذي عينين أن الله القادر المختار عز شأنه حينما يريد أن يرفع شأن واحد من عباده ويعلي قدره ثم يضع تاج الدولة والملك على رأسه يهبه من أول يوم تطأه قدمه هذه الدنيا علامات توفيق وتباشير سعادة وابتهاج، ويجعله عرضة لجميع أحوال التربية المعنوية حتى يكون قابلاً لصفات الجلال والجمال، والإقبال والانتقال والإنعام والانتقام واللطف والعنف والحب والحقد والسرعة والتمكين، وأن يكون مصداق القول الشريف المنير (خمرت طينة آدم أربعين صباحاً)؛ كما أن عظمة قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) يقابلها عجز وتوهين (لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ) فالبرهان الواضح والبيان اللائح على صدق هذه الأقوال والمقالات الزمانية والانتقالات العجيبة، هو أحوال (شمس الدين خان) حيث إنه تمكن في الأول من الجلوس على مسند حكومة بدليس بدل أبيه، وكيف أنه أخيراً اضطر إلى الجلاء عن وطنه من جراء عدم عطف السلطان الغازي عليه، ومعاكسة الدهر وسوء الطالع الذي لازمه. وهاك تفصيل هذا الإجمال ا ان شرفخان حينما تمتع بشرب كأس الشهادة في جهة تانيك، بادرت عشيرة الروزكي إلى إحضار شمس الدين من قلعة (اختمار) وأقاموه حاكماً عليهم في بدليس، وأخلصوا له الطاعة والخضوع وعهدوا بأمور الإدارة والضبط من رتق وفتق، وقبض وبسط إلى الحاجي شرف بن محمد أغا الكلهوكي. ولما مضى على ذلك عام وستة شهور، وهو يحكم البلاد بكل كفاية وعدل، بادر السلطان سليمان خان في أواخر سنة (٩٤١ هـ = ١٥٣٤ - ٣٥م) بتحريض من (أولمه) إلى تعيين إبراهيم باشا الوزير الأعظم قائداً لجيش عرمرم يزحف لآذربيجان. وعندما وصل هذا الجيش العثماني الكبير ظاهر ديار بكر خف شمس الدين بك إلى مقابلة الباشا المشار إليه حاملاً التحف والهدايا، فتلقاه إبراهيم باشا بالحفاوة والتكريم واستصدار مرسوماً بإسناد حكومة بدليس له نيابة عن السلطان واصطحبه معه بالجيش المظفر على تبريز.

ولما وصل نبأ هذا الزحف إلى مسامع الشاه طهماسب عدل عن إتمام مهمة (خراسان) وعاد مسرعاً نحو آذربيجان. وعندما شاع في تبريز قدوم الشاه طهماسب من خراسان، أسر الوزير إبراهيم باشا في إيفاد رسول على جناح

الطائر بكل سرعة وعجلة إلى عتبات السلطان في استانبول يخبره بتوجه وزحف الشاه طهماسب إلى آذربيجان، ويلتمس قدوم الموكب السلطاني السامي بسرادقه العظيم العالي إلى ديار العجم. فشرع السلطان بالاستعداد والأهبة لهذا السفر الكبير، وحشد جيشاً كبيراً لا يعد ولا يحصى مجهزاً تمام التجهيز وغادر دار السلطنة القسطنطينية المحمية متوجهاً إلى تبريز. واتفق أن وصل موكب الملكين الإيراني والعثماني في خلال شهر إلى آذربيجان. فشرع السلطان الغازي بحسب الأصول العثمانية وتقاليدها الموروثة يعلن أسباب وبواعث الحرب والقتال للملأ؛ لتصل إلى نفوس وآذان الصغير والكبير منهم وتؤثر فيها. ثم أخذ يعمل بآراء ومشورة كبار القواد الذين عركهم الدهر وأكسبتهم الحروب العديدة التي خاضوا غمارها، المران والتجارب، فجعلهم في مقدمة جيشه الزاحف حتى يتمكنوا بصفاتهم هذه وبقوة سيوفهم البتارة من كسب المعركة وتدمير العدو من أول وهلة. ثم قوى قلب الجيش وجناحيه بصفوف من الجنود المدربين والمقاتلين الأشداء، فجعلهم كسد الإسكندر قوةً ومقاومةً. وعلى هذا النسق قصد ولاية العراق. وكان الشاه أيضاً قد جاء يستقبل خصمه حتى مدينة (سلطانية). غير أنه نظراً للخلاف الشديد الذي كان سائداً بين جيش القزلباش حينذاك لم يكن لدى الشاه وقتئذ سوى ثمانية آلاف فارس، الأمر الذي حمله على عدم الثبات ومقاومة جيش السلطان سليمان الجرار فاتجه نحو در جزين (در گزين) وهمذان، في الوقت الذي كانت الشمس قد تحولت عن الميزان ست عشرة درجة، وتساقط الثلج بكثرة على بلاد العراق تساقطاً هائلاً سد الطرق والدروب على العساكر العثمانية المنصورة فضلاً عن هلاك عدد كبير من رجال الروم، وخيولهم وجمالهم وسائر دوابهم النقلية من بغال وحمير في الجيش العثماني من شدة البرد وهطول الأمطار وقلة الذخائر والمؤن. فبناء على هذه المصيبة غير المنتظرة التي نزلت بالجيش الإسلامي نتيجة للعين الحاسدة فضل السلطان إبقاء أوله بالأثقال والعتاد الكثير مع فرقة الانكشارية في مدينة تبريز، ونهض هو باليمن والإقبال إلى جانب دار السلام بغداد. وما شاع خبر قدوم السلطان سليمان نحو بغداد حتى تضاءل وضعف كالنمل حاكمها المولى من قبل الشاه، وهو المدعو محمد خان شرف الدين تكلو، وقد بادر على وضع أهله وعياله في سفينة والفرار بهم إلى جانب شستر، ودزفول. وهكذا دخل الموكب السلطاني بغداد وتم فتحها بلا جدال ولا قتال حيث أمضى الشتاء بها.

هذا وكان الأمير شمس الدين بك في هذا السفر مع السلطان في الحل والترحال فأذن له السلطان بالانصراف إلى بلده فعاد إلى بدليس. وفي أول فصل

الربيع الذي توجه فيه السلطان بموكبه السامي عن طريق (آلتون كوبري) إلى آذربيجان، وحط رحال جيشه ومضارب معسكره في ظاهر أخلاط، أحضر الوزراء العظام بتحريض من أولمه الخبيث، شمس الدين بك إلى الديوان السلطاني وقالوا له: إن جلالة السلطان يطلب منك ولاية بدليس نظير ما يعطيك ولاية (ملاطية، ومرعش) على سبيل الملكية. فبادر شمس الدين بك إلى الجواب قائلاً: إن رأسي وأموالي وأملاكي كلها تحت تصرف جلالة السلطان إلا أن شخصاً يدعى (محمود عمادان) من الطائفة البايكية، وكان من مقدمي أعيان الروزكية وعمدتهم، وكان حاضراً في الديوان وجه كلامه باللغة الكردية إلى شمس الدين بك، وقال ما قيمة الحياة لنا معشر الروزكية بعد أن تسلب عنا ولايتنا الموروثة وامتيازاتنا التاريخية الشرعية ؟ فإذا سمحت لي وأعطيت لي أقل إشارة بأن أقتل الوزير الأعظم إبراهيم باشا، فإني أقطعه إرباً إرباً بالخنجر حالاً. والآن تحت أمرك مائة وخمسون نفراً من أبطال الروزكية موجودين في الديوان مستعدون أن يفدوك بأرواحهم، ومهجهم حتى لا يبقى لأحد منا أثر سوى أسمائنا الخالدة وأعمالنا الطيبة تذكرنا مدى الدهر. فأجاب شمس الدين بك أن هذا ليس من قلة عطف السلطان وعدم ثقة الوزير بنا، بل ذلك كله من تحريض أولمه الماكر الخبيث؛ كما قال الشاعر[1]:

معناه: (سعادة العدو وإقبال الدنيا عليه بلاء وإدبار لنا. و إلا فإن عمل (فرهاد) الشهير بنقره وحفره الجبل لا يعد من الرجولة).

وهنا انبرى بكر بك الروزبهاني الذي كان زعيم غلمان آمد، وكان حينئذ قد فوض إليه أمر سنجاق عادلجواز، حين علم ما يدبره الروزكي، قال لشمس الدين بك بالكردية إياك إياك أن تصغي إلى أقوال جهلاء الأكراد وتعمل بها، فإن ولاية بدليس إذا كانت تخرج من يديك بضعة أيام فلا ضير في ذلك مادمت أنت في السلامة والأمان لأنها تعود إليك لامحالة.

هذا ولما بلغ كلام شمس الدين بك اللبق إلى المسامع السلطانية بنصه وفصه تعطف السلطان، وأنعم عليه خلعاً سنية وجواداً بسرج ولجام وسلاسل ودبوس (تپوز) من الذهب الخالص ومنشوراً بإسناد ولاية ملاطية إليه، كما صدر منشور بإسناد إيالة بدليس إلى أولمه. وشرع شمس الدين بك يخلي قلاع بدليس من رجاله وأمواله، ويسلمها لرجال السلطان، وأقدم على إرسال زهاء خمسة عشر نفراً من أعيان الروزكية إلى ملاطية لتسلمها وضبطها. وبعد أن

١- بلند اقبالي دشمن بلاييست وكرنه كوه كن مردانكى كرد

رحل الموكب السلطاني من تلك الجهات توجه شمس الدين بك أيضاً مع الأهل والعيال نحو ملاطية عن طريق صاصون. وكان حاكم صاصون في ذاك العهد (سليمان بك العززاني) فتلقاه بالإكرام والترحاب، وقد نصحه بل وحذره بألا يذهب إلى (ملاطية) قائلاً له، لم يبق في أسرتكم القديمة العريقة من يرث هذا التراث غيرك. ولا يعتمد على طائفة الروم (الترك) قط فإذا تمكنوا من القضاء عليك بأية وسيلة فإن سلسلة أسرة حكام بدليس تنقطع معاذ الله. وقد أثر هذا الكلام في نفس شمس الدين بك، وساوره القلق والخوف فتردد في مواصلة السير نحو ملاطية. واتفق أن الشاه طهماسب جاء وتوقف في أرجيش وعين كلاً من عبد الله خان، وبدرخان استاجلو، ومنتشا سلطان للإغارة على جهات (أخلاط وموش) وإطلاق يد النهب والسلب فيها . فخاف شمس الدين بك وقوع الضرر من القزلباش على العشائر والقبائل الروزكية. فلذا عدل عن السفر إلى ملاطية ووجه عنان عزيمته على ناحية القزلباش مرتحلاً بالخدم والحشم وسائر الأتباع قاصدين تبريز لتقديم الطاعة إليها، وقد تمكن ستة من أعيان الروزكية وزعمائها من متابعة السفر معه. وعلى هذا داخل أولمه الوهم وساوره الخوف والقلق فترك (بدليس) خالية وواصل سيره عقب الموكب السلطاني ووراءه إلى ديار بكر. ولما بقيت قلعة بدليس فترة من الزمن من غير محافظ ولا صاحب، عمد العثمانيون أخيراً إلى فصل نواحي: (آمورك، وخويت، ويوغناد، وكرنج) الأربع من إيالة بدليس، وجعلوها سنجقاً أسندوا إدارته، بناء على اقتراح (أولمه) إلى إبراهيم بك ولد شيخ أمير بلباسي. فذهب هذا واستولى على قلاع: آمورك ، وكلهوك، ويوغناد . ولم يرعى خاطر قلندرأغا حسبما كان يتوقع، فقد أقدم هذا على الاتفاق مع (دده بك القواليسي، ومير محمد ناصر الدين) ومعهما زهاء أربعمائة نفر من الروزكية، فشقوا عصى الطاعة على أمير لواء بدليس. ثم اختاروا الجلاء عن الوطن والرحيل إلى جهة آذربيجان. فبعد ورود هؤلاء الزعماء أخذ الشاه طهماسب يهتم بشمس الدين بك، ويكرم وفادته وحاشيته ويبالغ في ذلك حيث أنعم عليه بلقب خان، فصار يدعى (شمس الدين خان) وأدخله ضمن الأمراء العظام، وأقطعه منطقة (سرآب) مع مواضع أخرى. ثم أخذ يقطع له جهة أخرى بحسب الظروف، فتارة يعطيه مقاطعة (مراغه) وتوابعها، وأخرى (دماوند ، ودار المرز) وتارة (كرهرود، وجهرود، وفراهان) العراق. وكان هو يسير غالباً في الركاب الشاهي صيفاً وشتاءً حيث كان أدخل زهاء مائة وخمسين نفراً من أعيان الروزكية في عداد الحرس الشاهي العظيم والضباط الياوران الكرام. فمنهم الشيخ أمير البلباسي، ودده بك قواليسي، قد نالا منصب اليوزباشي كرى.

هذا وبعد أن جلا (دده بك، ومير محمد، وقلندر أغا) عن الوطن كما سبق، أخذ الخوف والقلق يساور نفس خسرو باشا مير ميران ديار بكر (آمد) من جهة إبراهيم بك فأرسل إليه من يستدعيه ليحضر في ديار بكر. ولكن إبراهيم بك توجس منه خيفة وخشي مغبة أمر الذهاب إلى ديار بكر. فبادر إلى تحصين القلاع وتعزيزها والتساهل والتباطؤ في إجابة الأمر. ولما عرض هذا الحال على العتبات السنية صدرت الأوامر لجميع أمراء كردستان أن يزحفوا بالاتفاق على إبراهيم بك وأن يلقوا القبض عليه. فامتثل الأمراء بالأمر العالي وخفوا إلى تنفيذه حتى حاصروا إبراهيم بك في قلعة (كلهوك) واشتد الحال بالمحصورين حتى اضطر إبراهيم بك إلى طلب الصلح والتماس العذر، فأرسل أخاه (قاسم أغا) إلى (خسروا باشا) يطلب الصفح عنه. فأجاب الباشا أن جرائمه معفوة بشرط حضوره شخصياً، غير أن إبراهيم بك لم يجنح للحضور والذهاب لدى الباشا، فأرسل أخاه الآخر شيخ أمير إلى الأمراء الذين ضربوا نطاق الحصار عليه يقول لهم، إنه ندب أخاه أمير إلى الذهاب إلى الباشا ليطلب المهلة عدة أيام يقوم الأمراء بفك الحصار عن القلعة خلالها، ليتمكن هو من الذهاب بنفسه إلى الباشا لالتماس العذر والعفو. ولما عرض الأمراء هذه الأخبار والعروض على الباشا لم يرضى بها ولم يقرها فحسب؛ بل إنه بادر إلى إنزال عقوبة شديدة على أخيه قاسم أغا، فقتله حالاً وأعطى الأمر بتنفيذ حكم القتل في أخيه الثاني شيخ أمير أيضاً وتضييق نطاق الحصار عليه. غير أن شيخ أمير قد علم بجلية الأمر من بعض أصدقائه ومعارفه، فانتهز فرصة الوضوء لصلاة المغرب وخرج من عند الأمراء وأسرع في السير حتى دخل في الغابات والأحراش فتسلل منها إلى أن وصل إلى عشيرة الحكارى، ومنها هرب إلى جهة القزلباش.

وحينما بلغ مسامع إبراهيم بك نبأ قتل قاسم أغا، وفرار أخيه شيخ أمير إلى القزلباش، لم يستقر له بال فألقى بنفسه في قلعة (آمورك)، ولم يلبث هنالك أيضاً حتى اضطر إلى الرحيل إلى القزلباش. وهنا اضطر المحصورون في القلعة إلى طلب الصلح والتماس الأمان، فأجاب الأمراء الطلب بفضل مساعي بهاء الدين حاكم (حزو) وأخرجوا المحصورين من القلعة من غير أن يمسوهم بأذى. ثم أخذوا في هدم وتخريب القلاع الثلاث.

هذا وإبراهيم بك لم يرى عطفاً ولم يرع خاطره في تبريز من قبل الشاه طهماسب ولا من شمس الدين خان، فاضطر بعد سنتين أن يعود إلى الروم (البلاد العثمانية)، ويتقدم إلى عتبات السلطان الغازي سليمان الثاني واضعاً الكفن والسيف في عنقه علامة الخضوع التام، فشمله السلطان بالعفو والمغفرة

وأقطعه سنجقاً من سناجق الروملي يقضي بقية أيامه فيه. وقد لبث هنالك حتى قضى نحبه على أيدي غلمانه المملوكة له وأما شيخ أمير فقد لاقى احتراماً ونال عطفاً شاهانياً كبيراً في الأوائل حتى صار منصب رئيس حرس الأكراد في البلاط. إلا أنه نظراً لما كان قد ابتلى بشم الأفيون وكثرة تعاطيه، فقد سقط أخيراً من عين الشاه وعيون غيره من الخدم والحشم وسائر الناس وعاش بهذه الحالة حتى توفي إلى رحمة الله سنة (٩٦٥ هـ - ١٥٦١م) وهو وكيل كاتب هذه السطور في ولاية شيروان.

وأما (دده بك) فقد عزل عن منصب (يوزباشى كرى قورجيان طهران) وتعين مع أربعين نفراً من الروزكية لوكالة والدي ومخدومه وفي سنة (٩٥٦ هـ - ١٥٦١م) استشهد في كرجستان.

هذا وقد اعتزل (شمس الدين خان) ملازمة البلاط اعتزالاً نهائياً وصار متنفراً منها إذ اختار العزلة والانزواء مكتفياً بريع مائة تومان الذي يساوي مائتي ألف (آقچة عثماني) من أموال بلدة أصفهان التي عينت لمعيشته ومعيشة حاشيته، وأعطوه حكماً ترخانياً بألا يؤخذ منه رسم ولا ضريبة (بجار وبساق) وأن يقيم بتلك البلدة. وقد مضى على هذا من الزمن عشرة أعوام حتى إذا ما خرج الشاه إسماعيل من قلعة القهقهة وتسلم عرش السلطنة في (قزوين)، فأرسل من يحضر والدي المخدوم إلى (قزوين). وحيث إنه كان متقدماً في السن إذ كان بلغ عمره حينئذ سبعة وستين عاماً أمضاها ما بين غم وهم، وألم وأمل في أغلب الأيام فضلاً عن استعماله للمكيفات والتراكيب المخدرة، فقد كان دماغه قد نشف، وأصبح بهذه الحالة لا يليق لصحبة السلاطين ومجالسة الخواقين لنفوره من الناس والاختلاط بهم بحيث صارت العزلة طبيعة له ثانية[1].

معناه: (الذين تجردوا لأجلك عما سواك ساكتون عن ذكرهم ومنقطعون فما دمت أنت في الخاطر والذاكرة فغيرك منسي ومهمل حقاً).

نعم ! كانت مفارقة الأولاد الذكور والإناث وعموم عشيرة الروزكي، في هذه المدة الطويلة قد أثرت في نفسه تأثيراً سيئاً، ولكن قدومه في هذه الآونة قد اتفق مع وجود جميع الأولاد الكبار منهم والصغار، والروزكية وأعيانها في (قزوين) مما سبب له ابتهاجاً وسروراً لا مزيد عليهما. وفي هذه الام اشتد عليه المرض فلبى نداء ربه القائل: (ارْجعي إلَى رَبك رَاضيَةً) ومصغياً لقوله الكريم: (فَهُوَ في عيشَةٍ رَاضيَةٍ في جَنَةٍ عاَليَةٍ) فصعدتَ روحَه العالية إلى جوار ربه الرحيم.

١- مجر دان تو أزياد غير خاموش أند بخاطرى كه توئى ديكران فراموش أند

(مثنوي) [1]

معناه: (ذهب هو وارتحل من هذا الممر. ومن هو الذي لا يمر ولا يرحل من هذا الطريق ؟.

فالطريق طريق العدم وكل من كان موجوداً لا ينجو من آفة سيف هذا الطريق لتكن جنة البقاء والخلود مكان ذكراه وليفسح له مكان في حرم الله).

ولقد ترك رحمه الله على صفحة الوجود ولدين ذكرين هما مسود الأوراق هذه (شرف)، وأخوه (خلف). فكان (خلف بك) في بعض الأحيان قائماً بوظيفة القورجي ضمن قورجية الشاه طهماسب، وقام عدة سنين بمنصب يوزباشي كرى أيضاً وأخيراً في عهد الشاه سلطان محمد وصل إلى رتبة الإمارة وصار من زمرة المقربين لحمزة ميرزا.

وبعد مقتل الميرزا هذا قدم خلف بك طاعته إلى سدة المرحوم السلطان مراد خان (ثالث) فنال منه العطف والثقة حتى أسند إليه منصب سنجق (آلشكرد، وملاذ گرد).

---

1 - الأبيات: أورفت وكذشت ازاين كذركاه وآن كيست كه نكذود أزين راء
راهيست عدم كه هركه هستند از آفت تيغ او نرستند
جاويد بهشت جاى يادش جا در حرم خداى بادش

ذيل

في بيان أحوال الفقير المكسور الجناح من يوم ميلاده حتى الآن الذي هو سنة خمس وألف من الهجرة النبوية

حيث تكلم عن ولادته وتربيته وتعلمه، ولم نر داعياً لترجمتها حرفياً [1] .

١- الأبيات:

منم چو كوى بميدان فسحت مه وسال   زصولجان قضا منقلب زحال بحال
نخست باز فتادم به پشت يكچندى   بدان مثابه كه باشد طبيعت أطفال
نكرده هيچ گنه ليك چون گنهكاران   بمهد تربيتم بسته دست وپابدوال
قدم زرفتن لنك وكف أز كرفتن شل   دهان زخوردن بند وزبان ز كفتن لال
زنوك هرمـژه خون جكر بيفشاند   نيامده بدهان شير صافيم چو زلال
وزان پسم نرسيده هنوز قوت عقل   بپايهء كه يمين را جدا كنم زشمال
زحجر مرحمت مادرم كشيد بحيز   عناية پدر مشفق حميده خصال
بدست صنع معلم سپرد دست مرا   بپاى طبع من ازعقل أونهاده عقال
فشاندا جان مرا در زمين استعداد   زحر فهاى هجا تخم علم وفضل وكمال
كشاده باصرەرا از نقوش خطيشان   ره نظر بعروسان عنبرين پر وبال
رساند ناطقەرا دروجود لفظيشان   بمنتهاى بيان در مجارى أقوال
زحرف حرف كلامم هجا كنان كذراند   چورهروى كه بپايش نهاده أند شكال
درآن چوسبق زباتم شكال را برداشت   شدم روانه بمقصد بكام استعجال
زباى بسمله تاختم سين ناس مرا   عبور داد برين منهج وبرين منوال
در آمدم پس أزآن در مقام كسب علوم   ممارسان فنون را فتاده در دنبال
زنحويان طلبيدم قواعد إعراب   زصرفيان شنو يدم ضوابط إعلال
زعلم فقه واصولش تمام دا نستم   كه چيست مستند حكم هر حرام وحلال
شد از رواية حديث وأثر مرا روشن   ره پيمبر وآيين صحب وسيرت آل (٢)
نشد زعلم مجرد چوكام من حاصل   برآن شدم كه كنم آن علوم را أعمال
صفير ذكر زدم بالعشى والإشراق   نديم فكر شدم بالغدو والآصال
زدكر وفكر رسيدم بمشهدى كه كرفت   حجاب كون زوجه حقيقت اضمحلال
وجود واحد ونور بسيطرا ديدم   عيان بصورث اضواء وهيأة أظلال
نمود كثرت ظاهر زوحدت باطن   بسان ذروهء آتش زشعلهء جوّال

[٢]- في نسخة أخرى حال.

لا يخفى على أرباب الفضل والكال وأصحاب العلم والإفضال أن الغرض من هذا التمهيد، والقصد من هذا البسط و المقدمة، هو شرح حال هذا الفقير المهيض الجناح، من يوم ولادته حتى مصيره الآن المختتم بالخير والسعادة فأقول على وجه الإجمال إن والدي العظيم حينما غادر الوطن المألوف، وجلا عن مسكنه المعروف تحت ضغط الظروف والحوادث حسبما جرت به المقادير وحط رحاله في ديار العجم، فقد عقد خطبته على والدة هذا الضعيف، وهى كريمة (أمير خان موصلو) الذي هو ابن كلابي بك بن أمير بك الشهير بتوقات بايندوري، حيث كان في عهد سلطنة حسن بك البايندوري من أجلة الحكام العظام وعمدة الأمراء الفخام، فظهرت منه أعمال بطولة خالدة وآيات شجاعة نادرة في الحربين اللتين قام بهما حسن بك مع السلطان أبي سعيد كوركان في قرا باغ أولاً، ومع السلطان محمد خان الغازي في صحراء بايبورت، مما جعل حسن بك يعهد حكومة (أرزنجان) وملحقاتها إليه، حيث لا تزال آثاره الخيرية ومبراته الكثيرة من مساجد، ومدارس، ماثلة للعيان في قصبة أرزنجان. وخلاصة القول أنه بعد رحلة وهجرة والدي إلى تلك الديار بسبع سنوات قد ولد هذا الضعيف الحقير قليل الحظ والمقدار من كريمة أمير خان في قصبة كرهرود من أعمال قم العراق في تاريخ العشرين من ذي الحجة سنة (٩٤٩ هـ = ١٥٤٣م) الموافقة لتوشقان ييل. وكان مسقط رأسي في منازل قضاة كرهرود الذين يصل نسبهم العالي للقاضي شريح الكوفي الشهير بين العلماء والفضلاء بعلو الشأن وسمو المكانة؛ إذ لا تزال تتخرج من هذه الأسرة الكريمة من يوم نزوحها من الكوفة إلى هذه الديار جماعة كبيرة من العلماء والفضلاء في كل زمان وكل مكان. فمن بركات هذه الأسرة العالية وآثارها المباركة ان وفقني الله إلى مخالطة العلماء العاملين ومجالسة الفضلاء الكاملين من يوم صباي حتى الآن الذي بلغت فيه الخمسين وتجاوزتها إلى حدود الستين بحيث لم أتخل قط عن ملازمة هؤلاء العلماء الأفاضل والرجال الأكارم. قال الشاعر[1] :

معناه: (ياجامى ! تطهر من زينة الجسم ومظاهره، بل كن تراباً لقدم صاحب الروح الطيب لعل بسبب هذا التراب تصل إلى كردي من أكراد المغارات والكهوف فتصل الرجولة والإنسانية).

هذا ولما كانت العادات الطيبة والتقاليد الحسنة التي كان المغفور له الشاه

١- الأبيات: جامى أز آلا يش تن پاك شو — در قدم پاك روان خاك شو
شايد أز آن خاك بكردى رسى — كرد شكافي وبمردى رسى

طهماسب يجري عليها ويتبعها سنة حسنة أن يعمد إلى أولاد أمرائه وأنجال قواده، وهم أطفال صغار فيدخلهم في حريمه الخاص، ليكونوا مع أولاده الأمراء وأنجاله الكرام، فيتربوا تربية واحدة ويرعوا رعاية خاصة تحت كنفه السامي وعنايته الشريفة؛ حيث كانوا يدرسون القرآن والفقه والأحكام الشرعية ويحرصون على التمسك بالتقوى وطهارة البدن والروح، ومجالسة الرجال الصالحين المتقين والأمناء الأخيار الزاهدين، ويجنبهم الاختلاط بالأشرار الفاسدين والفسقة المستهترين. وكان يكل إليهم خدمة العلماء والفضلاء الذين يردون على بلاطه العظيم. ولما يبلغون سن الرشد والتمييز كانوا يكلفون بالتدريب على الفنون العسكرية من رماية وفروسية واللعب بالصولجان وركوب الخيل، وغيرها من القواعد الحربية والآداب الإنسانية، وكان رحمه الله أحياناً يقول: يجب عليكم أن تعنوا بتعليم فن الرسم والنقش أيضاً حتى يرق ذوقكم ويستقيم طبعكم وتتفتح مواهبكم وتظهر سليقتكم[1].

معناه: (كل من نال شيئاً من الدولة والإقبال لابد أنه ناله من قلب صاحب نظرة وعرفان، فكل نظرة صادرة من الصدق والصفاء إذا نظرت إليها بعين الحقيقة وجدتها إكسيرا لايعوض. فإذا ما ظهرت وتجلت همة الطاهرين، نفحت الورود الغضة عن أشواك وحسك).

فبناء على هذه القاعدة الشريفة حينما بلغت التاسعة من العمر أدخلت في شهور سنة ثمان وخمسين وتسعمائة (٩٥٨ = ١٥٥٢م) في الحرم الخاص، وتشرفت بمحفل الاختصاص فلبثت بين أسرة ذلك الشاه العظيم الشأن والخلق، والملك العادل اللبق منخرطاً في سلك خدمه الخاصة، حتى إذا استقال والدي المخدوم في سنة (٩٦١ هـ =١٥٥٥م) عن ملازمة بلاط الشاه الكبير واختار العزلة والانزواء، بادرت عشيرة الروزكي بالاتفاق إلى رفع التماس إلى الشاه طهماسب بإسناد منصب الحكومة إلى هذا الفقير الضعيف فصدر أمره الشاهاني حسب الالتماس بتشرفي بمنصب الإمارة، وأنا في سن الثانية عشرة من العمر حيث أنعم عليّ بإقليمي (ساليان ومحمود آباد) من أعمال شيروان. فبعد أن أمضيت ثلاث سنوات قائماً بأمر الحكومة في الإقليمين المذكورين حيث

١- هركه ز دولت أثري يافته أزدل صاحب نظرى يافته
هر نظرى كز سر صدق وصفا ست چون بحقيقت نكرى كيميا ست
همت پا كان چود رآيد بكار برك كل تازه برآيد زخار

توفي إلى رحمة الله الشيخ أمير البلباسي الذي كان وكيل هذا الفقير ورائده (لاله)، نزعوا إقليم ساليان عن حكمي وإدارتي. فبادرت إلى التحاق ببلاط الشاه، وهو في مصيف وهضبة (حرقان) فعهدوا بي إلى عناية خالي (محمدى بك) حاكم همذان الذي كان مثل أبي. وقد بادر هذا الجناب العالي إلى إدخال هذا الضعيف ضمن أولاده النجباء وعقد خطبتي على ابنته الكريمة.

واما الشاه طهماسب فقد تعطف وعين لي معاشاً ومخصصات لأمور إدارة عشيرة الروزكي من جهة (همذان). وهكذا أمضينا ثلاث سنوات في هذه البلدة حيث ظهرت واقعة التجاء السلطان بايزيد إلى بلاط الشاه طهماسب، وحادث القبض عليه وتردد الرسل والرسائل من بلاد الروم؛ الأمر الذي حدا بالشاه لإحضار وإتيان والدي مرة أخرى إلى (قزوين) وتفويض إمارة الروزكية إليه، وإقطاع إقليم كرهرود من أعمال قم إليه وإرساله إلى تلك الجهات.

وبعد بضع سنين سئم والدي المرحوم متاعب الإمارة التي لم تكن وفق مرامه وبغيته، فالتمس من الشاه إعفائه منها. وقد أعادها إليّ مرة أخرى فعين وظائفها وواجبها من مالية (أصفهان) على أن يلبث الفقير في ملازمة ركابه بقزوين حيث لم أفارقه سنتين متواليتين قط. حتى إذا ما تعلقت الإرادة الإلهية بوقوع خان أحمد كيلاني والي (بيه) في الأسر. فحمل ذلك الشاه المرحوم على تسخير ولاية الخان المشار إليه نهائياً، وندب الفقير هذا مع بعض من أمراء القزلباش للقيام بهذه المهمة، وذلك لأن أكثر القواد القزلباش لم يكونوا يقومون بالعمل حسب مايهواه ويتمناه الشاه المرحوم من توخي العدل والمساواة بين الرعية؛ بل إنهم غالباً كانوا يمضون في الجور والتعدي على أهالي تلك البلاد بخلاف هذا الضعيف الذي لم يكن له مطمح سوى رضاء الخالق والخلق، وإجراء العدل مهما كانت الظروف حسب قول الشاعر[1] :

معناه: (إذا كان جلساء الملك ومشيروه أصحاب نظرات عالية، لاشك أنهم يكونون مقبولين لدى نفوس وأفئدة السلاطين العظام، وهكذا يتمكنون من حرق كبد الظلمة والجائرين ومواساة المظلومين وطالبي العدل بوضع المرهم على جروحهم).

ولقد قمت بتوزيع العدل والنصفة بين الرعايا، وسكان الإقليم بالقسطاس

١- صاحب نظران أنيس شاهان باشند مقبول دل جهان پناهان باشند
هم برجكر ستمكران نيش زنند هم مرهم زخم داد خوامان باشند

المستقيم متوخياً في ذلك رضاء الشاه أيضاً، حتى إنه رحمه الله أرسل مراراً بصحبة مندوبين أوامره الشريفة يبدي فيها سروره ورضاءه عني، قائلاً فيها إن عدلك المطلق وشهامتك النادرة وشجاعتك الفائقة وحبك للرعية والناس أجمعين، قد تجلت لدى نفوس رجالي ونوابي في جميع أنحاء المملكة، فبيض الله وجهك في الدارين.

وخلاصة القول أن التوفيق في الأمور قد وصل بي بفضل رضاء ذلك السلطان العادل ودعائه المستجاب، إلى أن انتصر انتصاراً باهراً في الحرب التي جرت معاركها بين جيشي الذي كان لا يزيد عدده من الفرسان والمشاة عن أربعمائة وخمسين نفراً، وبين جيش من يدعى سلطان هاشم الذي كان قد نصبه أهالي كيلان من أولاد سلاطين ذلك الإقليم سلطاناً لهم، فكان يبلغ تعداد جيشه ثمانية عشر ألف فارس وراجل. فلقد مات من الكيلانيين في ساحة الوغى زهاء ألف وثمانمائة نفر بحيث قامت من رؤوسهم ثلاثة مآذن. وبغض النظر عن هذا العمل الظاهر الباهر فإن هذا الضعيف، قد حصل على فيوضات رحمانية وفتوحات غيبية لا ريبية عادت عليه طيلة حياته باليمن والبركة.

هذا ونظرا لعفونة هواء (كيلان) وانتشار الأمراض المتوطنة الكثيرة دائماً من جراء ذلك؛ الأمر الذي قضى على أكثر رجال عشيرتي الروزكية المدربين المجربين، فقد خطر لي العمل على الرحيل من هذا الإقليم الموبوء في أقرب فرصة. ولما رفعتُ حقيقة الأمر وما ابتغيه إلى سدة الحضرة الشاهية العليا، فقد سمح لي رحمه الله بالعودة، بعد أن أمضيت سبع سنوات في ذلك الإقليم، إلى (قزوين) لملازمة السدة السنية حسب أمره السامي؛ غير أن أحوال القزلباش لم تكن كالسابق على شيء من الانتظام والاتفاق، بل الخلاف والشقاق بين الزعماء والقواد كان على أشده، فكانت العشائر والأويماقات القزلباشية في نضال دائم ودس مستديم. وكان الشاه المرحوم نظراً لما وصل إليه من سن الشيخوخة وضعف القوى، عاجزاً عن ضبطتهم وإعادة الحق والنظام إلى نصابه مما كان ينذر بظهور حوادث دامية ووقائع طاحنة لا تبقي ولا تذر.

فبناءً على هذه الأمور. رأى الفقير هذا أن من المصلحة العاجلة ألا يقيم في العاصمة وأن يبتعد عن الانغماس في التطورات المتوقعة، فطلب من مراحم الشاه أن ينتدبه لإدارة أحد الأقاليم في أنحاء المملكة الإيرانية فمنحني جلالة الشاه بعض المقاطعات في إقليم شيروان وعين لمعيشة العشيرة الروزكية ووظائفها أموال

بعض الأملاك الخاصة الشاهية في ذلك الإقليم مثل تراكمات، آرش، آق داش، قباله، باكو وكنار آب، ثم أذن لي بالرحيل إلى ولاية شيروان والإقامة بها . وبعد أن أمضيت بها ثمانية شهور وصلت الأنباء بوفاة المرحوم الشاه طهماسب والثورات التي حدثت في قزوين ومقتل سلطان حيدر ميرزا، وخروج إسماعيل ميرزا من القلعة التي كان معتقلاً بها إلى دار الملك قزوين؛ حيث أرسل حكماً شريفاً باسم الفقير هذا يطلب فيه مني الرحيل من شيروان إليه، لأكون في خدمته مسنداً إليّ منصب أمير أمراء الأكراد، على أن أكون دائماً في معيته السامية، وملازماً له لأتولى تصريف شئون أمراء وحكام كردستان، ولرستان، وكوران، وسائر الطوائف الكردية وأعرض المهم منها على العتبات السامية. وهكذا جعل جميع أمور هؤلاء الأمراء والقواد الكرد من صغيرة وكبيرة، في يدي وتحت أمري أبت فيها كما أريد . وقد بالغ الشاه العظيم في تكريمي وإعزاز قدري لدرجة أن أعيان القزلباش دب فيهم الحسد والغيرة الممقوتة، فأثارهم ضدي وأخذ المفسدون منهم يحيكون حبائل الدس والإيقاع بي حيث أبلغوا الشاه سراً بأني متآمر مع عدة من الأمراء القزلباش عليه، وذلك بمحاولة القيام بنصب ابن أخيه سلطان حسين ميرزا، شاهاً على الممالك الإيرانية.

ولما كان الشاه إسماعيل هذا في الواقع متلون المزاج لا يستقر على قرار، وقد أثر عليه أيضاً إدمانه تعاطي الأفيون أثناء ما كان محبوساً في القلعة تأثيراً سيئاً بحيث لا يمكنه مصادقة أو مجالسة أحد أكثر من شهر واحد . فلذا وجدت هذه السعايات والوشايات من أهل الغيرة والحسد مجالاً فسيحاً ومرتعاً خصيباً لديه، فأقدم على قتل البعض وحبس البعض الآخر وعزله، وأما أنا الفقير إلى الله تعالى فقد أمر بإخراجي من البلد بحجة إسناد حكومة نخجوان إليّ، فأرفقني بقوة عسكرية تخفرني حتى (آذربيجان).

ولا شك أن هذا العمل الفجائي كان بشارة أو رمزاً من الجانب الإلهي وفيضاً من فيوضاته الربانية. حيث أتاح لي الفرصة للعودة إلى الوطن المألوف والإقامة في المسكن المعروف، في الوقت المناسب. إذ وصلني بعد أن أمضيت في حكومة نخجوان مدة سنة وأربعة شهور، بشرى صدور منشور إسناد إيالة بدليس إليّ من سدة السلطان الجليل العادل، والملك العظيم القادر والسياسي المحنك الماهر المرحوم المغفور له السلطان مراد خان (ثالث) عليه الرحمة والغفران بفضل مساعي خسرو باشا مير ميران (وان) وزينل بك حاكم حكاري، وحسن بك المحمودي، حيث أرسلوا إليّ يقولون إن العواطف النبيلة الخسروانية

والعوارف الملوكية اللانهائية قد شملتك فأعادت إليك حقك الموروث وولايتك المنزوعة منك ومن أسرتك الجليلة. فعد مطمئن النفس مستريح البال إلى وطنك الأصلي. وعملاً بالقول المأثور (كل شيء يرجع إلى أصله) أقدمت على مغادرة (نخجوان) في اليوم الثالث من شوال سنة (٩٨٦ هـ) مع أربعمائة من الملازمين لي والملتصقين بي الذين كان مائتان منهم من عشيرتي الروزكية. فوصلنا في مدة ثلاثة أيام بفضل نجدة عسكر وان وأمراء كردستان ومعونتهم القيمة إلى مدينة (وان) حيث تشرفنا بملاقاة (خسرو باشا) الذي بالغ في إكرام الفقير إلى الله تعالى والحفاوة به فأنزلني في المدينة منزل صدق وتكريم، مبادراً إلى رفع تقرير مفصل عن حقيقة أحوالي إلى السدة السلطانية الكريمة؛ مما حمل السلطان الكريم على إرسال منشور تجديد إيالة بدليس، ومعه خلعة شاهانية تتألف من سيف ذهب نادر المثال كان قد وصل إلى الخزانة العامرة من خزانة السلطان قدوان (لعله قلاوون) الجركسي والي مصر، بصحبة مصطفى چاويش الذي كان يحمل أيضاً مكاتبات من الوزراء العظام، ولا سيما الوزير الأعظم محمد باشا، كما أن خلعة فاخرة أخرى وسيفاً ذهباً وصلا الفقير إلى الله من قبل السردار مصطفى باشا قائد القوات المنصورة السلطانية. مما جعلني ممتازاً بين الأقران والأمثال. وهكذا رجعت إليّ مقر نعمة آبائي ودولة أجدادي مقضي المرام حسبما قال الشاعر[1] :

معناه: (شكر لله تعالى الذي كل ما طلبت منه قد قضاه حسب الهمة التي أبديتها).

وإني لم أضيع قط لحظة واحدة في خدمة هذا السلطان العادل الكريم الشيم من يوم توجيهه الجيوش الجرارة لفتح ديار (شيروان) و(كرجستان) و(آذربيجان) حتى مضى عشر سنوات من ذلك؛ حيث كنت ملازماً لركابه السامي في الحل والترحال والحرب والقتال، وفي الكر والفر ملازمة النصر والظفر لركابه ومرافقة اليمن والإقبال لعنان همته؛ مما جعل السلطان المغفور له أسكنه فراديس جنانه، يصدر أربعة خطابات همايونية بقلمه الرشيق الناثر للدر والعقيق إلى هذا المخلص الرفيق قائلاً فيها: (محب صادقم شرفخان) أي: محبي الصادق شرف خان. بما أن إخلاصك لسدتنا وشجاعتك وتفانيك في خدمة مصالح دولتنا، قد تجلى لنا بأجلى برهان، فإن عطفنا عليك وتقديرنا لأعمالك الخالدة قد وصل إلى أقصى الدرجات العاليات).

١- شكر خدا كه هرچه طلب كردم أزخدا — برمنتهاى همت خود كامران شدم

هذا وفي سنة (٩٩١هـ = ١٥٨٢م) التي استولى فيها السردار فرهاد باشا على (إيروان) وبنى هنالك قلعة، قد كلفوني مع حسن باشا مير ميران الشام بمهمة نقل الخزينة والذخائر وتوصيلها إلى جهة تفليس وكرجستان. حيث صدر مني في تلك السفرة خدمات جلى. فقد كوفئت على ذلك بزيادة مقاطعاتي حيث ألحقوا بإيالة بدليس ناحية (موش) أيضاً مع قرى خاصة تابعة لها نظير مائتي ألف آقچه بحيث صار مجموع خواصي أربعمائة وعشرة آقچه عثمانية.

لم ينل أحد من الحكام والأمراء ذوي القدر والاحترام في عهد سلاطين آل عثمان الكرام، وخواقينهم العظام، ما ناله هذا الضعيف من الشأن العالي والقدر السامي من هؤلاء السلاطين الكرام.

وإني في هذا اليوم الذي يوافق سلخ ذي الحجة سنة خمس وألف من الهجرة النبوية متصرف في حكومتي الموروثة بفضل وبركة دولة الخاقان العاليشان أبي المظفر السلطان محمد خان حفظه الله تعالى عن آفات الدهر والحدثان. ولو أني الآن معتزل الحكم المباشر ومتنح عن القيام بأعبائه الثقيلة متنازلاً عنه لولدي الأرشد والأمجد المتخلق بالأخلاق الطيبة أبي المعالي شمس الدين بك طول الله عمره وضاعف جلال قدره.

هذا ولما كان من دأب المؤلفين أن يقدموا لأبنائهم بضع كلمات من باب النصيحة والاتعاظ، فقد بادرت إلى نقل عدة أبيات من (خردنامه = كتاب العقل لمولانا الجامي رحمه الله (مثنوي) مترجماً معانيها :

بيا أى چكر گوشه فرزند من — بنه گوش برگوهر پند من
صدف وار بنشين دمى لب خموش — چوگوهر فشانم بمن دار گوش
شنوپند ودانش بآن يادكن — چو دانستي آنكه بدان كار كن
برز گان كه تعليم دين كرده آند — بخردان نصيحت چنين كرده آند
كه أى همچو خورشيد روشن ضمير — چو صبح ازصفا شيوهٔ صدق گير
بهر كاردل باخدا راست دار — كه ازر استكارى شوى رستكار
اكر وا كذارى بدوكار خويش — نيايد تراهيج دشوار پيش
زكار تودشمن هراسان شود — همه كار هابر توآسان شود
و گرجز بدو افكنى كاررا — نشانه شوى تير ادباررا
چو غالب شود خوى بد درمزاج — نباشد بجز خوى نيكش علاج

بزن شیشهٔ خشم را سنك حلم | بشو ظلمت جهل أزآب علم
مزن پشت پایخت فیروزرا | بقسمت سه کن هر شبانرو زرا
یکی راتحصیل دانش کذار | که بیدانشی نیست جزعیب عار
بدانش شواندر دوم کارکر | سیم رایي دانشان بریسر
بخوان دفتر کهنه کان ونوان | بهر کشوری بین که چون خسروان
بمیدان شاهی فرس تاختند | درآن عرصه نرد هوس با ختند
مکن همنیشینی بهر بد سرشت | که دزدد أزوطبع توخوی زشت
شوی أزبدي برزنیکی تهی | وزنبودت ذرهٔ آگهی
چوخوش گفت دهقان صافی رنك | که أنکور گرد زانکور رنك
بهر کس ره آشنایی مپوی | همه زهر آشنارو شنایی مجوی
جفای که برتو زعالم رسد | جز أزجانب آشناکم رسد
هرآن جور کز دور این آسیاست | همه زآشنارفته برآشنا ست
بود داوریها دو همخانه را | که هرکز نباشد دو بیکانه را
چوروز سیاست دعی بار عام | میفکن نظر برحر یفان خام
مبادا کزآن لهو کستاخ کن | رود باتو کستاخی در سخن
چو بر رشتهٔ کارت إفتد گره | شکیبائی ازجهد بیهوده به
همه کارها ازفرو بستکی | گشاید ولیکن بآهستکی
مکن تربیت بد کهر زاده را | ببدمست هندو مده باده را
بدأز نخوت جاه بدتر شود | چو کردد قوی مار أژ درشود
میفکن بکار رعیت گره | خدای هرچه دادت بایشان بده
سخن تانوانی بآزرم گوی | که تامستمع کردد آزرم جوی
سخن گفتن فرز انکیست | درشتی نمودن زدیو انکیست
تواضع کن آنراکه دانشوراست | زدانش زتوقدرا وبرترست
همی باش روشن دل وصاف رای | بانصاف بابند کان خداي
زبان سوده شد زین سخن خامه را | ورق شد سیه زین رقم نامه را
چه خوش کفت دانا که درخانه کس | چو باشد زکوینده یکحرف بس
همان به که در کوی دل ره کنیم | زبانرا بدین حرف کوته کنیم

معناه: (هلم يا بني أصغ إلى لآلى العظة واستمتع إلى جواهر النصائح ! نق نفسك من شوائب الشهوة والهوى كالصدف النقي، لألقي في أذنيك العظات المفيدة، استمع ذلك واحفظه دواماً واعمل به. إن المرشدين وقادة العلم حينما علّموا الناس تعاليم الدين وأرشدوهم إلى الكمالات كان الباعث لهم على ذلك وغايتهم تفقيههم وإرشادهم وتصفية نفوسهم حيث يقولون: أيها الولد ! أيها الأخ انق قلبك من كل دنس، ومما يشعر به من الميل للخداع والتضليل والاحتيال، وادفع الشبهات تكن كالشمس حينما تظهر بازغة قبل المشرق، فلا يعتورها حجاب ولا ستار، والتزم الصدق في الأقوال والأفعال.

استعن بالله، وأخلص في معاملتك معه في كل الأمور، ففي ذلك فلاحك وفوزك في الدارين، الدنيا والآخرة. وفوض أمرك إليه تعالى تأمن من المكاره والأذى، ويتولك بإدرار النعم والآلاء عليك، ويتكفل بتسهيل رغائبك، والعدو حينئذ يضطرب ويموت غيظاً من فيض ما يرى عليك.

وإذا لم تفوض أمرك إليه واعتمدت على نفسك، فتنهال عليك رماح الأعداء من كل جانب. إذا غضبت يوماً وتغير مزاجك فسارع إلى علاجه بالكظم والإطفاء، واكسر كأس غضبك وغيظك وشخصك على صخرة الحلم، واغسل الجهل والحمق بماء العلم.

لا تضع ظهرك متكئاً على كرسي خالي الذهن فارغ البال، واضعاً إحدى رجليك على الأخرى متعوداً الكسل والغفلة. اقسم ليلك ونهارك إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: تعلم العلم من مورده الصافي وافقهه جيداً؛ فإن الإنسان من غير علم لا يكون سوى العيب والعار. ثانياً: اعمل بعلمك مخلصاً. ثالثاً: اتصف بصفات العلماء، واقتد بمحاسنهم وآثارهم المجيدة.

اقرأ دواوين الكتاب والمصلحين القدماء، ودقق النظر أثناء القراءة كي ترى ما حل بالملوك والقياصرة والسلاطين الذين اتبعوا أهوائهم وشهواتهم فإنهم في عاقبة أمرهم ما ربحوا في تجارتهم، فأودى بهم القدر إلى الدمار والفناء. لا تجالس من لا يصلح لمجالستك، إذ تبدو منه بوادر الخبث واللؤم فتصير مثله وتصبح خالياً من صفات الكمال من غير أن تشعر كيف سلبت منك هذه الصفات الحميدة، واستبدلت بنقائضها من الصفات الخبيثة. أنظر إلى كلام المزارع المجرب الذي يستحق الإعجاب والتقدير حيث يقول: إن العنب الذي لم يتلون بعدُ فسيتلون بما جاوره ولاصقه وصاحبه من عنب آخر في النوع. لا

تحاول معرفة كل إنسان أعجبك مظهره. لأنه لا يتسنى لك أن تستفيد صفات الكمال وحسن الخلال من كل إنسان. كل المصائب والآلام التي تصيب الإنسان وتحل بساحته، تأتي غالباً من إنسان آخر صافاه من غير تجربة. وكثيراً ما يعاني الأضرار عن طريقه.

إن السلطة لا تدعم إلا إذا قواها ودعمها اثنان مخلصان متحدان جسماً وروحاً. ولا يمكن دوام هذه السلطة أو دعمها إذا كانت بين اثنين أراد كل منهما الاستقلال بنفسه دون الآخر، فسرعان ما تنهار هذه السلطة وتتلاشى وتتفتت.

إن تدبير شؤون الملك، والإنهاض بأحوال البلاد بحيث يحقق مصلحة الأمة الأخلاقية والاجتماعية والعلمية والمالية، لا تفوضه إلى أناس ليس لهم نصيب فيما يؤهلهم لذلك، بل اختر أناساً من ذوي الحجا والخبرة والإخلاص، إياك أن تختار غير هؤلاء في تدبير شؤون الأمة والبلاد، فإن اخترت غيرهم عرضت بلادك للفوضى والاضطراب والخراب.

إذا وقعت في مشكلة، ولم تجد منفذاً في حلها بعد أن استنفدت جهدك واستفرغت وسعك وعجزت عن العلاج، فالصبر حينئذ أولى. إن الأعمال المعقدة والمشاكل تنحل إذا ما صاحبها النظر الدقيق والحيطة وحسن التدبير، لا بالولولة والضجيج.

لا تحاول إعطاء الجاه والمنزلة، وتربية من لا كفاءة له، فالعبد لا يصلح ساقياً. فعديم التربية ووضيع الأصل يستغل السلطة لمطامعه، ويتجاوز حدود العدل والمصلحة، وإذا قوي فيها يكون كالأفعى في الفتك والأذى.

ألن الكلام للسامع فإن لينه يجعله يتلقى منك الكلام بتشوق ورغبة عدا أنه دليل على رجاحة العقل والذكاء والحصافة. أما التهور والتصلب والعنف والشدة فيدل على نقص في العقل وعلى الجنون.

كن متواضعاً ولازم ذوي العقول الراجحة والحصافة تستفد منهم لأنهم أكثر منك عقلاً وأسمى قدراً وعلماً. وكن مع العباد في جميع معاملاتك وأحوالك وظروفك صادقاً صافي الضمير نقي النية، ولا تضمر السوء لأحد.

إن لساني قد كلّ وملّ وذاب من تسويد الأوراق وكتابة هذه السطور والدعوة للعمل بها. إن العقلاء يقولون: إن كلام العاقل بكلام مفيد للنصح والإرشاد في بيت ليس فيه مخاطب ولا مستمع، أولى من إخفائه في ضميره وعدم التفوه به).

بما أن قلم صاحب التحقيق في جواهر الأخبار لحكام كردستان وغرائب الآثار لأمرائه الفخام، بفضل مرافقة التوفيق له من أول المرحلة حتى الآن قد تمكن من تحرير هذا التقرير وتحبيره، فالأولى والأحسن الآن الشروع، حسبما أشرنا في خطبة الكتاب، في بيان وقائع وحوادث السلاطين العثمانيين ومعاصريهم من ملوك إيران وتوران إلى يومنا هذا. وأقول[1]:

معناه: (المنة لله تعالى على توفيقه إياي بإتمام كتابة تاريخ حكام كردستان كاملاً طبقاً للواقع والحقيقة. وهذا خير ما خلفته من خدمات. وفي الختام السلام)) .

﴿ تم ﴾

تمت الترجمة الحرفية

في ١٢ رمضان سنة ١٣٦٧هـ الموافق ١٩ / ٧ / ٤٨ م

١- الأبيات: منت ايزد راكه بروفق مراد كرد كلكم أز سردانش سواد
قصة حكام كردستان تمام ببش أزاين كفتن نيارم والسلام

الفهارس

فهرس أعلام الأشخاص

ص

ض

ط

ظ

ع

ن

فهرس الأسر الحاكمة

فهرس أسماء الشعوب والقبائل

فهرس البلدان والأماكن

فهرس المصطلحات

العملة

المصادر التاريخية

أسد الغابة: تاريخ آل عثمان

تاريخ اليافعي

خرده نامه: كتاب العقل

الرسالة الإقبالية

روضة الصفا

زبدة التواريخ

زينة القلوب

ظفرنامه

فتح البلاد

كزيدة «منتخب»

مرآة الجنان

مطلع السعدين

نفحات

نهاية الأرب

هشت بهشت «الجنات الثمانية»

الفهرس



يعد كتاب شرفنامة بحق أحد أهم مصادر التاريخ الكردي المدّون - وهي قليلة جداً - نظراً لاتساع المرحلة التاريخية التي يتناولها وهي تمتد حتى عصر الإمبراطوريتين الصفوية والعثمانية، مروراً بعهد الحكومات البويهية والسلاجقة والزنكية والأيوبية والمغولية والإيلخانية... الخ. من جهة، ومن جهة أخرى يعتبر العمل الوحيد الذي أفرد مؤلفه الجزء الأول بكامله عن الأكراد.

يسلط الكاتب الضوء على العوامل التي ساعدت على نشوء عدد كبير من الدول والإمارات الكردية، على رقعة جغرافية واسعة، وأسباب زوالها، وسيرة حياة ملوكها وسلاطينها وأمرائها، وبينهم من استطاع الاستقلال بالحكم، وضرب النقود باسمه، وبسط سيطرته ونفوذه على مناطق شاسعة، كالملك الناصر صلاح الدين الأيوبي.

كما يتناول بإسهاب حياة الأكراد داخل المنظومة القبلية، مستعرضاً حالة العشائر الكردية، وتحالفاتها المتغيرة، وأماكن انتشارها وعلاقتها غير المستقرة مع الشعوب والدول القائمة حينذاك.

وبطريقة لا تخلو من الإثارة والتشويق وتحفل بالكثير من الأساطير والقصص الخيالية يورد لنا الأمير شرف خان الحوادث والحروب العبثية التي جرت في تلك الأيام سواء بين الأكراد أنفسهم، أو بينهم وبين القوى الأخرى، أو تلك التي دارت بين الآخرين على أرضهم.

وفي رصده الدقيق وتتبعه للواقع الاجتماعي للإنسان الكردي يحاول الأمير شرف خان رسم صورة حقيقية للبيئة والظروف التي تشكلت في سياقهما الذهنية الكردية وعملت على ترسيخ القيم والخصال التي تميزه عن غيره.

ونظراً لأهمية الكتاب العلمية والمعرفية ونفاد نسخ طبعاته القديمة من المكتبات ارتأينا أن يكون هذا المرجع - الموسوعة - في تاريخ الكرد، باكورة منشوراتنا حتى يكون مجدداً في متناول القراء الأعزاء.

الناشر



تصميم الغلاف: م. جمال الأبطح